

مَجْلَدُ الْمَجْمَعِ الْعَالَمِيِّ الْعِرَاقِيِّ

الجزء الأول

من

السنة الأولى

أيلول ١٩٥٠ = ذو القعدة ١٣٦٩

نظام

المجمع العلمي العراقي

رقم (٦٢) لسنة ١٩٤٧

استنادا الى الفقرة السادسة من المادة الأولى من قانون المعارف العامة رقم (٥٧) لسنة ١٩٤٠ وبناء على ما عرضه وزير المعارف ووافق عليه مجلس الوزراء ، أمرنا بوضع النظام الآتي :

المادة الأولى - يؤسس مجمع علمي عراقي يرتبط بوزير المعارف ، وله شخصية حكومية واستقلال مالي حسب الميزانية .

المادة الثانية - يقوم المجمع :

أ - بالناية بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة .

ب - بالبحث والتأليف في آداب اللغة العربية وفي تاريخ العرب والعراقيين ولغاتهم وعلومهم وحضارتهم .

ج - بدراسة علاقات الشعوب الاسلامية بنشر الثقافة العربية .

د - بحفظ المخطوطات والوثائق العربية النادرة وحياتها بالطبع والنشر على أحدث الطرق العلمية .

هـ - بالبحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف فيها وبث الروح العلمي في البلاد .

المادة الثالثة - يتوصل المجمع الى تحقيق أغراضه :

أ - بتقديم المساعدة المالية للباحثين والمؤلفين والمترجمين بمقادير يقررها المجمع .

ب - بإقامة مباريات في الموضوعات العلمية والأدبية والاجتماعية ، ومنح الفائزين بجوائز مالية .

- ج - بالاتصال بالجامعات والمجامع العلمية واللغوية والثقافية .
- د - بإنشاء دار للطباعة .
- هـ - بإصدار مجلة .
- و - بإنشاء دار كتب .

المادة الرابعة - للمجمع أن يدعو بعد موافقة مجلس الوزراء الى عقد مؤتمرات علمية وأدبية وأن يقيم احتفالات في حدود هذا النظام ، وأن يوفد الى المؤتمرات العلمية من أعضائه من يمثله ، تحقيقاً لأغراضه ، بعد موافقة مجلس الوزراء على الايفاد .

المادة الخامسة - أعضاء المجمع أربعة أصناف :

- أ - أعضاء عاملون لا يتجاوز عددهم خمسة عشر عضواً .
- ب - أعضاء مساعدون .
- ج - أعضاء فخريون من العراقيين وغيرهم .
- د - أعضاء مراسلون من العراقيين وغيرهم .

المادة السادسة - يراعى في انتخاب العضو العامل :

- أ - أن يكون عراقياً متمتعاً بالحقوق المدنية ولا تقل سنه عن الخامسة والثلاثين .
- ب - أن يتحقق فيه أحد الشروط الآتية :
- ١ - سعة الاطلاع على علوم اللغة العربية وآدابها ، وشهرة بالبحث والتأليف فيها .
- ٢ - التخصص بعلم أو فن ، على أن يكون متمكناً من المقارنة بين المصطلحات العلمية أو الفنية الحديثة وبين أمثالها من المصطلحات العربية القديمة .
- ٣ - التخصص والتأليف في تاريخ العرب أو العراق أو المسلمين وثقافتهم وحضارتهم .

المادة السابعة :

١ - يراعى في انتخاب العضو المساعد :

- أ - أن يكون عراقياً متمتعاً بالحقوق المدنية ولا تقل سنه عن الثلاثين .
- ب - أن يتحقق فيه أحد الشروط الآتية :

- ١ - التخصص في علوم اللغة العربية وآدابها والشيعة بالبحث أو التأليف فيها .
- ٢ - التخصص بعلم أو فن والقدرة على البحث والتأليف فيه .
- ٣ - سعة الاطلاع على لغة من اللغات الأجنبية على أن يكون متمكناً من الترجمة عنها أو إليها .

٢ - يراعى فى انتخاب العضو الفخرى :

أن يكون متمتعاً بالسمة الحسنة ومعروفاً بالميل الى تقديم المساعدات المادية القيمة
لتنجيع الآداب والعلوم .

٣ - يراعى فى العضو المراسل :

تحقق شروط أحكام الفقرة (ب) من المادة السادسة .

المادة الثامنة :

أ - يختار وزير المعارف أربعة أعضاء عاملين ممن تحققت فيهم شروط العضوية
المذكورة فى المادة السادسة على أن يمثل كل منهم علماً من العلوم الآتية :

١ - اللغة العربية وآدابها .

٢ - تاريخ العرب أو العراق أو المسلمين .

٣ - العلوم الحديثة .

ب - ينتخب هؤلاء الأعضاء ثلاثة آخرين ، ثم ينتخب الأعضاء السبعة ثلاثة آخرين
مراعين تنوع الاختصاص ، وبذلك يتألف المجمع .

وللمجمع أن ينتخب العدد الباقي بحسب الحاجة .

وينهى ذلك الى وزير المعارف لاستصدار الارادة الملكية ، وتراعى هذه القاعدة فى
كل انتخاب جديد . وعضوية المجمع دائمية . وعند استقالة العضو أو وفاته ، يراعى فى
انتخاب العضو الجديد ما ورد فى هذا النظام .

المادة التاسعة - يجتمع الأعضاء العاملون فينتخبون منهم بالاقتراع السرى والاكثرية
المطلقة رئيساً ونائبين للرئيس ، ومنهم يتألف ديوان الرئاسة .

المادة العاشرة - يتجدد انتخاب الديوان فى الأسبوع الأول من تشرين الأول من
كل سنة ، ويجوز إعادة انتخاب الأعضاء السابقين .

المادة الحادية عشرة - ينتخب الأعضاء العاملون والمساعدون والأعضاء الفخريون
والمراسلون بالاقتراع السرى والاكثرية المطلقة بناء على ترشيح من عضوين من الأعضاء
العاملين .

المادة الثانية عشرة - يؤلف المجمع لجناً كلما دعت الحاجة الى اعداد المباحث
والدراسات أو القيام بالأعمال المتعلقة بأغراضه ، وترفع هذه اللجان تقاريرها الى المجمع .

المادة الثالثة عشرة - يعقد المجمع فى كل شهر جلستين على الأقل بدعوة من
الرئيس ، أو نائبه عند غيابه ، للنظر فى شؤون المجمع .

المادة الرابعة عشرة - يعد العضو العامل مستقيلاً اذا تخلف عن حضور ست جلسات متواليات بدون عذر شرعى .

المادة الخامسة عشرة - للمجمع عطلة صيفية تبدىء من أول تموز وتنتهى بأخر أيلول .

المادة السادسة عشرة - رئيس المجمع رئيس دائرة ، وله حق تعيين الموظفين والمستخدمين حسب الملاك الذى يقره المجمع وفق القوانين المرعية ، وأن يأمر بالصرف ويشراء كل ما يخص أعمال المجمع الداخلية ، وله أن يأمر باقتناء الكتب التى تحتاج إليها خزانة المجمع .

المادة السابعة عشرة - نائب الرئيس ينوب عن الرئيس عند غيابه أو معذرتة .
المادة الثامنة عشرة - يعين المجمع سكرتيراً يرشحه من الأعضاء أو غيرهم ، ويقترن ذلك بإرادة ملكية .

المادة التاسعة عشرة - سكرتير المجمع هو المسؤول عن تبليغ دعوات الاجتماع الى أعضاء المجمع وحفظ سجل لمحاضر جلسات المجمع وقراراته ويقوم بجميع مراسلاته .
المادة العشرون - للمجمع أن يقدر المكافآت والجوائز للفائزين فى المباريات ، وللناشرين والمترجمين والمؤلفين ، وللعضو الذى يعهد اليه انجاز عمل من الأعمال .

المادة الحادية والعشرون - للمجمع أن يهدى الى أعضائه والمؤسسات العلمية والهيئات الخيرية وأمهات الصحف والمجلات ما يصدره من المطبوعات الى عشرة بالمئة .

المادة الثانية والعشرون - للمجمع ميزانية يعدها ديوان الرئاسة ، وبعد اقرار المجمع لها تقدم الى وزير المعارف لادخالها فى ميزانية وزارة المعارف .

المادة الثالثة والعشرون - يقبل المجمع التبرعات على اختلاف أنواعها من أموال منقولة وغير منقولة .

المادة الرابعة والعشرون - يتقاضى الرئيس مخصصات شهرية مقطوعة يعينها مجلس الوزراء على أن تراعى فى ذلك أحكام قوانين الخدمة المدنية فيما اذا كان الرئيس موظفاً .

المادة الخامسة والعشرون - يتقاضى العضو العامل مخصصات شهرية مقطوعة يعينها مجلس الوزراء على أن تراعى فى ذلك أحكام قوانين الخدمة المدنية اذا كان العضو موظفاً .

المادة السادسة والعشرون - يحصل النصاب بحضور أكثر من النصف من الأعضاء

وتتخذ المقررات بأكثرية الحاضرين ، وترسل نسخة من المقررات الى وزير المعارف
الإطلاع .

المادة السابعة والعشرون - يلغى بهذا نظام لجنة الترجمة والتأليف والنشر رقم
(٢٤) لسنة ١٩٤٥ .

المادة الثامنة والعشرون - ينفذ هذا النظام من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .
المادة التاسعة والعشرون - على وزير المعارف تنفيذ هذا النظام .

كتب ببغداد في اليوم الثاني عشر من شهر المحرم سنة ١٣٦٧ واليوم السادس
والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

عبدالله

صالح جبر

رئيس الوزراء

ووكيل وزيرى الداخلية

والخارجية

توفيق وهبى

وزير المعارف

يوسف غنيمه

وزير المالية

جمال بابان

وزير العدلية

ضياء جعفر

وزير المواصلات والاشغال

عبدالله حافظ

وزير التموين

جميل عبدالوهاب

وزير الشؤون الاجتماعية

توفيق النائب

وزير الاقتصاد

شاكر الوادى

وزير الدفاع

رقم (٤٠) لسنة ١٩٤٩

نظام تعديل نظام المجمع العلمي العراقي

رقم ٦٢ لسنة ١٩٤٧

بعد الاطلاع على الفقرة السادسة من المادة الأولى من « قانون المعارف العامة » ذي الرقم ٥٧ لسنة ١٩٤٠ ، وبناء على ما عرضه وزير المعارف ، ووافق عليه مجلس الوزراء ، أمرنا بوضع النظام الآتي :

المادة الأولى - تحذف كلمة « مساعدون » الواردة في الفقرة (ب) من المادة الخامسة ، ويستعاض عنها بكلمة « مؤازرون » .
المادة الثانية - ١ - تحذف كلمة « المساعد » الواردة في الفقرة (١) من المادة السابعة ، ويستعاض عنها بكلمة « المؤازر » .

٢ - تحذف الفقرة (٢) من المادة السابعة ، ويستعاض عنها بما يأتي :
٢ - « يراعى في انتخاب العضو الفخري أن يكون متمتعاً بالسمعة الحسنة ، ومعروفاً بالميل الى تقديم المساعدات القيمة لتشجيع الآداب والعلوم » .
المادة الثالثة - تلغى المادة التاسعة ، ويستعاض عنها بما يأتي :
« يجتمع الأعضاء العاملون فينتخبون منهم بالاقتراع السري والاكثرية المطلقة للحاضرين رئيساً ونائبين للرئيس ، ومنهم يتألف « ديوان الرئاسة » .
المادة الرابعة - تلغى المادة الجاذية عشرة ، ويستعاض عنها بما يأتي :

ينتخب الأعضاء العاملون والمؤازرون والأعضاء الفخريون والمراسلون بالاقتراع السري والاكثرية المطلقة للحاضرين ، بناء على ترشيح من عضوين من الأعضاء العاملين .
المادة الخامسة - تلغى المادة الرابعة عشرة ، ويستعاض عنها بما يأتي :

بعد العضو العامل مستقيلاً اذا تخلف عن حضور ست جلسات - متواليات أو غير متواليات - في السنة الواحدة من دون عذر شرعي يقدره المجمع .

المادة السادسة - تلغى المادة الرابعة والعشرون ، ويستعاض عنها بما يأتي :
يتقاضى الرئيس والأعضاء العاملون مخصصات شهرية يقدرها وزير المعارف بموافقة
وزير المالية ، على أن تراعى في ذلك أحكام قانون الخدمة المدنية اذا كان بينهم موظفون .
المادة السابعة - تلغى المادة الخامسة والعشرون .

المادة الثامنة - تلغى المادة السادسة والعشرون ، ويستعاض عنها بما يأتي :
يحصل النصاب بحضور أكثر من النصف من الأعضاء العاملين ، وتتخذ القرارات
بأكثرية الحاضرين . أما الاجتماع الذي يعقد بموجب المادة التاسعة من هذا النظام ،
فيجب ألا يقل عدد الحاضرين فيه عن ثلثي عدد الأعضاء العاملين ، ويرسل بنسخة من
المقررات الى وزير المعارف للاطلاع .

المادة التاسعة - ينفذ هذا النظام من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .
المادة العاشرة - على وزير المعارف تنفيذ هذا النظام .
كتب ببغداد في اليوم الثامن والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٦٨ واليوم الخامس
والعشرين من شهر حزيران سنة ١٩٤٩ .

عبدالله

نورى السعيد
رئيس الوزراء

عمر نظمي
نائب رئيس الوزراء

جلال بابان
وزير المواصلات والاشغال

محمد حسن كبة
وزير الداخلية

نجيب الراوى
وزير المعارف

فاضل الجمالى
وزير الخارجية

شاكر الوادى
وزير الدفاع

توفيق النائب
وزير الداخلية
ووكيل وزير الاقتصاد

بهاء الدين نورى
وزير الشؤون الاجتماعية

خليل اسماعيل
وزير المالية

REGULATIONS

of the

Iraq Academy

No. 62, for the Year 1947.

Pursuant to paragraph 6 of article 1 of the Public Education Law No. 57, for the year 1940, and as submitted by the Minister of Education and approved by the Council of Ministers, we hereby order the promulgation of the following Regulations:—

Article 1.

An Iraq Academy shall be established, attached to the Minister of Education, with a juristic personality and financial independence within the limits of the budget.

Article 2.

The functions of the Academy shall be:—

- (a) To maintain the purity of the Arabic Language and attempt to make it adequate to meet the demands of the arts and sciences, and of the affairs of modern life.
- (b) To undertake research and writing in the fields of Arabic Literature, the History of the Arabs, the history of the peoples of Iraq, their languages, sciences, and civilization.
- (c) To study the part played by the peoples of Islam in the propagation of Arabic Culture.
- (d) To maintain in safe-keeping rare Arabic manuscripts and documents, and revive them by publishing them according to the latest scientific methods.
- (e) To undertake research in the modern arts and sciences, encourage original writing and translation in these fields, and promote the spirit of scientific inquiry in the country.

Article 3.

The Academy shall pursue its aims by the following means:—

- (a) Offering financial aid to research workers, authors, and translators in amounts decided upon by the Academy.

- (b) Holding competitions in scientific, literary, and social subjects and granting monetary prizes to winners.
- (c) Establishing contact with universities, and scientific, linguistic and cultural academies.
- (d) Setting up a printing-press.
- (e) Publishing a periodical.
- (f) Establishing a library.

Article 4.

The Academy may, with the approval of the Council of Ministers, hold ceremonies and scientific and literary conferences, as defined by these Regulations. In the pursuit of its aims the Academy may, with the approval of the Council of Ministers, delegate some of its members to represent it at learned conferences.

Article 5.

Members of the Academy shall be of four kinds:—

- (a) Active members whose number shall not exceed fifteen.
- (b) Associate members.
- (c) Honorary members, of Iraqi or other nationality.
- (d) Corresponding members, of Iraqi or other nationality.

Article 6.

In electing an active member the following shall be observed:—

- (a) That he be of Iraqi nationality, enjoying his civil rights, and of not less than thirty-five years of age.
- (b) That he meet one of the following conditions:—
 - (1) A wide knowledge of the Arabic Language and Literature, and reputation for research work and authorship therein.
 - (2) Specialization in a field of art or science, and ability to compare modern scientific or technical terminology with similar old Arabic terminology.
 - (3) Specialization and authorship in the History of the Arabs, the History of Iraq, or the History of the peoples of Islam, their culture and civilization.

Article 7.

(1) In electing an associate member the following shall be observed:

(a) That he be of Iraqi nationality, enjoying his civil rights, and of not less than thirty years of age.

(b) That he meet one of the following conditions:—

(i) Specialization in the Arabic Language and Literature, and a reputation for research work and authorship therein.

(ii) Specialization in a field of art or science and ability for research work and authorship.

(iii) Wide knowledge of one foreign language and ability to translate from it into Arabic and *vice versa*.

(2) In electing an honorary member, the following shall be observed:

That he be of good repute, and well-known for his readiness to offer valuable material aid in the encouragement of literature and science.

(3) In electing a corresponding member the following shall be observed:

That he fulfill the conditions prescribed in the provisions of paragraph (b) of Article 6.

Article 8.

(a) The Minister of Education shall choose four active members from among those who fulfill the conditions for membership stated in Article 6. provided that each shall represent one of the following branches of learning:—

(1) The Arabic Language and literature.

(2) The history of the Arabs, the history of Iraq, or the history of the peoples of Islam.

(3) The modern sciences.

(b) These members shall elect three other members. Similarly the seven members shall elect three others, taking into account the variety of specialisation. With this the Academy shall be deemed to have been constituted.

The Academy shall elect the remaining members as necessity arises.

Results of the elections shall be submitted to the Minister of Education so that he may take steps for the issuing of a *Royal Iradah*. This rule shall be observed at each new election. Membership of the Academy shall be permanent. If a member resign or die, the election of a new member shall be conducted as prescribed in these Regulations.

Article 9.

Active members shall meet to elect by secret ballot and a simple majority, a President and two Vice-presidents, who constitute the President's Office.

Article 10.

The election of the members of the President's Office shall be renewed annually in the first week of October. Former members may be re-elected.

Article 11.

Active, associate, honorary and corresponding members shall be elected by secret ballot and a simple majority after nomination by two active members.

Article 12.

The Academy shall when necessary form committees to plan its researches and studies, or to undertake the activities related to its functions. These committees shall submit their reports to the Academy.

Article 13.

The Academy shall, upon the invitation of the President, or in his absence, of a Vice-president, hold at least two meetings a month in order to conduct its own business.

Article 14.

An active member shall be deemed to have resigned if he absent himself from six consecutive meetings without an acceptable reason.

Article 15.

The Academy shall have a summer recess beginning with the first day of June and ending with the last day of September.

Article 16.

The President of the Academy is a head of department who shall have the power to appoint officials and employees according to the cadre approved by the Academy in conformity with the Laws in force; he shall have power to order payment, and to make all purchases necessary for the internal activities of the Academy; and he shall have power to order the purchase of books required for the library of the Academy.

Article 17.

The Vice-president shall act for the President when the latter absents or excuses himself.

Article 18.

The Academy shall appoint a Secretary nominated from among its members or from outside its membership. The appointment shall be subject to a *Royal Iradah*.

Article 19.

The Secretary of the Academy shall be responsible for issuing announcements of the meetings to the members of the Academy, for keeping the minutes of the Academy's meetings and decisions, and for carrying on all its correspondence.

Article 20.

The Academy may assess the rewards and prizes to be given to winners in competitions, to publishers, translators and authors, and to any member to whom it entrusts the performance of some work.

Article 21.

The Academy may give free of charge up to ten per cent of its publications to its members, scientific institutions, welfare societies, and leading newspapers and periodicals.

Article 22.

The Academy shall have a budget which after being prepared by

the President's Office and approved by the Academy, shall be submitted to the Minister of Education for inclusion in the budget of the Ministry of Education.

Article 23.

The Academy may receive donations of various kinds of movable or immovable property.

Article 24.

The President shall receive a fixed monthly allowance decided upon by the Council of Ministers, provided that, should the President be a Government Official, the provisions of the Civil Service Law be observed.

Article 25.

An active member shall receive a fixed monthly allowance decided upon by the Council of Ministers, provided that, should the member be a Government Official, the provisions of the Civil Service Law be observed.

Article 26.

A quorum shall be attained by the presence of more than half of the members, and decisions shall be taken by a majority vote of the members present. A copy of the decisions shall be sent to the Minister of Education for information.

Article 27.

Regulations No. 24, for the year 1945, of the Committee on Publication, Translation, and Authorship are hereby repealed.

Article 28.

These Regulations shall come into force from the date of their publication in the Official Gazette.

Article 29.

The Minister of Education is charged with the execution of these Regulations.

Made at Baghdad, this 12th day of Muharram, 1367, and the 26th day of November, 1947.

ABDUL ILAH,

Salih Jabr
Prime Minister and Ag.
Minister of Interior
& Foreign Affairs.

Yusuf Ghanima
Minister of Finance.

Abdul Ilah Hafidh.
Minister of Supply.

Jamal Baban.
Minister of Justice.

Shakir Al Wadi.
Minister of Defence.

Tawfiq Wahbi.
Minister of Education.

Jamil Abdul Wahab
M. of Social Affairs.

Dhia' Ja'far
M. of Coms. & Works.

Tawfiq Al Na'ib.
Minister of Economics.



GOVERNMENT OF IRAQ

Ministry of Education

Amendment No. 40, for the year 1949
of the Regulations of
The Iraq Academy,
No. 62, for the year 1947.

Pursuant to Paragraph 6 of Article 1 of the Public Education Law No. 57, for the year 1940, and as submitted by the Minister of Education and approved by the Council of Ministers, we hereby order the Promulgation of the following Regulations:—

Article 1.

The word مساعدون (for "Associate", mentioned in Paragraph B of Article 5 shall be omitted & replaced by the word مؤازرون

Article 2.

- (1) The word المساعد (for "Associate") mentioned in Par. (1) of Article 7 shall be omitted & replaced by the word المؤازر
- (2) Par. (2) of Article 7 shall be omitted and replaced by the following:

"(2) In electing an honorary member, the following shall be observed:

That he be of good repute and well-known for his readiness to offer valuable aid in the encouragement of arts and sciences."

Article 3.

Article 11 shall be cancelled and replaced by the following:

"Active members shall meet to elect, by secret ballot and a simple majority of the members present, a President and two Vice-Presidents, who shall constitute the President's office.

Article 4

Article 9 shall be cancelled and replaced by the following:

"Active, associate, honorary and corresponding members shall be elected by secret ballot and a simple majority of those present, after nomination by two active members."

Article 5.

Article 14 shall be cancelled and replaced by the following:

"An active member shall be deemed to have resigned if he absent himself from six meetings, consecutive or otherwise, in one year, without a reason considered acceptable by the Academy."

Article 6.

Article 24 shall be cancelled and replaced by the following:

"The President and the active members shall each receive a fixed monthly allowance, decided upon by the Minister of Education in agreement with the Minister of Finance, provided that, should there be among them Government officials, the provisions of the Civil Service Law be observed."

Article 7.

Article 25 shall be cancelled.

Article 8.

Article 26 shall be cancelled and replaced by the following:

"A quorum shall be attained by the presence of more than half of the members, and decisions shall be taken by a majority vote of the members present. As for the meeting held according to the provisions of Article 9 of these Regulations, the meeting shall be held only if the number of members present is not less than two-thirds of the total number of active members. A copy of the decisions shall be sent to the Minister of Education for information."

Article 9.

These Regulations shall come into force as from the date of their publication in the Official Gazette.

Article 10.

The Minister of Education is charged with the execution of these Regulations.

Made at Baghdad, this 28th day of Sha'ban, 1368, and the 25th day of June, 1949.

ABDUL ILAH

Nuri al-Said
Prime Minister

Omar Nazmi
Deputy Prime Minister

Jalal Baban
Minister of
Communications &
works

Muhammad Hassan
Kubbah
Minister of Justice

Najib al-Rawi
Minister of Education

Fadhil al-Jamali
Minister of Foreign
Affairs

Shakir al-Wadi
Minister of Defence

Tawfiq al-Na'ib
Minister of Interior
& Acting Minister of
Economics

Baha Uddin Nuri
Minister of Social
Welfare

Khalil Ismail
Minister of Finance

مجلس «المجمع العلمي العراقي» الأول

لما نشر هذا النظام في «الوقائع العراقية» ج ٢٥٩٠ الصادر في ١١/١٢/٤٧ ، شرعت وزارة المعارف في تنفيذ أحكام المادة الثامنة منه ، فاختار وزير المعارف أربعة أعضاء عاملين وفق الفقرة (أ) من المادة المذكورة ، وهم الأستاذة : السيد محمد رضا الشيبسي ، والدكتور محمد فاضل الجمالي ، والدكتور هاشم الوتري ، والدكتور متى عقراوي .

واجتمع هؤلاء لتنفيذ الفقرة (ب) من المادة المذكورة من نظام المجمع ، فانتخبوا الأستاذة السيد توفيق وهبي وزير المعارف ، والسيد محمد بهجة الأثري ، والدكتور جواد علي ، أعضاء عاملين .

ثم انتخب هؤلاء الأعضاء السبعة ثلاثة آخرين ، وهم الأستاذة : السيد نصرة الفارسي ، والسيد منير القاضي ، والدكتور شريف عسيران .

وبذلك تألف المجمع ، وصدرت الإرادة الملكية بالموافقة على هذا الانتخاب في اليوم الثاني والعشرين من صفر سنة ١٣٦٧ هـ الموافق لليوم الرابع من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م .

دبرانه الرئاسة

وقد عقد المجمع جلسته الأولى يوم الاثنين ١٢/١/٤٧ لتنفيذ المادة التاسعة من نظامه فانتخب السيد محمد رضا الشيبسي للرئاسة ، والسيد توفيق وهبي لنيابة الرئاسة الأولى ، والدكتور هاشم الوتري لنيابة الرئاسة الثانية^(١) .

(١) انظر باب الانباء والآراء من المجلة .

أعضاء المجمع العلمي العراقي

لسنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠

الأعضاء العاملون

بغداد	(الرئيس)	الأستاذ منير القاضي
"	(نائب الرئيس الأول)	الدكتور شريف عسيران
"	(نائب الرئيس الثاني)	الأستاذ محمد بهجة الأثري
"	(السكرتير)	الدكتور جواد علي
"		الدكتور ناجي الأصيل
"		الدكتور هاشم الوتري
"		الأستاذ محيي الدين يوسف
"		الأستاذ شنت نعمان
"		الدكتور أحمد نسيم سوسة
"		الدكتور مصطفى جواد

الأعضاء المراسلون

الموصل	الدكتور داوود الجبلي
"	الخوري سليمان الصائغ
النجف	الشيخ محمد السماوي
دمشق	الأستاذ محمد كرد علي
"	" فارس الخوري
"	" عبدالقادر المغربي
"	" خليل مردم بك

بيروت	الدكتور قسطنطين زريق
القاهرة	أحمد لطفى السيد باشا
"	الدكتور طه حسين بك
"	الدكتور أحمد أمين بك
"	الأستاذ عباس محمود العقاد
"	الدكتور منصور فهمى باشا
"	الدكتور على مصطفى مشرفه باشا
"	الدكتور عبدالوهاب عزام بك
"	الأستاذ أحمد العوامرى بك
"	محمد الحضر حسين
"	ساطع الحصرى بك
تونس	حسين حسنى عبدالوهاب باشا
كراچي	ظفر الله خان
الأستانة	مكرم بن خليل
طهران	على أصغر حكمة
دهلي	مولانا أبو الكلام آزاد
لندن	جب
"	كيوم
باريس	ماسنيون
"	وليم مارسيه

الأعضاء المنقرضون

بغداد

الدكتور محمد فاضل الجمالى
الدكتور متى عقراوى

(*) أسلوب القرآن الكريم ومفردات ألفاظه

- ١ -

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن عزيز حكيم ، نزل بلسان عربي مبين ، هدى للناس . نعم ، انه يهدي الناس الى طريقين : طريق الدين المستقيم ، وهو الغرض الأول من نزوله . وطريق الأدب العالى الرفيع ، والبيان الجلى التوفيم ، وهو الغرض الثانى من نعمة حصوله . وهو بطريقه الأول أنشأ ديناً حكيماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، اقتلع جذور الشرك من الشرق الأدنى والشرق الأوسط وطرف من الشرق الأقصى ، ولوح بنوره فى الأقطار الأخرى ، فلم يقو ذلك الشرك المزمع الذى لكل على الشرق بجبرانه على مصالوة دين التوحيد الصحيح القوى الأساس ، العزيز الحجة الواضح المحجة ، فاستبدلت الأهم التوحيد بالشرك ، والأخوة بالبغضاء ، والتناصر بالتناحر ، والتآزر بالشقاق ، والمجتمع الصالح بالمجتمع الفاسد . وأبدع علوماً صقلت العقول ، وأيقظتها من سبات عميق طويل ، وكشف عن النفوس الأعطية الكثيفة حتى أصبحت حديدة الأبصار ، لأمعة البصائر ، فعرفت ذواتها ، وعلمت أنها أفضل المخلوقات ، وأنها سواء فيما بينها ، فتحررت من عبادة الأبحار والحيوانات والأشخاص ، وأخذت تبحث فى سموها ، والطهارة من أدرائها ، والتحلل من أوزارها ؟ والعقول اذا انتهت فلا حد لمدى سيرها ، ولا نهاية لعمقها وغورها . وأحدث نظام المساواة بين الناس ، وقرر احترام الانسانية وحقوق البشر ، ووضع لهم دستوراً صالحاً فى معاملاتهم فيما بينهم . فالظلم منصور ، والظالم مقهور ، والله الحاكم العادل . هذا مما أدى اليه طريقه الأول ، ولسنا فى مجال تفصيله ، أو الاستزادة من اجمال سائر نواحيه ، فلذلك مقال آخر . وانما نبحث هنا أسلوب القرآن ومفردات ألفاظه : مما يدخل فى عموم الطريق الثانى .

الطريق الثانى : الأدب العالى الرفيع ، وقد هدى الى ذلك بأسلوبه ، ومفردات ألفاظه . وانا لباحون هذين بما استطعنا من إيجاز .

أسلوب القرآن الكريم

ينقسم كلام العرب الى منظوم ومنثور . فالمنظوم ما طبع على أوزان خاصة معدودة ، وصب في قوالب معينة ؛ ولا يتجاوز المعروف من تلك الأوزان ستة عشر وزناً تسمى بحور الشعر ، والأولى أن تسمى بحور النظم . ولا تعدى تلك القوالب أعداداً محسوبة لكل وزن من أولئك الأوزان . والمنثور ما لم يقيد بوزن ، أو يقصر على قالب ، أو يوسم بطابع . فقد يأتي مسجماً مقفى يحاكي سجع الحمام المنفى أو الباكي ، وقد يزد منرسلاً كالسلسيل العذب المطرد في مجاريه النضرة ، المنساب الى النفوس سائفاً فزائفاً ، وقد يجيء مزيجاً من النوعين ، يقف تارة مفرداً أو باكياً بلا تعمل أو تكلف ، ويتجرى أخرى صافياً مطلقاً كالزلال العذب ، أو النسيم الطلق ، وهكذا يتلون ويتقلب فيزوي النفوس الظمأى رياً ، وينعش الأرواح انعاشاً . وإن كنت في شك من ذلك ، فارجع بصرك الى متون الجاحظ وأبي حيان التوحيدي من المتقدمين ، ومنثور المنفلوطي والرافعي وطه حسين من المتأخرين ، تجد الدليل واضحاً ، والحجة قائمة .

والقرآن الكريم منثور له طابعه ، وله أسلوبه ، وله طريقته . لم يعهد للعرب قبله أن جرت في نهرها مجراه ، أو سلكت أسلوباً يشاكه أسلوبه ، أو يشابه سبيله ، أو يشاكل طريقته . وإن كنت في ريب من ذلك ، فاستعرض منظوم الجاهلية ومنثورها ، وأتل ما حفظ من مقالات بلغائها وحكمائها وكهانها وحفائنها ونسائها ، يأتلك اليقين راسخاً ، وتستطع لك البيئة واضحة .

انه منثور عنوانه (الآيات الينات والذكر الحكيم) ، واسفه القرآن الكريم ، لا هو بالنثر الفني ، لأن الفن الأدبي وقواعد اللسان العربي إنما حدثت بعده ، واستمدت من ثروته الأدبية ، واصطلح عليها بعد دهر من نزوله . ولا هو بالنثر الدارج بين أمة عصره ، للاختلاف الواسع بينهما ، من حيث مفرداته ، وتراكيبه وصياغته ، وبخنه ، ومناظرته ، واحتجاجة ، ووضوحه ، وجزالته ، وفصاحته ، وبلاغته ، وبراعته ، وسمو مراميه ، وحسن قصصه ، وقوة مداخله ، وسهولة مخارجيه ، وشريف مواضعه ، وبلغ حكمته ، وعدالة أحكامه ، وصرامة وعظه ، ولطافة ارشاده ، ومقارنته الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، الى أن يفحم الخصم ، فيرتد بصره وهو حسير ، وتقف بصيرته كليله خائفة . فيوقع راية التسليم ، ومن حيث اعماله الأذهان ، وكشفه السحف عن النفوس ، وعنته الحجب عن الأنظار ، وإطلاق العقول من أسرها . (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبرواياته ولينظروا آياته ولينذكر أولو الالباب) .

وأسلوب القرآن الكريم تختلف طرقه باختلاف الموضوعات التي يطرقها والمرامي التي يستهدفها . فهناك أسلوب واحد ، وهناك طرق مختلفة الاتجاه متحدة الأسلوب .

أما أسلوبه الواحد فهو الركون الى الوضوح في أداء المراد بالفاظ هي الدرر المنتقا من بحر اللغة ، المختارة من بين أترابها من لسان العربية المبين ، الواقعة في محلها وقوع المقل في محاجرهما ، فلا يسد غيرها مسدها ، ولا يغني عنها غيرها . ونظم هو السهل يعجز البليغ عن محاكاته وان تخل قدرته على ذلك ، لما يراه من يسر المادة التي جاء بها ، وظهور المعاني التي يحملها ، ولأن لغة نسج التراكيب العربية التي ينسج على منوالها . يرى ذلك سهلا عليه ، ولكنه اذا عمل ذهنه ، وسدد سهمه ، وأرهف قلمه ليأثني بمثله ، تراجع القهقري مقرا بالعجز ، معترفا بالتقصير . (لو شئنا لقلنا مثل هذا) ، ولكنهم لم يقولوا مثل هذا ، اذ لم يستطيعوا ذلك . فلو استطاعوا ، لقالوا ، الزاماً لخصمهم الذي تحداهم (قل فاتوا بسورة من مثله) ، وافحاما لمناظرهم الذي سفه أجلامهم ، وقوض خيامهم ، وهذ بنيانهم ، وأمعن في تدميرهم وابطل طارفهم وتليدهم . لو كانوا يستطيعون ، لفعلوا ، فكانوا هم الفائزين (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) .

ولا يقتصر أسلوب القرآن الكريم على الوضوح ، والبلاغة ، والبراعة ، وحسن البيان ، وحسن الابتداء ، وحسن الانتهاء ، وتناسب الآيات وانسجامها في كل سورة حسناً لا يجارى وتناسباً لا يبارى ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وإيقاع التراكيب في مواقعها ، وإطلاق النظم منسجماً مترابطاً سهلاً ، تشبث الأذهان معانيه كما تشبث الأرض المحملة الغيث الممرع . بل هناك سر آخر - هو سر اعجازه - وهو شهادة الأذواق السليمة على سمو نظمه بحيث تنقطع دونه معارج البلاغة ، وتحط عن بيانه شمس البراعة .

والأذواق السليمة هي فيصل التفرقة في الأدب بين الغث والسمين ، والبدين والهزيل ، والقوى والضعيف ، والرخيص والثمين . ان الأذواق السليمة لتستبشر عند تذوقها جلال اعجازه وفخامة ابداعه ، وتستحلى رقة بيانه ودقة معانيه وقوة أدائه ، وتقول : هل من مزيد ؟ مهما زودتها من آياته ، وأتحفتها من سورده وبيانه . فاستشهد ذوقك ، وهو خير الشاهدين . وان كان المرء مريض الذوق فلينزهه في حداثك البلاء ، وليداوه بهضم ثمارها حتى يعود سليماً ، ثم ليستشهد على ما أقول فسيجده من أصدق الشاهدين وأحكم الحاكمين .

وأما طرائفه فقدد ؛ وكلها في حدود البيان على خط واحد ، وفي فلك البلاغة على دائرة واحدة ، هي أوسع الدوائر وأسماءها . فله في المناظرة طريقة ، وفي المحاوره طريقة ، وفي القصص طريقة ، وفي تقرير الأحكام طريقة ، وفي التاريخ طريقة ، وفي الوعظ طريقة . وهكذا في كل موضوع من موضوعاته . وأنا أورد ما كشفت لي تلاوته آناء الليل وأطراف النهار من بعض تلك الطرائق ، وما تحقق لي من تلك الحقائق .

طريقته في المناظرة :

له فيها طريقتان :

١ - الاستدلال العقلي الصرف ، أي الرجوع الى مجرد العقل ، وتصبه حكماً بعبارات تصب المعاني في قلب السامع الراغب في الحقائق صب الحياة في الأجسام القابلة لها ، على وجه لا يدع فراغاً لتسرب الشك الى صحة الدعوى وثبوتها ، وهنا السر في البراعة ودقة الأسلوب .

٢ - الاستدلال بالقائع العامة المألوفة لكل أحد ، المعروفة عند جميع الناس ، والرجوع اليها حكماً بانضمام العقل اليها .

وها أنا ذا أستظهر لك فصولاً من هذا الباب ، موجزاً في الشرح على قدر الامكان .

أ - (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) :

وشرح ذلك : أنكم ، أيها المخاطبون ، تترفون وتعتقدون أن آدم خلق ابتداءً من غير أب وأم . فإذا كنتم تقولون تصدق ذلك وتحكم به ، فمن باب أولى أن تحكم بجواز ايجاد عيسى عليه السلام من أم بلا أب . فالعقل الصرف هو الحكم في المسألة .

ب - (ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ، وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب) :

وشرح ذلك : أن الاصنام التي تعبدونها لا تستطيع أن تخلق الذباب الذي هو من أضعف الحشرات ، بل ان هذه الحشرات الضعيفة - أي الذباب - اذا سلبت هذه الأصنام ما ضمخت به من مواد الطيب ونحوه ، فانها لعاجزة عن استقاذه منها والذبح عنه . والعقل السليم يستهين بمن كان بهذه المكانة من الضعف والهوان ، ويسمه بميسم الذل والحطه ، ولا يستسيغ أن يحسب له حساباً ، لا أن يتخذ معبوداً . فالعقل الصرف هو الحكم في المسألة .

ج - (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال : من يحيي العظام وهي رميم ؟)

وشرح ذلك : أنكم ، أيها المنكرون للبعث ، قد استبعدتم البعث ، واستعصى عليكم أن تجوزوا قدرة أحد على صب الحياة في العظم الرميم ، فسألتم سؤال أنكار : من يحيي

العظام وهى رميم ؟ ولم تتبها الى أنفسكم ، ونسيتم خلقكم وابدادكم من مواد كانت ميتة ثم سرت فيها الحياة فمت حتى كنتم بشرا سويا . - يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي - وصارت تلك المواد الميتة فى أصلها تعقل وتجادل وتناظر وتخاصم . فمن قدر على هذا - وهو أمر واقع مسلم به - كيف لا يقدر على رد الحياة الى العظام الرميمة التى كانت متقمصة بها ، وذلك بطريقة هو يعلمها لم تألفوها . فالعقل اذا قارن بين النسأتين ، ووازن بين الحياتين ، لا يجد فرقا بينهما فى باب الامكان . فما الانكار الا غفلة عن حقيقة واقعة ، هى نظير ما استبدتموه ، ومثل ما أنكرتموه . فالعقل السليم وحده ، قاطع بإمكان البعث ، وجواز حصوله . وانكار الممكن الجائر خروج على حكم العقل وخرق لنظراته الصائبة .

د - (وقالوا انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين) :

وشرح ذلك : أنهم افتروا فرية عظيمة واضحة البطلان ، لأن مجرد الرجوع الى حكم العقل المحايد ، وعرض هذه الفرية على انصافه ، يجعل المرء يعجز بطلانها ، ويحكم أنها صادرة من أفواه كاذبة ، وألسنة متطرفة متعصبة ، تلوك الباطل ، وترمى الكلام على عواهنه جزافاً ، اضلالاً للناس ، وحطاً من مقام خصمها ؛ فان خصوم الرسول الأعظم لما عجزوا عن مناظرة القرآن الكريم وما حواه من علم وبلاغة وأدب - مع أن الذى جاء به رجل أمي - وألقوا سلاح بلاغتهم أمام قوة تحديه اياهم ، انصرفوا الى طريق الدجل - وما أضيقه ! - وتمسكوا بالأراجيف والبهتان - وما أضعفها مستندا ! - فقالوا : « انما يعلمه بشر » يريدون شخصاً معيناً عجباً كان يسكن مكة . فجاء الدليل على اقتلاع هذه الفرية ، وهدم هذا المستند باستطاق العقل وتحكيمه . فاذا عرضت القرآن بمزاياه وخصائصه على العقل ، مقررًا أنه من صنع رجل عجمي بجنسه أعجمي ببلغة ، يلقيه على رجل عربى عريق فى العروبة ، ناشئ فى أحضانها ، معروف بالأمانة والصدق ، لاستبعد العقل ذلك كل الاستبعاد ، ونطق قائلاً : (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى ، وهذا لسان عربى مبين) فالرجوع الى حكم العقل السليم الصرف ، هو الدليل فى المقام .

هذه فصول موجزة من النوع الأول من طريقي الاستدلال ، لها نظائر وأمثلة كثيرة تظهر للتالى المتدبر ، يستلهم شرحها من وحي الهداية واليقين .

وأما الطريق الثانى :

فما أكثر ما ورد عليه ! لأنه أظهر بياناً ، وأشد وضوحاً ، وأسد تقريراً ، يستوى

فى ادراكه العالم والجاهل ، والنيه والخامل ، والغى والذكى ، والكبير والصغير .
لأنه مبنى على الحس والمشاهدة ، وقائم على أمور لا سبيل الى انكارها ، ولا طريق الى
الصدود عنها والصدوف عن شهادتها والجدل والمكابرة فيها .

والقرآن الكريم فى طريقته هذه ، يستعرض أولاً تلك الأمور الملموسة أو
المشاهدة ، فينبه العقل الى التفكير فيها ، ويحركه الى بحثها والحكم فيها ، ثم يعقبها بالدعوى
المطلوبة صراحة أو ضمناً .

وأكثر ما جاء من هذا النوع جاء فى معرض اثبات وجود الصانع وانتظار وقوع
اليوم الآخر ونهاية العالم الموجود . واليك أمثلة من ذلك :

أنكر الملحدون وجود صانع لهذا العالم العجيب الصنعة ، المحكم النظام احكاماً قوياً
بديعاً ، لا يترك مجالاً للشك فى وجود مبدع له حكيم عظيم قوى عزيز ، لمن لفت نظره
الى ما يشاهده فيه من ترتيب عجيب ، ودقة وانسجام ، وانتقل بعد ذلك الى حكم العقل
مجرداً من حجب التعصب والتطرف التى تعمى الأبصار ، وتعمه بها البصائر ، فتصدى
القرآن لاثبات ما أنكره أولئك الملحدون بالدليل المحس المنظور ، فقال :

أ - (ان الله فائق الحب والنوى ، يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ،
ذلكم الله فانى تؤفكون . فائق الاصباح ، وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ،
ذلك تقدير العزيز العليم . وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البر
والبحر ، قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون . وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر
ومستودع . قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون . وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا
به نبات كل شىء ، فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكباً ، ومن التخل من طلعمها
قنوان دانية وجنات من أعاب ، والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، أنظروا الى ثمره
إذا أنسر وينعه ، ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

ب - (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أتم بشر تنثرون . ومن آياته أن
خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات
لقوم يتفكرون . ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان
فى ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان فى
ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء
فيحيى به الأرض بعد موتها ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . ومن آياته أن تقوم
السماء والأرض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون . وله من فى

السموات والأرض ، كل له قاتنون) •

ج - (ألم نجعل الأرض مهادا ، والجيال أوتادا ، وخلقناكم أزواجاً ، وجعلنا نومكم سباتاً ، وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، وبينا فوقكم سباعاً شداداً ، وجعلنا سراجاً وهاجاً ، وأنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً ، لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً • ان يوم الفصل كان ميقاتاً) •

فهذه الفصول الحكيمة الثمينة ، الناطقة بالحقائق والوقائع المحسة - وأمثالها كثير في القرآن العظيم - جاءت في مقام الاستدلال على وجود صانع للكون ، قدير على كل شيء ، لا يستعصى عليه أمر ، ولا يقف دون إرادته محال - وإن لم تتعلق إرادته بالمحال - والخوض في شرح ما تضمنته هذه الآيات الكريمة من علوم ومعارف عالية غالية ، ليس موضعه هذا المقال ، وأكتفى بتوجيه المطالع الكريم الى الامعان بالتفكير في مواضيعها ، ومعانيها ، وصرف نور العقل الخالص من شوائب التطرف الى استجلاء ما فيها من الحقائق ، وتفهم ما جمعت من الوثائق ، والبصر في النظام الدقيق السليم الذي أشارت إليه ، ثم الرجوع الى أصل الدعوى المراد إبانها ، وهي وجود الصانع ، ثم اعطاء الحكم في الموضوع •

ومما جاء في هذا الباب في مقام ثبوت الصانع ، وامكان البعث وحياء الموتى ، قوله تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا للذي خلقهن ان كنتم اياد تعبدون ، فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون • ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت • ان الذي أحيها لمحى الموتى ، انه على كل شيء قدير •)

طريقته في التاريخ :

لم ينزل القرآن الكريم ليملى على الناس حوادث الماضين وسير الغابرين ، أو يسرد وقائعهم السياسية وأساليبهم الاجتماعية ، أو يمحس الحقائق من الشوائب فيما اقترفوه ، أو يشبع رغبات محبى الاطلاع على مجهول مضى ، أو يستنتج النتائج السياسية والاجتماعية لتكون قدوة في مستقبل آت • كل ذلك ليس من غرضه عند تطرقه الى التاريخ ، وعرضه وقائع الأمم البائدة والباقية ، وقصه أحسن القصص ، وحكاياته سلوك أمة أو سيرة شخص ؛ لأنه لم ينزل مدرساً للتاريخ أو مسجلاً للحوادث ، كما أنه لم ينزل معلماً للفلك والجغرافية عند بحثه مسائل فلكية أو جغرافية ، ولا أستاذاً للكيمياء والفيزياء عند ذكره لمحات من حقائقهما وجملاً من أمثلتهما • ليس شيء من ذلك مما قصد بتنزيله ، أو كان

محيط النظر في وجهه وتأويله . وقد أخطأ كل الخطأ من نصب نفسه للنزول بالقرآن الى عدة كتاباً يجمع خليطاً من مسائل العلوم ، أو كناشة سجلت قضايا من الفلسفة والطبيعة والتاريخ ، معتقداً أنه يرفع بعمله هذا شأن القرآن - وهو الرفيع بنفسه ، أو أنه يدل بذلك على اعجاز القرآن ، وهو المعجز بذاته . فليس في عمله مدحة للقرآن ، أو رفعة من شأنه ، فان كتب الفلسفة كثيرة جمعت ضروب الفلسفة ومختلف طرقها ومذاهبها ، وكتب العلوم لا تكاد تحصر عدا ، وعت أدق مسائل العلوم النظرية والعملية . فأى فضل للقرآن أن يحشر في عدادها ، ويحسب في زمرها ؟ أليس في ذلك حظ للقرآن العظيم عن فضله ، ونزول به عن علو مقامه ؟

ان القرآن يهدف في تقريره أولاً وبالذات الى :

اثبات وجود صانع للعالم عظيم قدير .

والى وحدانية هذا الصانع العظيم القدير ، الذى يجب حمده وشكره وعبادته وحده ، هدماً للشرك الذى سود وجه الأرض ، وخرج بالناس مخارج تاهوا بها فى مجاهل الضلال ، ودلفوا بها الى موارد الهلاك .

والى اثبات اليوم الآخر ثم البعث ونشأة عالم جديد لا يشبه هذا العالم .

فهذه الأغراض الثلاثة ، هي التى يرمى اليها أولاً وبالذات ، بشتى طرق البلاغة ، ومختلف أساليب التعبير (كذلك تصرف الآيات لقوم يعقلون) . وما الأمور الأخرى التى حملها القرآن الكريم من مسائل النبوة والكتاب وغيرهما الا آية بعد تلك الأمور الثلاثة ؛ لأنها لا تخلو من كونها اما وسائل لهؤلاء الأمور ، واما توابع تعقبها بعد ثبوتها وتحققها . فالقرآن الكريم لا يتدخل فى أمر التاريخ وسائر العلوم ، ولا يأخذ من مسائلها وقضاياها الا قدر ما يخدم اثبات تلك الحقائق الثلاث ، أو يوحى فى النفوس عبرة وموعظة ترد العقول الجامحة الى صوابها ، لتدبر الحقائق والدلائل القائمة ، وتتكسب طريق المكابرة والجدل ، فصل الى الصواب (قرآن أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب) .

فالقرآن الكريم اختط له طريقة خاصة فى التاريخ ، طريقة تفى بالغرض الذى يرمى اليه من دخوله ساحة التاريخ ؛ لذلك تجافى طريقة المؤرخين ، من اهتمامهم بتحديد الأزمنة والأمكنة ، وجهدهم فى ضبط الأسماء والكنى والألقاب وتسلسل الحوادث وسردها بالتفصيل . فاقصر منه على ما يصيب غرضه ، فلم يذكر من الوقائع الا ما هو معروف مسلم به ، ولم يذكر من الأسماء الا من عنى بتاريخهم بالقدر الذى يؤدى الى

الغرض ، ممن لتعين أسمائهم دخل جوهرى فى الموضوع كأسماء الأنبياء عليهم السلام ، فلم يذكر أسماء الفرائعة وسائر الملوك الذين وقعت الحوادث التى سرد طرفاً منها فى عهودهم ، ولا الأزمان ونحوها من الأمور التى يعنى بها المؤرخ ، لخروج ذلك عن دائرة ما يرمى اليه فى إirاده القضايا التاريخية ، فانه لا يهدف فى ذلك الا الى العظة والاعتبار ، فيورد ما يؤدى اليها بايجاز لا يزيد على المراد . وربما كرر ذكر الواقعة الواحدة فى مواضع مختلفة بأساليب وتعاير متنوعة ، لما لتلك الواقعة من صلة بالموضوع من حيث العظة والاعتبار ، كقصة موسى عليه السلام ؛ فان لتكرارها فى المواضع التى وردت فيها ، وبيان نتائجها ، أثراً بليغاً فى تقرير الموضوع الذى عقبه ، والتفكير فيه ، خصوصاً فى زمن نزوله ، ذلك الزمن الذى بلغ فيه طغيان الملوك واستتارهم بمقدرات شعوبهم واستهانتهم بالأُمم الخاضعة لحكمهم حداً تجاوز فى فظاعته حدود الظلم والجور .

طريقته فى المحاوره :

المحاوره فن من فنون الأدب ، وهى غير المناظره . فالمناظره أن يتصب طرفان نفسيهما للاستدلال على إثبات أمر تخاصما فيه نفيًا وإيجابًا ، يعد كل منهما نفسه نظيرًا لخصمه فى المنزلة والمقام فى الموضوع الذى يبحثانه ، للوصول الى الصواب ؛ لذلك لا تجرى المناظره بين تلميذ وأستاذه ، ولا بين مجتهد ومقلده ، ولا بين الشارع والمقتدى . بل يجرى بينهما الاستفهام والمراجعة .

أما المحاوره ، فهى المراجعة فى الكلام بين طرفين ، لبث شكوى ، أو غرام ، أو تفصيل أمر ، أو تهديئه خاطر ، أو نحو ذلك من الأغراض التى تقتضيها الحال والمقام ، مشتقة - على ما أعتقد - من حار يحور بمعنى رجع يرجع ، على حد (يحور رمادا بعد اذ هو ساطع) . فقوله تعالى فى سورة البقرة : (اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت . قال ابراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق ، فأت بها من المغرب ... الخ) مناظره . وقوله فى سورة الكهف : (فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منه مالا وأعز نفرا ، الى قوله : وأحيط بشمره) محاوره .

وطريقة القرآن الكريم فى المحاوره أن يوردها بغاية الإيجاز ، بأوضح بيان وأسهل تعبير ، فى مقام الوعظ والارشاد . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة يوسف : (وتولى عنهم ، وقال : يا أسفا على يوسف ، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم . قالوا : تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين . قال : انما أشكو بثى وحزنى الى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون) . وأكثر ما يورد القرآن المحاوره تمهيداً لأمر

غريب سيقع ، وحادث عجيب سيحصل ؛ ليكون حصوله أبلغ في الاعتبار بعد التنبيه اليه ، وأوغل في الوعظ بعد الإشارة الى وقوعه . ومن ذلك ما جرى منها بين الرسل والمرسلين اليهم ، كمحاورة نوح عليه السلام مع قومه ، ومحاورة هود عليه السلام مع شعبه ، ومحاورة لوط عليه السلام مع قبيلته ، ونحو ذلك من المحاورات بين سائر الرسل وأقوامهم .

طريقته في القصة :

القصة حكاية واقعة ، لغرايتها أو خطرها ، أو لدلالاتها على ما انطوى عليه مجتمع : من أدب ، أو رقة ، أو عدل ، أو ظلم ، أو ذوق سليم ، أو فوضى ، أو خشونة في الطبع ، أو تعسف ، أو سكوت على ظلم ، أو نحو ذلك من المعاني التي لا تحصى ، بأسلوب يجذب النفس للتطلع الى الاحاطة بأطرافها ، والتعمق في مغزاها ونتائجها ، ويصور الحادثة تصويرا كأنك تشاهدها عن كثب ، فتأتي مثلا رائعا .

وأدب القصة معروف في الأدب العربي ، قبل الاسلام ، وبعد . وقد تطرق القرآن الكريم اليه في مواضع عدة (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك) للغاية التي يتوخاها في إيرادها ، من الارشاد والوعظ ، والانذار ، والتحذير . دعماً للحجج التي أقامها في اثبات مقاصده ، وتعلماً للسلوك الحسن الذي يجدر بالأُمم والافراد أن تسير عليه ، وتنبيهاً للغافلين من رقدتهم التي حجبته عن تبين حالتهم التي هم فيها ، وهم عنها غافلون .

وطريقة القرآن في القصة أن تبسط في سردها بعض التبسط ؛ لأن مقام القصة وطبيعتها ، وتيسير استنتاج النتائج المهمة منها ، تقتضي التبسط في إيرادها ، بل قد تقتضي الاطناب فيه . ولا يلوى في أسلوبه هذا الى ذكر ما لم يكن من عناصر الحادث الذي يقصه ، كما يفعله أدباء القصة تخيلاً بغية سدل ثوب ضاف على قصصهم ، واخراجها مخرج روايات تمثيلية ، لأن في ذلك نوعاً من الكذب ، والقرآن يمتد الكذب ويحرمه .

وقد ضرب القرآن الكريم المثل الأعلى بأسلوبه في أدب القصة . فهو مع تحاشيه التخيل والكذب في صياغتها ، قد طبعها بطابع أخاذ بمجامع القلوب ، يهيه المشاعر والحواس الى استماعها بتلief ، لما يتخللها من مفاجآت طريفة في مضامينها ، وحلول لتعقدات في مبانيها ، مضافاً الى ما يسمه هذا الطابع من المعاني الرفيعة ، وما ينطوى عليه من الحقائق والحكم السامية . وأبرز مثال لذلك قصة يوسف ، عليه السلام ، فقد جاءت مثلاً معجزاً

في أدب القصة ، بوضوح تعابيرها ، وانسجام فصولها ، وبراعة سبكها ، وبلاغة جملها ، وفصاحة ألفاظها ، وسهولة فهمها ، وتقلب النفس عند قراءتها من تأمل ، الى وجوم ، الى حزن ، الى يأس ، الى أمل ، الى رجاء ، الى فرح وسرور . ثم أخذها بزمam العقل الى استجلاء غرائز الانسان المتناقضة : من حب ، وبغض ، وحسد ، وحقد ، ومكر ، وشهوة ، وغرام ، وخيانة ، وكذب ، وبهتان ، وظلم ، وغضب ، وجور في الحكم ، واتباع للهوى ، وصبر ، وجلد ، واستقامة ، وصلابة في الرأي ، وصدق في القول ، واعتداد بالنفس . هذا مع ما فيها من العبر ، وما تشير اليه من حالة المجتمع العربي في ذلك العصر وقضائه وإدارته ، وغير ذلك من الأمور التي يطول شرحها ، وليس هنا محل بحثها وبسطها .

طريقته في تقرير الأحكام

آيات الأحكام في القرآن الكريم على نوعين : نوع ورد نصاً لتقرير أحكام معينة ، ونوع ورد نصاً لأمر آخر ، ولكنه يدل على تقرير حكم من طريق الظاهر أو الإشارة . فالأول مثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلکم رؤوس اموالکم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) . والثاني مثل قوله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف) فان الآية وردت نصاً في وجوب نفقة الزوجة على الزوج ، ولكنها قررت حكماً آخر يفهم من ظاهر عبارة (وعلى المولود له) ، وهو اعتبار النسب من جانب الأب لا من جانب الأم . وكذلك قوله تعالى : (ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار) فان الآية وردت اخباراً عن مصير المنافقين ، ولكنها قررت حكماً يفهم من ظاهرها ، وهو أن النفاق حرام واثم عظيم .

وطريقة القرآن الكريم في تقرير الأحكام أنه لا يجمعها كمواد قانونية ، أو ككتاب فقه يجمع أحكاماً تعد عدا وتسرد سرداً ، بل يأتي بها متفرقة يتبينها تالي كتاب الله بين فصوله المتنوعة في مناسبات الكلام والبحث ، وبين مواطن الوعظ والارشاد . وهذه الطريقة أدعى لتلقي الأحكام باطمئنان النفوس ، وأرسخ في تفهم المقصود ، وأخف في تحمل التكاليف وأوفق لخطة التشريع ، بخلاف ما اذا جاءت كمواد قانونية مجموعة في مجلة ، أو ككتاب فقه يحفظ بين دفتيه ألوف المسائل بشروطها وأوصافها .

ثم انه يقرر أحكامه بوجهين :

الأول بطريق الفتوى جواباً عن سؤال ، مثل قوله تعالى : (يسئلونك عن الأهلة .

قل : هي مواقيت للناس والحج) و (يستلونك عن الحمر والميسر ، قل : فيهما اثم كبير) ، (ويستلونك : ماذا ينفقون ؟ قل العفو) • (ويستلونك عن اليتامى ، قل : اصلاح لهم خير) • (ويستلونك عن المحيض ، قل : هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يظهرن) (يستفونك في النساء ، قل : الله يفتيكم فيهن •• الآية) • (يستفونك ، قل : الله يفتيكم في الكلالة : ان امرؤ هلك ليس له ولد ••• الآية) • وفي هذه الطريقة تعليم للناس أن يسألوا أهل العلم والاختصاص عما يجهلون من أمور دينهم وأخراهم ، وأن يأخذوا بما يرشدونهم اليه ، فضلا عما فيها من حسن تقرير للمسألة والحكم •

الثاني بطريق الانشاء ، وهو الغالب فيه ؛ لأن الناس لا يسألون عن كل ما يرغب المشرع في تشريعه للمصلحة التي يراها • وهذه هي طريقة المشرعين المعتادة • مثل قوله تعالى : كتب عليكم الصيام • كتب عليكم القصاص في القتل • حرمت عليكم امهاتكم • لا يحب الله الجهر بالسوء من القول • ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من اتقى • أقيموا الصلوة وآتوا الزكاة •

ومن طريقته الحسنی في هذا الباب ، أنه لا يقر الا الأحكام الأساسية التي يراها جوهرية في التشريع ، والتي يرى ضرورة دوامها في المجتمع الانساني طول الدهر ، ويترك تقرير التفاصيل والاحكام الاخرى الى الرسول المبلغ ، شأن الدستور والقوانين والانظمة في العصر الحاضر - وللقرآن المثل الاعلى - • ثم يفوض التفسير والاستنتاج الى الراسخين في العلم •

والولوج في هذا الباب ثم الخروج منه يقتضى بحثا طويلا ليس محله هذا البحث الوجيز • وأدع الاستزادة من بحث اسلوب القرآن وطرائقه في مواضعه الاخرى الى جهد الراغب في البحث ، مكتفيا في هذه الكلمة بما نبهت اليه •

- ٢ -

مفردات القرآن الكريم

اختار القرآن الكريم في جملة الألفاظ العربية الفصيحة ، اللذيذة في السمع ، الخفيفة على اللسان ، جامعة لشروط الفصاحة في خلوها من التافه والغرابه والتعقيد ، متقاة من لآلء بحر اللغة العربية ، منتظمة في سلك الكلام البليغ المعجز ، لم تشبها شائبة ، ولم تصمها وصمة • قد خوطب بها عرب من سائر الناس في ميزان البلاغة وتفهم

الكلام العربى ، ففهموا معانيها ، وعملوا بمقتضاها . وخطبهم بها عربى أرسل لتبينهم أحكام الله تعالى ، فى أوامره ونواهيه ومواظله ، وفى أمثاله وحكمه وقصصه ، وفى دلائله التى أقامها على وجوده ووحدانيته ، وحججه التى أفحم بها الملحددين ، وبراهينه التى أعزبها المؤمنين . ففهم الناس كل ذلك بوضوح ، فآمنوا بما جاء به رسوله ، وصدقوه .

وبعد هذا ، أليس من الغريب أن يذهب بعض المشايخ الى وجود ألفاظ غريبة فى القرآن ، فيضموها فيها كتباً قيمة يفسرون معانيها ، ازالة لغرابتها على زعمهم ، ويساونا لغموضها على رأيهم ؟! . من ذلك « مفردات الراغب » التى قال فيها : « فالتشابه من جهة اللفظ يرجع الى الالفاظ المفردة اما من جهة الغرابة نحو : الأَب ، ويزفون ، » و « غريب القرآن » لأبى بكر السجستانى الذى قال فى أوله : « هذا تفسير غريب القرآن ، ألف على حروف المعجم ليقرب تناوله ويسهل حفظه »

ونحن نحولهما كثير ممن لهم قدم راسخة فى العلم والأدب قبلهما وبعدهما ، كابن دريد وابى عبيدة وابن الأثير والسيوطى وغيرهم .

وما أدرى كيف فات هؤلاء الأئمة أن الغرابة تمحو الفصاحة ، والفصاحة ركن من اركان البلاغة ، فاذا سقطت من الكلام ، سقطت بلاغته ، وأصبح سوقياً عامياً . والقرآن كلام الله المعجز ، والاعجاز أعلى درجة فى سلم البلاغة ؟ وما أدرى ، كيف جاز لهؤلاء الأحمقاء فى الأدب العربى أن يطلقوا اسم الغريب على طائفة كبيرة من ألفاظ القرآن الكريم نظموها معاجم تسهيلاً لانتفاها من وصمة الغرابة ، وهى الدرارى المتألقة فى سماء الاعجاز ، والدرر المنظومة فى سلك البيان ؟ وكيف يعقل أن يخاطب الرسول قومه بغريب الألفاظ ، وهو فى مقام التبليغ والتبيين ؟ (بلغ ما انزل اليك من ربك . وما أرسلنا من قبلك من رسول الا بلسان قومه ليين لهم) . على أننا اذا استعرضنا ألفاظ القرآن التى وصمها بوصمة الغرابة ، وحشروها فى ساحة الغموض ، نجدها أوضح من فلق الصبح ، وأقرب تناولاً فى أداء معانيها من أكثر الالفاظ التى عدوها قريبة لا غريبة ، وأليفة غير نافرة ، يفهم سامعها المراد منها بلا حاجة الى مراجعة المعاجم ، أو بمراجعة سهلة توصل الى كشف المعنى بلا تنقيب مضمّن فى المعاجم ، ولا تفتيش طويل . وهى أنأذا أورد طرفاً من ذلك شاهداً على ما أقول :

آيات . أسلمت لرب العالمين . أسباب . افرغ علينا صبراً . الأكمه . من أنصارى الى الله . الأرحام . أبناء . آلاء الله . أدلى دلوه . أصنام . أصفاد . الأحزاب . اجتث . اجنبى . أترفوا . اهدنا . استوقد . اهبطوا منها . اصطفى . الحافاً . بارئكم .

بديع • بث فيها • بازغاً • بوار • بارزة • بهيج • تسفكون • تشابهت • قلوبهم •
 ترتابوا • ترهقهم • تسرحون • تبذير • ثواب • الثرى • ثاقب • ثعبان • جهرة •
 جن عليه الليل • جاسوا • زينة • سم الخياط • شرعة ومنهاجا • عفريت • عجاف •
 نكال • نبأ • نكثوا • نفموا • يوعون •

فهذه الالفاظ الممتازة ونحوها ، الجارية على اللسان بسهولة ، المفهومة المعاني بلا
 كد أو تعب ، قد عدوها من غريب القرآن ، وهى من قريب القرآن لا من غريبه ، ومن
 اليه لا من نافرده وبعيده • فهل فى هذه الالفاظ الغر شي • من ملامح الغرابة ؟ وهل
 يتوقف فهم معانيها لأوساط الناس على مراجعة المعاجم المبسوطة والبحث عنها فى كتب
 اللغة المطبولة ؟ كلا • فإذا لم يكن شيء من ذلك ، فلا غربة فيها ؛ لأن ميزان الغرابة
 ومقياسها فى الالفاظ ، وهو ما سألنا عنه لا غير • وإذا أرادوا بالغريب معنى أوسع من
 هذا المقياس ، فهو خروج عن حدود الغرابة التى أقرها الأديب ، ونظقت به كتب علم
 البلاغة اجساعاً • فإن أرادوا بالغريب ما حثى معناه على سائر الناس ، أصبح معظم كلام
 البلغاء غريباً ، وأصبح أكثر القرآن الكريم وسائر الكتب المنزلة وكلام أهل الحكمة
 من الناس غريباً • وهذا بعيد عن الصواب كل البعد ، ولا قائل به • فالمقياس فى حدود
 غرابة الفاظ ، هو فهم أوساط الناس ، وهم الذين لم يرقوا أعلى درجات البلاغة ، ولم
 ينحطوا الى أسفلها ، بل وقفوا وسط الدرجات • ومن الغريب أيضاً استدلال من ذهب
 الى وجود الغريب فى القرآن الكريم بما روى عن بعض الصحابة ، رضوان الله عليهم ،
 من توقفهم فى تفسير معاني بعض الالفاظ كلفظة (اب) فى قوله تعالى (وفاكهة وابا)
 ولفظ (يزقون) فى قوله تعالى (فأقبلوا اليه يزقون) • أقول : من الغريب الاستدلال
 بذلك على وجود الغريب فى القرآن ، لأن الروايات فى ذلك لم تتوافر فيها شروط
 الروايات الصحيحة ، فهى اما مكذوبة ، واما ضعيفة ؛ ولأن خفاء معنى اللفظ على فرد ،
 لا يستلزم خفاء على غيره من أوساط الناس ، بله علماءهم ، بدليل أن من روى عنه التوقف
 فى تفسير ما سئل عنه ، قد أحالهم على غيره من أضرابه ، ففسرها لهم •

ولا يقال : ان التشابه فى القرآن كأوائل السور والآيات المتشابهة الأخرى غريبة
 لخفاء معانيها ؛ لأننا نقول : لا غرابة فيها ؛ فإن ألفاظها مفهومة المعاني ، واضحة الدلالة
 عليها ، فإن (كهيص) مثلاً تدل على الحروف المسماة بكاف ، وهاء ، وياء ، وعين ، وصاد ، دلالة
 ظاهرة ، فهى معانيها المفهومة لكل قارئ • وإن كلمة (يد) مثلاً فى قوله تعالى (يد الله
 فوق أيديهم) دالة على ما وضعت له بوضوح ، مفهومة المعنى بلا حاجة الى مراجعة

المعاجم ، وانما التشابه والخفاء جاء من جهة أخرى ، هى : ما المقصود من افتتاح بعض السور بأسماء حروف الهجاء ؟ وكيف صح نسبة (بد) الدالة على العضو المعروف فى الجسد الى الله تعالى ؟ فليس فى الدلالة غرابة ولا خفاء ، وانما الخفاء فى وجه الاستعمال ، وهذا بحث آخر لا علاقة له بموضوع الغرابة .

وبعد فالفاظ القرآن الكريم ، أفصح ما نطق به العرب من الالفاظ ، وما عده بعضهم غريباً هو أعرق نسباً الى الفصحى من الكلمات التى يحشرها البلغاء فيما يكتبون ، وانما جاءت شبهة الغرابة فيها من هجر استعمال الكتاب ايهاا ، وهم مخطلون فى ذلك خطأ شنيعاً . فالفاظ القرآن الكريم منتقاة من جواهر الفصحى من الالفاظ العربية ، تحلى الكلام حلية بهية ، وتكسيه فخامة وروعة ، سواء فى ذلك النظم والنثر على الاطلاق ، فى مقام المحاجة أو الخطابة ، أو فى أى مقام آخر مما يجرى فيه القلم واللسان .

فالواجب على كتاب العصر الاستمداد من فيضها الدافق ، والاتصال بها فيما يكتبون اتصالاً وثيقاً ، والتباعد عن استعمال الكلمات الركيكة السوفية المبتذلة . والطريق الموصل الى ذلك هو حفظ القرآن الكريم كله أو معظمه .

ومن خصائص القرآن الكريم فى مفرداته ، استعماله الحقائق من المفردات ، فهو لا يركن الى الالفاظ المجازية الا قليلاً أو نادراً ، فى مواضع لا مناص من استعمالها فيها نظراً لفن الأدب ومورد الكلام ؛ لأن الحقائق أوفى بأداء المراد تماماً ، لا زائداً ولا ناقصاً . وهو طريق واضح سليم تنكب عنه كثير من البلغاء والكتاب ، فأكثروا من المجازات ، وبالغوا فى استعمال الاستعارات من مصرحة ومكنية ، ظانين أن فى ذلك رفعة للكلامهم ، وعلواً لخطابهم ، وفخامة لما ينشئون . كما أن القرآن لا يركن فى تراكيبه وجمله الى المجاز العقلى ، ولا الى الكناية ، الا قليلاً عند مقتضى الحال ؛ لأن الكلام الحقيقى كفى بإيفاء المراد على حقيقته وقاله ووضعه . وهذه المزية فى الحقيقة لا تتوافر فى المجازات العقلية والكنايات . ولكن كثيراً من الكتاب السالفين والمعاصرين ، لم ينحوا هذا المنحى تمشياً مع القول المأثور : المجاز أبلى من الحقيقة ، والاستعارة أبلى من التصريح . وهو قول لا نسلم به ؛ اذ لا يكون الثوب المعار أكثر ملاءمة من الثوب المقطوع على الجسم ، ولا الشئ الصريح أقل دلالة على مادته من الخليط . وان الوصول الى المراد من طريق الخيال - وهو طريق الاستعارة - خروج عن ايفاء المراد على ما هو عليه ؛ لأن الخيال يصور الشئ على غير ما هو عليه ، فلا يؤدى المراد صحيحاً كاملاً ، فالكاتب جدير بأن لا يسلك هذا الطريق الا اذا سدت عليه الطرق غيره . واما اللذة التى قد يشعر بها الذهن

من التخيل ، فهي كالسراب لا يقفأ يذهب زائلا ، فلم يغن عن ظمأ ، ولم يخلف وردا ؛
لذلك نجد النفوس الفقيهة للأدب ، المتذوقة لثماره تشرح للكلام الجارى على حقيقته ،
وتستسيع سماعه مهما طال فى حدود الموضوع ، ولكنها تنقبض من الكلام الجارى مع
الخيال بعد السير معه الى أمد ؛ إذ أن الخيال يعدها عن المراد رويدا رويدا ، فتنبه الى
أنها تاهت فى طريقها ، وأنها تستمع لغير ما بدأت بسماعه ، فتضيق به ذرعا . ولا يرد
هذا العيب على التشبيه ، وهو حقيقة ؛ لأن التشبيه لا يجيء اقتضابا ، وإنما يرد بعد معرفة
حقيقة المراد . فبعد أن تحكى الحقيقة أو تعرف بوجه آخر ، يأتي التشبيه لزيادة
الايضاح ، فالنفس مطمئنة به ؛ لأنه لم ينحرف بالمراد عن الحقيقة ، بل لم يزل جاريا
معه مضيئا صراحة الى صراحتهما ، فألفه النفس راضية مرضية .

وبعد ، فالقرآن الكريم مثل أعلى فى أسلوبه ، وفى نظمه وتركيبه ، وفى مفرداته
وجمله ، وعذوبة معانيه ، فهو التحفة الخالدة فى معرض البلاغة والمتوال الذى يجب أن
ينسج عليه .

منبر القاضى

أقدم مخطوط وصل إلينا عن بلاد العرب

موضوع هذا البحث وصف كتاب نادر نحسب أنه من أقدم ما وصل إلينا في موضوعه ، وهو التعريف بجزيرة العرب : قبائلها ، ومنازلها ، ومناهلها ، وما يتصل بذلك من شعر وأخبار ، لمؤلفه النحوى الأديب « أبى على الحسن بن عبد الله المعروف ببلغة » من أعلام منتصف القرن الثالث وأوائل الرابع للهجرة ، فى النحو واللغة والشعر والأدب .

وجدت نسخة من هذا الكتاب فى خزانة الكتب الملحقة بمديرية الآثار القديمة فى العراق ، بخط متأخر ، فقلت عنها قبل ثلاث سنين نسخة ضمت الى القسم الخاص بالمخطوطات من خزانة « المجمع العلمى العراقى » ببغداد .

ولا يخفى أن الكتب المؤلفة فى البلدان صنفان : صنف عنى فيه بذكر الحواضر والمدن المعمورة ، وهو ما يسمى علم (تقويم البلدان او تخطيط البلدان) ، وللعلماء الاسلاميين فيه كتب غير قليلة حذوا فيها حذو الحكماء الأولين . ومن هذا القبيل ما كتبه « ابن خرداذبه » و « الجيهانى » و « ابن النقيش » و « البلخى » و « الأصبخري » و « ابن حوقل » و « البشارى » ، فى كتبهم المشهورة التى تعرف بكتب المسالك والممالك ، أو كتب البلدان ، وآخرها « معجم البلدان » لياقوت ، وهو أنفُس الكتب العربية فى هذا الموضوع وأجمعها وأعزرها مادة . وقد نشرت مجموعة من هذه الكتب فى (ليدن) أطلق عليها اسم « المكتبة الجغرافية » .

هذا هو الصنف الأول من كتب البلدان ، ولدينا صنف آخر موضوعه وصف البوادر العربية خاصة بما اشتملت عليه من سهول وجبال ومفاوز ومياه وأواجن ، كما وردت فى أخبار العرب وأشعارهم . وأكثر من عالج هذا الموضوع ، أو قصر بخصه على ذكر الديار العربية والمنازل البدوية ، هم طبقة أهل الأدب وأئمة اللغة ، وفى مقدمتهم

« الأصمعي » في كتابه الذي سماه « جزيرة العرب » ، وجاء بعده « السكوني » ، ثم « الهمداني » في كتابه « صفة جزيرة العرب » و « أبو الاشعث الكندي » في كتابه « جبال تهامة » و « العمراني » في كتاب له اسمه « جزيرة العرب » و « الفندجاني » في كتاب له هو « مياه العرب » و « وأبو زياد الكلابي » و « ابن أبي حفصة » في كتاب له دعاه « مناهل العرب » و « ابن الكلبي » في كتابه المسمى « اشتقاق البلدان » و « الزمخشري » في كتابه المسمى « كتاب الجبال والأمكنة والمياه » و « البكري » في كتاب « معجم ما استعجم » .

ولا بد لنا من القول بأن أكثر الأصول القديمة التي جردت للتعريف ببلاد العرب خاصة قد ضاعت ، فليس بين أيدينا منها الا التزر اليسير ، والا التفت المنقولة عنها في تضاعيف « معجم البلدان » أو « معجم ما استعجم » أو كتاب « المياه والأمكنة والجبال » للزمخشري .

وتدلنا مقدمة (ياقوت) في معجمه أنه قد ظفر ببعض هذه الأصول ، ومن الكتب التي ظفر بها « كتاب جزيرة العرب » للأصمعي ، وهو يعد الآن من الكتب المفقودة ، و « كتاب بلاد العرب » للهمداني ، وكتاب « الزمخشري » وذيله لتلميذه « العمراني » . أما كتاب « معجم ما استعجم للبكري » ، فلم يظفر به ياقوت ، وهو كتاب معروف نشرت منه أجزاء في السنين الأخيرة .

وبناء على هذا يكون كتاب « لغدة » عن جزيرة العرب أقدم ما وصل إلينا من الأصول أو النصوص التي يعول عليها في وصف البلاد المذكورة نقلا عن أبنائها من الأعراب في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع للهجرة .

ومن الغريب أننا لم نجد لهذا الكتاب - أي كتاب « لغدة » - إشارة ما في مقدمة « معجم البلدان » ، ولا في مطاوي المعجم المذكور ، ولم نجد له ذكرا في ثبت مؤلفات « لغدة » الملحقة بترجمته في مكانها من « إرشاد الأريب » أو « معجم الأدياء » لياقوت نفسه ، كما لم نجد ذكرا للكتاب في غير « معجم الأدياء » من الكتب التي عني مؤلفوها بترجمة « لغدة » الأديب . ومن هؤلاء « ابن التديم » في « الفهرست » ، و « حمزة الأصفهاني » في كتابه عن أصفهان ، و « السيوطي » في « البقية » ، و « الفيروز آبادي » في « البلغة » ، و « الزبيدي » في « تاج العروس » .

وقد جرت عادة « ياقوت الحموي » في كتابه « معجم البلدان » أن يضيف الى الكتاب كتاباً أو فصولا من كتب من غير أن ينسب القول الى قائله ، وهذا كما ترون

لا يتفق مع شروط الأمانة فى النقل عند العلماء . والأمر أخفى من أن يظهر فى «معجم البلدان» إلا بعد المقابلة والمقارنة بين ما ورد فيه من النصوص ، وبين النصوص التى اشتملت عليها الأصول القديمة . وقد سمي لنا «ياقوت» فى مقدمة معجمه بعض ما أخذه عن جزيرة العرب ، ولكنه لم يسم فيها الكتاب المسمى «مشارق الأنوار» من تأليف «القاضى عياض» ، مع أنه سطا عليه ، وأكثر النقل عنه دون أن يشير الى ذلك الا مرة واحدة أو مرتين .

ولى على ذلك أدلة قاطعة تضمنها مقال خاص لا بد من نشره فى المستقبل ان شاء الله .

على أننا نجد بعد المقارنة والتحقيق مشابهة ظاهرة بين نصوص كتاب «لغة» هذا ، ونصوص أخرى نقلت عن كتب «الأسمعى» وطبقته من الأدباء فى بعض كتب البلدان والكتب المؤلفة فى جزيرة العرب ، ومرد ذلك الى أن المصادر التى اعتمد عليها المؤلفون القدماء كانت مصادر واحدة على الأكثر .

مؤلف الكتاب

هو أبو على الحسن بن عبدالله المعروف بـ (لغة) ترجم له ابن النديم ، وحمزة الأصفهاني ، وياقوت ، والسيوطى ، والفيروزابادى ، والزبيدي ، مجمعين على امامته بشؤون الادب ، وتبحره فى النحو واللغة ، وعدوا له مؤلفات غير قليلة وان كانت موجزة خفيفة الحجم على الأكثر ، وأغلبها فى النحو واللغة والشعر .

كان لغة من أقران «أبى حنيفة الدينورى» فى مشيخته ودرسه ، وبينهما مناظرات ، وقد حفظ فى صغره كتب أئمة اللغة والأدب «كلاصمعى» و«أبى زيد» و«أبى عبيدة» ، ثم تبع ما فيها فامتحن بها الأعراب الوافدين على أصفهان ، وكانوا يقدرون على «محمد بن يحيى بن أبان» فيضربون خيامهم بفناء داره ، حيث يقصدهم «أبو على» كل يوم ملقياً عليهم مسائل فى اللغة ، وقد ألف من أجوبتهم كتاباً سماه «النوادر» ، وهو كتاب كبير .

ويدعى «السيوطى» فى «البغية» ، كما يدعى سواء من المؤرخين أن «لغة» زار «مصر» ، وأخذ عن علمائها واشتهر فيها . وليس ذلك ببعيد ، ففى كتابه هذا عن جزيرة العرب ما يدل على ذلك . وعلى كل فانه من العلماء الذين تغربوا عن أوطانهم طلباً للعلم ، فقد زار العراق وغيرها ، وكان همه أينما حل الأخذ عن أعراب البلاد . ويدنو لنا من تصفح ترجمته فى «الفهرست» أنه اتصل بالخلفاء فى العراق ، ونال

الخطوة عندهم . وهو الى ذلك شاعر مجيد ، له شعر سائر ، وهو القائل :

خير اخوانك المشارك في الضرر وابن الشريك في الضرر اينما
الذي ان شهدت شرك في القو ل ، وان غبت كان أذنا وعينا

ومن تصفح « كتاب جزيرة العرب » يتضح لنا ما يؤيد أقوال المؤرخين أن « لغدة » الأديب كان معنياً بالأخذ عن فصحاء الأعراب ، استزادة في الضبط والاتقان . وقد استطعنا أن نعد عشرين بليغاً من بليغاء الأعراب الذين لقيهم في حواضر الاسلام ، أو لقي من لقيهم ، فأكثر من الأخذ عنهم في كتابة هذا . ولا أكثر هؤلاء الأعراب ذكر في كتب الأدب ، ومن ذلك كتب « الجاحظ » و « ابن النديم » ، وارشاد الأريب لياقوت .

ويروى « لغدة » ، بالإضافة الى ذلك ، عن طبقة قديمة من الأدباء والمؤرخين ، مثل « الأصمعي » ، وأبي عبدالله الواقدي ، ويروى عن فقيه آخر يدعوه « أبا جعفر » . والأعلام في الكتاب بحاجة الى وضوح ، فهو يقول مثلاً « أبو جعفر » مكتفياً بهذه الكنية . وقد ظهر لنا بعد تأمل كثير أنه يقصد « الطبري » المؤرخ المشهور .

هذا وفي مقدمة من روى عنهم من نقات الأعراب « الفزاري » و « أبو الورد العقيلي » و « زياد بن عبدالله العامري » ، وهو - أعني العامري - أشهر هؤلاء الأعراب النجديين ، وأوسعهم علماً بشؤون بلاده ، وخصوصاً القسم الشرقي المتاخم للعراق ، اعتبر ذلك بقوله في وادي الرمة « الرمة : واد بين أباتان ، يستقبل المطلع ويحيط من المغرب ، وهو أكبر واد نعلمه يتجد » . فهذا الأعرابي اذا أراد أن يصف بلاده أرسل كلامه ارسال القضايا المسلمة ، لا يجاريه أحد في وصف نجد خاصة بقسميها الشمالي والجنوبي أو الأعلى والأسفل . وصف مراعي هذه البلاد واعداد مياهها وانجادهاء وأغوارها ومن فيها من القبائل والبطون ، وأسواقها وقراها ومزارعها ، الى غير ذلك . وقد أبدع العامري في وصف « حجر اليمامة » وضواحيها ، وأشار الى عظمتها ، وأن منبرها أحد المناير الأولية ، وأنها منزل السلطان والجماعة ، وجل أهلها بنو عبيد . وكل ما في الكتاب من فصول ممتعة في وصف اليمامة وأحوالها من طبيعة واقتصادية وعمرانية ، فهو للعامري المذكور ، واليمامة كما لا يخفى اسم يطلق على الديار النجدية في كتب الشعر والأدب والبلدان القديمة . وفي وسعنا ان نقول والحالة هذه ان الكتاب في جملة نقل عن العامري ، فهو يعول عليه أكثر من بقية الأعراب ، ويعتمد على أقواله سلباً وإيجاباً . فإذا أراد « لغدة » غمز رواية ، أو تضعيف قول في كتابه ، قال : « لم يعرفه

العامري . « وإذا أراد عكس هذا ، قال : « قاله العامري » ، الى غير ذلك ، فكان كلام العامري . « كلام أبدي بدوي وأفصح عربي ، وتعد أقواله في أحوال بلاده حجة قاطعة .

مميزات الكتاب

يمتاز « لغدة » في طريقته وأسلوبه بمميزات ، منها تعويله على المشاهدة والعيان ، لا على مجرد الرواية أو النقل عن الكتب فقط فطريقته في كتابه هذا تختلف عن طريقة غيره من المصنفين في موضوعه . ومن ذلك أن القبيلة عنده هي الاساس في البحث ، يذكر القبيلة أولاً ثم يشرع في ذكر ما يضاف اليها من منازل ومناهل وغير ذلك . وهو يعقد لكل قبيلة فصلاً يذكر فيه ديارها ومياها ، فإذا انتهى من البحث في قبيلة مثلاً ، قال : « فهذه مياة غني » ، ثم انتقل الى مياة قبائل أخرى من الضباب وجعفر ومياه أبي بكر ، ثم يأتي الى مياة جمعة وهزان ونمير وقشير وباهلة ، ومياه التيم وربيعة وما تملكه هذه القبائل من أرض أو واد ، ويعني ، مضافاً الى هذا ، بتعيين الحدود على وجه مفصل كل التفصيل . ولا تعرف كتاباً آخر في جزيرة العرب سلك مؤلفه فيه هذا المسلك الطريف ، فسمية القبائل على اختلاف فروعها وأفخاذها وذكر ما لها من أئعاد ومنازل وغير ذلك ، يدل على خبرة لا مزيد عليها . ومن ذلك نعلم أن أسماء القرى والأودية المعروفة الآن بنجد ، هي أسماءها القديمة . ويكاد يكون الكتاب في جملة خاصاً بتقويم البلاد المعروفة قديماً بالمائة وحديثاً بالديار النجدية .

درج أكثر المؤلفين في المسالك والممالك على وصف المناهل والمنازل الواقعة على قارة الطريق ، طريق الحاج من العراق الى الحجاز ، وبالعكس . وليس في وسع هذه الطبقة من المؤلفين في المسالك والممالك أن ينتقلوا ينة ويسرة وشرقاً وغرباً ، فهذا شأن من بذل جهده في البحث والاستقصاء العلمي ، وكانت الرحلة شغله الشاغل . فهل كان المؤلف يصف جزيرة العرب وصف مشاهد ؟ وهل رحل الى تلك البلاد ، أو أكثر من الإقامة بين قبائلها ، يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ؟ أم اعتمد فقط على اللقاءات من الأعراب المتسبين الى قبائلهم ، فروى أقوالهم ، وجمع كتابه من سماعاته عنهم ، كما فعل مع صاحبه « العامري » ؟ لا يخلو الأمر من غموض ، وليس في الكتاب نص قاطع على هذا أو ذاك ، إلا أننا نستطيع استنتاجاً من بعض نصوص هذا الكتاب أن المؤلف عاش في جزيرة العرب ، ورحل اليها ، إذ نجده يقول في بعض كلامه على ديار « بني بكر » ما هذا نصه : « والحاجة » ماء لربيعة بن قرظ ، عليها نخل ، وليس على شيء مما سمينا نخل غيرها وغير الحرولة ، فإن عليها نخلاً محدثاً ، فهذا وصف لا يخلو من

دقة ، وهو يشبه وصف مشاهد لهذه الأمكنة . ومثل ذلك قوله : « ولهم - يعنى بنى
جشم - فوق ذلك عدامة ، وهى أبعد ماء تعلمه بنجد قعرا . » ومن ذلك أيضا قوله :
« ومن الجبال الشموسان ، وفيها يقول الشاعر :

مضى أنج من شعب الشموسين لم أعد اليه ولو منتهاني الأمانيا
فلمست أرى شمسا إذا هي أقبلت ولا قرأ حتى يتم ثمانيا

وصدق ، لا يرى - أى القمر - الا بعد ثمان ليال . « فهذا التعقيب يدل على أن
المعقب شاهد الجيلين المذكورين .

لغة الكتاب

لغة الكتاب فى الذروة من الفصاحة والبلاغة ، وتمتاز بخلوها من الحشو والفضول
وبعدها عن التكلف والتعقيد . فهى لغة الطبقة الأولى من أئمة الأدب « كالأصمعى »
و « أبى زيد » و « ابن الأعرابى » . والنصوص فيه مروية عن أبناء البداية وفصحاء
أعرابها ، فهو من أنفس كتب الأدب من حيث رواية الشعر البليغ وشرح ما فيه من
الغريب .

مقاصد المؤلف

١ - وصف اليمامة : للمؤلف على ما يظهر عناية خاصة بوصف الديار النجدية ،
أو بلاد اليمامة ، لم يسبقه إليها أحد فيما نعلم . ومن أجمل ما فى هذا الكتاب وصف
المراحل والمنازل بين حجر اليمامة ، أى بين نجد والأقطار المجاورة لها . ولعل منشأ
هذه العناية لوصف الديار النجدية أن كثيرا ممن أخذ عنهم ، أو روى من أقوالهم ،
انما كانوا من أعراب نجد العارفين بدخائلها ، الواقفين على مختلف شؤونها فى ذلك
الزمان .

٢ - وصف الحجاز : وقد عنى مصنف الكتاب بوصف المدينة ، وكثير من أوديتها
وجبالها ومياهها وحرارها وآطامها والأقاليم المجاورة لها ، كما وصف بعض البلاد
الحجازية الواقعة شمال المدينة من وادى القرى الى منازل ثمود وديار قضاة . ومجمل
القول ، كانت للمؤلف عناية بوصف الحجاز ، ولكن دون عنايته بوصف الديار النجدية .

٣ - معادن جزيرة العرب : يعنى المؤلف كثيرا بذكر الثروة المعدنية المطمورة فى
باطن الجزيرة العربية ، نجدية كانت أو حجازية ، ويشير الى ما فيها من ركاز وأفلاذ ،
وقد وصف معادن عدة من ذهب وفضة ونحاس وغير ذلك .

وعنايته بوصف هذه المعادن تفوق عناية من وصفها من البلدانين « كالهمدانى » فى كتابه « صفة جزيرة العرب » ، وتفوق عناية « ياقوت الحموى » بوصف هذه المعادن فى كتابه « معجم البلدان » و « المشترك » .

المؤلف الأديب

يعنى المؤلف - كما مر - بما قيل من الشعر فى المنازل والمناهل - وما أكثر ما قيل من الشعر فى هذا الباب ! - عناية أديب محقق . يعمد أولاً الى شرح ما فى الشعر من الغريب ، ثم يذهب اذا اقتضى الأمر الى التيقب عن حقيقة المنزل أو الدار أو المنهل الذى عناد الشاعر فى شعره ، فيخرج من ذلك برأى قاطع فى الموضوع ، مما يدل على معرفة بالغة بالأدب واللغة والشعر ، فضلاً عن البلدان . خذ مثلاً على ذلك قوله : « قنونا : جبل فى بلاد غطفان ، والذى عنى « كثير » ليس به ، ولكنه فى طريق اليمن لمن خرج من مكة » . ولا يخلو الكتاب من كلمات بليغة للأعراب ، مثل قول صاحبه « العامرى » : « مررت بغنمى مرة فانفجعت نعامه عن ثمانى بيضات » . هذا مضافاً الى فوائد أخرى قد نخرج باستقصائها عن القصد ، وبهذا القدر نكتفى من تعريف هذا السفر النفيس ، والتحفة الثمينة . والله ولى التوفيق .

محمد رضا الشيبى

الفصل والاستطراد في أصول معنى بغداد

المدخل

قرأت في مجلة سومر (المجلد الرابع ، الجزء الاول ، كانون الثاني ١٩٤٨) مقالا
نليحانة الأستاذ يعقوب سر كيس ، عنوانه « البصرة ، هل أصل الكلمة ارمى ؟ » ، وقد
انتهى المقال بهذه الحاشية :

« للمعالى الأستاذ يوسف غنيمه رأى أبداه بتحفظ فى معنى كلمة « بغداد » وهو أنها
« بگدادا » ومفادها : مدينة أو دار أو بيت الغنم والضأن (راجع لغة العرب ٤-١٩٢٦/٢٧ ،

٨٠) » .

فراجعت المجلد الرابع للغة العرب وطالعت فيه رأى صاحب المعالى الأستاذ غنيمه
ذلك ، وهذا نصه :

« ولى رأى خاص فى معنى اسم « بغداد » ولقد عنلى فى تضاعيف بحثى منذ
زمن ، ولم أنشره حتى اليوم ، فأذكره بكل تحفظ وتوق . الذى عندى ان اسم « بغداد »
ارمى مبنى ومعنى وهو مؤلف من كلمتين من « ب » « المقترضه من كلمة « بيت » عندهم ،
وكثيرا ما تقع فى أوائل أسماء المدن مثل « بعقوبا وباقوفا وبطنايا وباعشيفا وباعدرا وباجرمى
وغيرها » . واللفظة الثانية « گدادا » بمعنى غنم أو ضأن (راجع ص ٩١ من معجم
دليل الراغبين فى لغة الاراميين العمود الثانى الكلمة الثانية المعنى الثانى) فىكون مفاد
« بگدادا » مدينة أو دار أو بيت الغنم والضأن فى أول الأمر . ومن المشهور أن
الارميين كانوا فلاحين فى هذه الديار يربون المواشى ، وبقوا كذلك قروناً عديدة بعد استيلاء
العرب المسلمين على العراق . وانى أفضل هذا الرأى على التأويل الفارسى ولا سيما قد
ورد اسم بغداد فى الآثار القديمة البابلية قبل احتلال الفرس لهذه الربوع .

فأرجو أن تبدوا رأيكم فى هذا التأويل لأنه اذا وافق العلماء عليه يكون أول من

قال به عراقى بغدادى . »

أ . ردنا على الأستاذ غنيم:

ان اسم « بغداد » ليس بأرمي ، فمن الثابت في التاريخ أن الأرميين لم تطل أقدامهم أرض العراق قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، على حين وجدت آثار مرقومة تبرهن أنه كان على عهد الملك حمورابي (القرن ١٨ ق.م) مدينة في مملكته مسماة باسم « بگگداد » ؛ ثم ان حجرا من حجارة الحدود يعود تاريخه الى عهد الملك الكشي « نازي - مارشاش » ، قد كتبت فيه كلمة « بگگداد » ، وكان حكمه في النصف الأخير من القرن الرابع عشر (ق.م) ، وهذا يؤيد ما قدمنا ذكره من أن اسم « بغداد » ليس بأرمي الاصل .

وان فرضنا ، فرضاً محالاً ، أن الارميين كانوا في العراق على عهد الملك حمورابي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، وأنهم سمووا موضعاً جغرافياً بلغتهم الارمية ، فانه لا يسع المرء أن يتصور أن كلمة « بيت » كانت قد اختصرت فأصبحت « ب » * ومعنى ذلك أن كلمة « بيت گداد » صارت « بگداد » في تلك العصور ، فان اختصارا كهذا يتطلب عدة قرون حتى يبلغ تمامه .

ونضيف الى ذلك أن هذا الاسم « بغداد » منذ عرف في التاريخ حتى اليوم قد حافظ على شكله ، مع طول تلك الأزمة السحيقة في القدم ، كما سنستعرض المراجع التي ذكر فيها على حسب أزمانها .

ويحسن بنا هنا أن نقول اننا لم نجد في الكتابات الآشورية - حتى التي يعود تاريخها الى أواخر عصرهم - كلمة « بيت » في اسمائهم الجغرافية متحولة الى « ب » . ولذلك لا نرى من الصواب اتخاذ اختصار الاسماء المألوف في الأزمنة المتأخرة مقياساً لكلمة تعود الى الالف الثاني قبل الميلاد .

ب . ردنا على الأستاذ الكرملی

وللأستاذ الأب أنستاس الكرملی صاحب مجلة لغة العرب تعليق في ذيل مقال الأستاذ غنيم^(١) ، أيّد به قوله بدليلين نذكرهما ونردهما عليه ؛ فالأول قوله : « وقبل كل شيء على المحقق أن يقضى عنه قول من يذهب الى أن الكلمة فارسية الاصل ، اذ كيف تكون كذلك والفرس لم يدخلوا العراق الا في عهد كورش (في

(١) راجع أيضاً تأكيده لهذا الترجيح في مجلة لغة العرب « م ٦ ص ٧٤٨ »

المئة الرابعة قبل الميلاد) وبغداد معروفة بهذا الاسم قبل الفرس بمئات السنين .
فأقول لنقض دليله الأول هذا ، ان الأستاذ الكرملى لو فكر ملياً كما فكرنا وفش
عن الحقائق كما فتننا ، ودقق النظر فى رأى الأستاذ غنيمة كما فعلنا ، لوصل الى
النتيجة التى توصلنا اليها حتماً ؛ وحينئذ لا يجد لنفسه سيلاً غير أن يعدّ كلمة « بغداد »
بصيدة كل البعد عن أن تكون ارمية الأصل . وبهذه المناسبة أود أن اذكر أن دخول
« كورش » فى بابل كان فى سنة ٥٣٨ (ق . م) ، ولم يكن فى القرن الرابع قبل الميلاد
كما ذكر الأستاذ .

والدليل الثانى للكرملى هو قوله :

« لا جرم أن البلاد السامية السكان لا تسمى الا باسم سامى أى اسم من الآشورية
أو البابلية أو الارمية أو العربية ، والحال اننا نعلم أن الارميين - وهم من أصل سامى
كالعرب - قدموا الوجود فى ديار العراق . فاذا كان الأمر على هذا الوجه فلا بد من أن
تكون اللفظة ارمية الوضع . ولهذا نخير رأى صديقنا البجاة يوسف غنيمة على رأى سواه .
وأنا لا أريد اطالة القول فى نقض هذا الدليل ، فان نظرة عجلت الى الأسماء
الجغرافية فى العراق توضح لنا تهافتة وتكفى فى نقضه .
على اننى لا أرى بدا من ان آتى بضعة أمثلة فى هذا الباب ، وانى منتخب أمثلتى
من اسماء أماكن جغرافية قريبة من مدينة « يعقوبا » أو على بعد يسير منها ، واسم « يعقوبا »
- كما يرى الأستاذ غنيمة - ارمى الأصل ، وفى ذلك دلالة على أن منطقة يعقوبا ارمية ؛
وها هى ذى الأسماء التى اخترتها :

- ١ - خرنابات ، معناه (عمارة المجد ، أو العمارة المجيدة) ، (الملحق - ١)
- ٢ - بهرز ، معناه (السعيد اليوم ، أى السعيد) ، (الملحق - ٢)
- ٣ - خريسان ، معناه (الشرق) ، (الملحق - ٣)
- ٤ - مهروت ، معناه (النهر الكبير) ، (الملحق - ٤)
- ٥ - زرباطية ، معناه (عمارة آذريات) ، (الملحق - ٥)
- ٦ - بلدروز ، معناه (نهر الخنزير ، أو النهر الخنزير) ، (الملحق - ٦)

ج . القوم الذين طاب اسم بغداد بلفظهم

وبعد أن تأكد لنا أن كلمة « بغداد » ليست بارمية الاصل ، نرجع
الى أقوال مؤرخى العرب وجغرافيتهم واللغويين القدماء منهم لكى نواصل البحث عن

صل الاسم . فقد ذكر هؤلاء أن كلمة « بغداد » فارسية الاصل ، فوجدناهم مصيبن
بذلك لأنه وان لم يكن الفرس فى العراق فى منتصف الالف الثانى قبل الميلاد ،
فقد سكن الكشيون العراق فى تلك العصور ، وهم شعب كانت لغة الطبقة الحاكمة منهم
من فصيلة اللغات التى تنسب اليها اللغة الفارسية ، وهى فصيلة اللغات الهندية-الاوربية .
فأسماء عدد من آلهتهم الرئيسة آرية ، وكذلك أسماء كثير من ملوكهم الذين حكموا
٥٧٦ سنة وهى المدة التى استمر فيها سلطان سلالتهم ^(١) من عام ١٧٤٩ الى ١١٧٣
قبل الميلاد ^(٢) .

ونضيف الى ما سبق ما قاله مشاهير المؤرخين الأوربيين فيهم :

« قد اعترف منذ زمن باحتمال أنهم - أى الكشيون - من العنصر الآرى . ومن
الممكن أن نعددهم ببعض التأكيد ممن تجمعهم صلة القرابة بالحكام المتأخرين من « الميثانيين »
الذين سيطروا على الأقوام غير الآرية ، سكان « سوبرتو » ، فى شمالى العراق . وكان
الكشيون فى بلاد بابل - كما كان الميثانيون - هم الطبقة الحاكمة أى الطبقة الارستقراطية
الا أنهم ، وذلك مما لا شك فيه ، أتوا معهم طبقة من العامة ، ولم يصحب سيطرتهم تبدل
ولا تغير فى لغة البلاد ولا فى العنصر الساكن فيه ^(٣) . »

« وأولئك الكشيون ، الذين كان موطنهم فى جبال زاغروس شمالى عيلام - ذلك
الموطن الذى عرفه اليونان فى الأزمنة السلوقية بـ « كشيوى » - أتوا الى بلاد بابل
عملا أول مرة ، وبعد أن استقروا فيها أصبحوا تابعين للانظمة العامة التى كان أهل
البلاد الاصليون يعاملون بها ، فكانوا جندوا مدة معينة فى الجيش أو مسخرين
فى فرق العمال . وهكذا تدربوا على الثقافة العسكرية ولولا ذلك لم ينالوها . ويبدو
أنهم انتهزوا الفرصة فى الاضطراب الحاصل بسبب النكبة الحثية ، فنصبوا أنفسهم حكاما
فى بابل كما فعل المماليك فى القرن الثامن عشر للميلاد حين انتهزوا الفرص فى بغداد
عند موت أحمد باشا فجأة ^(٤) . »

(١) تراجع ترجمة كتاب المسيو ويل الى الانكليزية Phonicia ، ص ٨٥

(٢) لقد طرأ تعديل على تعيين زمن الملك حمورابى فمن المحتمل أن يشمل ذلك
التعديل الزمن الذى دام فيه حكم الكشيين وكذلك زمن بداية حكمهم .

(٣) يراجع كتاب كينج Ahistory of Babylon ، ص ٢١٤

(٤) يراجع كتاب سدنى سميث Early History of Assyria ، ص ١٥٣ - ٤

اشتقاق كلمة بغداد ومعناها

لقد جاء في تقرير عن حملة الملك سرجون سنة « ٧١٤ » (ق. م. ٠) ذكر اسماء اشخاص واماكن ايرانية ، منها « بيت بگي » ، وهي مدينة ميدية * وهو الاسم الذي قال فيه المستر كمرون : « من المحتمل أنه قد ترجم الى اللغة السامية فأصبح « بيت » إلى « أي » بيت الاله » (اسم منطقة ميدية) ، ومما يحتوى عليه كلمة « بگ » ، التي كانت من الكلمات الايرانية المعروفة منذ الازمنة الكيشية ^(١) .

ويقصد المؤرخ ببارته ، القسم الاول من كلمة « بگداد » الكيشية التي مر ذكرها ، وهو كلمة « بگ » ، وفي ذلك فائدة كبيرة توصلنا الى صحة ما ذهب اليه كتاب العرب القدماء من ان اسم « بغداد » كلمة مركبة من « بگ » التي هي « بگ » المقدم ذكرها ومن « داد » .

وبعد أن ظهر لنا أن كلمة « بغداد » ايرانية الأصل ، وأنها مركبة من الكلمتين « بگ » و « داد » ، بقي علينا أن نبحث عن أصل تينك الكلمتين وعن معانيهما لكي نستطيع أن نقف على حقيقة معنى « بغداد » .

١ - أصل كلمة « بگ »

ان « بگ » جاءت من الكلمة الهندية الايرانية « بگ » ، التي يرجع تاريخها الى الالف الثالث قبل الميلاد ، فانها كانت شائعة بين الاقوام الهندية - الايرانية في العصر الذي كانوا يسكنون فيه معاً في موطنهم الثاني ، وذلك بعد أن تركوا وطن الهنود - الاوربيين المظنون ، وقبل أن يفرقوا فيحلوا في الهند وايران .

وهذه الكلمة :

في القيدا ^(٢) بگ

(١) يراجع كتاب كمرون *History of Early Iran* الصفحة ١٥٣ - ٤ .
(٢) الفيداآت أربعة كتب هندية مقدسة لا تزال أحكامها مرعية وأولها كتاب « ريك فيدا » ، وتعرف لغته اليوم باللغة الفيدية .

وفى كتابات الملوك الاخمينيين (١) «بَگْ»

وفى الأفيستا (٢)

وهى على اختلاف اشكالها بمعنى (اله) .

ولفظها عند السلافيين ، وهم أوربيون ، «بوغو» (الواو الاولى مجهولة) بمعنى (اله) أيضا . وقد أصبحت عند جميع السلافيين الحاليين وهم مسيحيون «بوغ» (بالواو المجهولة) بمعنى (الله) .

وليس من الخطأ أن نقول ان هذه الكلمة الهندية - الاوربية ، كانت موجودة فى لغة الهنود - الاوربيين ، وهم فى موطنهم الاصلى .

ويرى المسو ميه (٣) أنه لا يوجد دليل مقنع على أن الكلمة السلافية القديمة « بوگو » التى مفادها (اله) ، كانت مستعارة دخيلة .

ويعتقد المستر جونسن انها كانت قدسا كلمة هندية - اوربية هى «بَگْگو» (بالواو المجهولة) بمعنى (اله) ، وهى فى الفارسية القديمة «بَگْ» ، وفى الأفيستية الينية «بَغْ» ، (وفى الفارسية الوسطى «بَغْ» ، وفى مخطوطات ترفان : بَگِستوم) ، وفى السنسكريتية «بَگْگْ» ، وفى السلافية «بوغو» (قايى ذلك بـ « زيوس يفيوس » الفريجية) (٤) .

ومعنى كلمة «بغ» (مقسم الحيرات ، الرزاق ، السيد ، السلطان ، المحسن) (٥) . وتوجد كلمة أفيسيتية هي «هَوُ - بَغْ» ، تفيد معنى (المتمتع بالنصيب الحسن ، والمنعم به) (٦) .

(١) وتسمى لغة هذه الكتابات بـ «الفارسية القديمة» .

(٢) وهو الكتاب الايرانى المقدس القديم ، ولغته المسماة الآن بالافيسيتية قربية جدا من اللغتين الفارسية القديمة والقيدية .

(٣) يراجع كتاب ميهيه *Les Dialectes Indo-Européens* طبعة باريس علم ١٩٢٢ ، ص ١٢٧ .

(٤) يراجع كتاب جونسن

Historical Grammar of Ancient Persian Language

طبعة نيويورك عام ١٩١٧ ، ص ٤٧

De Harlez, *Manuel de Langue de l' Avesta*

(٥) يراجع

طبعة باريس عام ١٨٨٢ ، ص ٣٨٧ .

J. Duchesne-Guillemin, *Les Composés de l' Avesta*

(٦) يراجع

طبعة باريس عام ١٩٣٦ ، المادة ٢٢٨ ، ص ١٨٩ .

ويعد المسيو ميه حادثة نفسية لغوية عجيبة أن يكون لكل من الكلمة الهندية - الإيرانية « بـهـك » وللكلمة السلافية « بوگو » معنيان هما (حصنة أو ثروة ، واله) .

أ . « بك » البرانية في التاريخ

أرى من المفيد أن أعرض التطورات التي حدثت في استعمال كلمة « بك » الإيرانية في التاريخ مبتدئاً بالقرن الثامن عشر قبل الميلاد وهو الزمن الذي كان فيه الكشيتون في العراق ، ومنتها يومنا هذا ، أي في مدة تناهر ٣٧٠٠ سنة ، لئرى كيف سقطت من أوج عظمتها وهي اسم للإلهة الأزلية ، وأصبح يلقب بها بشر فان كاتنه ما كانت مرتبته ، أعني من الأكابر والأصاغر .

أولاً - في أقدم الأزمنة .

وأقدم اسم معروف دخلت في تركيبه كلمة « بك » هو بغداد^(١) .

فقد ورد ذكر لاسم مدينة باسم بغداد من زمن الملك حمورابي^(٢) وذلك في وثيقة قانونية وجدت في « سِپَّار » المعروفة خرائبها بأبي حبة^(٣) .

وقد ذكر اسم موضع « بيللازي » على شاطئ « نهر الملك » في إقليم « بغدادى » في حجر من حجارة الحدود من زمن الملك الكشي « نازى - مارُ تاش » (١٣٤١ - ١٣١٦) وورد في حجر حدود آخر يعرف باسم « ميشو » (بالواو المجهولة) اقتناه طبيب

(١) أود أن أذكر هنا أن السيد طه باقر قد بحث لي عن مظان اسم بغداد في المراجع المسمارية القديمة وعن قراءة ذلك الاسم وكتب الى بما يأتي : « كتب أول مقطع من اسم المدينة ، أى (بـك ، بـغ) بعلامة مسمارية قيمتها الصوتية المألوفة (خو) ، ولذلك قرأ بعض الباحثين اسم المدينة بصيغة « خودادو » . ولكن مع وجود هذا الاحتمال فان اعتبارات أخرى تشير الى أن القراءة الصحيحة ينبغي أن تكون « بـك ، بـغ » وليس « خو » . فمن هذه الاعتبارات لا يوجد في العلامات المسمارية علامة خاصة لآداء المقطع « بـغ ، بك » بل انه يعبر عنه بنفس العلامة التي تقرأ كذلك « خو » . والى هذا فان الصيغة « بغدادو ، بغداتو » اسم مألوف في الكتابات المسمارية أطلق على اسماء مواضع واسماء اشخاص . ويفهم من كلمة السيد طه باقر أن القراءة المعول عليها الآن هي « بغدادو » لا « خودادو » .

(٢) ان ورود اسم بغداد في وثيقة من زمن حمورابي لا يعنى أن هذا الاسم غير ايرانى المنشأ فان الكشيتيين كانوا قد قدموا العراق واستخدموا فيه فلاحين وعمالا وجنودا قبل سيطرتهم على هذه البلاد .

(٣) يراجع Schorr, Altbabylonische Rechtsurkunden، العدد ١٩٧، السطر ١

أوربي في ١٧٨٠ ، وقد وجد قرب ايوان كسرى ، ويرجع تاريخه الى القرن الثاني عشر (ق. م) ، اسم أرض واقعة قرب مدينة « بغداد » ، (١) .

وجاء في حجر حدود يرجع تاريخه الى زمن الملك الكشني « مردوخ أبلادنت الثاني » ١٢٠٨-١١٩٥ (ق. م) ذكر نهر اسمه « أراآ » في أرض بغداد (٢) وذكر أيضا اسم موضع يدعى « شُبَّتْ - شَرَي » في إقليم « بغداد » (٣) .

وورد في أخبار حروب الملك الآشوري « أدد - نراري الثاني » ٩١١ - ٨٩١ (ق. م) أنه حارب الملك البابلي « تَبْتُم - أُكِين » وكانت « بغدادو » من جملة المواضع التي نهبها (٤) .

ويبدو من الاشارات السابقة الذكر أن « بغدادو » كانت مدينة مهمة أو مركزا اداريا مهما ، الا أنها لم تبقى على تلك الحال ، فقد بدأت تفقد من أهميتها منذ زمن الملك الآشوري « ادد - نراري الثاني » وعدد « تكلات - بليزر » ٧٤٥ - ٧٢٧ (ق. م) القبائل الارمية التي قهرها في عام ٧٢٨ (ق. م) فذكر بينها قبيلة منسوبة الى موقع جغرافي يدعى « بغدادى » (٥) .

وذكرت « بغداد » في ثبت باسم مواضع وجد في نينوى ، ويرقى تاريخه الى القرن السابع (٦) (ق. م) .

وذكر الملك الآشوري سرجون الثاني زعيما منبأ اسمه « بَگَدَت » قبض عليه فسلخ جلده في ٧١٦ ق. م (٧) .

وقد دخلت كلمة « بَگ » في تركيب أسماء أعلام ايرانية مثل : « بَيت بَگى » (٨) اسم لمدينة استولى عليها سرجون عام (٧١٤ ق. م) ، وذكرها في حملته على المدن الواقعة في شمال غربى ايران .

(١) يراجع رولنسن *Cuneiform Inscriptions* ، المجلد الاول ، اللوح ٧٠ .

(٢) يراجع *Delegation en Perse* ، الجزء الثالث ، الصفحة ٣٢ - ٣٩ .

(٣) المرجع ذاته ، الصفحة ٢٨ و ٣٠ .

(٤) يراجع *Keilschriftlubbothk* ، الجزء الاول الصفحة ٣٠٠ .

(٥) يراجع كتاب رست ، *Du Keilschrift Texte Tiglatte Pilesser* ، الجزء

الثالث ، الصفحة ٥٤ .

(٦) يراجع رولنسن *Cuneiform Inscriptions* ، الجزء الاول ، الصفحة ٧٠ .

(٧) يراجع لكينبل *Ancient Records* ، الجزء الثاني ، العددان ١٠ و ٥٦ .

(٨) المرجع السابق ، الجزء الثاني ، العددان ٥٧ و ١٢٥ .

وكذلك « بَگْ » بَرْتُ « آلهة مدينة « مساسير » ذكرت بين الأسلاب التي آلت الى الملك سرجون (١).

وورد في أخبار الحملة الثامنة للملك سرجون (٧١٤ ق. م.) اسم زعيم يدعى « بَگْ » يَرَرَنْ « كان بين الزعماء الذين وقعوا في قبضة العاهل الآشوري (٢).

ثانيا - الدور الاخميني

نرى في الكتابات المنقوشة في الحجر العائدة الى الملوك الاخمينيين (٥٥٠ - ٣٣٠ ق. م.) الكلمة « بَگْ » مستعملة بمعنى (الآلهة) ومحافظة على مجدها التقليدي ، فلم يتناول بعد عليها الملوك الايريانيون ليشاركوا الآلهة في استعمالها لقباً لأنفسهم . فان الملوك الاخمينيين لم يطلقوا تلك اللفظة على انفسهم اى انهم لم يدعوا أنهم منحدرون في نسبهم من الآلهة كما فعل الفرثيون والساسانيون من بعدهم ، الا أننا نرى هذه الكلمة قد استعملت حينذاك في تركيب الاسماء على عادة الايرانيين القدماء ، كما تقدم ذكره . فنجد في الكتابات الاخمينية اسم شخص « بَگْ - بُخْش » ، واسم شخص آخر « بَگَا بَگَنْ » ، واسم شهر « باگْ يادش » ، وهو الشهر الاول لسنهم التي كانت تبدأ باعتدال الخريف . وقد يكون معناه (عبادة الآلهة) . واطن ان الكلمة « بايز » المستعملة الآن في الفارسية والكردية بمعنى (الخريف) ذات صلة بـ « باگْ يادش » (يراجع الملحق - ٧) .

وتجد أيضا بين تلك الاسماء المركبة اسم « بَگَدَت » نفسه ، فقد ورد في الكتابات الارمية على ورق البردي المكشوف عنه بالقرب من أسوان في مصر اسم شخص يدعى « بَگَدَت بن بَ بَ كُدَر » ؛ ويحتمل انه كان بابليا في الجيش الفارسي المقيم في مصر في عام ٤٧١ ق. م. ، على عهد الملك الاخميني احشويرش الاول (٣).

ثالثا - الدور الفرثي

وكانت كلمة « بَگْ » في الدور الفرثي وهو الدور المعروف بالارشكي (« اشكانيان » الفردوسي) (٢٥٦ ق. م. - ٢٢٦ ب. م.) تفيد أيضا معنى (الآلهة) .

(١) المرجع السابق ، الجزء الثاني ، الاعداد ٥٩ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢١٣ .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الثاني ، العدد ١٤٧ .

(٣) يراجع A Cowley, Aramaic Papyri of the Fifth Century

فقد ادعى جماعة من الملوك الفرثيين أنهم من سلالة الآلهة أى أبناء « بگ » • ولا ندرى
أجميع أولئك الملوك ادعوا تلك الدعوى أم جماعة منهم فقط • وتدل الكتابات الاغريقية
المقوشة على نقود أولئك الملوك على أنهم كانوا كذلك ، اذ وردت العبارة « ثو پاتورس »
لقبا لهم ، ومعناها (الذى أبوه اله) (يراجع الملحق - ٨) •

وكان للملك أردوان الثانى أخ اسمه « بگ - أسا »^(١) ومعناه (شبيه الآلهة) ،
ويقابله فى الاغريقية « ايسو - ثوس » •

اما العبارة الاغريقية « ثو پاتورس » المكتوبة على نقود جماعة من الملوك الفرثيين ،
ومعناها (الذى أبوه اله) ، فهى مركبة من كلمتين ، ان ترجمناها الى اللهجة الايرانية
الفرثية حصلنا على الاسم المركب المزجى « بَغْ پُور » • ويتضح من هذا أن أولئك الملوك
الفرثيين كانوا يلقبون بـ « بَغْ پُور » (بَغْ پُور) ، الا أنهم - ويا للأسف - لم يتركوا أية كتابة
كانت بلغتهم ، كما فعل الملوك الاخمينيون • وكل ما خلفوه من كتابات لا يزيد على ما ورد
فى اللغة الاغريقية فى سكوكانهم وأوسمتهم • ولا على ما جاء فى الفهلوية من أواخر
عصرهم •

هذا ما نعرفه عنهم الآن ، وقد يعثر فى المستقبل على شئ من آثارهم يتضمن
كتابة بلغتهم الايرانية الارشكية •

ويلوح لى أن فكرة الانتساب الى الآلهة قد تكون انتقلت من مصر الى ايران ، نقلها
الاسكندر العظيم الذى اقتدى بالفراغة فى ذلك عند فتحه لمصر ، اذ ادعى أنه ابن الاله
« زوس - آمون » • ولعل الملوك الفرثيين الذين حكموا ايران بعد الاسكندر وكذلك
جماعة من الملوك الفارسيين المعروفين بـ « قَر تَرَك »^(٢) الذين كانوا خاضعين لهم ، قد
ادعوا ما ادعاه الاسكندر تقليدا له ، مع أن الملوك الاخمينيين ، الذين حكموا قبل
الاسكندر وكانوا أعظم سطوة من الفرثيين وأوسع ملكاً منهم ، لم تخطر ببالهم تلك
الدعوى •

ومن نقود الملوك الـ « قَر تَرَك » التى ضربت فى ولاية « فارس - ستان » أى بلاد فارس
الواقعة شرقى الساحل الشمالى الشرقى لخليج فارس ، مجموعة من المسكوكات يعود
زمنها الى نحو ٢٠٠ ق م • ، نقش فيها بالحروف الفهلوية اسم أمير فارسى هو « بگدَت » ،

(١) يراجع N. C. Debevoise, A Political History of Parthia ، ص ٤٠

(٢) ومعنى فرترك Frataraka (الرئيس ، الامير) ويقابلها فى الانكليزية
كلمة برنس prince

نقشت فيها كذلك صورته ، ومع اسمه هذه العبارة الآرامية : « زِي أَلَهِيَا » ومعناها (الذى من الآلهة) ، او (الذى من أصل الهى) ^(١) .

وتذكر تواريخ العرب والفرس لقباً لا بآطرة الصين هو « فففور » أو « بغبور » . ورد هذا اللقب بشكل « بغبور » الذى هو شبيه باللهجة الآرشكية والآيرانية الغربية ، وذلك فى « الرسائل الصفدية القديسة » التى يعود زمنها الى (٣١٢ - ٣١٣ م) ، كما نبتت زمنها المستر هينك W. B. Henning ^(٢) .

والشكل « بغب - بور » مخفف من « بَغْ بَشَر » على حسب تلك اللهجات ، ومعناه « ابن اله » . ويقول مؤلف « برهان قاطع » فى « فففور » : « انها اسم الملك كان فى طاعته الملوك الحاكمون فى البلاد الواسعة الواقعة بين الحلة والصين ، وقد دام حكمه (٦٢) سنة ، وهو من السلالة الآرشكية » . وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه من انه من الممكن ان تكون فئة من الملوك الآرشكيين - ان لم يكونوا جميعهم - قد لقبوا بـ « بغبور » « ابن اله » . وجاء فى « برهان قاطع » أيضاً شكل آخر للكلمة « فففور » وهو ففخور « انتى تعتقد أن كلمة « ففخار » قد اشتقت منها ، كما أننا نرى ان كلمة « فرفورى » العامية ويقصد بها الخزف الصينى ما هى الا تحريف « فففورى » .

رابعا - الدور الساسانى .

أما الساسانيون (٢٢٦ - ٦٥٢ م) فقد شاركوا الآلهة فى اسم الآلهة الأعظم « هرمزد » ونموا أنفسهم بـ « بگ » أى اله ، وادعوا أنهم منحدرون من « يزدان » أى الآلهة الزردشتية ؛ ونسب مثلاً لذلك ما جاء فى كتابة لأردشير الاول (٢٢٦ - ٢٤١ م) فى الرقم المعروفة « بنقش رستم » ^(٣) .

« هذه صورة عابد مزد ، الآلهة أرتخشتر ملك ملوك ايران ، سليل يزدان ابن الآلهة يَابَگْ شاه » ^(٤) .

(١) George Francis Hill, Catalogue of Greek Coins of Arabia. Mesopotamia, Persia

المقدمة ، ص ١٦٤ واللوح ٢٨ .

(٢) Bullitin of the Schools of Oriental and African Studies المجلد الثانى عشر ، الجزء الثالث والرابع ، ص ٦٠١ وما يليها .

(٣) يقع « نقش رستم » فى شمال شیراز على أربعين ميلاً منها .

(٤) أصل كلمة الآلهة « بگ » فى الرقيم . ويلاحظ هنا ان هذا اللقب اذا وصف =

• صورة له (أهرمزد الاله) ^(١) ، •

ومثال آخر ينعت الملك شاپور الثاني نفسه في كتاب له بعث به الى الانبراطور بالصفات الفخمة الآتية :

« ملك الملوك ، رفيق الكواكب ، أخو الشمس والقمر » •

ويمجد العاهل كسرى ^(٢) « خسرو » الاول نفسه بأنه :

« اله خير ، واهب السلام للمملكة ، المحترم ، خسرو » ملك الملوك المحفوظ ، التقى ، المحسن ، الذى منحه الآلهة سعادة وافرة وسلطة واسعة ، عظيم العظام ، المتصور بصورة الآلهة •

• رجل خالد بين الآلهة ، واله جليل بين البشر ، ذو صيت رفيع ، وهو الذى ينهض مع الشمس ويعطى الليل عينه ، ^(٣) •

وفى الجزازات الماتوية المكتوبة باللهجة الارشكانية المتور عليها بين مجموعة المخطوطات الدينية ، التى وجدت فى العقد الاول من هذا القرن فى « تورفان » الواقعة فى تركستان الصينية ، تلك الجزازات التى يرجع زمنها الى القرن الثامن للميلاد ، توجد الاشكال الآتية لكلمة « بك » على تحريف فيها ^(٤) :

أو هرمزد بك (بالواو المجهولة) (أو هرمزد الاله)

يشوع بيك (بالواو المجهولة بعد الشين والياء المجهولة بعد الباء) (عيسى الاله)

= به الاله « أهرمزد » فانه يلى الاسم ، واذا وصف به الملك فانه يسبق الاسم ، وفى هذا الاصطلاح اشارة لطيفة الى ما يجرى الآن فى اللغة الفارسية من استعمال لقب « ميرزا » ، فان تقديمه على الاسم يشعر بجلالته ولا يعدو أن يكون معناه (الكاتب) ولكن تأخيره عن الاسم يشعر بجلالته وكون المنعوت به من اولاد الملوك أى « أمير زاده » •

(١) ذكرت هذه الكتابات فى كتاب بيكلى Paikuli للعلامة الاثارى هير تسفيلد ، ص ٨٤ • وبهذه المناسبة نود ان نذكر ان بيكلى فى ناحية قره داغ فى لواء السلطانية وفى بيكلى عمارة عليها رقم من آثار الملك نرسى من الملوك الساسانيين ويسمىها الاكراد « بتخانه » أى (بيت الصنم) •

(٢) ان خسرو الاول هو المعروف عند العرب بكسرى أنو شروان • « انو شروان » وهو « نوشيروان » فى الفارسية الجديدة ، أصله من « أنوش - رافان Anausha-ravan » فى الفارسية الوسطى ومعناه (ذو روح لا تموت) •

(٣) يراجع Arthur Christensen, *L'Iran sous Les Sassanides*

الطبعة الثانية ، ص ٣٦٠ •

(٤) يراجع A. V. Williams Johnson, *Researches in Manichaeism*

نيروگئيدبى° (الباء والواو الأوليان مجهولتان) : (الاله القادر)

في زَرَقَان^(١) (بالباء المجهولة) (الاله الزمان)

ميشى - بنى^(٢) (الباء الثانية والثالثة مجهولتان) (الاله الشمس ، الاله مشر)

ويذكر هرتسفيلد أن « بك » قد تحرفت الى « با » أيضا ، مثل ما حذف في الكلمة المركبة « باقرآك » الواردة في كتابات پيسكلى^(٣) .

وورد في كتابات پيسكلى ذكر أمير لبلاد « زُور دَچين » اسمه « بگدات » وذلك في أو اخر القرن الثالث الميلادى . ويقول هرتسفيلد في ذلك الاسم ان معناه « عطية اله » ، وان في اسم مدينة « بغداد » استعمالا لتلك الكلمة كاسم مكان عوضا عن اسم انسان^(٤) .

ويقول أيضا انه يقابل ذلك الاسم بالفهلوية اسم « بات » أمير بلاد « زُور دَچان » ما دامت زوردچان تسمية فارسية لـ « زُور دَچان » الفارسية^(٥) .

ويظهر من كلام هرتسفيلد أن « باتى » قد تكون مخففة من كلمة « بگدات » . ونحن في هذه المناسبة نذكر أن ابن علاء الدين كيقباد الثانى السلطان السلجوقى الذى كان حكمه من ٦٩٧ الى ٧٠٠ هـ كان اسمه « صارو - باتى » أى (باتى الأصفر) .

وقد جاء في كتاب « شاعنامه » أن الملك أردشير بن بابك احتفل بتتويجه (٢٢٢٦ م) في بغداد ؛ فان صح هذا فقد كان لبغداد شأن عظيم في أواخر زمن الفريثين .

وعثرنا على خبر أسقف من الأساقفة الذين خرجوا على الجاثليق « داد يشوع » (٤٢٠ - ٤٥٦) فيما بين سنة (٤٢٠) وسنة (٤٢٤) اسمه « يزيد بو يزيد » وقد جاء في ذلك الخبر أن هذا الأسقف كان من مدينة « در بغداد » . ومع أننا لم نصادف اسم « بغداد » مصحوبا بكلمة « در » بصورة هذا المركب المزجى ، نرى أن التفسير الوحيد الذى يمكننا أن نذكره في شأنه هو أن كلمة « در » كان يسمى

(١) ويقول كريستنسن ان « بى » (بالباء المجهولة) = « بك » الفارسية . وذلك في كلامه على كلمة « بى دوخت » (بالباء والواو المجهولتين) ومعناها (بنت الاله) L'Iran sous les Sassanides الطبعة الثانية ، ص ١٥٧

(٢) المرجع السابق ص ١٨٦ .

(٣) يراجع كتاب Paikuli لهرتسفيلد ، ص ١٥٣ .

(٤) يراجع المصدر السابق في الصفحة نفسها .

(٥) يراجع المصدر السابق ص ١٥١ .

بها البلاط الملكى ، فلهذا جاز أن يؤدى مركب « در بغداد » معنى (بغداد البلاط) ، وبذلك نستدل على أنه كان فى بغداد قصر ملكى أضيف الى بغداد ف قيل « در بغداد » كما تقدم .

خامسا - الدور الاسلامى .

كان من الطبيعى أن يختفى بعد الفتح الاسلامى فى ايران المسلمة ، اللقب « بگ » ، لأنه كان لقباً الهياً للملوك الساسانيين ولقب الآلهة فى الدين المانوى . ولا يرى الآن « بگ » فى المعجمات الفارسية الجديدة بمعنى (الاله) . الا أنه ذكر فيها « فَنَغ » أو « فَنَغ » و « بَنَغ » بمعنى (صنم) (راجع الملحق - ١١ ، ١٢ ، ١٣) . وقد كان بعض الباحثين المسلمين القدماء على علم من المعنى الاصل لذلك اللقب ، اذ قال الخوارزمى (الصفحة ١١٦) : « ولذا يسمون الملك (بنغ) وهكذا الامام والسيد » . وقال أيضا « فان (بنغ) عند الفرس هو الاله والسيد والملك ^(١) » .

وقد أدخل الأتراك هذا اللقب ثانية فى ايران بمعنى (الأمير) لا بمعنى (الاله) . ونعتقد أن الأتراك الذين كانوا وثنيين وانتشرت بينهم الزردشتية وكذلك المانوية والنسطورية ^(٢) ، والبوذية ، كما يفهم من الوثائق التى وجدت فى تركستان الصينية ، كانوا قد اقتبسوا هذا اللقب من الايرانيين ولقبوا به ملوكهم .

(١) يراجع Paikuli ص ١٣٦ .

(٢) لا يزال الأتراك يستعملون « جلب » ، أو « جالاب » (بالجيم والباء الفارسية) ومعناها عندهم (الله) ، وهى محرقة عن كلمة « صليب » . ثم اتخذوا من تلك الكلمة اللقب « جلبى » بمعنى (المثقف ، السيد ، المؤدب ، المهذب ، الرشيق) فانتشر عنهم فى بلدان الشرق الاوسط .

ويذكر العلامة بلوشه Blochet فى كتابه :

Christianisme et Mazdeisme chez les Turks Orientaux

ص ١٦ ، كلمتين أخريين احدهما « ارکن ergen » ومعناها (رجل عزب) وقد اخذها الأتراك عن كلمة « أركغون erkeghon » التى تعنى (كاهن مسيحيا) . والكلمة الأخرى صى « أوغر oghur » التى تعنى (اليمن) واصلها الكلمة اللاتينية « أوكر ougur » . وقد نقلها التسلطنة المبشرون الى تركستان قبل ظهور السلجقة .

أ • استعمال كلمة « بگ » عند الأتراك ومشتقاتها •

بايان •

نحن لا نعلم بالتحقيق متى اتخذ الأتراك كلمة « بگ » لقبا للملوكهم وأمرائهم ، وقد كان عندهم ألقاب ملكية مثل « خاقان » و « خان » وغيرهما (راجع الملحق - ١٤) ، مما يطول تعدادده • إلا أن ما لا شك فيه هو أن لقب « بگ » كان معروفا عند الأتراك في انبراطوريتهم الواسعة الممتدة من الصين الى البحر الاسود منذ القرن السادس للميلاد في أقل تقدير ؟ وكن ملك « الأوار » ، وهم أقوام من الترك ، الذين نزحوا الى ضفاف الدانوب ، يدعى باسم « بايان خان » في أواسط القرن السادس للميلاد • ونرى في كلمة « بايان » الملقب « بگ » ؛ والكاسعة من « الألف والنون » التي أضيفت الى « باي » هي أداة الجمع الفارسية ، استعملت هنا للتعظيم ، كما هو مألوف في الأيرانية ، على ما تراها في « هرمزان » ، « مهران » وغيرهما من الاعلام وهما في الأصل اسمان علمان « هرمز » و « مهر » أضيف إليهما « ان » أداة الجمع للتعظيم • ويقابل « بايان » باللغة التركية الغربية « بگلر » أو « بگك حضر تلى » •

باينجور •

ويذكر ابن البلخي^(١) في كتابه « ملكا اسمه » خرمان بن ارسلان بن باينجور في سلسلة الملوك الساسانيين (راجع الملحق - ١٥) ، وهو على ما ذهب اليه المؤلف كسرى الخامس والعشرون ، ويظهر لنا أن حكمه يقع في ٦٢٩/٧ من التاريخ • واني أرى أن اسم « باينجور » العائد الى القرن السادس الميلادي يجوز أن يكون الأتراك استعملوه قبل ذلك ، وهو اسم مركب من الكلمتين « بايان » و « جور » • وبايان كما ذكرنا جمع لكلمة « باي » المتحولة من « باگ » و « بگ » ، و « جور » ومعناها (مثل ، نوع)^(٢) فيكون معنى « باينجور » (مثل الأنفة) •

ويظهر أن الأتراك لم يقتصرُوا على استعمال « جور » مع البگ وحدها ، وانما

(١) يراجع « فارسنامه » لابن البلخي ص ٢٤

(٢) وأظن أن « جور » إيرانية ويقابلها في التركية « كوره » (بالكاف الفارسية) وفي لغة جغتاي للشيخ سليمان أفندي البخاري : جوره = (رفيق ، زميل ، زوج) • وفي « برهان قاطع » : جوره = يطلق على شيئين متماثلين ومتساويين في اللون والوزن والمقدار •

استعملوها مع غيرها فمن ذلك « ماهجور » وهو اسم من أسماء رجال القرن الثاني الهجري ، وكان ببلغ ومعناه (مثل القمر) ، ومنه « سيمجور الدواتي » ، وقد كان في عهد السامانيين بخارى ومعنى « سيمجور » (مثل الفضة) .

بايانجور - خاقان

ونذكر أيضا ملكا تركيا آخر اسمه « بايان - جور » وهو مركب من « بايان » و « جور » وقد ذكر العلامة مينورسكي من حال هذا الملك ما يأتي :
 « استطاع الأوغوريون أن يسيطروا سلطتهم على شؤون سلالة « تانك » فاستولوا على بلاد « اورخون » في عام ٧٤٤ م ، وقد قام بايانجور - خاقان في سنة ٧٥٧ م بأعظم خدمة للإمبراطور في مناهدة التأثير « أن - لو - شان » ^(١) .

بگجور

استعمل الأتراك الاسم المركب المرجي « بايانجور » المذكور في شكل « بگجور » ومعناه « مثل البگ » وكان بگجور زعيما تركيا مسلما حكم في حلب عام ٩٧٠/٣٦٠ .
 وإن هذا النوع من الأسماء المركبة كـ « بايان جور » و « بگجور » كان شائعا عند الأتراك ، وهذه الأسماء كانوا قد اقتبسوها - على الظاهر - من الفريثيين ؛ وذكرنا آنفا أنه كان للملك أردوان الثاني (١٢٥ ق. م) أخ اسمه « بگ آسا » والكلمة « آسا » أو « آسا » لها معنى (جور) ، فـ « بايانجور » و « بگجور » = « بايان آسا » و « بگ آسا » ومعناها (مثل البگ) (مثل الآلهة) .

وفي جدول أسماء القبائل الغزية المثبت في « ديوان لغات الترك » (١٠٧٣/٤٦٦) أربعة أسماء فيها كلمة « بگ » وهى « بيات » بگ - تلى ، بگدز ، بايتدر ، ويذكر هذه الأسماء أيضا مؤلف « تورك شجره سى » ^(١) بين أحفاد « أو غزخان » الأسطوري .

(١) يراجع V. Minorosky "Tamim Ibn Bahr's Journey"

Bulletin of The School of Oriental and African Studies

المجلد الثاني عشر ، الجزء الثاني ، ص ٢٩٩ .

(٢) يراجع « تورك شجره سى » (ص ٣١) لمؤلفه فى اللغة الجغتائية أبى الغازى بهادر خان عام ١٠٧٤/١٦٦٣ . وقد ترجمه الدكتور رضا نور فى عام ١٩١٧ الى اللغة التركية الغربية .

بيات

يفسر كتاب « ترك شجر دسى » كلمة « بيات » ويكتبها بصورة « بايات » بمعنى (صاحب الدولة) . وأنا أقول انها جمع « بى » أو « بى » ؛ يؤيد ذلك الكاشغرى فيه مكان آخر من كتابه بقوله فى كلمة « بيات » :

« بيات = اسم الله تعالى ، بلفظة أرغو . »

فيظهر أن « بيات » جمع « بى » وشكل آخر لـ « بايان » التى هى جمع « باى » . و « بيات » جمع تعظيم لـ « بى » كان الترك يستعملونه لذى الجلال ، كما يستعمل الأيرانيون الآن جمع تعظيم لكلمة « يزد » وهو « يزدان » اسم الله تعالى . ونحن لا نعلم فى أية لهجة من اللهجات التركية كانت « - ت » أداة الجمع ، إلا أنا وجدنا فى « ترك لغتى » حسين كاظم قدرى ما يأتى : « (ت) التى تدل على الجمع فى اللغة المغولية تأتى فى نهاية الكلمة ^(١) » ونضيف الى ذلك أنه ورد فى « ديوان لغة الترك » للكاشغرى جمع « تكين » فى التركية بشكل « تكيت » .

بك تلى

ويفسر كتاب ترك شجر دسى هذه الكلمة كتابا لها بصورة « بگ دىلى » بمعنى (جليل الكلام) . وأنا أقول ان « بگ تلى » معناها « فرع البگ » .

بگدوز

ويفسر الكتاب المذكور كلمة « بگدز » ويكتبها فى شكل « بگدوز » بمعنى (الخادم) وأنا أقول ان « بگدوز » معناها « كف البگ » .

بايندر

يفسر كتاب « ترك شجرة سى » كلمة « بايندر » بـ (المنعم) ويكتبها فى شكل « بايندر » . وأنا أقول ان تلفظ الكلمة الصحيح هو « باياندور » وأصلها « بايان-تور » .

(١) يراجع كتاب « ترك لغتى » حسين كاظم قدرى ، طبعة استنبول ، ج : ١ ، ص ٢٦ من المقدمة .

فان كلمة « بايان » جمع تعظيبي لكلمة « بگ » كما ذكرنا ، فأما كلمة « دور » فلها متطورة كلمة « تُور » التي أخذها الأتراك من العبرانية « تُور »^(١) ، واستعملوها بشكل « تُور » أو « تورا » بمعنى (القانون ، النظام ، العادة ، الرسم ، الحصن ، ونظام الحصن) كما استعملوها لقباً للملك والأمير والوزير ، ولربّ البيت أيضاً . وكان الأتراك الى بداية القرن العشرين يستعملون « تُور » لقباً لأولاد أمير بخارى^(٢) ، فعلى هذا يكون « بايان - تور < بايندر = التور البگ = الملك البگ أو الأمير البگ أو الوزير البگ » (راجع الملحق - ١٦) . واللقب « نظام » الذي استعمل في العصر الاسلامي في ايران وهندستان للأمرء والوزراء كلقب « نظام الملك » و « نظام حيدر آباد » ما هو الا ترجمة لقب « تور » التركي ، فلو كانت « حيدر آباد » في تركستان يسمّى أميرها « تور حيدرآباد » عوضاً عن « نظام حيدرآباد » . وكلمة « تور » دخلت في « اللغة الهندستانية » أي « الأردو » لقباً للرجل النبيل والوزير^(٣) .

رسمية الأمير أو الوزير بـ « تور » (النظام) كانت تدل على صاحبها غير المحدودة ، واستبداده في أحكامه وأعماله . وهو الذي كان يمثل النظام بل كان النظام نفسه ، وكان كل حكم يصدر منه يعدّ نظاماً وقانوناً يجب طاعته واتباعه . وهكذا كان « تور » لقباً لرئيس ادارة مطلقة ، وحتى الدور العثماني كان يمنح فيه الوزير أو الأمير المخوّل صلاحية مطلقة ، لقب « الدستور المكرم » ، نظام العالم » فذلك الأمير كان هو الدستور وهو النظام .

بهادر .

يقول أحمد وفيق باشا في « لهجة عثماني » ١٨٨٨/١٣٠٦ ان التلفظ الصحيح لـ « بهادر » هو « بخادور » وقد حولت الى شكل « باطور » ومعناها (بطل ، شجاع) . ويقول شمس الدين سامي في « قاموس تركي » ١٨٩٩/١٣١٧ ان « بهادر » فارسية الأصل تستعمل في التركية في شكل « بخادور » و « باتور » ومعناها (بطل ، شجاع) . وأقول ان « بهادر » مخففة من الكلمة المركبة « بغا - تور » (راجع الملحق - ١٧) وهذا شكل أقدم من « بايان - تور » المار ذكرها ، وكان معناها أيضاً (التور البگ) .

(١) و « تور » كلمة عبرانية معناها (قانون ونظام والتوراة)

(٢) يراجع Gabriel Bonvalot, *through the Heart of Asia* (1889)

المجلد الاول ، ص ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ .

(٣) يراجع J. Shakespear, *Dictionary Hindustani and English* 1834

أما « بهادور » التي تلفظ الآن في الفارسية والتركية الغربية « بهادر » . وكانت قديما تلفظ « باطور » أو « باتور » ، فإن معناها (البطل) ، وترى هذه الكلمة في لهجة « چوواش » ^(١) التركية في شكل « باتير » ولها المعنى عينه .

أما أن كلمة « بغاتور » (بهادر) أصبحت مع الزمن عند الأتراك تستعمل صفة معناها (البطل ، الشجاع) ؛ فهو أمر مألوف ، فقد ذكر أبو الغازی بهادور خان في كتابه « تورك شجرهسى » أن كلمة « ايدى قوت » كانت لقبا ملكيا في الأزمنة القديمة جدا ثم أصبحت صفة معناها (البطل) عند الأوزبك ^(٢) . أما المعنى الأصلي للكلمة « ايدى قوت » فأظنه (رب السعادة ، وحاميها) .

بِگَنَرُ :

في « ديوان لغة الترك » كلمة « بگنَر » مع تعريفها الآتي :

« من أسماء الرجال » أصله « بك - تر » ومعناه (اثبت مكانك جلدا) .

وأنا أعتقد أن « بگنَر » هذه هي « بگ - تور » ومعناها (التور البگ) (النظام

البگ) ، وتركيبها مماثل لتركيب « بگ - تور » المذكور آنفا . (راجع الملحق - ١٧) .

ومن المناسب هنا أن أبين رأيي في كلمة وردت في رسالة ابن فضلان الذي

أرسله الخليفة المقتدر بالله العباسي سنة ٣٠٩/٩٢١ الى ملك الصقالبة ؛ والكلمة هي

« بَلْطَوَار » التي جاءت في اسم « أَلْمَسَّس بن شلکی بَلْطَوَار » ابي ملك بلغار ^(٣) . وقد

حاول جماعة من المستشرقين الوصول الى التلفظ الحقيقي لهذه الكلمة ومعرفة أصلها ^(٤) ،

ولم يزلوا يحاولون ذلك ^(٥) . ولقد جاء الاسم في الكتب القديمة في أشكال مختلفة :

بطلطو ، بطلطون ، بلطوار . واني أظن أن أقرب هذه الأشكال الى الشكل الحقيقي هو

« بلطوار » كما ورد في معجم البلدان لياقوت . وأصل « بلطوار » يجب أن يكون

« بكتور » . ولعل النسخاء صحقوا هذا الاسم الى الصور الأخرى . و « بكتور »

(١) يراجع « تورك لغتى » لحسين كاظم قدری .

(٢) يراجع « تورك شجرهسى » ص ٤٤ .

(٣) معجم البلدان لياقوت « بلغار »

(٤) دائرة المعارف الاسلامية « بلغار »

(٥) يراجع Sharaf al-Zaman Tahir Marwazi, Commentary by V.

هو اللقب « بگ - تور » نفسه ، وقد ذكرناه آنفا نقلا من « ديوان لغات الترك » ، وهو شكل آخر لـ « بگ - تور » ومعناه التور - البگ ، النظام - البگ .

واللقب « بگتور » = « بگ - تور » هذا كان معروفاً في أواسط أوربة في القرن السادس عشر للميلاد ، وكانت أسرة هتغارية تعرف بـ « باتورى » Bathory ، حكمت بولونية في القرن السادس عشر . ومن الثابت أن هذا الاسم « باتورى » محرف من « بگتور » = « بگ - تور » الذى حرفه الأتراك الى « باتور » فلهذا يجب أن تصحح كلمة « بلطوار » اسم أبى ملك بلغار سنة ١٣٠٩/٩٢١ بـ « بگطور » .

أما الاسم « المس » فانه قد يكون من تصحيف النسخ لكلمة « البش » التى هى « ايل - باش » ومعناها (رئيس العشيرة) أو (رئيس المملكة) . وعرف بهذا الاسم بعد ذلك الزمن امرأة تركية حكمت بلاد فارس من عام ٦٦٢ الى عام ٦٨٢ هـ ، بعد وفاة سلجوق شاه الانابكي . وهى آخر من حكم من تلك السلالة . ومازالت تلك الكلمة باقية فى التركية الغربية الى اليوم بشكل « آل باشى » ولكن بمعنى (رئيس الجماعة) او (رئيس العصبة) .

وللأتراك فى التاريخ أعلام أخرى مركبة مع كلمة « آل = ايل » فمعناها هو ياء الاضافة ، ومنها ما هو بغيرها ، مثل :

آل أرسلان (ايل أرسلان)

آل خان (ايلخان)

آل قتلغ (ايلقتلغ)

آل بگى (ايلبگى)

تورخان

وعلى ذكرنا كلمة « تور » أرى أن أصل الكلمة الشائعة بشكل « ترخان » يجب أن يكون « تورخان » ومعناه (الامير الخان) ، ويقول الكاشغرى فى ترخان : « اسم جاهلى ، معناه الامير بلغة ارغو » وفيه تأكيد لما ذكرنا (راجع الملحق - ١٧) .

تورگوريس ، بُغدرانه

عرف أحد ملوك بلغار باسم « تورگوريس » وكانت وفاته سنة ٨٩٦ م ، واني

أرى أن « بؤك » التي في أول اسمه تعني (الاله) . وكان ملك البلغار الأخير الذي به انتهت الملكية في بلغارية وتوفي في الحرب العالمية الأخيرة يسمى « بؤريس » ، وهذا الاسم صورة مخففة من « بؤگوريس » . وكذلك القول في « بغداد » إحدى المقاطعات الرومانية التي استوطنتها قبيلة اسمها « قره بؤغان » باسم زعيمها ، هربت أمام تيمورلنك مع أكثر سكان دشت قجاق بعد معركة سمرقند العظيمة (٧٩٣/١٢٩٠) ، وانتشروا في شمال البحر الأسود وأطراف الدانوب ، وهناك توطنوا وتصوروا . وفي تسمية المقاطعة الرومانية باسم « بؤغان > بغداد » تكرار لما جرى في عهد الكاشيين أي تسمية مقاطعة باسم شخص يقال له « بغداد » .

باگ°

وكان يقال لملك الأتراك الخزر « باگ » كما ذكر أحمد بن فضلان في رسالته إلى الخليفة المقتدر العباسي عما شاهده في بلادهم ، ويقول الكاشغري في باگ أي الأمير : ان زوج المرأة في بيته يشبه بالأمير ويسمى « باگ » .

ب - عودة اللقب « بگ° » إلى إيران وتسربها منها في الغرب .

أما في إيران فأول ذكر للقب « بگ » في الدور الإسلامي نجده في الاسمين : « طغرل بگ » وقد توج عام ٤٢٩/١٠٣٦ وتوفي سنة ٤٥٥/١٠٦٣ ، وفي « جغري بگ » وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق . الا ان ملوك السلجوقيين الذين جاؤوا بعدهما تركوا هذا اللقب ؛ ويظهر أنهم استجوا لقب « السلطان » الذي سبقهم اليه يمين الدولة محمود بن سبكتكين وقلدوه في التلقب به ؛ ثم أصبحوا بعد ذلك يلقبون بـ « شاه » و « يادشاه » و « شاهنشاه » ، وهذا ما نراه في الدول السلجوقية الثلاث الايرانية والكرمانية والرومية .

ان الدولة السلجوقية الرومية كانت في آسية الصغرى وانقرضت سنة ٦٩٩/١٢٩٩ . وكان مؤسسو الدولة العثمانية التي خلفت تلك الدولة يلقبون أيضا بـ « بگ » ، منهم أرطغرل بگ ، وكانت وفاته سنة ٦٨٠/١٢٨١ . وأخوه « دندار بگ » ، وابنه « عثمان بگ » الذي نسبت الدولة العثمانية اليه وتوفي عام ٧٣٦/١٣٢٦ . وكانوا يلقبون أمراءهم أيضا باللقب نفسه مثل « آق تيمور بگ » و « ميخال بگ » ، غير أن من تبوؤوا العرش منهم بعد انتهاء الحكم السلجوقي كانوا يلقبون بـ « السلطان » ، يادشاه ،

خاقان ، خنكار (خداوندگار) . ثم استعمل العثمانيون لقب « بگ » طوال حكمهم في آسيا وأوربة وأفريقية ، لتلقب الأعيان من أصحاب المناصب والمراتب والشرف ، وهم :
١ - الأمير ، الأمير المتوج مثل : سيسام بگي ، بلغارستان بگي ، قره داغ بگي ، تونس بايى .

٢ - صاحب منصب رفيع مثل : سنجاق بگي ، أنادولي بگي .

٣ - رئيس عشيرة كبيرة .

٤ - قائم المقام ومير الآلاي في الجيش والدرك مثل : قائم مقام بگ ، مير آلاي بگ ، آلاي بگي .

٥ - أفراد جماعة من البيوتات القديمة وأولاد الأعيان .

وكانت كلمة « باي » تستعمل عند الأتراك منذ القديم أيضا بمعنى الغنى والعظيم والأمير ، ومنها اشتقوا مصدر « بيومك » . يقول الكاشغري : « يقال : أريودي ، أي غني الرجل وغيره » .

وكانت الأموال والأمتعة الأميرية عند العثمانيين تعرف بـ « بگلک » وفي اللغة التركية كلمة « بوغ » ومعناها (الرئيس) مثل « باش بوغ » أي الزعيم ، ورئيس الجيش . وكلمة « بوغ » هذه مستعارة من اللغات السلافية ، أي الصقلية ، وقد تولدت من كلمة « بوغو » التي معناها الآن لدى السلافيين « الله » .

وكان السلافيون قد نحتوا في القديم من « بوغو » كلمة « بويار » التي تعني (النبيل ، العين ، الزعيم) .

وتستعمل اليوم في مقاطعة كركوك كلمة « بوغ » بمعنى (الكبير ، والزعيم ، ذي انشان) .

وقد ألغى في تركية الحديثة ، شكل « بگ » للكلمة المذكورة ، واعتض عنه بكلمة « باي » بمعنى (السيد) ، وبـ « يايان » (السيّدة) ، وهما يستعملان لقين للخاصة والعامّة .

أما البلاد العربية التي انفصلت من الدولة العثمانية ، فإنها لا تزال تستعمل لقب « بگ » الى يومنا هذا ، كما أن لقب أمير تونس لم يزل معروفا بـ « باي » وهو خاص بالامارة .

٢ . أصل الكلمة « دا »

ان أصل الكلمة « داد » من المصدر « دا » . وهذا المصدر معروف في فصيحة اللغات الهندية - الأوربية ، وسنكتفي بذكر ما قاله فيه المستر ويليمس جاكسن في كتابه الموسوم بـ « قراءة الأفيستا » ، قال :

« المصدر الأصلي في الأفيستا هو « دا » (دَثْ) ومعناه (الاعطاء، الوضع، الخلق، الصنع) ؛ وفي السنسكريتية « دا » ، « دها » ؛ وفي الفارسية القديمة « دا » ؛ وفي الفهلوية « داتن » ؛ وفي الفارسية الحديثة « دادن » ، انتهى .

وقد صيغ من هذا المصدر اسم مفعول في الأشكال الآتية :

في الأفيستية « دات » وفي الفهلوية والفارسية الحديثة « داد » أو « دات » ، وفي الإغريقية « ديتوس » (بالواو المجهولة) ، وفي الأرمنية « دت » ومعناه (شيء مؤسس، قانون، مخلوق، مصنوع) . وبين الأسماء اسم مفعول في شكل آخر هو « دايي » معناه (المنحة، العطية، الخليفة) .

وصيغة اسم المفعول « دات » دخلت في اللغات الإيرانية في تركيب كثير من الأسماء ، وتذكر منها ما يأتي :

في الأفيستية : « دتو - دات » (بالواو المجهولة) = صنع الآلهة ، مخلوقها .

« أهورو - دات » = مخلوق الآلهة الأهورات .

« دثيقو - دات » (بالياء والواو المجهولتين) = مخلوق الديوات .

وفي الفهلوية : « مهر دات » اسم علم للأشخاص ، مخفف من « ميثرو - دات » (بالواو المجهولة) ومعناه مخلوق أو عطية « مهر » أي « ميثر » ، (اله الشمس) ، ويقابله في الإيرانية الحديثة « مهرداد » .

« خوت - داد » صفة تعني (مخلوقا أو متكونا بذاته ، أو أبديا) . وفي الأفيستية

« هو - دات » وفي الإيرانية الحديثة أصبحت هذه الكلمة « خدای » ومعناها (الله) .

« أوهر مزد - دات » ومعناه (مخلوق الاله هرمزد) .

وفي الإيرانية الحديثة « خداداد » ومعناه (مخلوق الله أو عطاء الله) .

« شيدا - دات » ومعناه مخلوق الشيطان ؛ وفي الأفيستية « دثيقو - دات » (بالياء

والواو المجهولتين) بالمعنى نفسه .

الخاتمة

وأخيرا نذكر معنى « بغداد » ، فإن الأدلة والبراهين التي تبسطها في ذكرها في هذا المقال تثبت أن «بغداد» كلمة إيرانية وأن معناها (عطية الاله) . وقد استعملها الكشيون اول مرة في بلاد بابل في مستهل الألف الثاني قبل الميلاد . والكشيون كما يعرف عنهم كانت الطبقة الارستقراطية منهم تتكلم لغة آرية ، وكانت اسماء جماعة من ملوكهم وآلهتهم آرية صرفة . وقد وردت « بغداد » في الكتابات المسمارية اسما لموقع جغرافي في الأزمئة التي تلت دور الكشيين أيضا . وكان آخر ذكر لها واردا في كتابة من نهاية الدور الآشوري في حدود القرن السابع قبل الميلاد .

وجاءت كلمة « بغداد » في الأفيستا بمعنى (مخلوق الآلهة) . واستعملت اسما علما لأشخاص كانوا في الأزمئة الفارسية منذ العصر الاخميني حتى الدور الساساني في ايران وغيرها من الأقطار .

ورأيانا أيضا مستعملة عند الأتراك بشكل « بغدان » وربما استعملت بصورة « باتي » اسما لشخص أو ل قبيلة في القرن الرابع عشر للميلاد .

وأثالا أدعى يأتي أول من ارتأى هذا الرأي في أصل « بغداد » ومعناها ، فقد سبقني الى معرفة ذلك جماعة من المستشرقين ؛ وذكر احدهم في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة « بغداد » أن « اسم بغداد هو إيراني بلا شك فيه ومعناه (عطية الله) » .

وأذهب الى أبعد من ذلك فأقول ان من المؤرخين المسلمين القدماء والجغرافيين من كانوا قد فسروا اسم « بغداد » تفسيراً قريبا من الحقيقة ، فقد ذكروا أن بغداد معناها (عطية الصنم) او (عطية الشيطان) او (عطية الملك) . (يراجع الملحق - ١٨) .

ويبدو أن الالتباس الذي أصابهم كان سببه نسيان معنى « بغداد » في الأزمئة التي سبقت أولئك الكتاب الاوائل ، ولأنهم قصرُوا فهمهم لكلمة « بنغ » الفارسية على « صنم » فترجموا كلمة بغداد بـ (عطية الصنم) ؛ ويحتمل أنهم قصدوا بالصنم (آلهة الفرس) ، فلما فسروا « بغداد » بـ (عطية الصنم) أرادوا أن يقولوا (عطية آلهة الفرس) .

ولم تكن صيغة اسم بغداد (عطية الاله) واستعمالها علما من الامور غير المألوفة

في الأثرمة القديمة ، فقد اتخذ اليونان كلمة مقابلة لـ « بغداد » وهي ثودور Theodore في المعنى عنه وهو (عطاء الآله) وجعلوها علماً لأشخاص + ويعرف بعض حكمائهم بـ « ثودور » عاش في نحو ٣٢٥ ق م . وقد صاغوا أيضاً اسماً لامرأة بشكل « ثودورا » وتعرف بهذا الاسم الإمبراطورة التي حكمت في نحو ٥٢٧ م .

ويعرف عن أحد ملوك الروم المدعو « ثودوسيوس » بأنه شيد في عام ٤١٥ م مدينة في أعلى الفرات اسمها باسمه « ثودوسيوس بوليس » أي (مدينة ثودوسيوس) ، فلو ترجم هذا الاسم إلى اللغة الإيرانية في الدور الساساني ، لكان « بغداد شهر » . فان كان معروف أن أشخاصاً سماوا باسم « ثودور » أو « ثودوسيوس » قد أطلقوا أسماءهم على مدن شيدوها ، فمن المرجح أن « بغداد » (عطية الآله) أخذت اسمها من اسم شخص . ومن الأسماء التي تقابل « بغداد » في الفارسية الحديثة من حيث المعنى اسم « خداداد » وفي التركية « الله ويردي » وفي العربية « عطاء الله » عطية أو هبة أو هبة الله .

هذا وإن ما قمت به في هذا المقال لم أقصر فيه على تثبيت معنى اسم « بغداد » وأصله ، بل بحثت فيه هذه الكلمة المركبة من جميع وجوها ، فتناولت كلا من شطريها واستقصيت أصله وتطوره وتراكيبه مع الكلمات الأخرى ؛ فقلت كل ذلك لكيلا يبقى شك في المعنى الحقيقي لـ « بغداد » .

وقد تطرقت في أثناء بحثي إلى أسماء أعلام كثيرة لأشخاص ومواقع وإلى كلمات أخرى ، مما له علاقة بالموضوع ، لأن تلك الأسماء والكلمات قد شطّ فريق من الباحثين في تأويل معناها وتبع أصلها ، وفريق أهمل ذلك . وقد وضعت ما توصلت إليه في المقال ، وفي ملحقات قفّيت بها المقال .

وعسى أن يكون هذا البحث المستقصى خاتمة للأخذ والرد في المقال ، والابرام والنقض في الجدال الدائر حول المعنى الحقيقي لكلمة « بغداد » وأصلها اللغوي ، فيزول به التبيل الذي استفحل قروناً عدة منذ وضع أبو جعفر المنصور حجر الأساس لعاصمة ملكه إلى يومنا هذا ، ويحل محلّه الرأي الصحيح والقول الثابت .

الملحقات

الملحق - ١

خرنابات

« خرنابات » اسم قرية على نحو خمس كيلومترات شمال بعقوبا . وهذا الاسم ايراني مركب أظنه من « خرن » و « آباد » . فكلمة « خرن » ترجع الى « هورَن » الأئسية ومعناها (المجد ، الجلال ، العزة) . ونجد هذه الكلمة في الفارسية الوسطى في شكل « خُرْ » وفي الفارسية الحديثة في شكل « خَرْ » أو « فَرْ » و « فَرْ » للمعنى نفسه ؛ وهو مجد ، نور الهى ، هالة ، تكون مع الملك الآرى الشرعى ، (فى الأئسية كَنَشِيم هورَنو » بالياء والواو المجهولتين ، يعنى المجد الملكى) وبالفارسية الحديثة « فَرَه كيانى ، فَرَه ايزدى » (المجد الملكى ، المجد الالهى) .

واسم قصر « الخورنق » المشهور - كان - بالحيرة ، معناه (القصر المجيد والجليل والبهى) واشتقاقه من « هورن » أيضا .

أما كلمة « آباد » فمعناها (عمارة) مثل « سلطان آباد » أى عمارة السلطان ؛ واسم « عبادان » معرَّب « آبادان » ؛ فعلى هذا يكون اسم خرنابات (عمارة المجد أو العمارة المجيدة) . وقد كانت قرية كبيرة على مسافة خمسة فراسخ من مرو تسمى « فرنا باز » (١) و « فرنا باز » هذه ما هي الا تلفظ آخر لـ « خرناباذ » استعملت فيه كلمة « فر » عوضا من « خر » المستعملة .

الملحق - ٢

بهرز

« بهرز » اسم قرية فى جنوب بعقوبا على نحو خمس كيلومترات منها . وهذه الكلمة تشبه أن تكون ايرانية مركبة من « به » و « روز » . أما « به » فهى صفة أصلها فى الفارسية « بُهْ » وفى الأئسية « فوه » (بالواو المجهولة) وفى (١) تراجع مادة « فرنا باز » فى معجم البلدان .

الفارسية الوسطى « ثَنَه » ومعناها (طيب ، جيد ، خير) . وأما « روز » فمعناها (نهار ، يوم) . وهي تستعمل صفة بمعنى (سعيد ، ذي أيام سعيدة) ، وكثيرا ما تكون اسما علما على الأشخاص . فلذلك تكون قرية « بهرز » دُعيت باسم الرجل الذي أسسها أو كان مالكا لها .

وقد علم في التاريخ أن شحنة بغداد بين عام ٥٠٢ هـ وعام ٥٤٠ هـ كان اسمه مجاهد الدين « بهروز » وكان صاحب املاك وتكرت من ضمن أقطاعه^(١) .

الملحق - ٣

خرسان

« خريسان » (بالياء المجهولة) ، اسم نهر يتفرع من الضفة اليسرى لنهر دبالى ، ويخترق مدينة بعقوبا . وكلمة « خريسان » محرفة من كلمة « خراسان » ومعناها (الشرق) . فخر خريسان يكون (النهر الشرقي) . واذ كان خراسان اسما لمقاطعة بعقوبا ، لكونها واقعة على طريق خراسان ، سمي النهر الذى يخترقها باسمها ، وهذا اقرب الى الحقيقة من حيث التسمية .

الملحق - ٤

مهرت

« مهرت » اسم نهر يتفرع من الضفة اليسرى لنهر دبالى فى شمال نهر « خريسان » ويجرى موازيا له ويخترق مركز ناحية كنعان (قلعة مهرت) .

أظن هذه الكلمة فارسية مركبة من « مه » و « روت » . أما كلمة « مه » فأصلها فى الآريستية « مَس » أو « مَر » (وفى الفارسية القديمة « مَث ») . وفى الفهلوية « مَس » ، وفى الفارسية الحديثة « مه » وفى الكردية « مَر » (كما فى كلمة « مَرَن ») ومعناها على اختلاف اشكالها (كبير) . وأما كلمة « روت » فهى فى الفارسية القديمة « رَوَت » وفى الفهلوية « روت » (بالواو المجهولة) ، وفى الفارسية الحديثة « رود » أو « روذ » ، وفى الكردية « رُو » و « رو » (بالواو المجهولة) ، ومعناها (نهر) . فيكون معنى « مهرت » (النهر الكبير) .

(١) الكامل لابن الاثير والمنظم لابن الجوزى .

الملحق - ٥

زرباطية

« زرباطية » قرية على حوالى ٧٥ كيلومترا من كوت الامارة فى الشمال الشرقى ، وهى على حوالى ١٠ كيلومترات من شمال شرقى بدره .
وأرى انها منسوبة الى شخص اسمه « زرباط » كما نسبت « الاسكندرية » الى « اسكندر » (الكسندر) . ولكن التلفظ « زرباط » ليس بالأصلى ، ولعله كان بصورة « آذريات » . وهذا الاسم يشبه اسم الشخص الذى سميت باسمه كورة آذربايجان التى كان اسمها فى الاصل :

« آتريپاتگان < آذرباذگان < آذرباذگان < آذربايجان . ومعناها « بلاد آذريات » .
ونذكر فيما يأتى ما قاله « سترابو » فى أصل تلك التسمية ، قال : « والكورة الأخرى هى « بلاد ميديا الاذربايجانية » ، وعرفت بهذا الاسم نسبة الى أمير اسمه « آترويات » كان قد حمى بلاده من نفوذ الاغريق . ولما نصب ملكاً وطّد استقلال بلاده . وما زال حفدته يحكمون فى تلك البلاد الى يومنا هذا » (١) .

اننا وان كنا لا نعرف ذاتية « آذريات » « آذريات » الرجل الذى سميت باسمه قرية « زرباطية » ، لعلون أن هذا الاسم كان مألوفا حتى فى العهود الساسانية ؛ فقد كان احد الانبياء الزردشتيين يعرف باسم « آذرباد مراسپندان » ، ظهر فى زمن الملك شابور الثانى (ومدة حكمه من ٣١٠ ب.م الى ٣٧٩ ب.م) ، واشتهر عند الفرس بالمعجزات ، وله رسالة فى « النصائح » . وكان اسم حفيد ذلك النبی « آذرباد زردشت » .

الملحق - ٦

بلدروز

وهى اليوم بلدة على نهر يسمى بـ « روز » يتفرع من الجانب الأيسر لنهر ديالى فى شمال جدول « مهوروت » . وهذا اسم جغرافى آخر بلغة غير سامية . والطريف فى الأمر ان الاب أنستاس الكرملى اعترف فى لغة العرب بأنه اسم فارسى الأصل ، وقد صدر منه هذا القول قبل أربع عشرة سنة ، من تعليقه كلمته على رأى الاستاذ غنيمه فى

(١) يراجع The Geography of Strabo الكتاب الحادى عشر ، الفصل الثالث

أصل اسم « بغداد » ، فقد قال :

« فان بلدروز قديمة العهد ولعلها ترتقى الى ما وراء عهد ملوك بني ساسان ، اذ قد ورد ذكرها منذ أول عهد فتوح العرب لهذه الديار ، واسمها الحقيقي هو « براز الروز » أو « ابراز الروز » (بسكون الباء في الحرفين)^(١) .

واستخرج الكرملی فی مقاله هذا غير متردد ، معنى « براز الروز » ، فقال :

« ومعنى براز الروز بالفارسية (ضياء النهار او بهاء النهار) لحسن موقع المكان لا لأنه بلد الرز كما يتوهم العوام » .

ف نقول : ان الكرملی لم يكن مصيباً في تفسيره هذا ، واني أرى أن اسم « براز الروز » الذي ذكره مؤرخو العرب القدماء وتطور اليوم الى « بلدروز » يجب أن يبحث عن أصل اشتقاقه كما يأتي :

ان استعمال أداة التعريف « أل » الداخلة على الكلمة الفارسية « روز » هنا ، كان بدعة ابتدعها كتاب العرب مثل « مرو الروز » و « مرو الشاهجان » . فالاسم المركب يجب أن يكون بصورة « براز روز » . وكلمة « براز » واردة في الأفيستية في شكل « وراز » ومعناها (خنزير فحل) ، ثم أصبحت في الفارسية الوسطى « وراز » . وفي الفارسية الجديدة « وراز » « گراز » ، « برار » ، وفي الكردية « برار » بالمعنى نفسه ؛ وعلى ذلك يكون أصل كلمة « براز روز » و « وراز روز » ومعناها (النهر الخنزير) . وليس من المستغرب أن يوصف النهر بـ « الخنزير الفحل » فان اسم هذا الحيوان كان في العهود الساسانية لقباً عظيماً يدل على القوة والسلطان حتى لقد لقب به ناس عظماء من الساسانيين ، لأنه كان من الألقاب الرفيعة في تلك الدولة أيضاً ، كما كان الأسد في العصور الإسلامية ؛ فقد قالوا « أسد الدولة » في ألقابهم . ومن الذين لقبوا بلقب الخنزير الفحل فريق من المرازبة والأمراء مثل « هرمزد - وراز » و « وراز يروز » (بالواو المجهولة) و « شاهپور وراز » وكان أمير « نسا » يلقب بـ « وراز » وأمير هراة بـ « ورازان » وأمير غرجستان بـ « وراز بَنَدَغ »^(٢) . واللقب الأخير معناه (عبد الخنزير) .

(١) راجع مقال بلدروز او براز الروز في التاريخ ، لغة العرب ج ١ ص ٣٧

نيسان ١٩١٢ .

(٢) يراجع كريستنسن في كتابه L'Iran sous les Saassamides الطبعة

الثانية ، ص ٤١٠ ، ٥٠١ .

ويقول هرتسفيلد ، ان من ألقاب الشرف في العهد الساسانية « اهورمزد وراز »
أو « هرمزد وراز » ومعناه (خنزير هرمزد) . وهو لقب عسكري لرئيس الحرس
ويلي رتبته رتبة رؤساء بيوتات الاقطاع .

وكذلك « وراز نرسه » و « وراز پیروز » (بالواو المجهولة) و « وراز شاهپور »
و « وراز تیردات » فجميعها من ألقاب الشرف . وقد كان الخنزير رمز « فَرْتَرَعْن »
الذي تحرف في الفهلوية الى « فَرْتَرَهَران » وفي الايرانية الحديثة الى « بهرام »^(١) .
ونضيف الى ذلك أن الخنزير الفحل الجبار هو أحد الوجوه العشرة التي يظهر
فيها « فَرْتَرَعْن » وأن « فَرْتَرَعْن » هو اله يضمن النصر والظفر على حسب العقيدة
المزدسية ؛ ولذا كان الخنزير الفحل لقباً عسكرياً مألوفاً كما أسلفنا . وقد تحرف
« فَرْتَرَعْن » في الايرانية الحديثة الى « بهرام » وأصبح يطلق على الكوكب السيار
« المريخ » الذي يقابل « مارس » اله الحرب لدى الاغريق .
وفي ما وراء النهر لا يزال نهر يسمى « وراز روز »^(٢) .

وقد عثرنا في « فارسنامه » ابن البلخي على نهر يسمى « نهر براز » وجاء في
وصفه انه يسقي مدينة « فيروز آباد » بفارس ، ونواحها . فاذا ترجمنا كلمة « نهر »
بالفارسية وهي « روز > روز » ووضعناها في مكانها من تركيب الاسم على حسب قواعد الفارسية
الوسطى كان لنا هذا الاسم « براز روز » ، وفي هذا تأكيد وتوكيد لما ذهبنا اليه . ومما يدل
على صحته أن هذا النهر في فارس هو باسم والد وزير الملك بهرام الخامس ، الذي
شيد قرية علمية دعت باسم « براز - چون »^(٣) ومعناها (مثل براز) .

الملحق - ٧

بايز

اظن ان الكلمة « بايز » المستعملة الآن في الكردية بمعنى (الخريف) مخففة
من كلمة افسية « باگ يَز » (عبادة الآلهة) ، التي تقابل الكلمة الفارسية القديمة
« باگ - يد » ، فان الفعل « يد » الذي معناه (العبادة) بالفارسية القديمة يقابله « يز »

(١) يراجع كتاب Paikuli ص ١٣٠

(٢) ترجمة « برهان قاطع » لعاصم افندي .

(٣) يراجع كتاب Archaeological History of Iran لهرتسفيلد ، ص ٩١-٩٢

في الأيضية التي تنحدر من لهجتها اللغة الكردية ، وهي لهجة شمالية غربية +

ومما يؤكد المعنى الذي ذهبنا إليه ان رأس السنة وبداية فصل الخريف كانا يقعان في شهر « باگ يز » ذلك الشهر الذي كانت تقام فيه الاحتفالات الدينية والطقوس الدينية - السحرية التقليدية ، وأظنها لاستمطار الأمطار الغزيرة للموسم المقبل .

الملحق - ٨

الكتابات الواردة بالأغريقية في نقود الملوك الفرثيين

الذين ادعوا أنهم أبناء الآلهة

ندرج فيما يأتي ترجمة تلك الكتابات بحسب تسلسلها الزمني (١) :

- ١ - اردوان الاول نحو ٢١١ - ١٩١ ق.م . :
« الملك العظيم ، ارشك المحسن الذي الاله أبوه » .
- ٢ - فرهاد الثاني ١٣٨/٣٧ - ١٢٨ ق.م . :
« الملك العظيم ارشك ، المحسن الذي الاله أبوه ، الظافر » .
- ٣ - اردوان الثاني ١٢٨ - ١٢٤ ق.م . :
« الملك العظيم ارشك ، المحسن ، الذي أبوه اله » .
- ٤ - سندروك ٧٧ - ٦٩ ق.م . :
« الملك العظيم ارشك المحسن ، الذي أبوه اله » .
- ٥ - فرهاد الثالث ٦٩ - ٥٧ ق.م . :
« ملك الملوك أرشك ، العادل الظاهر الذي أبوه اله » .
- ٦ - ملك مجهول ؟
« ملك الملوك ، الذي أبوه اله » .

(١) يراجع كتاب نقود الملوك الفرثيين في :

٧ - موسى^(١) :

« الملكة موسى الآلهة السماوية » .

الملحق - ٩

الأصل فى اسم « بيستون »

« بيستون » اسم جبل واقع فى شرقى مدينة كرمانشاه على نحو ثلاثين كيلومترا منها ، على يسار الطريق المؤدى الى همدان . وفى هذا الجبل كتابات ومنحوتات أقدمها ، وهو أكثرها عددا ، يعود الى الملك الأخمنى دارا الأول الكبير (٥٢١ - ٤٨٦ ق.م) ؛ وبينها منحوتة واحدة للملك الفرثى مهرداد الثانى الكبير (١٢٣ - ٨٧ ق.م) ، ومنحوتات أخرى لـ « كوتازرس » (گودرز الثانى) ٣٨ - ٥١ ق.م .

و « بيستون » شكل متطور لكلمة مركبة هي « بغو - ستان » (بالواو المجهولة) . ومعناها (محل الآلهة) ، كما يظهر من أقدم اسم معروف لهذا الجبل ، يرجع زمنه الى أواخر القرن الأول قبل الميلاد . فقد ورد بشكل « تو باغيستانون ثوروس » كما سجله المؤرخان الأغريقان « ديودوروس الصقلي »^(٢) و « ايزيدوروس خركس »^(٣) . وفى دائرة المعارف الإسلامية معلومات تاريخية عن مراحل تطور هذا الاسم للبروفسور هرتسفلد ؛ الا ان الى آراء خاصة فى ذلك ، فلذلك بحثت عن منشأ وتطوره الى اشكال مختلفة وعن سبب تسمية ذلك الجبل بـ « محل الآلهة » وعن زمن تلك التسمية .

(١) كانت « موسى » جارية رومانية أهداها القيصر أغسطس الى الملك فرهاد الرابع ، وقد صادفت هوى فى نفسه ، فقام بها وضرب صورتها على نقوده . الا أنها كادت له وتوسلت بأبرع الحيل لاخذ العرش لابنها ، فأقنعت زوجها بأرسال أبنائه الأربعة الى رومة وبنصب ابنها وليا للعهد ؛ ثم صنعت لزوجها السم فقضت عليه به . وتزوجها بعد ذلك ابنها فرهاد الخامس (٢ ق.م - ٤ ب.م) . الا أنها لم تهتأ طويلا فقد قضى عليها وعلى ابنها .

ولا بأس بأن نذكر أن زواج الابن بأمة أو بأخته كان أمرا مباحا فى الديانة المزدستية .
(٢) يراجع : The Historical Library of Diodorus the Sicilian ،
لناقله الى الانكليزية المستر G. Booth طبعة لندن ، عام ١٧٠٠ ، فى الصفحتين ٥٦٩ ، ١٦٠ .

(٣) يراجع : Isidore of Charax, Parthian Stations, لناقله الى الانكليزية Walfred H. Schoff طبعة فيلادلفيا ، عام ١٩١٤ فى الصفحتين ٧ ، ٢٨ .

ان الاسم « يستون » مركب من كلمتين هما « بَغ » و « ستان » . ولقد بحثنا عن « بَغ » بحثاً وافياً ، وبقي علينا أن نبحث عن « ستان » .
 ان « ستان » مشتق من مصدر هندي - أوربي هو « ستها » ^(١) ونراه في السنسكريتية بشكل « ستها » وفي الاقيتية « ستا » ، وفي الفارسية القديمة « ستا » ^(٢) ، وفي الوسطى « استان » ، وفي الفارسية الحديثة « استادن » وفي الكردية « استان » و « وستان » ، وفي الاغريقية « استامى » ^(٣) . ويفيد الوقوف ، المكوث ^(٤) مع اختلاف اشكاله .

ونجد « ستان » ^(٥) في الفارسية بمعنى (محل) ، ونراها في الاقيتية داخلية في تركيب الأسماء الآتية ^(٦) .

أسير - ستان	بالواو المجهولة	(اسطل الخيل)
أشثرو - ستان	بالواو المجهولة	(معطن الجمال)
گئو - ستان	بالواو المجهولة	(حظيرة البقر)

وفضاً استعمال كلمة « ستان » في الايرانية الوسطى والفارسية الحديثة في تركيب الأسماء ، فمثال ما في الايرانية الوسطى :

سگستان	سجستان ، سيستان ، أى موطن « السكا » .
ايرانيستان (بالياء المجهولة)	محل يعلم فيه الـ « هريد » وهو كاهن ، والمعنى اللفظي « هريد » (رئيس الموقد) .

(١) يراجع :

E. L. Johnson, Historical Grammar of the Ancient Persians Language, طبع في عام ١٩١٧ ، الصفحة ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ، ٤٨

(٣) المصدر السابق ، ٤٨

(٤) والكلمة عينها في الالمانية Stehen وفي الانكليزية to stand

H. C. Tolman, Ancient Persian Lexicon, (٥) يراجع :

طبع في عام ١٩٠٨ ، الصفحة ٤٦ في الفهرست .

J. Duchesna - Guillemin, Les Composés de l' Avesta, (٦) يراجع :

الصفحة ١٣٧ .

مدرسة ، أو مكان الـ « دِير » وهو الكاتب •	دِيرِستان
مجمع الشعائر ، وهو اسم كتاب ديني	نِيرَنگِستان
للزردشتيين •	
مجمع العدالة ، قانون ، وهو اسم كتاب ديني	داتِستان
للزردشتيين •	

وفي الفارسية الحديثة :

البلاد الجبلية	كوهستان
البلد	شهرستان
الصحف	تابستان
مدرسة (من كلمة « ادب » العربية)	دبستان
قصة ، خطه ، حيلة •	داستان

وعندى أن « داستان » محرفة من « داتِستان » الإيرانية الوسطى المذكورة أعلاه •
وبالنظر الى المعلومات المتقدمة يمكننا الآن أن نثبت الشكل الأقيسى للكلمة المركبة
« بِيستون » ، وينبغي في ذلك الشكل - على ما نعتقد - أن يكون « بنو - ستان » (بالواو
المجهولة) ، لا « بن - ستان » وذلك بالقياس الى الكلمات المركبة الثلاث التي سبق أن
ذكرناها •

والجبل « بِيستون » واقع في الجزء الشمالى الغربى من ايران حيث تعود اللهجة
القديمة الى القسم الأقيسى ، لا الى القسم الفارسى القديم • الا أنه بالنظر الى تطور
اللغة يحتمل أن كانت ، الواو المجهولة « O » قد سقطت فى القرن الذى دعى به
الجبل بذلك الاسم ، وحل محلها « الفتح » على حرف « غ » فلفظت « بنستان » ، وقد
لفظها الفرس « بگستان » • ويحتمل ان كان قوم منهم يلفظون الـ « غ » والـ « گ »
مكسورين بعد أن حذفت الواو المجهولة ، فقالوا « بنستان » و « بگستان » • ولعلها كانت
تلفظ فى الدور الساسانى فى اللهجات المختلفة بالصور الآتية :

بَگِستان	بَهِستان	باغِستان
بوتان (بالواو المجهولة)	بِهستان	باستان
بِيستان		
بيستان (بالياء المجهولة)		

ونظن أن هذه الألفاظ ظهرت منها الكلمات الآتية ذوات المعاني المعينة :

يستون (اسم الجبل)

بوستان (البستان)

باستان (الادوار الايرانية قبل الاسلام)

بيستان (بالياء المجهولة) (مزرعة البطيخ « مطخة » ومزرعة القناء « مقناة » ،
في اللغة الكردية) .

واسم « يستون » - الشكل الأخير الذي نعرف به الجبل - هو
تطور تم في القرون الاسلامية الأولى ، وأطلقت عليه اللهجات على ذلك الجبل
الأملس الذي يشبه جداراً قائماً . ومن الغريب ان الاسم بهذا الشكل أي « بي - ستون »
اصبح في الفارسية الاسلامية صفة مركبة معناها (بغير عماد) ، وهو الأمر الذي سبب
تبيان المعنى الأصلي نسياناً تاماً . فتأمل كيف تلاعب الشاعر بهذه اللفظة ، اذ قال :

يكنى خيمه زد برسر يستون ،

شده يستون سنگ زير ستون .

ومعناه :

ضربَ خيمة على قمة يستون ،

فأصبح يستون (وهو الجبل الاعمادى) صخرة تحت العماد (لتلك الخيمة) .

فما أعظم تلك الخيمة وما أغربها !

وأظن أن ذلك الجبل لم يكن اسمه « بغو - ستان » (محل

الآلهة) قبل أن ينقش الملك دارا الأول كتاباته فيه وينحت صورته عليه . وارى ان

الاسم « بستان > بغوستان » كان يطلق في بادى الأمر على كتابات دارا ومنحوتاته لا على

الجبل نفسه . اذ ان تلك المنحوتات والكتابات هي الـ « بغوستان » (مجمع الآلهة)

بعينه .

ولم يستعمل الايرانيون في الفهلوية والفارسية الحديثة الكلمات المركبة التي دخل

في تركيبها لفظ « ستان » بمعنى مواضع الأشياء وأمكنة الأشخاص حسب ، بل

استعملوه أيضا في معان مجازية أخرى ، كما ذكرنا في أمثلتنا السابقة ، فمنها ما هو

بمعنى « كتاب » ؛ مثل ، « نيرنگستان » و « داستان » وهما اسمان لكتابين يحتويان على

المراسيم الدينية والشرائع الزردشتية ، مع أن معناهما اللفظي (المكان الذي تجرى فيه الشعائر الدينية ، أي المحفل والمشر) ، و (المكان الذي يمارس فيه القضاء ، أي المحكمة) . وبالقياس الى تينكم الكلمتين يمكن أن يكون معنى « بغوستان » التي معناها اللفظي (محل الآلهة) (كتاب يقص أخبار الآلهة) ، ونجد في كتابات دارا ما يسوغ هذه التسمية .

ان كتابات دارا الأول في « بيستون » لهي أكبر كتابة معروفة تركها الملوك الأخمينيون ، فهي وحدها تحتوي على عشرة أضعاف كلمات الكتابات الاخمينية الأخرى . وهذا السجل هو أول كتاب دون فيه تاريخ الفرس . وهو التاريخ الوحيد عند الأخمينيين . ولم يترك الفريثيون أي سجل كان ؛ فأما الساسانيون فقد تركوا أثرا ضئيلا من الكتابة يضاهي ذلكم السجل .

فالكتابات في « بيستون » تذكر نسب الأسرة المالكة وتسرّد الأحداث الواقعة في زمان دارا وتحكي أخباره . وهي تاريخ الانبراطورية الفارسية الذي يكتبه دارا الكبير ، وذكر فيه أفراد أسرته وأصلها وقوميتها ، وتحدث عن استرداد الفرس للحكم من « گومات » المجوس وعن إعادة تأسيس المعابد التي كان قد خربها « گومات » وعن الانتصارات الباهرة الأخرى التي أحرزها الملك العظيم . ويوصي دارا في كتاباته ويؤكد في الوصية ، الأجيال اللاحقة بنشر محتوياتها على الملأ ، ويحثهم أن يكونوا أخلاء « أورمزد » ؛ فان ذلك يكثر نسلهم ويطيل أعمارهم . ثم يندبهم بأنهم ان أخفوا ما في ذلك السجل ولم يعلنوه بين الناس ، يضرهم « أورمزد » بالعقم ، فيمنحى نسلهم .

وفي هذه الكتابة يدعو دارا مستدامة الى « أورمزد » ويشتر بأنه هو أكبر الآلهة الذي خلق الارض والسماء والبشر ؛ ويحث على الامتناع عن الكذب وعلى معاقبة الكذابين .

وكتابات دارا في « بيستون » كما أشرنا اليها آنفا سجل دون فيه استرداد الحكم من الماديين وتأسيس الانبراطورية الفارسية وتوطيد دعائمها بفضل الاله « أورمزد » أكبر الآلهة وبمساعدة الآلهة الأخرى الـ « بك » ات المعروفة عندهم . ولاغربة في أن كان الفرس يعدون تلك الكتابات سفرا مقدساً لما فيه من توصيات دارا ودعوته الى دين

« مزدسني » وتعاليمه . فالدعابة الى قدسية تلك الكتابات ما هي الا شيء طبيعي وضروري لضمان بقائها بين الناس والمحافظة عليها بغية تحقيق الحكم الأخمني الفارسي في البقاء أبداً الآباد .

وكل ما يمكن أن يقال في الدور الذي سميت تلك الكتابات بـ « محل الآلهة » لا يتجاوز الحدس والتخمين . الا انني أرى أن تلك التسمية نحتت في الدور القرثي في الزمن الذي أصبحت فيه قراءة الكتابات السومرية منسية نسياناً تاماً . فكانوا حينذاك ينظرون الى تلك الكتابات التي كانت تقدّس تقدّيساً تقليدياً ، كأنها أخبار خاصة بالآلهة ، وكتابات آلهية . فقبل العصر الميلادي سموها بـ « بغستان » (محل الآلهة ، أو الكتابات الآلهية) .

اما الملوك الساسانيون الذي ادعوا بأن كلا منهم « بگ » أي (اله) ، فلعلهم كانوا يظنون أن « بغستان » كانت تحوي أخبار اجدادهم الأسطوريين ، إذ كانوا يعدون أنفسهم من أبناء الطبقة الثانية في تاريخ ايران الأسطوري ، من سلالة « كيانيان » .

الملحق - ١٠

استقاي كلمة « باستان » ومصادرها

باستان من الكلمات الايرانية المنسوبة أصولها فهي مجهول معناها (الأول) . وكل ما يقوله « فرهنگ شاهنامه »^(١) ، وهو معجم حديث ، في « باستان » هو ما يأتي : « باستان ، جاء في المعجمات بمعنى عتيق ، قديم » . ويقول فيها « برهان قاطع » :

« باستان معناها قديم ، ومعناها باللغة الدرية^(٢) التاريخ الذي يضبط السنين والشهور السالفة والاحوال الماضية . وباستانامه هو من تواريخ الفرس » . ان العامل الرئيس في بقاء كلمة « باستان » هو كتاب شاهنامه للفردوسي ، فانه يذكر في مناسبات عدة كلمة « باستان » ، قال في مقاله في جمع الشاهنامه :

(١) دوكتور رضا زاده شفيق ، طهران ١٣٢٠ الشمسية .

(٢) أي لغة البلاط .

يكنى نامه بود از گه باستان ،

فراوان بدو اندرون داستان •

معناه (كان كتاب من زمن البستان ، فيه كثير من القصص)

ويقول في موضع آخر :

« پژوهنده » نامه « باستان » که از پهلوانان زند داستان

چنين گفت کابين تخت و کلاه گيومرت آورد او بود شاه •

معناه (المتحرى لكتاب باستان الذى يحكى قصص عظماء الأبطال ، قال : ان اول

من صار ملكا وأوجد مراسيم العرش والتاج هو گيومرت) •

ولو أن في الامكان ترجمة « باستان » في هذين المثلين بنحو :

« كان كتاب من زمن قديم » ،

« المتحرى للكتاب القديم »

لا تضح المعنى كل الوضوح ، الا أنه لا يمكن ان نعد « باستان » نعتاً كما هو الحال

في النعت « قديم » ؛ لأن صفة « قديم » يمكن أن نعت بها كل شئ قديم ، ولكن لا يمكن

نعت شئ قديم بـ « باستان » ؛ فمثلا لا يمكن أن يقال لكيخسرو الأسطوري : ان

« كيخسرو باستان أست » بمعنى (كيخسرو قديم) لأن « باستان » ليست في الحقيقة

صفة وانما هي اسم ؛ فيمكن ان يقال « كيخسرو باستانی أست » مع اضافة ياء النسبة

الى « باستان » ، بمعنى « كيخسرو باستانی » ، أى (كيخسرو الذى هو من عهد يسمى

بباستان) •

والحقيقة أن « باستان » اسم للأدوار التاريخية الايرانية ، أدوار الاساطير أو

البطولة ، منذ الخليفة الى فتح الاسلام لايران ، ذلكم الفتح الذى قضى على ملوكها

وأبطالها وأزال ممارستها لبطولتها الاسطورية • ولم يسبق أن استعمل « باستان » فى

مدلول آخر غير الأدوار التاريخية الايرانية قبل الاسلام ، ولا سبق ان سمي شخص

أو شئ يعود الى الدور الإسلامى بـ « باستان » وان كان قدمه يعود الى الف وثلاثمائة

سنة قبل اليوم •

وبعد أن وجدنا ان كلمة « باستان » يجب أن تكون اسما لتاريخ ايران قبل الاسلام ،

نبحث عن اشتقاقها . ان « باستان » كلمة مركبة من « با » و « ستان » ولن أكون مخطئاً اذا اعتقدت انها منحوتة من « بنج - ستان » وهو الاسم الذي اطلق على كتابات « دارا » التاريخية المنقوشة على جبل « بيستون » . و « باستان » و « بيستون » تلفظان مختلفان لـ « بنج - ستان » التي معناها - كما ذكرنا - (قصص الآلهة ، الاساطير ، قصص الملوك ، قصص الأبطال) .

الملحق - ١١

مُفسناره

جاء في معجم « برهان قاطع » أن : « معناها (بلاد الأصنام) ويراد بها « بيت الأصنام » ، وتطلق أيضاً على حرم الملوك كناية عن كونها محلاً للجوارى والغلمان الحسنان ، ومن ثم أُطلقت على زوجات الملوك » .

الملحق - ١٢

مُفسنور

ورد في « برهان قاطع » فيما يختص بهذه الكلمة أنها : « اسم بلد في إقليم الصين اشتهر أهله بالجمال والصباحة ، وفيه كل نحائى الأصنام وجميع ما كان من الأصنام في تلك البلاد » . وقد وردت هذه الكلمة بشكل ثان ، بفتح الفاء « . وهذه الكلمة عندى ذات شكل ايراني متأخر ، وأصلها « بغان شهر » الذي يفيد معنى (مدينة الآلهة أو الأصنام) .

الملحق - ١٣

بفسور

ويذكر ياقوت الحموى أن « بفسور » « بلدة بين هراة ومرو الروذ » . وهى على التركيب الذى ذكرناه فى كلامنا على « فغنشور » وفى المعنى نفسه ، وجاء فى « برهان قاطع » ان « بفسور قرية بين سرخس وهراة » .

الملحق - ١٤

خاتون ، قادين ، قارى

ان قبيلة طنغوز وضعوا فى عام ٥٢٠ م اللقب « خاقان - تون » وهو مؤنث « خاقان » بمعنى (الملكة) وذلك لامرأة ساحرة عرفت كيف تفرى ملك اولئك البرابرة حتى تزوجها (١).

وبالاستناد الى هذه المعلومات يمكننا الوصول الى معرفة اشتقاق كلمة « خاتون » المستعملة منذ الزمن القديم بمعنى (السيدة) ، وكذلك الكلمتان « قادين » و « قارى » المستعملتان اليوم فى اللغة التركية بمعنى (امرأة) :

خاقان - تون < قان - تون < قادون < خاتون = (سيدة)

قادون < قادين = (امرأة ، سيدة)

قادين < قادى < قارى = (امرأة)

الملحق - ١٥

كسرى خرماز بن أرسلان بن باینجور

ولا أفق عند تحقيقى « باینجور » ، لأن اسم كسرى « خرماز » واسم أبيه « أرسلان » واسم جده « باینجور » استوفقتنى لما فيها من الغرابة من حيث انها أسماء تركية تسمى بها ملك ساساني ؛ وذلك يحتملى على الامعان فى التحقيق . فالاسماء الثلاثة تركية لا شك فيها ، واسم الجد « باینجور » تركى الوضع ، واسم الاب « أرسلان » صريح فى تركيته لا يحتاج الى بيان ؛ أما اسم « كسرى خرماز » فلم أجده الا فى « فارسنامه » ابن البلخى فانه ذكره مرتين ، يقول فى (ص ٢٤) :

« كسرى خرماز بن أرسلان هو الملك الخامس والعشرون ومدة ملكه سنة وخمسة أشهر ، وخرماز هذا قد كان من سلالة ملكية من غير هذا البطن الذى ذكرناه ، ونسبه قد وجد على هذا النحو :

(١) يراجع بلوشه فى كتابه :

خرماز بن ارسلان بن باينجور بن مازيد الخ »

ويذكر ابن البلخي من هذا البطن أسماء خمسة عشر ملكاً ، الثاني والثالث منهم
أسماءهما تركية ، والاثنان عشر الآخرون أسماءهم ايرانية .

وفى الموضع الثاني ورد الاسم في كتاب ابن البلخي (ص ١٠٩) بصورة « كسرى
خرهان بن ارسلان » . والمحققان للكتاب يعتقدان ان التلفظ الاصلى للاسم هو « خرهان »
لا « خرماز » (١) .

وأنا أعتقد أن « خرماز » هو الاسم الصحيح (٢) ، وهو اسم تركي لأن اسم والد
كسرى « خرماز » تركي وهو « ارسلان » ولأن اسم والد « ارسلان » تركي أيضاً وهو
« باينجور » .

كنا قدمنا ان اسم « خرماز » تركي ولأثبت ذلك نقول ان هذا الاسم ليس الا
شكلاً محسّراً من « خرمزت » الذي هو تلفظ تركي لاسم « هرمزد » (أهورمزد)
الاله الاعظم الايراني . وقد ورد اسم « خرمزت » مقابل لـ « هرمزد » الايراني في الوثائق
المانوية باللغة التركية التي وجدت في تورفان ؛ يقول المستر جاكسن :
« ان معرفة هوية « أرمزد » او « خرمزت » في الادعية الاعترافية المانوية التركية
بتوحيدها مع آدم الاول ، كانت قد ابتكرها » لكوك » (٣) .

وقد قلت آنفا : اني لم أجد اسم « كسرى خرماز بن ارسلان » الا في « فارسنامه » .
والى هذا القول ذهب المستشرقان لسترنج ونيكولسن . ولكني وجدت في كتاب تاريخ
باللغة التركية مطبوع موسوم بـ « مرآة كائنات » ذكر ملك ساساني يسمى « كسرى
ابن ارسلان » مثبت بعد « شهريار » ، أو شهرى زاد » ، وقد أشار مؤلفه الى انه نقل ذلك
من كتاب « نظام التواريخ » .

أما « شهريار » المذكور فقد أجمعت كتب التواريخ انه جاء بعد « اردشير بن

(١) كتاب فارسنامه لابن البلخي ، وقد طبعه المستشرقان R. A. Nicholson الصفحة XXXI و G. Le Strange

(٢) خرهان وفرهان هما جمعاً كلمتي « خره وفره » وهاتان ما هما الا تلفظان
مختلفان للكلمة « خره » التي أصلها « هورنه » ومعناها (مجد) ، وخرهان وفرهان هما
جمعان تعظيميان كان يسمى بهما الملك « شهر براز » .

(٣) يراجع A. V. Williams Jackson, Researches in Manichaeism

شيرهويه « في أسماء الملوك ، فلذلك يجب أن يكون « شهر براز » وهو « فرهان » (خسرهان) ؟ وهذا هو الذي ذكر في الشاهنامه باسم « فراين گراز » مصحفاً من « فرهان » و « براز » * و « شهربراز » كان لقباً لمرتبه ومعناه (خنزير الملوك ، خنزير المملكة) .

ولا شك في أن « كسرى بن ارسلان » المذكور في « مرآة كائنات » هو « كسرى خرماز بن ارسلان » المذكور في « فارسنامه » بالنظر الى ترتيبه بين الملوك الساسانيين ، وبالنظر الى اسم ابيه .

وبناء على ما قدمنا من تحقيق لـ « خرماز بن ارسلان بن باينجور » يمكننا أن نتصور أن في دور الهرج والمرج الايراني (٦٢٩ - ٦٣٢ م) ، وهو من أواخر العصور الساسانية ، استطاع قائد أو وال تركي الاصل كان في خدمة ملك الملوك في منطقة ما في ايران واسمه « خرمازد » أو « خرماز » أن يعلن ملكيته على ايران ، فدام حكمه مدة قصيرة . ولما كان « خرماز » تلفظاً تركياً لـ « هرمز » ولم يذكر ابن البلخي ، بين الملوك الساسانيين الذين حكموا مددا قصيرة في دور الهرج والمرج ، اسم الملك « هرمز الخامس » ، كان من المحتمل أن « هرمز الخامس » هذا هو « خرماز » ؟ والتواريخ التي ذكرت اسم « هرمز الخامس » قليلة حديثة ، ولم تذكر نسبه ولا اسم والده .

فأما نسبة « خرماز بن ارسلان بن باينجور » الملكية الايرانية التي تصلب « بهم »^(١) فقد تكون مختلفة كما هي العادة في الشرق من القديم حتى اليوم عند الذين يخترعون لأنفسهم نسباً يصلونه بالملوك أو العظماء القدماء ، وذلك عندما تعلق مراتبهم وتصدع بهم أنسابهم .

والذي يؤيد ذلك الافتراض هو أن الهرج والمرج بلغا من الاستفحال والفظاعة - على ما ذكره ليون كائناتو - غاية ما يتصوره العقل بحيث تمكن جماعة ممن لا يرجعون الى نسب ولا الى حسب أن يكونوا أكاسرة في ايران^(٢) . ويزيد كريستنسن على ذلك أن منهم من جعلوا انفسهم أكاسرة في صقع من اصقاع ايران لا في المدائن^(٣) .

(١) فارسنامه ، ص ٢٥ .

(٢) « اسلام تاريخي » ترجمة حسيني جاهد يالجين ، ج : ١ مادة ١٢٩ .

(٣) Iran Sous Les Sassanides ، ص ٢٩٩ .

ولكى يطلع القارىء على اضطراب المؤرخين قديما وحديثا في أسماء الملوك الذين حكموا في دور الهرج والمرج وتسلسلهم وعددهم ، ثبتنا في الجدول اسماء الملوك من شيرويه الى نهاية الدور الساساني بحسب ما وردت في المراجع المختلفة التي استطعنا أن نقف عليها .

الملحق - ١٦

طغرا

وبمناسبة ذكرى كلمة « تورا » في أثناء بحثي عن كلمة « بايندر » أود ان أذكر نتيجة تحقيقي لأصل « طغرا » ومعناها لاتصالها بكلمة « تورا » اتصالا يستحق العناية والبيان ؛ يقول مؤلف « لهجة عثمانى » :

« طغرا = في التركية توغرا وتورغا ، طوغرول . وقد عسرت الى « طغرا » . وفي الفارسية جعلت « طوغرى وطغرى » = باز مبسوط الجناحين . وهو نوع جارح من أنواع البزاة الكبيرة ، اتخذ شعارا خافيا ، وان علامة خاقان الغز تقليد كتابى له . »
ويقول شمس الدين سامى :

« طغرا = أصلها بالتركية طوغرول ، تدل على باز مبسوط الجناحين ، كانت الطغرا في القديم صورة هذا الطير ، فأخذت الطغرا بهذا الاسم ودخلت العربية والفارسية . »

كذا قال العالمان التركيان ، ولكننا لم نجد مرجعاً قديماً مذكوراً فيه أن الباز كان شعارا خافيا عاما أو شعار خاقان الغز . ولم يذكر محمود الكاشغرى ولا غيره من القدماء شيئا من هذا ، ولم نجد أيضا مرجعاً قديماً يقفنا على أن « الطغرا » كانت صورة طائر من الطير ، ولم نرفق نماذج الطغرا المنشورة في دائرة المعارف الاسلامية ما يشبه الباز المبسوط الجناحين ولا غيره من ذوات الجناح . واذا راجعنا « ديوان لغات الترك » نجد هذين التعريفين للطغرا :

١ - تُغْرَاغْ = طابع الملك وتوقيعه . بالغزية ولا تعرفه الترك .

٢ - تُغْرَاغْ = كل فرس يعطى الملك جنده يوم الركوب أو الحرب ، ثم يسترد منه يوم الإقامة .

ولم يذكر الكاشغرى أن الباز كان شعارا أو علامة لخاقان الغز ، مع أنه ذكر

علامات القبائل الغزية قبيلة فقييلة ، وأولها قبيلة « قنق » التى كان منها « الخاقان » ؛
فهل يظن أنه كان يجهل ذلك ؟

نحن لا نرى وجهاً لذلك الظن أبداً .

والآن نسأل الذى نسب « الطغرا » الى الطير « طغرل » فنقول له : ان كان طابع
الملك « تغراغ » قد أخذ اسمه من الطائر « طغرل » للمشابهة بينهما ، فهل كانت الخيل
التى يعطيها الملك جنده يوم الركوب أو الحرب تشبه الطير المذكور ؟ الجواب نفى
مؤكد .

فلا شك اذن فى أن تفسير العالمين الحديثين لا يستند الى شىء من الحقيقة . وعلينا
الآن أن نبحث عن سبب تسمية طابع المالك وحياه المعارة باسم واحد هو « تغراغ » ؛
وخير دليل لنا فى بحثنا هذا هو المعنى الثانى لـ « تغراغ » الذى جاء فى « ديوان لغات
الترك » .

يجب علينا أن نعلم فى بادىء الأمر أن الغين فى آخر « تُغْرَاغْ » ما هى الا غين
النسبة فـ « تُغْرَاغْ » تساوى شيئاً منسوباً الى « تُغْرَا » ، وبالنسبة الى الخيل يعنى
(العائدة الى تُغْرَا) . ولما كانت الخيل « تُغْرَاغْ » عائدة الى الملك ، وجب أن يكون
« تُغْرَا » هو الملك نفسه . وكلمة « تُغْرَاغْ » يقابلها « بگلک » أى (أميرى) عند
العثمانيين ، وهم كانوا يسمون بها كل متاع يعود الى الدولة . و « بگلک » أى « أميرى »
عند العثمانيين ما هو الا ترجمة « تُغْرَاغْ » . فلا شك حينئذ فى أن « تُغْرَا » كان معناه
(الملك » ، الأمير ، البك) . وبعد أن توصلنا الى هذا لا نجد صعوبة فى أن نرى أن
كلمة « تُغْرَا » تلفظ آخر لكلمة « تورا » = (الأمير ، النظام) . فاما أبدال الغين من
الواو المضمومة فى « تورا » فانه من خصائص احدى اللهجات التركية التى استعملت
« تُغْرَاغْ » بمعنى طابع الملك والامعة والاموال الاميرية أول مرة ، ثم انتشر استعمالها
وفشا بين الشعوب التركية بدينكم المعين ، وهذا هو السبب فى جهل محمود الكاشغرى
لمعناها الأصلية .

ومن السهل علينا أيضاً ان نعرف الآن لماذا سُمى طابع الملك بـ « تُغْرَاغْ » < طُغْرَا » .

ان طابع الملك كان يوضع فى صدر القوانين والأنظمة والفراامين لاشعار الناس بأن تلك
القوانين والنظم والفراامين ملكية .

ويظهر أن طابع الملك في البداية لم يكن يسمى «تُغْرَاغُ» ، ولكن القوانين والنظم والقرامين الممضاة بامضاء الملك كانت تسمى «تُغْرَاغُ» (الملكى ، الأميرى ، النظامى) ، إلا أنه بعد أن نسي معنى «تُغْرَاغُ» الأصلى ، اتخذ اسما للطابع الملكى . استعمل السلجوقيون ، وهم من الفرز كلمة «طُغْرا» في الشرق الأوسط ، قبل العثمانيين واستمرّ العثمانيون خلفاء السلجوقيين على استدامة استعمالها الى آخر عهدهم .

وقد عرفت الطغرا على عهد السلجوقيين بأنها الطسرة التى تكتب فى أعلى الكتب السلطانية بالقلم الغليظ فوق البسلة ، ومضمونها نعوت السلطان أو الملك الذى صدر الكتاب عنه ، والىها نسب الشاعر الكبير مؤيد الدين الطغرائى ، وذكروا أنها لفظة أعجمية (١) .

ونعود الى تفسير علماء الأتراك كلمة «طُغْرا» ونسبهم لها الى الطير «طُغْرُل» ، فقول ان الذى حملهم على ذلك الأسقاق المنكف هو اضمحلال المعنى السيم لهذا الاسم واستبهامه عليهم ؛ فلما رغبوا فى أن لا يفوتهم قول فى اشتقاقه لأدوا بكلمة قريبة الشبه من «طغرا» وهى اسم الطائر «طغرل» ولكنهم سكتوا عن «اللام» التى فى آخره ، وتركوه طائرا بلا ذنب .

وأرى من الطريف أن أنهى هذا البحث بنقل الخرافة التى كان يعتقد بها بعض المؤرخين العثمانيين عن أصل الطغرا ودلالة كل جزء من أجزائها ، كما يروىها أحمد راسم بك فى كتابه «عثمانلى تاريخى» (٢) ، قال :

«ان المعاهدة التى عقدت مع جمهورية «راغوزه» كانت قد كتبت بصورة «قرمان» والسقراء الذين حضروا عقد المعاهدة طلبوا أن تكون معلمة بعلامة من السلطان نفسه ، فغمس (السلطان مراد) (٣) كفة فى الحبر وطبعها فى أعلى الفرمان . ولذلك قيل : ان الطغرا الاولى عند العثمانيين كان أصلها طبعة هذه الكف السلطانية .

ويذكر المؤرخون أن الثلاثة الخطوط العمودية فى وسط الطغرا هى ثلاث

(١) يراجع ابن خلكان فى وفيات الاعيان ، « ترجمة الطغرائى » .

(٢) أحمد راسم ، « عثمانلى تاريخى » ج ١ ، الطبعة الثانية ، استانبول ١٣٣٠ هـ .

(٣) السلطان مراد خداوندكار ؛ عقدت معاهدة تجارية مع جمهورية راغوزه

الاصابع الوسط لكف السلطان ، وأن الخطين المتدين من الجهة اليمنى للطغرا هما
الابهام ، وأن الخطوط المنحنية فى اليسار ، أو امتداد الميم فى جملة « المظفر دائماً »
التي فى الطغرا يقال انها المختصر (١) . ولكن يظن أن الطغرا كانت مستعملة قبل
العثمانيين ، بل قبل الاسلام بزمن طويل ، وقد روى أنها ضرب من الشعار .

وفى الطغرا يكتب اسم السلطان ، واسم أبيه ، وجملة « المظفر دائماً » ، وكلمة
« الغازى » . فان لم يكن السلطان غازياً ، نقشوا فى موضعها زهرة . وحدث أنهم كتبوا
فى هذا الموضع اسماً من الاسماء كما فى طغرا (السلطان محمد الخامس) .

الملحق - ١٧

قطر ومقطر

ان عدة من مؤلفى التواريخ العثمانية القديمة يرجعون أصل الملوك العثمانيين الى
« بنى قطورا » الذين هم ، على زعمهم ، قد هاجروا فى زمن « اسماعيل بن ابراهيم »
الى خراسان ؟ وقد رووا حديثاً خاصاً بـ « بنى قطورا » بنى بدوام حكم الملوك
العثمانيين الى أبد الدهر .

ونسبت فئة أخرى من المؤرخين القدماء أصل أولئك الملوك الى « عيص بن اسحاق
ابن ابراهيم » الذى رحل ، على زعمهم ، الى بلاد ما وراء النهر . وقالوا : « ان الجدة
الأعلى لسلطين الدنيا هو « اسحاق بن ابراهيم » ، لأنه ولد له توأمان ، هما « عيص »
و « يعقوب » . فتقدم « عيص » فى الولادة ، لأنه كان حريضاً على الدنيا ، فأصبح جدا
للملوك الدينيين ؛ فأما « يعقوب » الذى سمي بهذا الاسم لتأخره فى الولادة ، فلم يكن
حريضاً على مجيئه الى الدنيا مثل اخيه ، فأصبح جدا للانباء ، الملوك الروحانيين ؛ حتى
ان جدود ملوك آل عثمان ايضا يتصلون بـ « عيص » ابتداء من « سليمان شاه » الى
المرتبة الاثني والاربعين (٢) .

الا أن من هؤلاء المؤرخين من اعترض على ذنبك الزعمين وقالوا « عيص بن
اسحاق » نزع الى « بلاد كنعان » وهناك عاش وولد ، وان اتصالهم بـ « اسماعيل بن

(١) يظهر أنها كانت الكف اليسرى .

(٢) مرى التواريخ ، ص ٣٧٢ .

ابراهيم « أقرب الى الحقيقة » .

ومع هذا يبدو أنه كان منذ القدم اسمان شائعان بين الأتراك وهما « قطورا » و « مقطور » ، اذ جاء ذكرهما في « كتاب البلدان » لابن الفقيه نقلا عن الرحالة تميم بن بحر المقطوعي ١٥٦/٨٢١^(١) فقد جاء ما نصه : « لم يتزوج ابراهيم عليه السلام على سارة حتى ماتت فتزوج امرأة من العرب العاربة يقال لها « قطورا بنت مقطور » وخرجوا سائرين حتى نزلوا موضع خراسان فتاسلوا هناك وقهروا بذلك الاسم (٢) جميع من ناوهم ، فاتصل خبرهم بالخزر ، وهم من ولد يافث بن نوح ، فصاروا اليهم وحالفوهم وتزوجوا اليهم وأقام بعضهم عندهم فأنصرف الباقون الى بلدهم (٢) » .

على أننا لا نرى في تلك المزايع شيئا من الصواب ، لأن هذين الاسمين الواردين على بعض الروايات في الحديث وفي الأخبار إنما هما في الحقيقة اسمان أحدهما وهو « قطور » تلفظ لـ « خان - تور » الذي هو شكل معكوس لـ « تورخان » ، ومعناه (الخان الخلام) أو (الخلام الخان) . وقلب الخاء الى قاف أمر عارف كما هو واضح في تطور « خان - تون » الى « خاتون » ثم الى « قادين » .

ونظهر ان تميم بن بحر أو غيره قد سمع بـ « خان - تور » < فان تورا » بين الاسماء التركية ، وكان يعلم انه كان في التوراة لابراهيم زوجة اسمها كتوره (قطورا) فربط هذا الاسم بذلك بعد أن حرف « قطورا » الى « قطورا » توكيدا لمقصده . ومما يؤيد ظننا هذا أن الكاشغري ٤٦٦/١٠٧٣ ، وهو المعروف بأنساب الأتراك ، لم يذكر « بنى قطورا » أو « قطورا » بل قال : « ان الترك في الاصل عشرون قبيلة يعترفون كلهم الى ترك بن يافث بن نوح النبي صلوات الله عليه ، وهم بمنزلة اولاد الروم بن عيصو ابن اسحق بن ابراهيم » . كما أن المؤرخ احمد مدحت أفندي في كتابه « تاريخ مفصل » (طبع استنبول في بداية القرن الحالى) يقول استنادا الى المؤرخ « تشرى » ، انه لا يمكن أن يكون الأتراك من ذرية ابراهيم لأنهم غير ساميين ، وهم من بنى يافث بن نوح . ويستشهد أيضا بقول المؤرخ على جلبي وكتاب صحائف الاخبار وكتب اخرى . وأنا أضيف الى ما سبق أن رجوع نسب الأتراك الى يافث بن نوح ما هو الا أمر قد تطلبت

(١) يراجع مقال منورسكى المعنون :

“Tamim ibn Balir's journey to the Uyghurs”

Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol XII Part 2.

في الصفحة ٣٠٣ حيث ثبت تاريخ رحلة تميم بن بحر المقطوعي .

(٢) يراجع المصدر السابق ص ٢٨٢ .

ايضا العادة القديمة المتحكمة *

والاسم الآخر وهو « مقطور » انما هو تصحيف اسم « بگتور » الذي ذكرناه وهو مساو لـ « بنغ - تور » (بهادور) ومعناه (النظام البك) ، وفي الأخير أصبح بمعنى (البطل) . وقد جاء في شاهنامه الفردوسي اسم بطل تركي بصورة « مقاتوره » وقد قتله « بهرام چوبين » . وهذا « مقاتوره » هو « مقطور > بنغ - تور » نفسه في الاسماء التركية *

الملحق - ١٨

ما قاله الكتاب المسلمون القدماء في اشتقاق اسم بغداد

لقد اختلف الكتاب العرب القدماء وكذلك الايرانيون في أصل اسم بغداد وذهبوا في تفسير تلك الكلمة مذاهب شتى ، ونستخلص للمقارئ أهم التفاسير الواردة لتلك الاسم :

١ - انما سميت بغداد بلغة الفرس ، لأنه أهدى لكسرى خصى من المشرق فأقطع بغداد ، وكان لهم صنم يعبدونه بالمشرق يقال له « البنغ » فقال « بنغ داد » يتون « أعطني الصنم » (١)

٢ - « بنغ » بالفارسية « صنم » ، و « داد » عطية (٢) .

٣ - « بنغ » شيطان ، و « داد » عطية (٣) .

٤ - انه « عطية الصنم » وربما قيل عطية الملك (٤) .

٥ - ان بغداد كانت قبل دولة بني العباس سوقا يقصدها تجار اهل الصين بتجاراتهم فيربحون الربح الواسع ، وكان اسم ملك الصين « بنغ » فكانوا اذا انصرفوا الى بلادهم قالوا « بنغ داد » أي « ان هذا الربح الذي ربحناه من عطية الملك » (٥) .

٦ - « بنغ » اسم صنم لبعض الفرس يعبد ، و « داد » رجل (٦) .

٧ - وبعض الأعاجم يزعم : ان تفسيره بالعربية « بستان رجل » ، فبنغ « بستان » و « داد » رجل (٧) .

٨ - سأل المنصور رجلا من الأولين هناك : « ما اسمك ؟ فقال : اسمي داد »

(١) يراجع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ، ص ٥٨ طبعة مصر ١٩٣١ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩ .

(٣) المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩ .

(٤) المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩ .

(٥) معجم البلدان لياقوت الحموي مادة « بغداد »

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ، ص ٦٠ .

(٧) المرجع السابق ج ١ ، ص ٦٠ .

فقال له : وما يقال لهذا الموضع ؟ فقال : هذا باغ لي ^(١) . فقال : سموه « باغ لداذ »
أي بستان لداذ فسميت بغداد .

٩ - بغداد اسم فارسي معرب عن باغ داذويه ؛ لأن بعض رقعة مدينة المنصور كان
باغاً لرجل من الفرس اسمه داذويه ^(٢) .

١٠ - وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطها فاعتل ، فقالوا :
ما الذي يأمر الملك أن تسمى به هذه المدينة ؟ فقال : هليدوه وروز ^(٣) أي خلوها بسلام ،
فحكى ذلك للمنصور ؟ فقال : سميتها مدينة السلام .

١١ - بغداد كلمة مركبة من « باغ » و « داد » ، ف « باغ » (حديقة)
و « داد » (العدل) ويكون تفسير بغداد (حديقة العدل) واصل التسمية انه كان في
عصر انوشروان في أرض المدينة المذكورة حديقة غناء اعتاد أنوشروان أن يزورها مرة
في الاسبوع ، يقوم فيها بنشر العدل بين الناس فسميت المدينة التي شيدت على أرض
تلك الحديقة « باغ - داد » ثم رقت تلك التسمية بمرور الزمن فأصبحت « بغداد » ^(٤) .

١٢ - قال الجرجاني : « باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر ، وداذ معطى ،
فمعنى بغداد معطى البساتين .

توثيق وهي

(١) المرجع السابق ج ١ ، ص ٦٢

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي مادة بغداد .

(٣) ان الكلمتين « هليدوه وروز » يبدو أن تساخ معجم البلدان القدماء حرفوهما
عن اصلهما الفارسي ، وشكلهما الصحيح « هليدش بدرود » .

(٤) أخذنا هذا من ترجمة المعجم الفارسي « برهان قاطع » الى اللغة التركية للسيد
احمد عاصم أفندي العيتابي ج ١ ، ص ٢٨٧ - ٨٨ طبع بمطبعة غامرة في استنبول في
١٩ رجب ١٢٨٧ .

« بغداد الخط الثاني من المخطوط الموجودة في « جام جمشيد » . وعدد تلك المخطوط
سبعة وهي بالتسلسل ١ - جوربفتح الجيم وسكون الواو والراء ، (الخط الذي على
أضبار الكأس) ، ٢ - بغداد ، ٣ - خط لبصرة ، ٤ - الخط الازرق ، أو الاسود ، أو
الاخضر أو الليل ، ٥ - خط اشك (الدمع) أو خط الخطر ، ٦ - خط كاسه كر
(الكواز) ، ٧ - خط فرووردين الشمس في برج الحمل .

ويبدو ان « جام جمشيد » أي « كأس جمشيد » ك « جام جهان نما » كان من
قبيل تلفزيون الاساطير ، كانوا بالنظر اليه يرون حوادث العالم التي يرغبون في
استقصائها مهما بعدت . ونذكر في هذا الصدد البيت الآتي لحافظ الشيرازي :
« آيينه سكندر جام جمست ، بنكر ، تابرتو عرضه دارد أحوال ملك دارا »
وترجمته : أن امرأة الاسكندر هي كأس جمشيد ، فانظر لكي تعرض عليك أحوال ملك دارا »

مدرسة القياس في اللغة

من طبيعة الأشياء أن يكون في كل جماعة للبحث ساروا شأوا ما من الرقي ،
طائفة من المحافظين وطائفة من الأحرار •

فالمحافظون بطبيعتهم ميالون الى السير على القديم من غير تفكير في تغييره ولا
الخروج عنه ، ويدعوهم الى ذلك : اما خمودهم الذهني وفقدان النشاط العقلي الذي
يبحث على التفكير ويدعو الى التغيير ، واما حب السلامة وعدم تنفيس الحياة بما
يستوجبه التجديد من الاضطراب والتعرض للنقد ، واما منفعتهم الشخصية من النظام
القديم على وجه ما ، واما اخلاصهم للتقديم واجلالهم له لما أسبغ عليه من نقديس •
والأحرار ميالون الى التجديد ، يدعوهم الى ذلك نشاط ذهنيهم وما يرونه في
القديم من عيوب تدعوهم الى تقدها وتغييرها ، ولهم من الشجاعة والغيرة ما يحملهم على
مقاومة القديم والدعوة الى الجديد •

هذا هو الشأن دائما في تاريخ الحياة الانسانية • وقد كان هذا عند العرب ، كما
كان عند غيرهم • فالدعوة الى الاسلام نفسه دعوة الى التجديد ، وكان في الصحابة
أنفسهم محافظون وأحرار ، قد يمثلهم جميعاً « عمر بن الخطاب » وابنه « عبدالله » •
وجد هؤلاء الأحرار والمحافظون في الفقه ، فكان أهل الحديث الذين يقفون عند
جمعه واستنباط الأحكام منه ، وأهل الرأي أى أهل القياس ، وهم الذين يقيسون ما لم
يرد فيه نص على ما ورد فيه نص ، وهذا هو الشأن في كل جماعة يشتغلون بعلم من
العلوم : منهم من يقف على ما قرره العلماء ، ومنهم من يتكر ويستنبط ويبين خطأ من
قبله ويصححه •

وكذلك هو شأن اللغة ، حتى بين الأدباء : فمن الشعراء والأدباء من كان يلتزم
ما ورد في اللغة ولا يخرج عنه بحال من الأحوال ، ومنهم من كان يجيز لنفسه أن
يجدد فيحكي عن « العجاج » وابنه « رؤبة » أنهما كانا يصوغان ألفاظا لم يسبقا إليها •
ويروى عن « بشار » أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد ، فرأى العرب تصوغ (فعلى)

من الفعل للدلالة على السرعة ، فقالوا جمزى لسرعة السير ، ففاس عليها وقال :
والآن أقصر عن « سمية » باطل وأشار بالوجل على مشير
وقال :

على الغزلى منى السلام ، فربما لهوت بها فى ظل مخضلة زهر
وعاب عليه المحافظون ذلك ، فقالوا : لم يسمع من العرب وجل ولا غزلى .
وأشد الخليل رجل : « ترفع العز بنى قارفعما » . قال الخليل : فقلت : هذا
لا يكون . فقال : كيف جاز « للمعاج » أن يقول : « تقاعس العز بنى قافعنسا » ؟
على كل حال ، بدأ العلماء يجمعون اللغة بألفاظها وأساليبها من أفواه العرب ، وقد
بذلوا فى ذلك جهدا مشكورا ، وتحملوا من العذاب ما لا يستطيعه إلا أولو العزم ،
وفضلوا أن يأخذوا عن العرب العرباء الذين لم تفسدهم الحضارة ولا الاختلاط
بالأعاجم ، وكان أصح من تؤخذ عنهم اللغة عندهم « قيس » و « تميم » و « أمد » ،
ثم « هذيل » وبعض « كنانة » وبعض « الطائيين » ، ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر
قبائلهم ، كما لم يأخذوا عن حضرى ، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف
بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم . *

ولكن يؤخذ عليهم أنهم ساروا فى الجمع حينما اتفق فلم يفرّدوا كل قبيلة بما أخذ
عنها . ولو فعلوا ذلك ، لآفادونا فائدة كبيرة . ورأى أن كثيرا من الاضطراب فى
اللغة كالذى نراه فى أوزان جموع التكسير المختلفة ، وجمع الكلمة على أشكال عدة
مثل جموع ناقة وعبد ، سببه اختلاف لغات القبائل ، وأن كل لغة كان لها موازينها
القياسية المطردة غالبا ، وكذلك اختلاف أوزان الأفعال الثلاثية : كثير منها كان سببه
هذا ، وكذلك تعدد المصادر للفعل الواحد ، ففعل لقي مثلا له أكثر من عشرة مصادر ،
وما أظن أن قوما عقلاء يجعلون للغتهم مصادر أكثر من عشرة لكلمة واحدة . وهذا
ما جعل اللغة العربية تنوء بالترادفات ، فلو أن جامعى اللغة جمعوها على نمط منظم ،
لافرّدوا كل لغة بمجموعة ، وكان هذا يفيدنا كثيرا فى تنظيم لغتنا وحذف ما يحذف
وابتات ما يثبت .

ويؤخذ عليهم أيضا أنهم لم يفرّقوا فى جمعهم بين اختلاف الكلمات الواحدة من
حيث مادتها ، والكلمات المختلفة بحسب اللهجات . فقد تكون الكلمة واحدة فى الأصل ،
ولكن اختلفت لهجات القبائل فى وضع حرف مكان حرف ، أو تقديم حرف وتأخيره ،
مثل أن تقول قبيلة : تكف عن الشيء ، وقبيلة كنف . ومثل عاث بيعت ، وعثا يعثو ،

والشيء الشائع والشيء الشاعى ، وبضا بالمكان وباض أى أقام . ومثل كدر وكدل وكدن ، الى كثير من أمثال ذلك . والمعجمات مملوءة منها وبتعدادها ، مع أن الواضح فيها أن أصل المادة شيء واحد ، واختلفت فيها اللهجات . فلما جاء أصحاب المعجمات ، جمعوا هذا كيفما اتفق أيضاً . وكان الواجب أن يكون بعد هذا الجمع الترتيب والتبويب والغربلة والدراسة كما هو الشأن فى كل علم تجمع مادته الخاصة حيثما اتفق ، ثم تبحث وترتب بحسب ما يدل عليه العلم . فمثلاً ، جمع المشتغلون بالحيوان أصناف حيوانات البحر ، وسموها سمكاً ، اعتماداً على سكنى الماء وتمائل الصورة ، وجعلوا صنفاً يسمى الوهيل من السمك لهذه الشواهد الظاهرية . فلما غنى علماء الحيوان بالبحث ، وجدوه من ذوات الثدي ، فألحقوه بالخيول والبقر ، وأخرجوه من دائرة الأسماك .

وعد الأقدمون الأجرام السماوية من ذوات النفوس لما شاهدوا فى حياتهم الأرضية من أن المتحرك من غير محرك محسوس لا يكون الا ذا نفس واردة ، فجعلوا للنجوم نفوساً وارادات ، وعدوها أرقى من الانسان ؛ لأنها فى السماء ، وهم فى الأرض . فلما كشف عن قانون الجذب ، وتقدم العلم ، تبين أنها ليست بذات أنفس وارادات ، وانما هى مادة جامدة كالأرض . والأمثلة كثيرة .

وقد قصر أصحاب المعجمات فى بحثهم المستقصى على النمط العلمى .

وكان هذا الجمع هو المادة « الخام » أعنى المادة الساذجة للغويين والنحويين . فأما النحويون والصرفيون ، فقد برعوا فى القياس الى أقصى حد ، فكل علمهم قياس - نظروا الى الأعم الأغلب ، فجعلوه قاعدة ، وجعلوا ما جاء على خلافها شاذاً لا يصح الاتيان بمثله . فالعرب لم تلتزم مثلاً نصب اسم ان ، ولا رفع خبرها ، ولا عطف المرفوع على المرفوع والمنصوب على المنصوب ، وهكذا . بل ورد فى القرآن رفع اسم ان فى قوله تعالى : « ان هذان لساحران » . وجاء فيه : « والمقيمى الصلاة والمؤتون الزكاة » . وقوله « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى » . فقعدوا قواعدهم على الكثير الغالب . وكذلك الصرفيون فى قواعد الاعلال والابدال ، واشتقاق صيغ اسم الفاعل والمفعول ، والزمان والمكان ... الخ ... فضبطوا بذلك اللغة فى اختصاصهم ، وكل هذا عن طريق القياس .

أما اللغويون ، فسادت عليهم المحافظة ، وقلت فيهم الحرية . وليس الاختلاف فى أن اللغة توقيفية أو غير توقيفية الا مظهرها من مظاهر المحافظة والحرية . فمن قال انها توقيفية ، أو عبارة أخرى من وضع الله ، أسبغ عليها حلة من التقديس ، والتزمها من

غير تصرف فيها . ومن قال : انها غير توفيقية ، أو بعبارة أخرى من وضع البشر ، كان أكثر حرية في التصرف فيها .

على كل حال نرى كثيرا من اللغويين وقفوا عند ما ورد ، وكانوا محافظين ، ومن هؤلاء جامعو اللغة « كالأصمعي » و « ابن الأعرابي » و « أبي زيد » ، فلم يكونوا يستيحيون لأنفسهم أن يقولوا كلمة ، أو يشتقوا اشتقاقا إلا عن سماع ، ومن هؤلاء أيضا أصحاب المعجمات « كالجوهري » و « ابن منظور » و « الفيروز ابادي » ، فلم يقيسوا على ما رووا ، وإن اختلف بعضهم عن بعض ففي زيادة الكمية المروية أو نقصها ، وكثرة الاستشهاد وقتله ، وذكر أسماء البلاد والأعلام أو تركه ، ونحو ذلك .

وبجانب ذلك قلة من القياسيين ، أو بعبارة أخرى مدرسة القياس ، وربما كان من أعلام هذه المدرسة « أبو علي الفارسي » وتلميذه « ابن جني » .

فأما « أبو علي الفارسي » ، ففارسي الأب عربي الأم ، مات ببغداد سنة ٣٧٧ في أيام الطائع لله ، عن ثمان وتسعين سنة . طوف كثيرا في بلاد الشام ، وآفاق بحلب مدة ، وخدم « سيف الدولة ابن حمدان » ، ثم رجع الى بغداد ، وخدم عضد الدولة ، وبقي بها الى أن مات . وقد كان معاصرا « لأبي سعيد السيرافي » ، وكان « أبو سعيد » هذا أكثر من « الفارسي » رواية ، وكان « الفارسي » أكثر منه قياساً ، حتى لقد قال أبو علي الفارسي : « لأن أخطيء في خمسين مسألة مما باباه الرواية ، أحب الى من أن أخطيء في مسألة واحدة قياسية » وقد قال فيه بعض تلاميذه : « أحسب أن « أبا علي » قد خطر له واتزع من غلل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا . » وما الغلل إلا مقدمة القياس .

وكان يقول : « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فإذا عربت لفظة أعجمية ، أجريت عليها أحكام الأعراب ، وعددها من كلام العرب ، وأجيز الاشتقاق منها ، كما عرب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه درهمت الخبازي ، أي صارت كالدرهم ، وقالوا : رجل مدرهم ، أي كثر دراهمه . »

وكان يقول : « لو شاء شاعر أو ساجع أو متسع أن يبنى بالحق لام الكلمة اسماً وفعلاً وصفة ، لجاز له ، ولكان ذلك من كلام العرب . وذلك نحو قولك : خرجج أكرم من دخل ، وضرب زيد عمرا ، ومررت برجل ضرب وكرمه ، ونحو ذلك . فقال له تلميذه « ابن جني » : « أفترجل اللغة ارتجالاً ؟ » قال : « ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم ، فهو اذن من كلامهم . » ثم قال : « ألا ترى أنك تقول : طاب الخشكان ؟ فتجعل من كلام العرب ، وإن لم تكن العرب تكلمت به هكذا . » قال : « فرفعك آياه

کرفعہا ما صار لذلك محمولا علی کلامہا ، ومنسوباً الی لغتہا • •

وكان جريئاً الى حد لم نصل اليه الى اليوم ، فكان من رأيه أن الألف اللينة في الكلمة الثلاثية تكتب ألفاً مطلقاً سواء أكان أصلها واوا أم كان ياء ، وقد علل ذلك بحمل الحذف على اللفظ .

وأما « ابن جنى » ، فهو من أب رومى ، وكان من أمهر العلماء فى التصريف . مات فى سنة ٣٩٢ فى خلافة القادر . اجتمع هو و « المتنبى » فى بلاط « سيف الدولة » . وكان « المتنبى » يقول فيه : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » ، وكتابه « الخصائص » نحا فيه منحى جديدا طريفاً يدل على تذوقه للغة ، وتعمقه فى فهم أسرارها ومحاولة فلسفتها . وقد صحب « أبا على الفارسي » أستاذه أربعين سنة ، واستوعب علمه ، وزاده تفصيلا وتعليلا واستدلالا . وقد رأى الفقهاء وضعوا للفقه أصولا ، والمتكلمين وضعوا للعقائد أصولا ، فأراد أن يضع للغة والنحو كذلك أصولا ، فكان بذلك واضع علم جديد يقول فيه : « انه من أشرف ما صنف فيه من عام العرب ، وأذهب فى طريق القياس والنظر ، وأجمعه للإدلة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونيطت به من علائق الايمان والصنعة » . ووصف ما كان يعاني فى ذلك الباب من انعام انظر وطول التفكير ومقابلة الأشياء بالأشياء وموازنة النظائر بالنظائر ، فكان له من ذلك كله كشف كبير من حقائق اللغة ، وسر الوضع ، ورسم مناهج القياس .

وكان له فضل كبير في ما سمي (بالاشتقاق الكبير) ، وهو الذي سماه بهذا الاسم .
وقد تنبه اليه أستاذه « أبو علي الفارسي » . قال « ابن جنى » : « ان «أبا علي» - رحمه
الله - كان يستعين به ويخلد اليه ، لكنه مع ذلك لم يسبه ، وانما كان يعتاده عند الضرورة
ويستروح اليه » . فجاء « ابن جنى » فوسعه ونماه وسماه ، وسمى الاشتقاق المعروف
في أيدي الناس (بالاشتقاق الصغير) كأن نشق من كتب : يكتب واكتب وكتب ومكوب
ومكتب وكتاب ... الخ ... أما الاشتقاق الكبير ، فيعنون به حصر أصول الكلمة
وتقليها على وجوهها المختلفة ، وأن تستخرج منها التباديل والتوافيق وتقرن بينها ، كأن
تأخذ كلمة كلم وتحوّلها الى : ل ك م ، م ل ك ، ل ك م ، م ل ك ، ل ك م ، ل ك م ، على شيء واحد
النظر فيها لتتطر : هل تبدل هذه الحروف ، اذا جمعت كلها على نحو ما ، على شيء واحد
يتنوع بتنوع تركيبها ؟ فستخرج مثلا أن هذه الحروف الثلاثة اذا اجتمعت دلت على
القوة ، وتستخرج معنى القوة من كل ما دلت عليه في أشكالها المختلفة . وهذا باب عظيم
من أبواب أصول اللغة فاق فيه « ابن جنى » .

ومما يؤسف عليه أن مدرسة القياس هذه لم تستمر على سيرها حتى تؤتي ثمارها فإن النكبة التي أصيب بها المعتزلة نكبة أصيب بها العلم العربي كله . فقد كانت الحرب بين المعتزلة والمحدثين حرباً أيضاً بين منهجين للعلم : منهج تحكيم العقل مع المحافظة على أصل الدين - وهو الذي دعا إليه المعتزلة - وهو منهج البحث والتجربة والاستدلال العقلي والشك والقياس وما إلى ذلك ، كما يظهر في منهج « النظام » و « الجاحظ » وأشباههما . ومنهج الذين يقتصرون على الرواية والجمع والجرح والتعديل وما إلى ذلك ، وهو منهج المحدثين . فلما نصر « المتوكل » المحدثين ، ونكل بالمعتزلة ، شاعت طريقة المحدثين المؤسسة على الرواية ، وضعفت طريقة المعتزلة المؤسسة على العقل والقياس ، وأثر ذلك في وقوف جميع العلوم ومنها اللغة !

وقد كان للمعتزلة أثر كبير في القياس اللغوي ، يظهر في قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر ، لا توقيفية ، كما يظهر في تحرر « الجاحظ » وأمثاله من المعتزلة في تنسيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ والأعجمي فيها ، وكما يظهر أيضاً في أن زعيم مدرسة القياس وهما « أبو علي الفارسي » و « ابن جنى » كانا من المعتزلة ، وكما يظهر في البحوث اللغوية الطريفة التي حققها « الزمخشري » في كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ، ودلالاتها عن طريق المجاز ، وهو معتزلي أيضاً - فلما ذهبت دولتهم ، غلبت دولة المحافظين في اللغة ، كما هو الشأن في كل علم . فإن قلت : إن العلم العربي وقف عند نكبة المعتزلة أو بعدهم بقليل - لأن أثرهم لم يمح مرة واحدة ، بل ظل قرناً أو أكثر يعمل بحكم دفعتهم القوية - وإن العلم أصبح في الأعم الأغلب جمعا ورواية ، وتأليفاً لمفترق ، وتفريقاً لمجتمع من غير نظر عقلي قسوى ولا ابتكار ، لم تكن بعيدا عن الصواب .

ونحن إذا أيدنا القول بالقياس في اللغة ، ودعونا إليه ، فما الذي نريده ؟ وما الذي نستفيد منه في مثل موقفنا ؟

يمكننا أن نستفيد من القول بالقياس في اللغة فوائد كثيرة ، من أهمها في نظرنا :
 (١) أننا نجد كتب اللغة كثيراً ما تذكر المصادر ولا تذكر أفعالها ، أو العكس ، أي يذكر الفعل ولا يذكر مصدره ، أو يذكر الفعل ولا يذكر من أي باب هو ، فالقول بالقياس يمكننا من تكميل هذا النقص بحمل المجهول على المعلوم . فمتى رأيتهم يكترون من المصادر على وزن ماضٍ إذا كان فعله على وزن خاص في الأعم الأغلب ، أمكننا أن نقيس ما لم يذكر على ما ذكروا ، وأن نعهده من كلام العرب ، وهكذا . وهذا الباب يكمل نقصاً كبيراً في المعجمات .

(٢) أننا إذا وجدناهم يشتقون وزناً خاصاً ، ويستعملونه للدلالة على شيء خاص ، أمكننا أن نقيس عليه ما لم يذكروا . فإذا وجدناهم مثلاً يصوغون (فعلاً) للدلالة على محترف الحرفة أو المهنة ، كنجار و حداد و قفال ، أمكننا أن نقيس عليه من أسماء أصحاب المهن والحرف ما لم يذكرود .

(٣) الاعتراف بالدخيل ، وعدّه عربياً ، وادخاله فى معجماتنا ما دام يجرى على الصيغ العربية ، ويسير على نمط العرب فى وضعهم أو اشتقاقهم ، مثل كلمة (الوزائع) ، وقد استعملها « ابن خلدون » بمعنى الضرائب التى يوزعها الحاكم على الرعية ، ومثل : (تندر) اذا جاء بالنادرة ، و (تادر به وعليه) اذا جمعه موضع نادرته ، وقد استعملها صاحب الأغاني ، ومثل (المقيدة) وهى الدفتر الذى يكتب فيه الرجل ما يمر به تذكرة لنفسه ، ومثل (تفرج) بمعنى اطلع على الشيء ليتسلى به ، ومثل مئات الكلمات التى استعملت فى العصور المختلفة للدلالة على معان جديدة من مثل ما أثبتته « دوزى » فى معجمه . فما بالنا لا نثبت فى معجماتنا قياساً على ما فعل العرب ؟

(٤) أننا نجد العرب أحياناً يلحظون فى الشيء معنى من المعانى ، فيسمونه باسم مشتق من الكلمة التى تدل عليه . فقد سموا القارورة قارورة ؛ لأنهم لاحظوا أن الشيء يقر فيها ، وسموا الدار داراً ؛ لأنها يكثر فيها الدوران . فلماذا لا نستعمل هذا الباب فيما يشبهه من كثير من ألفاظ الحضارة والمصطلحات العلمية الكثيرة التى نقف لديها حائزين ؟ ولم لا نشق من الكلمات العربية كلمات تدل عليها ملاحظين ما نلمح من معنى فيها ؟

(٥) وهناك باب أخطر من ذلك وأجراً ، وهو أن تفهم فى عمق وأناة كيف وضع العرب لغتهم ؟ فنرى مثلاً أن العرب كان لها ذوق مرهف فى وضع الكلمات استناداً الى محاكاة الأصوات تارة بتقليد الأصوات ، كما سموا صوت الماء خريراً ، وصوت الحجر صكاً ، وصوت الريح هبوباً ، والضفدع نقيقاً ، واللبن درا ، والمريض أنيباً الخ . . . محاكاة للأصوات التى يسمعونها ، أو يتخيلونها من صوت هذه الأشياء . ثم صاغوا من هذه الأسماء أفعالا ، ثم توسعوا فى الاشتقاق منها للدلالة على ما يشبهها وما يقرب منها . فاللغة عند حدوثها الأول كانت أصواتاً يحدثها المتكلم حاكياً للأصوات المسموعة ، ثم صارت تلك الأصوات المحكية علامة لما لا يسمع بالأذن ، بل يبصر بالعين ، أو يلمس باليد ، أو يشم بالأنف ، أو يعقل بالعقل ، شأنها فى ذلك شأن الخط ، كان عند حدوثه تصويراً للمجسمات ، فالباء للبيت ، والعين للعين ، ثم صارت علامة للأصوات المسموعة . ولكن يكون صوت الحاكى ، فى العادة ، أقصر من المحكى ، فيكفى فى الحكاية بالرمز

فأما في النحت والتصوير ، فتكون الحكاية كاملة .

والأمر في دلالة الكلمات على الأصوات أدق مما يتصور ، وكثيرا ما تعتمد الكلمة في حكاية الصوت على حرف يدل عليه وتكمل بقية الحروف لخدمته . فحرف السين أساسي في كلمة التنفس والحس واللمس ؛ لأنه يتخيل في مدلولها صوت السين عند الاحتكاك ، وحرف الراء هو الأساسي في البحر والنشر والتجروالتحر والبذر والفر ؛ لأنه يتخيل في هذه الأشياء كلها صوت الراء ، وحرف النون هو الأساسي في الظن والرن والغن ، وحرف القاف في الدق والشق والطرق ، وهكذا .

وعند تحري هذا الباب نراهم يحاكون أولا صوت المسموع بالأذن ، ثم ينقلونه إلى المبصر بالعين ، ثم ينقلونه إلى المحسوس بباقي الحواس الخارجية ، ثم إلى المعقول والعقل . فان نظرنا مثلا إلى كلمة حس ، وتبعاتها ، وجدنا أن المصدر الأصلي لحس كان صوتا سينا تخيلوا أنه يسمع عند الحس ، أي عند انس باليد ، ثم انتقلوا من الاحساس باليد إلى الاحساس بغيرها ، فسموا كل ما يشعر به «حسوسا» وسموا الآلات التي يحس بها حواس ، ثم أطلقوها على العلم الحادث من الحواس وعلى اليقين الحاصل من العلم بها ، واشتقوا أحس بالشيء إذا أدركه بحاسته ، ونقلوه إلى أحسست بالشيء أي أيقنت به ، فان تبعت المادة وجدتها كلها من هذا القبيل متدرجة على نحو طريف . ثم نوعوا هذا الصوت السيني فجعلوه مرة حسا ، ومرة لمسا ، ومرة مسأ ولو تقصينا هذا الباب على هذا النمط ، لأنادنا فائدة كبيرة ، ولدنا على أن مصادر اللغة التي تحاكي الأصوات في منبعها الأول كانت مصادر محصورة تعد بالعشرات . فان توسعنا قليلا ، قلنا بالمئات ، ثم تضخمت هذه المصادر بالاشتقاق الصغير والاشتقاق الكبير على مدى الأزمان ، وعلى حسب ما يجد من المعاني وما يقرب من المصادر الأصلية ، وهو باب يفيدنا عندما يفسر أصحاب المعجمات أو المفسرون للقرآن والحديث والنصوص الأدبية اللفظ بتفسيرات مختلفة ، فنستطيع به أن نرجح قولاً على قول ، ورأيا على رأي ، كما نستفيد منه الاستكشاف عن طائفة من الأغلاط التي وردت في كتب اللغة ، ومنشؤها خطأ في النقل ، أو تصحيف في الكتابة ، أو نقل عن ألغ ، أو نحو ذلك . وهذا باب عظيم ، يحتاج الكلام فيه إلى أكثر من محاضرة . وإذا كان «ابن جني» قد سمي ما كشف عنه «الاشتقاق الكبير» فإنه يصح أن نسمي هذا الضرب الاشتقاق الأكبر .

وتارة كانوا يلحظون ما بين الحرف والمعنى من مناسبة ، فيلاحظون في الجاء إذا أمت في آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار ، مثل : ساح وباح وصاح وشرح ومرح .

والكلمة المبدوءة بالشين على التثنية والفرق ، مثل : شت و شطر وشعت وشع الخ ...
والكلمات المبدوءة بالعين على الغموض ، مثل : غمض وغابت الشمس وغبش الليل وغار
الماء وغطى الشيء الخ ... وقد فطن جماعة من كبار اللغويين الى هذا الأمر ، ونبهوا
عليه كما فعل « الزمخشري » كثيرا في تفسيره .

وهذا الأمر وان لم يصرح العرب به ، فقد كان مركزا في طبيعتهم ، مندسا في
أذواقهم ، يعتمدون عليه في وضع الكلمات والاستقاق منها . فمن بلغ من قوة الحس
مبلغهم ومن قوة الملاحظة قوتهم ، كان له بعمق القياس مثل ما لهم .
ولكن من الذى يجوز له هذا ؟ انا اذا قلنا بجوازه لكل فرد ، كان الأمر فوضى ،
وتعرضت اللغة للاضطراب ، ولكننا نقول كما قال الفقهاء ، ونحذو حذوهم ، ففي عصورهم
الزاهية كان الاجتهاد ، وكان البحث في المجتهد والقول في شروطه ، وحسروا قياس
الأحكام وتقوم العدالة وصحة الحكم في يد المجتهدين ، وشروطوا للمجتهد شروطا
تتلخص في أن يكون محيطا بمدارك الشرع ، متمكنا من وسائل النظر فيها والاستنباط
منها وعلى الجملة يكون زيادة على مواهب الذهنية متقفا ثقافة شرعية وما يلزمها من ثقافة
لغوية ونحوية الخ ... وعلى هذا القياس يجب أن نقول في المجتهد اللغوى . فلا بد أن
يكون متقفا ثقافة لغوية وأدبية واسعة ، متمكنا من النحو والصرف ؛ لأنهما وسائل من
وسائل اتقان اللغة . وفوق ذلك أن يكون له ذوق قد أدهف بكثرة القراءة اللغوية
والأدبية ، ومعرفة بسر الوضع على النحو الذى أبنا ، حتى يستطيع أن يدرك بحسه
الذى كوته الثقافة وعلمه العميق الجيد من الردى ، وما يصح وما لا يصح ، ونحو ذلك .
كما يستطيع بهذه المؤهلات كلها أن يتخير اللفظ المناسب للمعنى المناسب اما بوضع جديد ،
واما باشتقاق من لفظ قديم ، فاذا بلغ هذا المبلغ كان له الاجتهاد اللغوى كما كان لنظيره
الاجتهاد الفقهى .

وكما أن للهيئات القضائية مركزا مهما يستند اليه فيما يصدر عنه من أحكام ،
ويستأنس بما وصل اليه في القضايا المعروضة من اجتهاد ، فكذلك يجب أن يكون الشأن
في اللغة - في الاجتهاد وشروط المجتهد والجمعيات اللغوية التى تشمل فى المجامع
وأشباهاها - لا يمكن أن تحيا أمة حياة صحيحة الا بالاجتهاد - الاجتهاد فى التشريع
والاجتهاد فى كل علم من العلوم والاجتهاد فى اللغة - ودعامة الاجتهاد التى يرتكز
عليها هو القياس ، والله الموفق .

رسائل في الموسيقى

(١)

من الرسائل المخطوطة التي تمكن « المجمع العلمي العراقي » من الظفر بصورة
 قوتغرافية لها رسالة النعم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم المعروف بالنديم المتوفى سنة ٣٠٠
 للهجرة ، وهي ضمن مجموعة رسائل موسيقية كتبت وجمعت لأحد أمراء الهند وهو
 شاه قباد بن عبد الجليل الحارثي البدخشي المعروف بديانت خان المتوفى سنة ١٠٨٣ للهجرة .
 وقد نسخت بين سنتي ١٠٧٣ - ١٠٧٥ للهجرة (١٦٦٢ - ١٦٦٤ م) بمدينة « شاهجهان
 آباد » « دلهي » . وهذه المجموعة هي الآن في المتحف البريطاني برقم (٨٢٣ موسيقى)
 (823 Music)، في ملحق فهارس المخطوطات العربية في المتحف البريطاني ، تنظيم
 « شارلس ريو » « Charles Rieu » ^(١) وترتيبه وشرحه .

وتحتوى هذه المجموعة الموسيقية على الرسائل الآتية :

١ - رسالة فارسية في آراء الفقهاء والتصوفة في سماع الموسيقى . لمحمد بن
 جلال رضوى ، عملها سنة ١٠٢٨ للهجرة .

٢ - رسالة فارسية في جواز « السماع » لعبد الجليل بن عبد الرحمن مقدمة لنواب
 مسيح الزمان .

٣ - رسالة في (١٥) فصلا ، اسمها « الأدوار في الموسيقى » لم يذكر عليها اسم
 مؤلفها . وقد دعي في الفهارس الأخرى « بكتاب الأدوار » . ودعاها بروكلمان
 « Brockelmann » بـ « كتاب الأدوار والابقاع » ^(٢) .

^(١) Supplement to the catalogue of the Arabic manuscripts in the British museum by Charles Rieu. London 1849. p 558.

^(٢) Brockelmann Suppl. Bd. 1. p - 907. Arabic Catalogue. p, 746 b.

وهى لصفى الدين أبى المفاخر عبد المؤمن بن يوسف بن فاخر الأرموى البغدادى المتوفى سنة ٦٩٣ للهجرة . كان خازن كتب أمير المؤمنين المستعصم بالله آخر خلفاء بنى العباس ، وكتبا فى « ديوان الانشاء » فى وزارة شمس الدين محمد بن محمد الجوينى وزير « هولاكو » ومربيا لأبناء هذا الوزير . وصفى الدين الأرموى عالم من علماء الموسيقى ، وله مؤلفات أخرى فى الموسيقى ، منها : « الرسالة الشرفية فى النسب التأليفية » أو كتاب الموسيقى ، وقد وضعها « لشرف الدين هارون » ابن الوزير شمس الدين الجوينى المذكور ، وكتاب « فى علوم العروض والقوافى والبدع » و « كتاب الكافى من الشافى » . ومن هذه المؤلفات نسخ فى مختلف خزائن الكتب ، ذكر أسماها « بروكلن » فى كتابه « تاريخ الآداب العربية »^(١) . وبحث عنها عدد من المستشرقين المعنيين بتاريخ الموسيقى عند العرب ، مثل « فارمر »^(٢) ، « والبارون دير لنكر » الذى نشر ترجمة طائفة من الكتب الموسيقية العربية ، منها « الرسالة الشرفية » و « كتاب الأدوار »^(٣) ، و « كارادى فو » « Carra de Vaux »^(٤) .

٤ - رسالة اسمها « شرح الأدوار » وهى فى شرح الرسالة المتقدم ذكرها ، لم يذكر فيها اسم مؤلفها .

٥ - رسالة فى شرح كتاب الأدوار كتب عليها « شرح مولانا مبارکشاه برأدوار » وهى مقدمة لجلال الدين أبى الفوارس شاه شجاع الذى حكم من سنة ٧٦٠ الى سنة ٧٨٦ للهجرة .

٦ - رسالة فى شرح « رسالة الأدوار » لفخر الملة والدين الخجندى محمد بن محمد أبى نصر الخجندى ، وهو صاحب مؤلفات فى الطب والموسيقى ، كتبت سنة ١٠٧٥ للهجرة . اظن انها « رسالة فى نسبة التأليف » وتوجد منها نسخة فى خزانة كتب

(١) Brockelmann. Suppl. Bd, 1. p, 906. حبيب السير ٣ - ١٦ .

(٢) الرسالة الشرفية ، فينا ، رقم ١٥١٥ . Bodleian. Catalogue. 601. Kieseewetter. Die musik der Araber, p. IX. Paris. Catalogue. no. 2479. Vienna Catalogue. No. 1516.

H. G. Farmer, The arabic musical manuscripts in the Bodleian Library, JRAS. 1925. 639/54. A History of Arabian music to the XIIIth Century, London. 1929.

(٣) Baron Rodolphe D'Erlanger. La musique Arabe. Tome Troisieme. Safiyu-D-Din Al-urmawi, Paris 1938.

Carra de vaux. in Journal Asiatique. 1891. II. pp, 279-355.

٧- رسالة فارسية في الموسيقى إسمها « موسيقى حكمت علائي » ، وقد كتب عليها في موضع آخر « موسيقى كتاب دانش نامه في علائي » . وهي جزء من كتاب ناقص للحكيم ابن سينا أتمه بعده تلميذه أبو سعيد الجوزجاني (١) .

٨- رسالة يعقوب بن اسحاق الكندي في خبر تأليف الألحان (٢) (رسالة في خبر تأليف الألحان) ويظن (ديو) أنها رسالة الكندي التي سماها ابن النديم « رسالة في خبر صناعة التأليف » . وأظن أنها الرسالة التي طبعت في مدينة (لايبزيك) بألمانية عام ١٩٣١ ، وطبعها وشرحها « ثمن » "Lachmann" و « محمود الحفني » بعنوان « رسالة في خبر تأليف الألحان » ، وقد ذكرها « بروكلمن » في ملحقته ٣٧٤/١ (٣) .

٩- مؤلف في الموسيقى لم يذكر اسمه ولا اسم مؤلفه ، قدم الى السلطان محمود ابن مراد الغساني (٨٤٧ - ٨٤٩) هـ ، وقد ضمن اقتباسات من كتب قديمة مثل كتاب الشفاء لابن سينا ، والادوار ، والشرقية للارموي ، وكتاب «متاصدالآلحان» للخواجه عبد القادر بن غيبي الحافظ المراغي (٤) .

١٠- كتاب الكافي في الموسيقى ، وهو لأبي منصور الحسين بن محمد بن عمر ابن زبلة المتوفى سنة ٤٤٠ للهجرة . ويتألف من فصول ثلاثة : النغم ، والأيقاع ، وتأليف الملحون (٥) . وهو شارح « رسالة حي بن يقظان » ، وله مختصر لكتاب الشفاء وتعاليق عن شيخه ابن سينا (ابن أبي أصيبعة ٢ ص ١٩) ومنه نسخة في خزانة رامبور

(١) « دانش نامه في علائي » « حكمتي علائي »

Brockelmann. Suppl. Bd, 1, S, 821. Leiden 1780. 1. Br. Mus.

Brockelmann, Suppl. Bd, 1, p, 374. Casiri, vol, 1, p. 358.

(٢) ديون-الانبا، في طبقات الأطباء ١ - ٢١٠ . الفهرست ص ٣٥٩ .

Eodl. 1. 980. Ind. off. 1079. Teh. 2. 123. Asaf. 1. 334

وهو اضع أخرى ذكر اسماءها بروكلمن . ترجمته في تاريخ الحكماء البيهقي « ص ١٠٠ » وترجمة الجوزجاني في « نزهة الارواح » وروضة الافراح « لشمس الدين محمد بن محمود الشيرازي الذي يحفته الآن الاسماذ محمد بهجة الاثرى نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الثاني ويتولى المجمع نشره قريباً »

Br. Mus. Suppl. 823. VIII. R. Lachmann. and mahmud al-(٣)

Hifni. Leipzig. 1931.

(٤) كشف الظنون ج ٢ ص ١٩٠٣ (طبعة استانبول)

Zeitschrift für die kunde des morgenlandes vol, V, S. 149 (٥)

بالمشهد (١).

١١ - رسالة يحيى بن علي بن يحيى المنجم ، وهي الرسالة التي نصفها ، وهي تكملة لرسالة وضعها المؤلف قبل هذا في « المنفي وما يجب أن يكون عليه » . فأما هذه الرسالة فتبحث عن « أمر النغم » وعددها ، وما يتألف منها ويختلف ، ومواقع أصبح أصبح من وتر وتر ، وموضع كل نغمة من كل دستان .

١٢ - جزء من « كتاب المدخل في الموسيقى لأبي نصر الفارابي » ، وقد بحث عنه جماعة من المستشرقين مثل « كوسكارتن » "Kosegarten" (٢) و « همر » "Hammer" وغيرهما .

١٣ - رسالة بالفارسية بعنوان « كشف الأوتار » لقاسم بن دوست على البخاري مقدمة الى الانبساطور « جلال الدين أكبر » .

١٤ - رسالة بالفارسية اسمها « رسالة كنز التحف در موسيقى » ، لم يذكر فيها اسم مؤلفها . تألف من مقدمة وأربع مقالات . وعليها أبيات مقدمة الى السيد غياث الدولة والدين الحسيني ، ويظهر أنها ألفت سنة ٧٤٦ للهجرة .

(٢)

أما (يحيى بن علي بن يحيى المنجم المعروف بالنديم) ، فأديب مثقن صاحب مجلس ، بارع في التحديث ، لبق في الكلام ، متمكن من الغناء والموسيقى وقول الشعر ، أوصله أدبه وفه الى منادمة « الموقق » ثم أمير المؤمنين « المكتفي » خاصة ، وتلت مرتبة عنده وتقدم على خواصه وجلسائه .

وهو من أسرة كانت لها قدم راسخة في الأدب والفن ، وينتهي نسبها الى الفرس ، وقد ألفت في ذلك أبو الحسن أحمد (وهو ابن يحيى الذي تحدث عنه) كتاباً في أخبار أهلهم ونسبهم الى الفرس (٣) . وكان جدهم الأعلى « أبو منصور » من المجوس ، حافظ على دينه ، واتصل بالخليفة المنصور فجعله منجماً له . وكان الخليفة من المولعين بعلم النجوم ، فجمع حوله من اشتهر بهذا العلم . وانتقل هذا الأرث الى ابنه (يحيى بن

(١) Brockelmann, Suppl. I. p. 829. وهو من ثلاثة الرئيس ابن سينا ،

وقد شرح بعض كتب استاذة . كما كانت بينهما مراسلات .

Brockelmann, G.A.L. vol. I. p. 455. 458.

(٢) Hammer Kiese Wetter, musik der Araber, S. 8., 88.

(٣) (المدخل في الموسيقى) عيون الانباء ١٣٤/٢ فما بعد .

أبي منصور) ، فأتصل بذى الرياستين الفضل بن سهل ، وأصبح متجماً له يعمل برأيه في أحكام النجوم الى ان حلت الكائن به ، فانتقل الى خدمة الخليفة المأمون فأصبح منجماً وندمياً ، وهو مع ذلك على عقيدته في المجوسية ، ثم أسلم على يدى المأمون فصار بذلك مولاه ورافقه في حله وترحاله الى أن توفي بحلب في ركاب الخليفة الى طرسوس ، فدفن بها في مقابر قرش (١) .

واتصل ابنه (على بن يحيى بن أبي منصور) المتوفى سنة ٢٧٥ بالخليفة المتوكل على الله ، فأصبح من خواصه وجلسائه ، ثم بالخلفاء من بعده ، وتقرب لديهم حتى صار يجلس بين يدى أسرته ، يفضون اليه بأسرارهم ويأمنونه على أخبارهم ، كما كان صديقاً للفتح بن خاقان ، وقد عمل له خزنة كتب أكثرها حكمة ، واستكتب له شيئاً عظيماً يزيد على ما كان في خزائنه أضعافاً مضاعفة مما لا تشتمل عليه خزائنه . وكان شاعراً راوية للشعر ، أدبياً متفتناً بطبعه ، حاذقاً في صنعة الغناء خبيراً به . أخذ الغناء عن علم من أعلامه في الدولة العباسية ، هو اسحاق بن ابراهيم الموصلى ، وجالسه ، وألف كتاباً في أخباره ، كما ألف في الشعراء كتاباً دعاه كتاب الشعراء القدماء والاسلاميين (٢) . ولم يفقه فن الطبخ ، وهو فن من الفنون يحتاج الى ذوق ومزاج ، فألف فيه كتاباً . ترك على بن يحيى أبناء ورثوا من أيهمم القابلية الفنية والمذاهب الاجتماعية ، فاشتهروا بالشعر والأدب والموسيقى ، وباللباقة في الظهور في المجالس والاندية والمجمعات ، ولذلك حافظوا على صلاتهم القوية بالباطل والخلفاء والوزراء ، وكان منهم أبو عبدالله هارون (٢٥١ - ٢٨٨ هـ) صاحب (كتاب البارع في أخبار الشعراء المولدين) جمع فيه مئة وواحد وستين شاعراً ، افتتحه بذكر يشار بن برد وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح . وقد قال في مقدمته : « انى لما عملت كتابي في أخبار شعراء المولدين ذكرت ما اخترته من أشعارهم وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغت معرفتي وانتهى اليه علمي والعلماء يقولون : « دل على عاقل اختياره » ، وقالوا : « اختيار الرجل من وفور عقله » وقال بعضهم : « شعر الرجل قطعة من كلامه ، وظنه قطعة من عقله ، واختياره

(١) الوفيات ٢/ ٢٥٧ . الفهرست لابن النديم ص ٢٠٥ ، والاغانى ٧ - ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٢١ ، ٢١٥ .

(٢) الوفيات ١ - ٤٤٩ . كتاب الشعراء القدماء والاسلامية ، روى فيه عن محمد ابن سلام ومحمد بن عمر الجرجاني « الفهرست ص ٢٠٥ .

قطعة من علمه » (١) . وذكر أن هذا الكتاب مختصر من كتاب ألفه قبل هذا في هذا الفن ، وأنه كان مطولاً فحذف منه أشياء ، واقتصر على هذا القدر . وقد مدحه ابن خلكان فقال : « وبالجملة فإنه من الكتب النفيسة فإنه يفنى عن دواوين الجماعة الذين ذكرهم ، فإنه اختصر أشعارهم ، وأثبت منها زبدتها ، وترك زبدتها ، وهذا الكتاب هو الذى ذكرته فى ترجمة العماد الكاتب الاصبهاني ، وقلت : « ان كتاب الخريدة وكتاب الخطيرى والباخرزى والتعالبي فروع عليه وهو الأصل الذى نسجوا على منواله .. » (٢) . وله كتاب آخر هو « كتاب النساء وما جاء فيهن من الخبر ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن » . وكان له ولد اسمه على بن هارون ، (٣) أبو الحسن ، كان شاعراً وأديباً ، له مركز عند الوزير أبى محمد المهلبى والصاحب ابن عباد الذى كتب عنه فى كتابه المعروف (بالروزنامه) نقل منه التعالبي المتوفى سنة (٤٢٩) للهجرة فى كتابه « يتيمة الدهر » (٤) .

فأما أبو احمد يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور (٢٤١ - ٣٠٠ هـ) فقد كان نديماً للموفق مختصاً به ، ثم نادى المكفى بالله بن المعتضد ، وتقدم على خواصه وجلسائه ، أديباً شاعراً متفتناً كما هو شأن أفراد هذه الأسرة . وكان بارعاً فى الكلام على مذهب المعتزلة ، ألف فيه كتباً كثيرة ، ومجاً للبحث والمناظرة والجدل ، ولذلك كان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين ، وقد أثر ذلك فى الخليفة المكفى فصار يرأس هذا المجلس ويعقد بحضرته (٥) ، ولم يمتعه اشتغاله بالكلام والذب عن مذهب أهل الاعتزال من الاشتغال بالفناء والتأليف فيه . فلقد كان ذلك فيه طبيعة ، على كون المعرفة بالفناء والشعر وآداب المجلس من مستلزمات النادمة ، فألف فى النغم ، وفى النسب النغمية ، والموسيقى والنسب الموسيقية ، وفى الشعر والشعراء ، ومليح الشعر وجيده .

(١) الوفيات ٢ - ٢٥٧ . الفهرست ص ٢٠٦ ، نقل من كتبه ابو الفرج الاصبهاني الاغانى ٤ - ٢٧ ، ٥٢ ، ٦٦ ، ٣ - ٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢١٥ . ارشاد الأريب ٧ - ٢٣٤ .

(٢) الوفيات ٢ - ٢٥٧ .

(٣) المرزبانى : معجم الشعراء ص ٢٩٦ ، ٤٨٥ ، الفهرست ص ٢٠٦ .

(٤) يتيمة الدهر ٣ - ١٠١ ، ٣٥٨ القاهرة ١٩٣٤ ، الارشاد ٢ - ٣١٩ ، ٣٢٣ .
الصدقى ٢ - ٣٢ .

(٥) الوفيات ٢ - ٢١١ ، ارشاد الأريب ٧ - ٨٢٧ ، الكامل لابن الاثير ٨ - ٥٧ ،
الواقى ٣٦٨ ، مرآة الجنان ١ - ٥٥ المسعودى : المروج ٧ - ٣٠٩ المرزبانى : معجم
الشعراء ص ٥٠٢ .

في أو شهر رجب التي ذكرها المؤرخون .
 ١ - رسالة في الموسيقى وهي الرسالة التي تتكلم عليها ، ولعلها جزء من كتاب النغم ، الذي أشار إليه أبو الفرج الاصبهاني (١) . والظاهر أنه أخذ هذا العنوان من عنوان كتاب الاسحاق الموصلي أستاذ ابن المنجم وصديقه (٢) .

٢ - رسالة الى قيس بن لوفاة وخين بن اسحاق .

٣ - الباهر في أخبار الشعراء المولدين .

٤ - الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين . ابتداء فيه بشار بن برد ، وانتهى بمروان بن ابى حفصة ولم يتمه واتمه ابنه أبو الحسن أحمد بن يحيى وعزم على أن يضيب الى كتاب ابيه سائر الشعراء المحدثين وقد اعتمد المرحباني على الكتابين ونقل منهما في كتابه الموشح (٣) .

٥ - كتاب في اخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلي وقد ذكره أبو الفرج الاصبهاني وهو ممن أخذ عن يحيى بن علي ونقل منه جملا في سيرة اسحاق (٤) .

وكان يحيى بن علي مرجعا لأهل التاريخ والخبار ، نقل من كتبه أبو الفرج الاصبهاني أخبار الشعراء والمغنين (٥) . والمسعودي أخبار الخلفاء الذين تلامههم (٦) ، وكذلك أخذ من كتب ابنه أبي الحسن أحمد بن يحيى بن المنجم ، فقد كان كتابه في الشهرة والعلامة والتأليف . وقد ذكر له ابن النديم كتابا ، وعده في جملة أصحاب محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة صاحب التاريخ والتفسير (٧) ، مع أنه كان ممن أصحاب مذهب الاعتزال .

وكان يحيى بن علي بن يحيى من المتأخرين لفن اسحاق بن ابراهيم الموصلي ،

(١) الاغانى ٨ - ٣٧٤ « كتاب النغم » « كتاب النغم والايقاع » . الارشاد ٢ - ٢٢٣ .

(٢) الفهرست ص ٤٠٦ . و Brockelmann. Suppl. Bd. I. S. 225 .

(٣) الاغانى ٥ - ٤٧٦ .

(٤) الاغانى ٦ - ١٠٢ ومواضع أخرى

(٥) مروج الذهب ٤ - ١٨٤ ، ٢١٠ ، ٢١٣ .

(٦) الفهرست ص ١٤٣ من كتبه : كتاب أخبار أهله ونسبهم في الفرس . كتاب الاجماع في الفقه على مذهب الطبري ، كتاب المدخل الى مذهب الطبري ونصرة مذهبه . كتاب الاوقات . وقد نسب ياقوت الكتب الاخيرة الثلاثة الى يحيى بن علي (ارشاد الأريب ٧ - ٢٨٨) .

(٧) الاغانى ٨ - ٣٧٤ .

والمؤددين اليه ؛ وكان يراه في رأس أصحاب الغناء ، لا يتفوق عليه أحد . كان اسحاق أعلم أهل زمانه بالغناء ، وأغذهم في جميع فنونه ، وأضر بهم بالعود وبأكثر آلات الغناء ، وأجودهم صنعة ، وقد تشبه بالتقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارض ابن سريج ومعبدا فانتصف منهما ، وكان ابراهيم بن المهدي ينازعه في هذه الصناعة ولم يبلغه فيها ، ولم يكن بعد اسحاق مثله (١) . وقد دفعه هذا التقدير ، وهو متفنن وقدير ، الى التأليف في حياة اسحاق ، فكان كتابه من خيرة الكتب التي ألقت في سيرة ذلك المغني الراوية ، الأديب العالم (٢) .

وكان « كتاب النغم » لاسحاق الموصلي من جملة الموارد ، التي استقى منها يحيى ابن علي في تأليف كتابه الذي سماه باسم كتاب الموصلي . وتجد في هذه الرسالة التي يسميها (الأستاذ الاثري) جملا طويلة اقتطعت من ذلك الكتاب ، يظهر منها أنه كان قد اتخذها أساسا لبناء هيكل مؤلفه . وقد أورد أبو الفرج الاصبهاني مقتطفات أخذها من كتاب النغم ليحيى بن علي (٣) تساعد ، ولا شك ، في تحقيق نسبة هذا المؤلف القيم ، وأظن أن هذه الرسالة ، هي فضل من كتاب ألفه يحيى في الموسيقى ، وهو « كتاب النغم » ، وكان مؤلفا من فصول ، كل فصل في فن من فنون الغناء ، فكان الفصل الذي سبق هذه الرسالة في صفة المغني وما يجب أن يكون عليه ، وتناول هذا الفصل النغم العشر (٤) . وهكذا خصص كل فصل بمادة من مواد الغناء .

وقد أنجبت أسرة (المنجم) عددا آخر من الأدباء والشعراء منهم علي بن هارون ابن علي أبو الحسن المتوفى سنة ٣٥٢ هـ (٥) .

وكان راوية للشعر ، شاعرا أدبيا ظريفاً متكلماً نادم جماعة من الخلفاء ، وله مع صاحب بن عباد مجالس ، وقد ذكر له ابن النديم أسماء عدد من المؤلفات ، منها : رسالة في الفرق بين ابراهيم بن المهدي واسحاق الموصلي في الغناء ، وكتاب اللفظ المحيط بقتض ما لفظ به اللقيط ، وهو معارضة لكتاب أبي الفرج الاصبهاني (٦) الذي سماه

(١) الاغانى ٣٧٦/٥ ، وقد نقلت من كتاب يحيى بن علي في سيرة اسحاق بن ابراهيم .

(٢) راجع ترجمته في كتاب الاغانى حيث يورد اخباره بشئ من التفصيل .

(٣) الاغانى ٨ - ٣٧٤ .

(٤) الاغانى ٨ - ٣٧٤ .

(٥) الفهرست ص ٢٠٦ .

(٦) الفهرست ص ٢٠٦ .

الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار^(١) .

ومنهم أبو عيسى أحمد بن علي بن يحيى، وله من الكتب كتاب تاريخ سنى العالم^(٢) .
وأبو عبدالله هارون بن علي بن هارون ، وكان شاعرا أديبا عارفاً بالغناء ، وله كتاب
مختار في الأغاني^(٣) .

وغيرهم ممن لا علاقة لهم مباشرة بموضوعي هذا .

وبعد ، فقد رأى المجمع العلمي العراقي ، نشر رسالة يحيى بن علي بن يحيى
المنتجَم في الموسيقى كما سماها ، بروكلمن^(٤) ، وهي رسالة على صغرها ، وقصرها ، ذات
فائدة بليغة ، فانتدب لها الأستاذ الفاضل السيد محمد بهجة الأثري ، نائب رئيس
المجمع العلمي العراقي الثاني ، فحققها ، وعلق عليها ، وعنى بتصحيحها فأزال كثيراً من
تحريفات النسخ حتى استطاع أن يحررها ويجعلها قريبة من الأصل ، وبذلك ظفرت
المكتبة العربية بتحفة فنية جديدة كانت في زوايا الإهمال .

موايد علي

(١) الوفيات ١ - ٤٥٠

(٢) الفهرست ص ٢٠٧ ، الارشاد ١ - ٢٢٩ ، الارشاد ٢ - ٢٧٧ .

(٣) الفهرست ص ٢٠٧ .

(٤) Brockelmann, Suppl. 1. p. 225.

كتاب النغم

لعمري بن علي بن عمري المنعم

منقول عن نسخة مصورة عن النسخة الوحيدة المحفوظة بالمتحف البريطاني

عني بتحقيقه والتعليق عليه

محمدي بن الأرمي

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يحيى بن علي^(١) بن يحيى النجاشي ، مولى أمير المؤمنين المعتضد بالله^(٢)
في الموسيقى^(٣)

نقول : قد ذكرنا في كتابنا الذي قبل هذا صفة المخني ، وما يجب أن يكون عليه ؛
ووصفنا ما فيه نهاية من ذلك . ونصف الآن أمر النغم ، وعددها ، وما يأتلف منها^(٤)

(١) أديب شاعر مطبوع ، كثير الاقتنان في علوم العرب والعجم . ولد سنة ٢٤١ هـ ،
وحدث عن أبيه وعن الزبير بن بكار واسحاق الموصلي وغيرهم ، وروى عنه جماعة منهم
أبو بكر الصولي مؤلف (أدب الكتاب) و (الأوراق) . وجالس الموفق والمعتصم
وخص به وبالمكتفي من بعده ، وعلت رتبته عند المكتفي . وكان متكلماً معتزلي الاعتقاد ،
وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بحضرة المكتفي ، وله مع المعتضد وقائمه ونوادير .
وله كتاب (الباهر في أخبار شعراء بخضرة المكتفي) ولم يتممه ، وتتمه ولده أحمد
ابن يحيى . وكانت وفاته سنة ٣٠٠ هـ

(و ترجمته في تاريخ بغداد للحافظ البغدادي ١٤ : ٢٣٠ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٣٥)
و ٢٣٦ ومعجم الأدباء ، ٢٠ : ٢٨)

(٢) هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد الموفق طليحة بن المتوكل على الله العباسي .
كان عضداً لأبيه في حروبه وأعماله ، وولى العهد بعد وفاة أبيه وبعد خلع المفوض بن
المعتد على الله سنة ٢٧٩ هـ ، وبيع له بالخلافة في اليوم الذي توفي فيه المعتد لأحدى
عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وتوفي لثمان بقين من شهر ربيع الآخر
سنة ٢٨٩ هـ ، فكانت مدة خلافته تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة أيام .
(راجع أخباره في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير والتنبيه والإشراف للمسعودي
والنبراس لابن دحية ومحاضرات تاريخ الأمم الإسلامية للخضري)

(٣) لم يذكر هذه الرسالة مترجموه كابن النديم والخطيب البغدادي وابن خلكان ،
وإنما ذكرها أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني (٨ : ٢٥ ط الساسي) في بحثه في
(الأصوات التي تجمع النغم العشر) عرضاً ، وسماها (كتاب النغم) .

(٤) في الأصل : « منه » .

ويختلف ، ومواقع إصبعٍ إصبعٍ من وترٍ وترٍ ، وموضع كل نغمة من كل دستان^(١) ؛

(١) الدستان ، ويجمع على دساتين كما فى المخصص « ١٣ : ١٢ » ومقدمة ابن خلدون ، وعلى دستانات كما فى تاج العروس : لفظ فارسى ، يقابله فى العربية « العتب » ، وفى الانكليزية *Alta* ، غير أن العتب لم يستعمله أصحاب الموسيقى ، وإنما جاء ذكره فى بعض المعجمات والأشعار القديمة . قال ابن سيده فى المخصص « ١٣ : ١٢ » : « يقال للتي يسميها الفرس الدساتين ، العتب . قال الأعشى :

وثنى الكف على ذى عتب يصل الصوت بنى زير أبج »

وقد أغفل الدستان مجد الدين الفيروزابادى فى القاموس المحيط ، وابن منظور فى لسان العرب ، والجواليقى فى كتاب العرب ، والخفاجى فى شفاء الغليل ، وإنما ورد نعتة فى القاموس وفى اللسان فى مادة « عتب » ، وهو قوله : « والعتب : العيدان المعروضة على وجه العود منها تمتد الأوتار الى طرف العود . وفى التاج « ١ : ٣١٤ » : « وعتب العود : ما عليه أطراف الأوتار من مقدمه . عن ابن الأعرابى ، وأنشد قول الأعشى : وثنى الكف . . . البيت السابق الذى رويناه عن المخصص . ثم قال : « العتب : الدستانات ، قاله أبو سعيد . »

وفى مقاييس العلوم « ١٣٨ » لمحمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي : « والدساتين : هى الرباطات التى توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان . والدستان أيضا : اسم لكل لحن من الأخان المنسوبة الى باريد . » ثم عرض لاسمى دساتين العود فقال : « وأسمى دساتين العود تنسب الى الأصابع التى توضع عليها . فأولها دستان السبابة ويشد عند تسع الوتر وقد يشد فوقه دستان أيضا يسمى الزائد ، ثم يلي دستان السبابة دستان الوسطى وقد يوضع أوضاعا مختلفة فأولها يسمى دستان الوسطى القديمة والثانى يسمى دستان وسطى الفرس والثالث يسمى دستان وسطى زلزل . وزلزل هذا أول من شد هذا الدستان واليه تنسب بركة زلزل . فأما الوسطى القديمة فشدها دستانها على قريب من الربع مما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ودستان وسطى الفرس على النصف فيما بينهما على التقريب ، ودستان وسطى زلزل على ثلاثة أرباع ما بينهما الى ما يلي البنصر بالتقريب . وقد يقتصر من دساتين هذه الوسطيات على واحد ، وربما يجمع بين اثنين منها . ثم يلي دستان الوسطى دستان البنصر ويشد على تسع ما بين دستان السبابة وبين المشط . ثم يلي دستان البنصر دستان الخنصر ويشد على ربع الوتر . »

وهذا أوضح كلام وأجمعه فى بيان معنى هذه الكلمة ومواضع استعمالها . أما أصحاب المعجمات الحديثة ، فلم يهتموا الى معناها ، وكل ما ذكروه عنها اما ناقص لا يدل على شئ ، واما فاسد لا معنى له ، فالمعلم بطرس البستاني فى محيط المحيط يقول : « الدستان من اصطلاحات أصحاب الموسيقى جـ دساتين . » والشرتونى فى ذيل أقرب الموارد « ص ١٧٠ » يقول : « الدساتين : أوتار العود فيما أظن (الاغاني) ! » والاثب لويس معلوف فى المنجد « ٢١١ ط ١٠ » يقول مثل قوله ، ولكن على سبيل الجزم لا الظن لأن الظن لا يغنى من الحق شيئا !! . وفى معجم دوزى « ١ : ٤٤١ » :

t. de Musique. touche, Be, Descr. de L'eg. XIII 253 n.;
"Voyez ztcher. IV, 248. »

وأخر ما رأيته للمحدثين فى هذه الكلمة هو القرار الذى اتخذ مجمع فؤاد الاول لغة العربية فى تعريفات مصطلحات الموسيقى ، ونشر فى مجلته « ٥ : ١٦٧ » ، وهو قوله : « الدستان : موضع عقق الاصبع على الوتر . » وهو بسبيل من تعريف القدماء

ونبين ما سماه (إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(١)) « المجري » في الأصوات التي رسم بعضها بجري الوسطى ، وبعضها بجري البنصر ؛ واختلاف ما بين أصحاب الغناء العربي ، مثل (إسحاق) ونظرائه : ممن جمع العلم بالصناعة والعمل ، وبين أصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثمان عشرة ؛ وتقدمه^(٢) شرح بما تجتمع الأفكار^(٣) والأفهام .

قال (إسحاق بن إبراهيم) ومن يقول بقوله : إن النغمات عشر ، لبس في العيدان ولا المزامير ولا الحلق^(٤) ولا شيء من الآلات أكثر منها . فالنغمة الأولى ، المثنى^(٥) مطلقاً ، وهي النغمة التي يبتدىء بها الضارب قدر الطبقة على ما يريد من الشدة واللين ، ثم يسوي عليها العيدان والمزامير وسائر الآلات ، وتسمى هذه النغمة « العمد » . وإنما سميت « العمد » ؛ لأنها يعتمد عليها في الطبقة والتسوية . والنغمة الثانية ، السبابة على المثنى . والنغمة الثالثة ، الوسطى على المثنى . والنغمة الرابعة ، البنصر على المثنى . والنغمة

(١) هو النابغة الظريف نديم الخلفاء ، المحدث الفقيه الكلامي اللغوي الاخباري الاديب الشاعر المتفنن ، كتب الحديث عن سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، وأخذ الادب عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وبرع في علم الغناء فغلب عليه ونسب اليه ، وكان الخلفاء يكرمونه ويقربونه ، وكان المأمون يقول : « لولا ما سبق لاسحاق على ألسنة الناس وشهر به عندهم من الغناء لوليت القضاء بحضرتي ، فانه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة » ولكنه اشتهر بالغناء ، وغلب على جميع علومه ، مع أنه أصغرهما عنده ، ولم يكن له فيه نظير .

كان كثير الكتب حتى قال ثعلب : « رأيت لاسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب ، وكلها سماعه ، وما رأيت اللغة في منزل أحد قط أكثر منها في منزل اسحاق ثم منزل ابن الأعرابي » ، وله نظم جيد وديوان شعر . وكانت ولادته في سنة ١٥٠ هـ ، ووفاته في سنة ٢٣٥ هـ .

(٢) وترجمته في الاغانى ٥ : ٤٩ الى ١٣٤ - راجع فهرس الاغانى ، وفي الوقفيات ١ : ٦٥ و ٦٦) .

(٣) كذا الأصل ، ولعل لفظ « بين » زائد ، فتكون الجملة : « وأصحاب الموسيقى يزعمون أنها ثمان عشرة » .

(٤) كذا . (٥) في الأصل : « الأفكار » .

(٥) لا يعرف في أسماء الآلات ما يسمى (الحلق) ، فلهذا (العنق) . قال الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « العنق : الرباب ، معروف لأهل فارس وخراسان » .

(٦) ضبطه الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « بفتح الميم وتخفيف النون على تقدير معنى ومغزى » .

الخامسة ، الخنصر على المثني . فهذه خمس نغم عليها المثني ، ثم يصير الى الزير^(١) فيبقى مطلقه ، لأنه مثل نغمة الخنصر على المثني ، ولا فرق بينهما . ثم النغمة السادسة ، السبابة على الزير . والنغمة السابعة ، الوسطى على الزير . والنغمة الثامنة ، البنصر على الزير . والنغمة التاسعة ، الخنصر على الزير . فهذه أربع نغم في الزير . وبقيت النغمة^(٢) العاشرة ، فكروها أن يفردوا لها وترّاً ، فيكونوا قد زادوا في العود وترّاً خامساً من أجل نغمة واحدة ولا يخرج فيه غيرها ، فطلبوها في أسفل هاتين ، فوجدوها في أسفل دستان الزير بالبنصر اذا جعلت السبابة من الزير بالبنصر منه ووقعت البنصر من أسفل المقدار مسافة ما بين دستان السبابة ودستان البنصر ، ووجدوها أيضاً تخرج في المثلث^(٣) بالبنصر ، فاستغنوا بوجودها في هذين الموضعين عن أن يزيدوا في العود وترّاً خامساً .

فهذه عشر نغمات متناسبات لا تشبه نغمة منها نغمة .

والين النغم ، مطلق المثني . وأشدّها وأحدّها النغمة التي تخرج في أسفل دستان الزير ، ثم لم يزل يصعد من شدة الى لين الى أن يصير الى نغمة مطلق المثني . وإيما لم يعتد المثلث واليم^(٤) بنغمة ، لأنهم وجدوا كل نغمة فيها يخرج في المثني والزير ،

(١) الزير : أهمله الجواليقي في كتابه (المعرب) ، وهو الدقيق من الأوتار ، أو أحدها وأحكمها فتلا ، وزير المزهر مشتق منه ، كما في (القاموس) و (تاج العروس) . وفي (شفاء الغليل) : « الزير ، اسم وتر ... ذكره الجوهري ، وهو معرب » قال ابن الرومي :

فيه بم وفيه زير من النغمة م وفيه مثلث ومثاني

قال : « وهذه أسماء الأوتار كلها » وفي مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « هو رابع أوتار العود الأربعة » ، قال : « وهو أدقها »

(٢) في الأصل : « النغم »

(٣) ضبطه الخوارزمي في مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) « يفتح الميم وتخفيف اللام على مثال مطلب »

(٤) اليم : قال الجواليقي في (المعرب) : « أحد أوتار العود الذي يضرب به » أعجمي معرب . « وزاد الجوهري أنه « الوتر الغليظ من أوتار المزهر » . وفي شفاء الغليل : « من أوتار العود ، وهو والباج بمعنى (واحد) ، وهو معرب » . وفي مفاتيح العلوم (ص ١٣٧) : « أوتار العود أربعة : أغلظها اليم ، والذي يليه المثلث ... والذي يلي المثلث ... المثني ... والرابع هو الزير ، وهو أدقها »

وذلك أن مطلق المثلث مثل الدبابة على الزير ، وسبابة المثلث مثل البنصر على الزير ،
ووسطى المثلث مثل الخنصر على الزير ، والبنصر على المثلث مثل النغمة التي في أسفل
دستان الزير ، وخنصر المثلث مثل مطلق المثنى . وكذلك البم أيضاً ، مطلقة مثل سبابة
المثنى ، وسبابة مثل البنصر على المثنى . ووسطاد كمثل الخنصر على المثنى ، وبنصره
يبطل لعلامة نذكرها في موضع غير هذا ، وخنصره مثل مطلق المثنى . وربما استعمل
الغني بنصر [٥] (١) على المثلث .

وهذه صورة العود وأوتاره (٢) ونغمة كلها ، وقد رسمنا النغم بحروف الجمل (٣) ليفهم

(١) هذه الزيادة منا .

(٢) في الأصل : « وأوتارها » .

(٣) في القاموس المحيط وشرحه التاج : « والجمل كسكر : حساب الجمل ، وهي
الحروف المقطعة على أبي جاد . قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً . وقد يخفف ، قاله
بعضهم ، قال ابن دريد : ولست منه على ثقة » .

قلت : وقد استعملت هذه الحروف للدلالة على الأعداد ، ويسمى الحساب بها حساب
الجمل ، وأكثر ما يستعمل في الأعمال الفلكية ، ثم في التواريخ الشعرية ، ولكنه في
الأعمال الفلكية التزم فيه تقديم الأكثر على الأقل ، فيكتب ١٣ هكذا : > بقطع طرف
الجيء لثلاثاً يشتبه بالحاء ، و ١٨ هكذا : ح ، و ١٩ هكذا : بط ، و ٥٣ هكذا : نج بنقط النون
لثلاثاً لتفهم بالياء . وحيث أنهم يحتاجون في الأغلب إلى بيان الدرج والدقائق والثواني
ونحو ذلك ، وقد تخلو بعض المراتب من العدد ، اضطروا إلى اختراع شكل للصفر ؛
ليضعوه في المرتبة الخالية ، وقد جعلوا صورته هكذا : ' ' ' ' ' ، أو هكذا : ' ' ' ' ' .

وقد وقع الاختلاف بين المغاربة والمشارقة في ترتيب الحروف في (أبجد) ، فوقع
بسبب ذلك الاختلاف في بعض أعداد الحروف . وقد نشأ من هذا الاختلاف اختلاف
آخر ، وهو الترتيب الذي جرى عليه العمل فيما بعد ، وهو الجمع بين الحروف المتشابهة
في الصورة .

والخلاف بين طريقتي المشارقة والمغاربة في أعداد ستة أحرف ، وهي : السين
والصاد المهملتان والشرين والضاد والطاء والغين المعجمتان . فالسين عند المشارقة بستين ،
وعند المغاربة بالثلاث مئة التي هي عدد الشين المعجمة عند المشارقة ، وهي عندهم آخر
الحروف بالألف الذي هو عدد الغين عند المشارقة ، وهي عند المغاربة بالتسع مئة التي
هي عدد الطاء عند المشارقة ، وهي عندهم بالثمان مئة التي هي عدد الضاد عند المشارقة ،
وهي عند المغاربة بالتسعين الذي هو عدد الصاد عند المشارقة ، وهي عند المغاربة بستين
عدد السين عند المشارقة .

وهاك ترتيب هذه الحروف حين الحساب بالجمل لدى الفريقين :

(١) ترتيب المشارقة : أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف من ق ر ش

ت ث خ ذ ض ظ غ .

في الصورة ، فجعلنا النغمة الأولى ١ ، والثانية ب ، والثالثة ج ، ثم ه ، ثم و ، ثم ز ، ثم ح ، ثم ط ، ثم ي ^(١) . فان قال قائل : فما الانتساب الى المثلث والبم اذا لم يكن فيها ^(٢) نغمة إلا في المنى والزير ؟ والجواب في ذلك أن النغمات التي فيها دل ^(٣) ذلك في المنى والزير نحافة وجهارة بقدر فضل ^(٤) منظر البم والمثلث في غلظهما على إيهما على منظر المنى والزير في لطافتها مع شدتها ، ليست لنظائر يكونها ^(٥) بمثلها من الأوتار ، ولو حكوها بنظائرها من المنى والزير أمكنهم ، ولكن حكيتها بالبم والمثلث أبلغ وأتم . وأيضاً إن مما دعاهم الى البم والمثلث الحاجة الى تحيين الضرب وتأليف الأوتار ، ليختلف على الأوزان ، فيسمع مرّة النغمة في المنى والزير بدقة وشدة ، ومرّة في البم والمثلث بجهارة ولين ، وإن كانت هذه النغم تلك النغم بأعيانها ، لأنها اذا اختلفت في السمع كانت أعجب الى السامع ، وأحسن في مسموعه من أن يتكرر على أذنه شيء واحد بعينه . وفيها أيضاً أن الأوتار اذا كانت أربعة وسبعين بالنظائر من النغم التي في البم والمثلث على نظائرها من النغم التي في المنى والزير في مداراة الأوتار وتوحيدها ، واستغني عن وتر إن انتقطع وقت الحاجة بوتر غيره الى أن يعاد . وفيها أيضاً تكثير الطبقات والاتساع فيها ، لينتقل المنتقل منها الى أوقعها وأسهلها عليه .

وقال القدماء من أصحاب الموسيقى : النغم ثمانى عشرة نغمة ، واحتسبوا بالنغم التي في المثلث والبم ، وجعلوا أولى النغم مطلق البم ، والثانية الوسطى عليه ، واتحدوا على

= (ب) ترتيب المغاربة : أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن ص ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش .
أما اختلاف الفريقين في ترتيب حروف التهجي ، فانه بعيد عن الغرض الذى استدعى هذا التعليق هنا .

(١) كذا ورد ترتيب هذه الحروف في النسخة المصورة فسقط منها الدال بعد الجيم . وأثبت في مكان الزاي ، ولست أشك في أنه تحريف من الناسخ . وفي الأصل بعد الياء ، بياض مقداره ٤ × ٤ س تركه الناسخ لرسم العود ، ولم يرسمه .

(٢) فى الأصل : « فيها » .

(٣) كذا .

(٤) فى الأصل « فصل » .

(٥) فى الأصل « يحكوها » .

هذا الترتيب ، وزعموا أن النغم التي في المثلث والهمّ ليست مثل النغم التي في المثنى والزّير وإن كانت يوجد لها موافقة للسمع ، وذلك لأنهم ذكروا أن اتفاقها إنما يقع إذا نُقرت معاً واتحدت . فأما إذا نُقرت كلّ واحدة على الأفراد ، فإن السامع يقف على أن النغم التي في المثلث والهمّ غير النغم التي في المثنى والزّير إذا كانت أضعافها ، وكانت نفعة الوتر لا تكون^(١) مثل نفعة نصفه إذا أفردت من كل واحد من الكل والنصف .

وإنما الاختلاف بين إسحاق ومن قال بقوله وبين أصحاب الموسيقى أن إسحاق جعل النغم تسعاً ، وجعل العاشرة نفعة الضعف ؛ لأنه يرى أن نغم الاضعاف^(٢) أخذه ، وأصحاب الموسيقى عمدوا الى هذه النغم التسع فأضعفوها ، واحتسبوا الكل ضعف نفعة منها أيضاً ، فصارت ثماني عشرة نفعة ، ولها - على الصوت منها في القياس ولم يسمعه - نغمتان بسطها^(٣) اعداد يعرف بالحساب ، ووضع قانون لها لطلبهم فيه كلها على الأزواج والأفراد . وشرح العلة في وضع الدساتين من العود بحيث وضعت منه ، كلام بطول الكتاب باستيفائه .

قال يحيى بن علي بن يحيى المنجم : نرجع الى ما ذكره إسحاق بن إبراهيم الموصلي فيما يسميه « الجرى » ، وما وصف به ائتلاف المعنى واختلافها . قال إسحاق : إن نغم كل طبقة^(٤) يكون مجريين : أحدهما منسوب الى الوسطى ، والآخر الى البنصر وما يلبت^(٥) الاصبعان تتعاقبان في التناول يدخل واحدة منهما على الأخرى ، ونحن نثبتها فيما بعد .

والنغم المؤتلفة ست نغمات ، والنغم المختلفة أربع نغمات . فأما الست النغم المؤتلفة ، فهي : المثنى مطلقاً ، والسبابة ، والخنصر ، والبنصر على الزير ، فهذه تأتلف مع المجريين جميعاً ، فإنها [إذا]^(٦) أدخلت هذه النغم الست عليها^(٧)

(١) في الأصل بالياء المنناة .

(٢) بياض في الأصل مقدار كلمتين . (٣) كذا .

(٤) في الأصل : « ان نغما كل طبقة » .

(٥) كذا الاصل ، وقوله « تتعاقبان » هو في الاصل « يتعاقبان » .

(٦) الزيادة منا لتستقيم بها العبارة .

(٧) في الأصل : « عليهما » . والعبارة مع هذا التصحيح لا تزال تشعر بالنقص .

اختلفت معاً كاختلافهما ، فإن أدخلت هذه الست النغم على البنصر ، كان المجرى للبنصر ، ونسب الصوت إليها قليل فيه مجرى البنصر .

وأما الأربع النغمات المختلفة ، فإن اثنتين منها متضادتان^(١) لا تأتلفان معاً ولا يجتمعان في صوت ، وهما الوسطى والبنصر على المثني اللتان ينسب إليهما^(٢) المجريان . وأما الاثنتان^(٣) الباقيتان من الأربع النغم المختلفة ، فهما الوسطى على الزير والبنصر على المثلث ، وليس تأتلفان في موضع . فأما الوسطى على الزير ، فاتها تأتلف مع الوسطى على المثني في مجراها ، إلا في موضع واحد لا يأتلف معها فيه ، وهو منها إلى البنصر على الزير ومن البنصر على الزير إليها . وأما البنصر على المثلث ، فاتها تأتلف مع البنصر على المثني في مجراها ، والموضع الذي تأتلف معها فيه منها إلى الوسطى على المثلث ومن الوسطى على المثلث إليها . وكما أن البنصر على المثلث مثل التي تخرج في الزير بالتنقر^(٤) في أسفل الدساتين ، وأن الوسطى على المثلث مثل الخنصر على الزير ، وكذا^(٥) لا تأتلف البنصر على المثلث مع الخنصر على الزير ، ولا على^(٦) الخنصر على الزير معها ، ولا تأتلف الخنصر على الزير التي تخرج بالبنصر في أسفل الدساتين ، ولا التي تخرج بالبنصر معها - فجميع الذي يأتلف في غناء العرب من النغمات العشر ويكون فيه الغناء ثماني نغمات ، تبين مذهبهم في ذلك ورد^(٧) بعض النغم إلى بعض أكثر ما يبنى عليه الصوت منها النغمات الثماني كلها . فعلى هذا يأتلف نغم غناء العرب ، وعليه تجري عامة أصناف الغناء . وقد يمكن أن يخالط الصوت^(٨) حتى يكون مؤلفاً من سبع نغمات ، ومن العشر النغمات كلها ، وذلك مثال بتألف^(٩) لطيف وحيلة رفيعة وعلم بوجود التأليف ومصارفه ، وليس بأن

(١) في الأصل : « فإن اثنتين منهما متضادتان » .

(٢) في الأصل : « إليها » .

(٣) في الأصل : « الأشبا الباقيتان » .

(٤) في الأصل : « والتنقر » .

(٥) في الأصل : « وكذا » .

(٦) لعل هذا الحرف زائد - (٧) كذا .

(٨) في الأصل : « للصوت » .

(٩) كذا ، ولعله « مثل تأليف » .

شيئاً مما ذكر ولأنه لا يأتلف في المواضع التي وصفنا يأتلف^(١) ، ولكنه بالخروج من الجرى الى الجرى ، والانتقال اليه ، والدخول فيه من المواضع الممكنة التي يحسن ذلك فيها ، حتى لا ينكره السمع ، ولا يفصل للجري الواحد ، فيبني عليه الصوت ؛ فانه اذا كان كذلك^(٢) ، لم يكن ذلك . وليس في العربية هذا التأليف ، وقد يدل بعضها على أنه فيها لو تكلفه العالم ، لما هو ممكن موجود ، وذلك لأننا لا نزال^(٣) نجد الصوت قدر القوة من المجريين جميعاً من غير أن يبلغوا معه أكثر من ثمان نغمت ، وربما كان دونها ، وذلك من غنائهم قليل . ومن ذلك صوت ابن مسجج^(٤) ، ويقال : إنه لابن محرز^(٥) :

(١) كذا . (٢) في الأصل « ك » .

(٣) في الأصل « لا يزال » .

(٤) في الأصل : « ابن مسجج » بقاءين ، وهو خطأ . وهو أبو عثمان سعيد بن مسجج ، مولى بني جمح ، وقيل مولى بنى نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب . مكى أسود ، مغن متقدم من فحول المغنين وأكابرهم ، وأول من صنع الغناء منهم ، ونقل غناء الفرس الى غناء العرب . ثم رحل الى الشام وأخذ ألحان الروم والبربطية والأستطوخوسية ، وانقلب الى فارس فأخذ بها غناء كثيراً ، وتعلم الضرب ، ثم قدم الى الحجاز ، وقد أخذ محاسن تلك النغم ، وألقى منها ما استقبحه من النبرات ، والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب ، وغنى على هذا المذهب ، فكان أول من أثبت ذلك ولحنه ، وتبعه الناس بعده .

وكان ابن مسجج في مكة لما حاصرها الأمويون ، وفيها ابن الزبير ، في أواخر القرن الأول للهجرة . (وأخباره في « الأغاني » ٣ : ٨١ الى ٨٥) .

(٥) في الأصل « ابن محرز » ، وهو خطأ . وهو مسلم بن محرز ، وقيل : سلم ، وقيل : عبدالله ، ويكنى أبا الخطاب مولى بنى عبدالدار بن قصي ، وكان أبوه من سدة الكعبة ، أصله من الفرس . وكان ابن محرز يسكن المدينة مرة ومكة مرة ، وتعلم الضرب في المدينة من عزة الميلاء ، وشخص الى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غنائهم ، ثم صار الى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غنائهم ، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم النريقين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يسمع مثله .

أجمل بعض معاصريه وصفه فقال « كانه خلق من كل قلب فهو يغنى لكل انسان بما يشتهي » قال أبو الفرج : « وهذه الحكاية بعينها قد حكيت في ابن سريج ، ولا أدري أيهما الحق » . (وأخباره في « الأغاني » ١ : ١٤٥ الى ١٤٧ الخ) .

يا من لقلب مقصر ترك المني لفواتها^(١)
 فان الوسطى والينصر على المثنى قد تنازعناه ، واشتركنا^(٢) فيه ، فافهم هذا
 واعرفه ؛ فاننا لا نقدر من صفة فعل نقول^(٣) إلا على نحو ما وصفنا .
 وقد تطف^(٤) عبيد الله [بن عبد الله]^(٥) بن طاهر حتى جمع العشر النغم في
 صوتين ، فجعل في أحدهما النغمات العشر على التوالي ، وحملها على الصوت الآخر على
 التقديم والتأخير . فأما الصوت الذي من النغم^(٦) على التوالي ، فهو (شعر)^(٧) :
 توهمت بالخبف رمماً محيلاً لعزة تعرف منه الطلولا^(٨)

(١) قال أبو الفرج في الأغاني ٨ : ٤٦ : « الشعر لمسافر بن أبي عمرو بن أمية
 ابن عبد شمس ، والغناء لابن محرز ثاني ثقييل مطلق في مجرى البصر عن اسحاق . وهذا
 الصوت يجمع من النغم ثمانية ، وكذلك ذكر اسحاق ، ووصف أنه لم يجمع شيء من الغناء
 قديمه وحديثه الى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تطف متلطف
 لأن يجمع النغم العشر في صوت واحد ، لا يمكنه ذلك بعد أن يكون فهما بالصناعة طويل
 المعاناة لها ، وبعد أن يتعب نفسه في ذلك حتى يصح له ، فلم يقدر على ذلك سوى
 عبيد الله بن عبد الله الى وقتنا هذا » . (٢) في الأصل « تنازعاه واشركنا » .
 (٣) الجملة مضطربة ، فلعلها « فاننا لا نقدر في صفة فعل أن نقول » .
 (٤) في الأصل « لطف » .

(٥) الزيادة من الأغاني (٨ : ٤٢ و ٤٦ و ١٩٠) . وهو أبو أحمد عبيد الله بن
 عبد الله بن طاهر بن الحسين ، قال أبو الفرج : « وله محل من الأدب والتصرف في
 فنونه ، ورواية الشعر وقوله ، والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة في
 الموسيقى والهندسة ، وغير ذلك مما يجلب عن الوصف ، ويكثر ذكره . وله صناعة في
 الغناء حسنة متقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه هنا من توصله الى ما عجز عنه الأوائل من
 جمع النغم كلها في صوت واحد ، تتبعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها » .
 قال : « وكان المعتضد بالله رحمة الله عليه ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار
 غناء ، وبحضرة أكابر المغنين . . . فيعدل عنهم اليه ، فيصنع فيها أحسن صناعة ، ويزفر
 عن اظهار نفسه بذلك ، ويومي الى أنه من صناعة جاريته (شاجي) ، وكانت احدي
 المحسنات المبرزات المقدمات ، وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها معجبا ولها مقدما » .
 قال : « وأشعاره كثيرة جيدة ، كثير النادرة والمختار . وكتابه في النغم وعلل الأغاني
 المسمى (كتاب الآداب الرفيعة) كتاب مشهور جليل الفائدة ، دل على فضل مؤلفه » .
 (٦) يريد النغم العشر

(٧) الشعر لكثير عزة ، الشاعر الغزل المشهور « ترجمته في الأغاني ٨ : ٢٥ الى
 ٤٢ » . والغناء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، قال أبو الفرج : « ونسبه الى جاريته ،
 وكنت عنها فذكر أن الصناعة لبعض من كثرت دربته بالغناء وعظم علمه وأتعب نفسه
 حتى جمع النغم العشر في هذا الصوت ، وذكر أن طريقتة من الثقييل الأول وأنه ليس
 يجوز أن ينسبه الى اصبع مفردة ، الى آخر ما قال » . « الأغاني ٨ : ٢٤ و ٢٥ » .
 (٨) في الأصل « لغيره يعرف منها الطلولا » والتصحيح من الأغاني « ٨ : ٢٤ ط =

تبدّل بالحَيِّ صوت الصدى ونوح الحمامة تدعو هديلاً^(١)
فانه جعل أول نغمة من هذا الصوت مطلق المثني ، ثم مرّ في النغم على الولاة حتى
صار الى النغمة الحادّة التي تخرج في أول دستان الزّير ، وهي العاشرة ، ثم يرجع الى نغمة
مطلق المثني ، وجعلها مقطع الصوت .

• وأما الصوت الذي يجمع العشر النغم على التقديم والتأخير ، فهو (شعر) :

فانك إذ أطعمتني منك بالرضى وأياستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من ضرعها كفّ حالب ودافعة من بعد ذلك ما حلب^(٢)

فهذا شرح أمر النغم وما يجري عليه . ومن تدبره بفهم وامتنع ما يثبت فيه ، وقف
من أمر الغناء على ما يكنفي به ويتقدم في أمر المعرفة به أهل عصره ؛ فان أكثرهم ممن
يدّعي الخلق بهذه الصناعة ، [و] لو امتنع بهذه المسألة عن بعض ما ذكرنا في هذا
الكتاب لتقصرت معرفته عنه .

تمت الرسالة يوم پنجشنبه ٢ شهر جمادى^(٣) الأولى سنة ١٠٧٣

تمت^(٤) مقابلته بالأصل يوم الأربعاء ٢٥ المحرم^(٥) سنة ١٠٧٤ في بلدة كشمير

= ساسي • وقد شرح أبو الفرج هذا البيت والذي يأتي بعده فقال : « الخيف
الذي عناه كثير ليس بخيف منى ، بل هو موضع آخر فى بلاد ضمرة •
والطلول : جمع طلل ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الديار ،
ويزعم أهل الجاهلية أن الصدى طائر يخرج من رأس المقتول ، فلا يزال يصيح حتى
يدرك بشاره ، قال طرفة :

كريم يروى نفسه فى حياته ستعلم ، ان متنا صدى ، أينا الصدى •
والحمام : القمري ونحوها من الطير • والهديل : أصواتها • »

(١) الشعر لابن هرمة ، ابراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل ، من مخضرمي
شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، ولد سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة
أربعين ومئة قصيدته التي يقول فيها :

ان الغواني قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة • (وأخباره فى الأغاني ٤ : ١٠١ الى ١١٣) •

(٢) البيتان فى الأصل :

ذانك طمعتنى منك بالرضى واناسين من بعد ذلك بالغضب

كممطيه من طوعها كيف حالت ودافعه من بعد ذلك ما حلت

والتصحيح من الأغاني ٨ : ٤٤ ط ساسي •

(٣) فى الأصل « جماد » وصوابه التانيث « جمادى » كما أثبتناه • أما (شهر)

فأضافتها هنا ممنوعة •

(٤) فى الأصل « تم » • (٥) فى الأصل « محرم » والصواب تعريفه •

معجزة العلم الكبرى

معجزات العلم كثيرة منها معجزات البخار ، والكهرباء (واللاسلكي) والطيران ، واستعمال العقاقير الطبية ، والطاقة الذرية في الحرب والسلام . وقد اخذت هذه المعجزات الكثيرة تظهر منذ القرن التاسع عشر فدهش العالمين بما تهيؤه لهم من أسباب الراحة والرفاهة وطول البقاء ، ولكن الانسان حولها الى ادوات فتاة واستعملها في افناء جنسه .

ان اعظم معجزات العلم هو الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم الاكبر ، فوعى الماضي والحاضر وادرك بعض ما في المستقبل ، واخترق حجب الارض والسماء ، والتفكر والبحار ، ولا يزال جادا في استخراج اسرار الكون ، وهو الذي جعل الانسان يسخر جميع المخلوقات الاخرى لنفسه يسيرها كيف يشاء ، وفي العقل والرأى والذاكرة والضمير والتصور والشعر والنثر وغير ذلك من المواهب التي انعم بها الباري عز وجل على الجنس البشري ، وقد اعتصم هذا العضو الصغير في اعلى مكان من الجسد يشرف من قمة الرأس على الكون وما فيه يصرفه كيف يشاء ، ذلك هو الدماغ الذي جعل الانسان سيد المخلوقات وأرقاها .

ويتميز دماغ الانسان عن سائر ادمغة الحيوانات بسخه فقط ؛ لأن أجزاء الدماغ الأخرى موجودة فيها بصورة مصفرة . ان هذه الكتلة الصغيرة من النسيج العصبية التي لها تركيب خاص هي موضع العجب ، ففيها من الاسرار ما يجير الالباب . كان المنح معروفا منذ عهد جالينوس بأنه مركز الذكاء والحس والحركة والوعى ، ولم يستند جالينوس الى التشريح فقط في اثبات ذلك بل أيد أقواله بالاختبارات العدة التي أجراها على الحيوانات الحية ، وقد أبدت التحريات الحديثة كثيرا مما ذهب اليه هذا العالم الفذ ، واتفقت على ان نصفى كرة المنح وخصوصا لحاء سطحها هما مركز الذكاء والوعى ، ولا تزال قضية وجود وعى او عامل نفسى في اجزاء الدماغ الاخرى موضع جدل بين العلماء ، ومما لا شك فيه ان لحاء المنح هو المركز الرئيس للافعال النفسية العظمى ، وقوى الطفل العقلية تتوقف

على نماء هذه القشرة المخية التي تنمى بنمائه ، ومتى شاخ المرء تشيخ معه ، وتضمحل وتختل قواه العقلية ، فإذا أزيلت القشرة كلها أو أكثرها تلاشى القوى العقلية كالذكاء والحس والادراك والتفكير والخيال وغيرها من الخصائص العقلية والنفسية التي يتمتع بها الانسان ، والرأى المرجح ان سبب الجنون والانحرافات العقلية والنفسية هو خلل يحصل فى تركيب هذه المادة أو اضطراب فى خواصها . ان مادة لحاء المخ هى العضو الرئيس فى الحياة النفسية ، تفعل فيها المؤثرات المادية الآتية من العالم الخارجى وتحولها هى الى وعى . ان تفسير هذه الظواهر من اصعب المواد فى علم منافع الاعضاء (الفسولوجية) وعلم النفس ، ولا يزال حلها فوق استطاعة العلم ، لأن الطرائق العلمية تبحث عن الواجهة المادية منها فقط اى الواجهة الطبيعية (الفيزيكية) والكيميائية ، على حين لا تتوصل الى معرفة كنه الافعال النفسية الا عن طريق الظن ، واقول بتعبير اوضح ان فى الدماغ آلة طبيعة كيميائية فيها قابلية تكوين الوعى الذى تمه ، ويبحث علم الفسيولوجية فى طبيعة هذه الآلة ، وفعل هذا الوعى ليس مادة ولا طاقة ولم يستطع العلم الى الآن الاهتداء الى سره وتعليله تعليلا علميا . يستطيع العلم كلما ارتقى سلم الحيوانية ان يتبع تطور هذا العضو الصغير حجما الكبير فعلا من دماغ السمكة الساذج الى الادمغة التي هى أكثر تعقدا حتى يبلغ مرتبة الانسان التي هى اعلى مراتب التطور .

يتألف جهاز الانسان العصبى من المخ ولواحقه وهى المخيخ والبصلة السيسائية (النخاع المستطيل) والنخاع الشوكى والاعصاب الصادرة من الدماغ والاعصاب الواردة اليه ، ومن الجهاز العصبى المستقل أو العطوف اى الذى يسيطر على العواطف ، ولا تدخل فى تفاصيل تشريح الدماغ لأن القصد من هذا المقال تيسير الموضوع وبيان فكرة عامة عن الدماغ ، واذا كان المخ هو المقصود ببحثنا ، وهو جزء الدماغ الذى يميز الانسان عن الحيوان ، كان هو المعنى بلفظة الدماغ لا الاجزاء الاخرى التى يشارك فيها الحيوان الانسان .

يبلغ طول ادمغة البشر نحواً من ١٦ سم ، ويبلغ متوسط زنتها نحواً من ١٣٦٠ غراما فى الذكور و ١٢٥٠ غراما فى الاناث ، وينمى الدماغ نماء مفرطاً فى الجنين فيكون فى المولود الجديد اكبر كبرا نسبيا منه فى البالغ ، لأن نسبة وزنه الى وزن الجسم تبلغ ١٣ / ٠ فى الجنين و ٢ / ٠ فى البالغ ، وهو فى الحيوانات الصغيرة الاجسام اكبر كبرا نسبيا منه فى كبرته ، فان ادمغة القروذ والكلاب اكبر بالنسبة الى اجسامها من ادمغة البشر . ويبلغ الحد الادنى لوزن الدماغ الذى يختص بالذكاء نحواً من ٩٥٠ - ١٠٠٠

غرام ، فإذا نقص عن هذا الحد لا يعد الانسان صحيح الدماغ ، ومتى تجاوزه يصبح ارتباط الوزن بالدماغ ارتباطا عاما يختلف باختلاف الاناسى ، ويمكننا ان نحكم حكما عاما على حسب استقراء المعينين بهذا البحث بان متوسط وزن ادمغة النوابع فوق المتوسط العام ، ولكن وجد وزن جملة منها دون المتوسط ايضا ، فلا يمكننا ان نتخذ الدماغ قاعدة للفوق فى المواهب العقلية . وظهر من الارقام القياسية المقدرة لجماعة من عظماء الرجال ان وزن دماغ القاص الروسى الشهير ايفان تورجنيف بلغ الرقم القياسى وهو ٢٠١٢ غراما ، ويشك فريق من النقات فى صحة هذا الرقم ، وقد بلغ وزن دماغ العالم الطبيعى كيفى Cuvier ١٨٣٠ غراما ، ووزن دماغ الفيلسوف الالماني كانت ١٦٠٠ غرام ، ووزن دماغ الشاعر الايطالى دانتى ١٤٢٠ غراما ، والشاعر الالماني شلر ١٥٨٠ غراما ، وبيرون ١٨٠٧ غ .

يتركب مخ الانسان من مادتين وهما القشرة الخارجية اى لحاء المخ وبسوى المادة السنجابية ، والمادة البيضاء التى تكون تحت المادة السنجابية ، وتتألف المادة الأولى التى لا يتجاوز ثقلها ٢ - ٣ مليمترات من خلايا عصبية هى مركز النشاط العقلى والنفسى ، وتكون ضئيلة الاثر فى دماغ الحزين ثم تنمى بسرعة حتى انها تلتف بعضها ببعض لأنها لا تجد سعة كافية فى جمجمة الانسان ، وهى تغطى جميع اجزاء المخ حينما تنمى النماء الكامل ، وتتسبب من هذه الخلايا العصبية ألياف تصل بين لحاء المخ وأجزاء الدماغ الاخرى ، وفى المخ ملايين من خطوط الاتصالات التى تصل اجزاء الدماغ بعضها ببعض فينصل الدماغ عن طريقها بالقلب والرئتين والمعدة والعين والاذن والجلد وغيرها من اعضاء الجسم التى يسيطر عليها وينظمها خير تنظيم ، ومن الممكن تشبيه الدماغ بحكومة فيها دواوين عالية ودواوين دونها ، فالدواوين العالية هى التى تشرف على الدوائر الدنيا وتسيرها وتنظمها ، والدواوين الاخرى هى التى تشرف على الدواوين الاخرى كالهضم ودوران الدم والتنفس وسائر وظائف الجسم الاخرى ، وهى الوظائف التى يشارك فيها الانسان الحيوان ، ولكن الرأى والفكر والابتكار والفن وغيرها من الصفات العقلية محصورة فى مساحة اللحاء الصغيرة ، وهى لا تميز الانسان عن الحيوان فقط بل تميز بين انسان وآخر ، فهى التى توجد الفرق بين العبقري والابله ، وبين القائد والمقود ، والذكى والبليد ، والفن وغير الفن . وإذا كان البحث عن موضوع الانسان مهما فأمم ناحية فيه تستحق الدرس هذه المساحة الصغيرة منه التى انطوى فيها العالم الاكبر ، فلولاها ما تذوقنا لذة الموسيقى والرسم والشعر وسائر الفنون الرفيعة ولا عرفنا الحزن

والفرح ، ولا تمتعنا بالعقل والفكر والرأى ولا غير ذلك من الميزات التى صيرت الانسان انسانا وميزته عن غيره من المخلوقات . ان لحاء المخ فى انسان لا يشبه لحاء مخ انسان آخر بل يكون خاصا به كوجهه وعينه واذنيه ، ولكن فى كل انسان تراكيب عامة موجودة فى مخه ، وكل مخ مؤلف من شطرين متساويين يقال لكل منهما نصف كرة المخ ، ويفصل بينهما شق يسمى الشق المستطيل .

ان لحاء المخ متجدد تجددات تسمى تلافيف المخ ويفصل بين التلافيف شقوق ، ولقسم من التلافيف والشقوق المهمة أسماء خاصة ، وتقسم الشقوق تلافيف الدماغ أقساما تعرف بالفصوص وتسمى باسماء عظام الرأس التى تحتها كالفص الجبهى والجدارى والصدغى والقفوى الخ ومن الشقوق المهمة الشق المتوسط الذى ينحدر من جانب الشق المستطيل ويفصل تليفين من تلافيف الدماغ مهمين جدا التليف الامامى الذى يكون فى مقدمة هذا الشق وفيه منطقة الحركة والتليف الخلفى الذى يكون فى الجهة الخلفية منه وفيه منطقة الحس ، ويسمى هذا الشق بشق رولندو نسبة الى المشرح الايطالى الشهير Luigi Rolando الذى كشف عنه فى القرن الثامن عشر وهو موجود فى أدمغة البشر والقروود . ومن الشقوق البارزة ايضا شق سلفيس نسبة الى المشرح الفرنسى الشهير Franciscus de le Boe Sylvius الذى كشف عنه فى القرن السابع عشر ، وهو يدا من أسفل ويصعد الى أعلى ويفصل الفص الجبهى عن الفص الصدغى ، وهذان الشقان يكونان حدود الدماغ الطبيعية .

وقد اتجهت انظار الباحثين الاولين نحو هذين الشقين وبذلوا مجهودهم فى تخطيط الدماغ مسترشدين بهما واطلقوا على جزء نصف كرة المخ الذى امامهما « منطقة الحركة » والذى خلفهما « منطقة الحس » وقسموا الدماغ فصوصا بحسب موقعها من عظام الجمجمة كما بينا ، ولم يقصدوا بهذا التقسيم تعيين وظائف خاصة بكل فص ، لأن الرأى الذى كان شائعا فى ذلك الوقت هو أن الدماغ وحدة لا تتجزأ فى قيامه بوظائفه ، فاذا تلف جزء من اجزائه فالاجزاء الاخرى تقوم مقامه ، وبقيت هذه النظرية منتشرة حتى مطلع القرن التاسع عشر . وفى حدود سنة ١٨٠٥ اخذ الطبيب النمساوى الشهير فرانز كول Franz Joseph Gall يدرس تلاميذه ان مركز التطبيق فى الفص الجبهى فوق أعين تقريبا ، وكان قد لاحظ ان جباه جماعة من الخطباء المفوهين تكون بارزة ، واعتقد ان منشأ هذا البروز كبر الفص الجبهى الذى يبرز فى الجهة ويضغط من داخل فيجعلها بارزة ايضا ، وبالرغم من ان غيره اثبت ان كثيرا من الخطباء المعدودين لا

تكون جباههم بارزة انتصرت مدرسته ووجدت انصارا كثيرين ، فاندفع الى تعيين مراكز خاصة في الدماغ وعين مراكز ٢٤ صفة منها : المساواة وحس التملك وحس الطعام والقابلية والرياضة وحسن الايقاع والترتيب حتى انه عين مركزا لحس الوقت ، وقد صرف النظر عن الحواس الحقيقية كالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس المعروفة ، واهتم بالصفات المعنوية ، وكان هذا المذهب من العوامل المؤثرة في نشوء علم الفراسة الحديث ، وهو تعرف مواهب الشخص من بروز اجزاء الرأس الذي يشتمل على الدماغ ، وراجت هذه النظرية رواجاً عظيماً مدة طويلة .

واذ كانت هذه الفكرة منتشرة بين الناس كان البحث عن وظائف الدماغ الحقيقية يسير ببطء ، لأن البنج والتعقيم كانا لا يزالان في عالم الغيب ، فكان فتح الجمعية يعد حكماً بالموت . واخذ الاطباء يستدلون على وظائف الدماغ بالاعراض المرضية التي كانت تبدو على المرضى المصابين في أدمغتهم ، وقد لاحظ الدكتور مارك داكس من باريس ان الرجل اليميني العمل الذي يصاب بالفالج في جانب جسده الايمن يفقد القدرة على النطق ، وكان من المعروف ان الفالج الذي يصيب نصف الجسد الايمن يكون ناشئاً من تلف في ناحية الدماغ اليسرى ، وأن ألياف نصف كرة الدماغ اليمنى متصلة بألياف نصف كرة الدماغ اليسرى ، والعكس على العكس ، فاستنتج من ذلك ان الذين يصابون بالفالج من جانب جسدهم الايمن يفقدون النطق يكون هذا المركز في الجهة اليسرى من أدمغتهم ؛ لأنها هي التي تكون تالفة في فالج جانب الجسم الأيمن ، وفقدان النطق يدل على أن مركزه في الناحية التالفة من الدماغ ؛ لأن نصف كرة المخ الأيمن يسيطر على جانب الجسم الايسر ، والعكس على العكس ، وقد أخذ البحث عن تعيين مراكز الوظائف الدماغية يتوسع بالتدريج ، وفي سنة ١٨٦١ نشر الطبيب الفرنسي بول بروكا Paul Broca تقريراً عن مفلوجين في الجانب الايمن من جسديهما اصيبا أيضاً بفقدان النطق ، ولما شرحت جثتهما بعد موتهما ، فوجد جزء من انفس الجبهي الأيسر تالفاً في كل منهما ، فاستدل بذلك على أن مركز الأوتار الصوتية غير محصور في الفص الجبهي الايسر وتحقق ان مركزه في قاعدة التلفيف الجبهي الثالث ، ولا يزال المركز معروفاً باسمه الى اليوم بالرغم من ان غيره عينوا مركز النطق حق التعيين .

وظهر بعد بروكا طبيب انكليزي شهير من رادة الامراض المعصية اسمه هكلن جاكسن Hughlings Jackson فبدأ بتعيين مراكز الدماغ بدروس المصابين

بالصرع وغيره من امراض الدماغ ، وتوصل سنة ١٨٦٩ الى آراء هي فذة بالنسبة الى وقته ، لأنه لم يعتمد على الدماغ ، اذ لم يكن متقدما في عهده ، ولا على الاختبارات في الحيوانات بل اعتمد على ملاحظة المرضى وتشريح الجثث ، فحكم استنادا الى اختباراتهم بأن مركز الحواس جميعها كالنظر والسمع واللمس وغيرها محصور في الفصوص الخلفية وراء الشق المتوسط ، وان مركز الحركة انما هو في الفصوص الامامية منه . وبعد مرور سنة على هذا التصريح الجريء كان اول من ايده طبيبان المانيان هما هتزل وفرتش اللذان قاما باختبارات في الكلاب فنبها بالكهرباء منطقة الدماغ الجبهية اليمنى من انصاف كرات ادمقتها فتحركت ارجلها اليسرى ولما نبها الجهة اليسرى من الدماغ تحركت ارجلها اليمنى ، ولما نبها المناطق الجبهية في نصف كرة الدماغ اليسرى ظهرت حركات عضلية في الجهة اليمنى من اجسام تلك الحيوانات ، ولكن حينما نبها الجزء الخلفي من المخ لم تظهر حركة قط في العضلات بالرغم من تكرار التنبيه ، فابتهج بذلك جاكسون وغيره من المختصين اشد الابتهاج ، وكان هذا الاستكشاف مفتاحا لتعيين مراكز الدماغ .

ولما ظهر ان مركز الحركة في ناحية المخ الامامية ، وان منطقة الحس في الناحية الخلفية منه اخذ المتخصصون يسألون انفسهم هل من فرق في تركيب النسيج في منطقتي الحس والحركة ؟ ولم يستطيعوا البت في ذلك الى ان عرفت طرائق صبغ النسيج فدرست بالمجهر ، وكان الطبيب الايطالي كميلو كولي Camillo Golgi والطيبان المانيان نيسل وويكرت Franz Nissl and Karl Weigert قد استنبطوا طرائق خاصة لصبغ نسيج الدماغ ، فأتضح من صبغها ان المادة السنجابية (لحاء المخ) مؤلفة من ست طبقات مجهرية وهي : (١) الطبقة السطحية وتعرف ايضا بالجزئية (٢) الطبقة الحبيبية وهي مركبة من خلايا صغيرة مستديرة (٣) الخلايا الهرمية الصغرى (٤) طبقة الخلايا المرصوفة (٥) الخلايا الهرمية الكبرى وهي اكثر عددا من الخلايا الهرمية الاولى (٦) الطبقة السفلى المؤلفة من خلايا مغزلية اصغر من الهرمية (انظر الرسم) ، وكان ترتيب الطبقات الست انموذجا ، ولكن حينما شرع المتخصصون يفحصون عن حال نماذج من انحاء المخ المختلفة وجدوا انحرافا عن النموذج ، وكان هذا الفرق بارزا بين المنطقة الحسية والمنطقة الحركية ، وظهر من الفحص المجهرى ان الخلايا الهرمية في الطبقة الثالثة والخامسة من منطقة الحس صغيرة جدا مع ان المنطقتين الحسيتين اكثر ثخنا بخلاياها الكرية ، وظهر بالمقابلة ان مناطق

المخ ليست مختصة بوظائف خاصة بل تتكيف خلايا تلك المناطق بحسب وظائفها ،
فأخلايا الجبسية مختصة بتلقى الحوافز الحسية ، والهرمية بتلقى الحوافز الحركية .
فهل نستطيع ان نخطو الى ابعد من ذلك فى معرفة اسرار الدماغ ؟ ومما لا شك فيه ان
المنعنين بمعرفتها كانوا يتوقون الى معرفة طبيعة الحوافز العصبية وكيف ينقل بعضها حس
اللمس وبعض حس السمع ، وبعض حس النظر ، والى معرفة الذاكرة والتفكير
والتصور وغيرها من المواهب المعنوية والفنية . لا يستطيع احد ان ينكر اننا قطعنا شوطا
غير قصير فى هذا الميدان وتوصلنا الى حل ألغاز فى هذا الجرم العظيم ، وكان الدافع
الى ذلك الشغف العلمى ومحاولة استئصال الامراض العصبية ، وقد حذا كثيرون حذو
بروكا وجكسن فى الكشف عن مجاهل الدماغ وبوصلوا الى نتائج باهرة .

الكهرباء : من الطرائق التى اتبعها العلماء سبر الدماغ بالكهرباء ، وهو أمر طبعى ؛ لأن
مادة الدماغ السنجابية مولدة للكهرباء كما ان الحوافز العصبية الحسية والحركية كهربية
الطبيعة ، ومن الممكن تنبيه الدماغ بالحوافز الكهربية التى هى من طبيعته ، وتتمكن أيضاً من
الاستكشاف بالكهربية التى يولدها الدماغ حين قيامه بوظائفه وقياسها قياساً متقناً ،
فاما أن نعرض منطقة من مناطق لحاء الدماغ لمجرى كهربي منخفض القوة (فولتج)
متناوب الجريان ونرغب التأثيرات التى تظهر ، وهذه الطريقة تتبع فى الاستكشاف عن
منطقة الحركة ، واما ان نستقصى الحوافز الحسية الذاهبة من الجسم الى الدماغ ، وفى
هذه الحالة لا نحتاج الى تسليط مجرى كهربي ؛ لأن الحوافز الحسية أنفسها تولد كهربية ،
فما علينا الا ان نصل الدماغ بمقياس كهربي ونرسل حوافز حسية كلمس الجلد او
اضاءة ضوء او احداث صوت أو غير ذلك من الحوافز الحسية ، فتولد كهربية فى مركز
ذلك الحس يسجلها المقياس الخاص المتصل بالدماغ ، والكهربية التى تولدها هذه
الحوافز ضئيلة حتى ان العلماء لم يتمكنوا من تحقيقها قبل وجود الانبوب المفرغ الذى
يكبر الكهربية المطلقة ملايين مرات ، وتسجل التأثيرات المتولدة فيها بقلم مرتبط
بمقياس خاص . ان الامواج التى تتولد ويسجلها المقياس من الطرائق الحديثة للاستكشاف
عن نشاط الدماغ وتشخص بها امراض عصبية كالصرع والسرطان ، وللمختصين
طرائق اخرى للاستكشاف عن كهربية الدماغ وذلك بعكس النبضات الكهربية على آلة
خاصة واطهارها على شاشة كما تظهر المناظر السينمائية . وهناك آلة خاصة تسمى مقياس

تموجات الدماغ الكهربىة Electroencephalograph تنبىء عن حالة الدماغ فى الأحوال المختلفة وفى الصحة والمرض وتستعمل فى تشخيص قسم من امراض الدماغ كالسرطان والصرع وغيرهما . كان لعلم الجراحة اليد الكبرى فى تعيين مراكز الوظائف للحاء الدماغ ، فقد ازيلت اجزاء من دماغ الحيوانات ولوحظت عواقب ازالتها ، فوجد المتخصصون انهم لما ازالوا الفص القفوى مثلاً أصيب الحيوان بالعمى ، فعرفوا ان هذا الفص هو مركز البصر ، ولما ازيل الفص الصدغى أصيب الحيوان بالصمم فتحقق الجراحون ان هذا الفص هو مركز السمع ، ولما تقدم علم الجراحة واصبح فتح جمجمة الانسان واجراء العمليات الجراحية عليها ممكناً اخذ الجراحون والاطباء يستكشفون عن مناطق الدماغ وتوصلوا الى تعيين مراكز كثيرة منها ، ولا يزالون جادين فى ارياد اجزاء هذا العالم المجهولة .

الظواهر Projection : لا معنى للحوافز الحسية والحركية التى ترد للدماغ وتصدر منه اذا لم تظهرها مراكزه فاذا رأينا كتاباً مثلاً فالخافز الحسى هنا هو الكتاب الذى تنتقل صورته بواسطة العين وعصب البصر الذى هو فيها الى مركز البصر فى فص الدماغ القفوى ، وليست العين سوى آلة كالة التصوير تنقل المراتب الى مركز البصر فى الدماغ بواسطة العصب ولا دخل لها بتفسيرها ، فالمركز هو الذى يفسر ما تراه ويميز بين رؤية الكتاب والحجر والشجرة او غير ذلك ، فاذا كان تالفاً فانا لا نستطيع رؤية الاشياء بالرغم من سلامة العين والعصب الذى فيها ، وتفسير المراتب او اظهارها هو من وظيفة المراكز التى ذكرناها ، ولا فرق فى نقلها سواء اكانت حوافز واردة من العين ام من الاذن ام من اللسان ام من الجلد ، فالهم أن تصل الى مراكز المخ العليا المتوط بها تفسيرها ، وای حافز عصبى يصل الى مركز السمع فى الدماغ يجعل صاحبه يسمعه سواء أكان صوت انسان ام صوت جرس ام غير ذلك، ولو كان فى الامكان ان يتصل عصب البصر بمركز السمع وعصب السمع بمركز البصر لتمكنا من سماع البرق ورؤية الرعد ، ومن الأدلة التى تثبت ان الدماغ قادر على توليد حواسه الخاصة للعوارض التى تحدث للذين يصابون بالصرع ، ما ذكر جماعة منهم انهم كانوا يرون حلقات من نور فى بدء نوبات الصرع ، ويذكر غيرهم انهم كانوا يسمعون اصواتاً فى بدء حصولها وقسم كانوا يشمون روائح كريهة او يذوقون اشياء غريبة . ان هذه الحواس الغريبة التى تولد فجأة فى خلايا الدماغ من اطلاق حوافز كهربية منها ما يتصل بمركز السمع ومنها ما يتصل بمركز البصر ومنها ما يتصل بمركز الشم ومنها ما يتصل بمركز الذوق



مَصَوِّرُ مَنْطِقَةِ الدِّمَاغِ الْحَسِّيَّةِ وَالْحَرَكِيَّةِ

بِحَسَبِ السَّاحَةِ الْمُخَصَّصَةِ لِلْجِزءِ مِنْ أَجْزَاءِ الْجِسْمِ

(١٢٩)



مَصَوِّرُ مَنْطِقَةِ الدِّمَاغِ الْحَسِّيَّةِ وَالْحَرَكِيَّةِ
 بِحَسَبِ الْمَنَاحَةِ الْمُعَيَّنَةِ لِلْأَجْزَاءِ مِنَ الْجِسْمِ

١٣٩ (٥)

فيحس بها الانسان •

ان اجزاء الدماغ المنوط بها نقل الحوافز الحسية والحركية تسمى المناطق
المظهرة والمفسرة Projection Areas •

ان منطقة الحركة هى المنطقة التى كشف عنها الطيبان الالمانيان فرتز وهتزك
بالتنبيه الكهربى منذ ٧٨ سنة ، ومركزها فى الفص الجبى الذى هو امام الشق المتوسط
وقد مر وصفه • ان هذه المنطقة هى المنوط بها جميع حركات الجسم ، وحركات الأيدي
والارجل والاطراف الخ ، ويقابلها فى الجهة الخلفية من هذا الشق منطقة الحس
الامتدة على منحدره ، وهى المحتلة جانباً من الفص الجدارى المجاور لهذه المنطقة ، وفى
الفص القفوى من الدماغ رقعة بيضاء تسمى اللحاء المخطط وفيها مركز البصر اى المنطقة
التي تظهر المثيرات وتفسرها ، وفى القسم الاعلى خلف الفص الصدغى مركز السمع ،
وتسير حوافز الشم من نهايات اعصاب الانف الى بصلة الشم التى هى تحت اللحاء ،
ويشعب منها الى مناطق لا تزال مجهولة وتكون هذه المناطق ضئيلة الاثر فى الانسان ،
ومنطقتها واسعة وبارزة فى الحيوانات كالكلاب ، ولا يعرف الفسيولوجيون الا القليل
من حقيقة الشم والذوق ، وقد ظهرت ادلة تدل على انه من الممكن ان تكون حاسة
الذوق تحت الفص الجدارى •

ان اعضاء الحس ترسل حوافزها العصبية فتعكس اشباحها فى الدماغ ، ومثال
ذلك قوقعة الاذن والغشاء الملتف حولها المكون من نسيج عصبى ، فانها تتلقى اهتزازات
الصوت وتنقلها الى منطقة السمع فى الفص الصدغى فظهر هناك ان كانت صوت مدفع
او لحن موسيقى او هزيم رعد الخ وكذلك جزء العين المختص بالنظر ، فان عدسة العين
تركز اشباح المثيرات التى تنتقل الى شبكة العين وتتمثل فيها رقعة صغيرة جدا ، وتظهر
هذه الرقعة المجهرية كما هى عليه فى مركز البصر الذى يكبرها الوف مرات • من
الصعب التكهن بالاشباح التى تولدها حاسة الذوق فى الدماغ بسبب غموضها ، ولكن
لا غموض فى مناطق الحس والحركة ولا مجال للتأويل فيها ؛ لأنها تتلقى الحوافز
وتظهرها كما هى عليه ، فتشبع الانسان المنعكس على الدماغ يكون بصورة انسان مصغر
مجزأً الأوصال ، ولكن مركز النظر يظهره بصورته الكاملة • وهنا يقف العقل عاجزاً
عن ادراك هذه القوة العجيبة التى تصور الانسان انساناً والحمار حماراً ، لأن ما ينقل
اليها انما ينقل اوصالاً منفصلة فكيف تظهرها انساناً او حيواناً ، هذه هى المعجزة الكبرى

التي لا تزال تحير ألباب نوابغ العلماء ، وتظهر عظمة الصانع العظيم الذي يعجز عن ادراك صنعه الإنسان .

حاول فريق من المختصين بالامراض العصبية سبر وظائف الدماغ الحسية والحركية وتعيين مواقعها ، منهم هودبلى وبدول وشرتن في انكلترا وكن وكشن وانسم في الولايات المتحدة وفورستر في ألمانيا ، وقام بأوسع دراسة في هذا الموضوع ويلدرينفلد Wilder Penfeld ومشاركوه في معهد الامراض العصبية في مونتريال ، وكشف بالكهرباء عن لحاء دماغ المرضى الذين اجري على ادمغتهم عمليات جراحية برضاهم وتوصل بالاختبارات التي اختبرها في مئات المرضى الى نتائج قليلة ، وقد ظهر من مجموع دراساته ان كمية اللحاء المرتبطة باجزاء الجسم لا تتوقف على حجم العضو المرتبطة هي به بل تتوقف على مدى استعماله ، ولهذا تكون كمية اللحاء المرتبطة بالابدى والاصابع اكثر من الكمية المرتبطة بالارجل والاباهيم ، والمنطقة المرتبطة بالشفاه اوسع من سائر مناطق الحس الاخرى بسبب كثرة استعمال الشفاه في النطق والاكل وغير ذلك .

تتمثل في الدماغ وظائف أجزاء الجسم كأنها منفصل بعضها عن بعض ، فظهر الأذرع والمفاصل كأنها غير متصل بعضها ببعض ، ويظهر الرأس كأنه منفصل عن الجسد ، ان عدم تناسب المناطق في لحاء الدماغ مع كبر اعضاء الجسم التي يمثلها ومناسبتها الحاصلة بكثرة استعمالها يكون اقل بروزا في الحيوانات كلما نزلنا في سلم تطورها ، وقد درس فريق من العلماء المختصين بالمباحث الفسيولوجية العصبية في جامعة هيكز بامريكا المناطق الحسية في لحاء دماغ الحيوانات بالتتابع ، فدرسوا لحاء القروود والكلاب والقطط والحراف والخنزير والارانب والجردان ، وقال الدكتور ووزلى اتا لم نجد تناسبا بين اجزاء الجسم والاجزاء الممثلة لها في لحاء الدماغ الا حين وصلنا الى الجرذان . ان انعكاس اشباح المراتب في دماغ القروود موحدة اكثر مما هي عليه في الانسان المصغر الذي وصفه الدكتور بنفلد ، واشباح المراتب في لحاء القطط تكون اجمع من غيرها ، وبالرغم من ذلك تظهر الاشباح أوصالا . أما الجرذ فبالرغم من بروز رأسه وشفاه فان أجزاء دماغه متناسبة مع أجزاء جسده الممثلة في الدماغ . ان فقدان التناسب بين أجزاء الجسم والمناطق الممثلة لها في الدماغ يشعر بأن كل جزء من لحاء الدماغ يزسم صورة لحياتنا اليومية ، فيكون كبيرا او صغيرا بالنسبة للعضو الذي يمثل ، فيكون الجزء الاكبر من منطقة الحس في الخنزير في خرطوم ، لأنه أكثر أعضائه استعمالا ، وفي القرد العنكبوتى ذى الذنب الطويل

تكون المنطقة التي تمثل الذنب كبيرة في الحاء دماغه ، ونجد منطقة الشم في ادمغة عدة كلاب اكبر المناطق اتساعا ، وتأتي في المقام الاول من بين المناطق الاخرى . وقد وصف الدكتور ادريان من جامعة كمبردج في انكلترا الاختبار الآتي الذي اجراه على قنفذ : أمر مجرى هواثيا في منخرى القنفذ ، ومع أن المختبر لم يشم رائحة في مجرى الهواء ، ظهر نشاط كهربى في نحو ثلثي دماغ القنفذ فدل على اتساع حاسة الشم فيه ، ومنذ بضع سنوات كان الدكتور ادريان المذكور يختبر لحاء دماغ قط وكشف فيه عن مركز حسى ثان منفصل عن المركز الرئيس المعروف ، ووجد الدكتور صموئيل تالبوت من جامعة هيكز ان للقطط مركزا ثانيا للسمع غير المركز الاصلى المعروف ، ومن ذلك الزمن اخذ الباحثون يشتون وجود اكثر من مركز واحد في كثير من الحيوانات خلا حاسى الذوق والشم ، وقد وجد الدكتور بانفلد من زمن قريب منطقة حسية ثانية في لحاء ادمغة البشر موقعها في فص الدماغ الجدارى ولكنها منفصلة عن منطقة الحس المعروفة التي موقعها خلف السق المتوسط وقد مر ذكرها .

الارتباط Association :

اتنا لا نعلم أكان للانسان منطقتا نظر ومنطقتا سمع ام ليس له ذلك ، كما اتنا لانعلم أكانت المناطق الجديدة التي كشف عنها تعمل مستقلة عن المناطق الاصلية أم كانت مرتبطة بها ، وقد ظهر من عدة اختبارات في الكلاب ان منطقة السمع التي كشف عنها اخيرا تتأثر بالاصوات العالية فقط كما انها تعطى صورة للاصوات التي تصل اليها كالمركز الاصلى .

ان حواس السمع واللمس وغيرها من الحواس التي تصل الى المناطق المظهرة هي أنباء مختلفة لا معنى لها ، اذا لم تكن مرتبطة باجزاء اخرى في لحاء الدماغ . لايجنب الطفل النار بسبب الألم الذى يصيبه من ممها بل بسبب الاليف الرابطة التي تصل اجزاء المخ بعضها ببعض ، والاليف الرابطة هي التي تعلمه عدم مس النار ، لانها هي التي تجعله يربط الألم بمنظر النار ، والصوت الصراخ بالانذار ، وجر اليد بتجنب الخطر . يحتاج الدماغ الى ذاكرة لربط الحاضر بالماضى وادراكه معنى هذا الارتباط واهميته ، ويتطلب هذا العمل ملايين روابط لربط الحوادث المتعددة التي تحدث للانسان بعضها ببعض كالروابط الحسية والحركية التي تتولد من السمع والبصر كالقراءة والكتابة والنطق والمؤثرات الخارجية المتعددة الانواع ، فيجب ان يعيها الدماغ ويحللها ويفسرهما ويقابل بينها وغير ذلك من اعمال الدماغ المعقدة . ان المناطق الرابطة

هى التى تقوم بهذه الوظيفة المتقنة خير قيام ، ومن العتب ان ندعى ان المناطق الرابطة اهم من المناطق المظهرة . فمن دونها ، ان كان ذلك ممكنا ، لا يتلقى لحاء الدماغ معلومات عن العالم الخارجى ولا يستطيع السيطرة على حركات الجسم الارادية ، وبالرغم من ان المناطق المظهرة ضرورية كانت اقل درجات اللحاء نشاطا ، وكلما نزلنا فى درجات السلم الحيوانى نجد المناطق المظهرة اكثر من الرابطة . يقول الدكتور ووزلى ان لحاء دماغ الجرذ يكاد يكون كله مؤلفا من مناطق مظهرة ومن الصعب ان ترى مكانا للالاياف الرابطة . ان اكثر لحاء دماغ الانسان مخصص بالمناطق الرابطة ، ونضرب المثل الاتى للدلالة على هذه الحقيقة : ان مركز البصر فى الفص القفوى يحيط به منطقة ارتباط تسمى اللحاء الرابط الاضافى ، وبالقرب منه مركز ارتباط آخر ، ومن الممكن أن نجد أليافا ارتباطية تربط المراكز الثلاثة ، فيتضح لنا من هذه الحقائق ان مركز البصر فى فص المخ القفوى متصل بسطح الدماغ بواسطة المناطق الرابطة التى ذكرناها ، وای شيء يتلف مركز البصر فى لحاء الدماغ يجعل المرء يصاب بالعمى الكامل اى يجعله لا يبصر البتة وهو ما يطلق عليه الفسيولوجيون العمى اللحائى Cortical blindness فاذا كان الاذى محصورا فى منطقة الارتباط الاضافية الاولى فان المصاب يستطيع ان يبصر ولكنه لا يستطيع ان يفسر المرئيات ويسمى هذا النوع العمى العقلى Mind blindness وهو ضرب من فقدان الوعي الحسى المسمى Agnosia ومعناه عدم الحس . فان المصاب به لا يستطيع استعمال حاسة السمع والبصر او الشم او غير ذلك فاذا سمع صوتا لا يميز أصوات حيوان كان أم صوت انسان أم صوت طيارة أم غير ذلك ، ويكون موضع الارتباط فى هذه الحالة فى المركز الثانى ، ولا يجد الدماغ صعوبة فى معرفة الاشياء المرئية ولكنه لا يتذكر صورتها ما لم يرها ، وكانت هذه الظاهرة معروفة منذ زمن حين كان المصاب لا يفقه معنى الكلام المطبوع او المكتوب بالرغم من انه كان يراه ، ويسمى فقدان وظيفة مركز الارتباط الثانوى العمى الكلمى Word blindness المعروف بالعمى الذى يرى فيه المصاب الكلمة ولا يستطيع النطق بها ، واليك حادثة توضح هذا النوع من العمى : اصيبت ممرضة فى اميركا بالتهاب لحاء النخاع الشوكى فى اثناء انتشار هذا المرض ثم شفيت ونجت من الشلل الذى يصيب فى العادة المصابين بهذا المرض وظهر بعد ثلاثة أسابيع اضطراب فى بصرها فأخذت تسأل فجأة : لماذا ليست الممرضات ألبسة سودا (مع أن ثيابهن كانت بيضا) ؟ ولما طلب منها أن تقرأ قالت : انها لا تستطيع أن تبصر . ولما كتب لها الحرف O بعلم ١٠ سم قالت انه قريب جدا فعدلت المسافة ، فقالت انه بعيد

جدا ولكنها لم تستطع قراءة الحرف الى ان اخذت تتعقبه بيدها ودل ذلك على انها كانت تراه فاستطاعت بهذه الطريقة قراءته فى الحال على الصواب وجربت فى احرف اخرى فلم تستطع قراءتها الا بعد ان لمستها باصابعها ، فاستطاعت بهذه الطريقة ان تقرأ جملاً كاملاً ، وكانت لا تستطيع فى ايام معرفة الالوان ، وكانت تعرفها حق المعرفة فى ايام أخرى ، وقد عرضت عليها مفاتيح مربوطة بسلسلة فلم تستطع معرفتها ، ولكن حينما سمعت خشخشتها صرخت قائلة مفاتيح ، وقد وضعت بين يديها ساعة فلم تعرفها ، وما وضعت على اذنها صرخت قائلة ساعة ، وكانت اذا نظرت برتقالة لا تعرفها الا بشمها رائحتها . كان فقدان الحس فى هذه الحالة من الضرب الاول اى العمى العقلى ، وسببه عيب فى وظيفة منطقة الحس الاضافية فكانت المريضة ترى وتسمع وتشم ولكنها لا تستطيع ربط هذه الحواس بعضها ببعض بسبب عيب فى المناطق الرابطة ، فاذا سمع الانسان صوت جرس فى الحالة التى تكون فيها مناطق الدماغ سليمة يستطيع ان يميزه عن صوت الصافرة أو صوت الباب أو غير ذلك ، لأن صوته مقترن بحاسة النظر وحاسة السمع والذاكرة وغير ذلك ، فلا يستطيع الانسان ان يعرف البرتقالة بمجرد حاسة النظر بل باقترانها بحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة الحجم والشكل الخ فستتج مما مر بنا ان لكل حاسة روابط تربطها بعضها ببعض ولا تزال تخطيطات هذه المناطق غير تامة الوضوح .

يؤدى اذى الدماغ فى بعض الحالات الى النسيان اى فقدان الذاكرة Annesia وخاصة العجز عن تذكر قسم من الكلمات ، وقد ذكر الدكتور نيلسن Nelsen حادثة غريبة من هذا النوع وهى ان رجلاً كان ينسى فى وقت معين نصف جسمه الايسر فيفصل الجهة اليمنى من وجهه وذراعه وساقه فقط وينسى اليسرى ، وكان يتهيج حينما كانت امرأته تنبهه الى هذه الظاهرة الغريبة ، فيدرك حالاً ان له جانباً آخر ، ولكنه يعود الى حالته الغريبة حين ارتداء ثيابه فيلبسها فى الجانب الايمن من جسده فقط وينسى الايسر الى ان تنبهه زوجته فيتذكر ان له جانبين ، وظلت حالته تزداد سوء الى ان اجريت له عملية فى دماغه واستؤصل من قصه الجدارى ورم كان قرب منطقة الحس .

ان لمنطقة الحركة فى القصد الجبهى مناطق ارتباط كالحس ايضا منها تلفيف بروكا الذى مر ذكره . ان هذه المنطقة المختصة بالنطق السليم موجودة فى الحالة السوية فى نصف كرة الدماغ اليسرى فى الرجل اليمنى ، وفى نصف كرتة اليمنى فى اليسارى . وبالقرب من هذه المنطقة قسم من المناطق الحركية المختصة بحركات المهارة كحركات الأيدي

فى الرسم والعزف بالآلات الموسيقية وما اشبه ذلك .
 يذكر علم الانسان (انثروبولوجية) ان تطور اللغات المعقد والنطق بها مرتبطان ارتباطا وثيقا باستعمال الآلات والمهارة اليدوية ، ويرى جماعة من الباحثين ان اصل اللغات اشارات يدوية . ان منطقة بروكا مرتبطة اشد الارتباط بمناطق رابطة حركية وحسية كم منطقة النظر مثلا (القراءة) ومنطقة السمع (سماع الكلام) فاذا اصبحت المناطق الحركية الرابطة او الالياف التى تربطها بغيرها من المناطق يحدث أمران : العجز عن القيام بحركات ارادية Apraxia والعشى فلا يستطيع المصاب فى الحالة الاولى ان يمسك القلم ولا ان يربط ربطة الرقبة ولا ان يلبس ثيابه ولا ان يفعل غير ذلك من الحركات الارادية ، واذا طلب منه ان يوقع مكتوبا فانه لا يستطيع ان يفعل ذلك بالرغم من انه هو الذى كتبه ، ولا يستطيع المصاب فى الحالة الثانية ان ينطق كما انه لا يستطيع فى الاولى الحشى ان يبصر ولا ان يسمع ولا ان يلمس ، واقول بتعبير آخر ان المصاب يتألف فى المناطق الحركية الرابطة التى هى من الضرب الاول تختل حركاته الارادية واذا كان التلف فى المناطق التى من الحالة الثانية يختل نطقه ، فبدل فقدان النطق فى اغلب الاحيان على اعتلال المراكز العليا ويظهر بمظاهر شتى ، ويكون احيانا شذوذا يسيرا كالحالات الآتية : كان مريض يستطيع قراءة الرقمين ٥ و ٧ مفردين ولكنه لا يستطيع قراءتهما مجتمعين ٥٧ ، ان العجز عن النطق أبدا هو اقصى حالات مظاهر اعتلال النطق ، ويستطيع المريض فى بعض الحالات ان يلفظ نعم اولا فقط ، وفى بعض بكلم ليست كلاما ، ومن الممكن ان يستطيع المصاب ترديد كلمة واحدة وهى الكلمة التى لا يريددها ولكنه لا يستطيع ان ينطق بالكلمة التى يريددها ، وكان مصاب آخر يستطيع ان ينشد ابياتا من الشعر ويستشهد بشواهد مشهورى الرجال وينشد اناشيد من دون ان يخل بحرف واحد منها ولكنه يعجز عن استعمال كلماتها فى اثناء الحديث ، فهذه المظاهر ترينا دقة تركيب الدماغ العجيبة .

مناطق الدماغ الصامتة : Silent Areas

ان الفصوص الجبهية هى اكبر فصوص الدماغ ، وبعد ان فرغ المتخصصون بالأمراض العصبية من المناطق الحركية الواسعة التى فى مقدمة الشق المتوسط وجدوا مناطق اخرى واسعة لا تزال مجهولة . ان المنطقة الامامية البارزة من الدماغ المتدلية فوق العينين لا تستجيب للتحوافز الكهربائية ، ولهذا سميت المنطقة الصامتة وكانت معروفة منذ

التقديم بأنها مركز الذاكرة والذكاء .

ومنذ ١٠٠ سنة أصيب أحد عمال المقالع في أمريكا بأذى في مقدمة دماغه لما كان بفجر البارود في المقلع لنسف جدارته ، فطاربت شظايا قضيب حديد كان يستعمله لادخال البارود ، ودخلت احدها في خذه ونفذت الى جمجمته وحدثت جرحا بليغا في فصي دماغه الجبهيين ، فهرع احد العمال الذين كانوا معه فانتزع الشظية من دماغه ، وكان شفاؤه من المعجزات وعاد بعد شهر الى عمله ، وبقيت ذاكرته سليمة ومهارته كما كانت قبلا ، ولاحظ كل من كان يشتغل معه تغيرا محسوسا في سلوكه فصار يتكلم كلاما بذيئا ، ولا يهتم بمصلحة غيره ، ولا يربو عوده ، وكان اصحابه يتحملون منه ذلك بسبب الحوادث الذي اصابه .

قام العلماء باختبارات عدة في الفص الجبهي في الحيوانات ، ومن اشهرها الاختبار التاريخي الذي بدأ به الطبيب الاميركيان جون فلتن و كارليل جاكسن في مختبر مدرسة يال الطبية سنة ١٩٣٣ وكانا مهتمين بمعرفة النتائج لازالة الجزء الامامي من فص الدماغ الجبهي ، فاختارا قردين لهذا الاختبار ووضعاها في التدريب الشديد من تشرين الاول الى آذار ، ثم اجرا عليهما عملية جراحية فاستأصلا الجزء الامامي من الفص الجبهي من نصف كرة واحدة من دماغ كل منهما فلم تغير هذه العملية سلوكهما تغيرا محسوسا ، وبعد أن برأ الجرح اختبرا القردين اختبار الذكاء فوجدا أن ذكاءهما كما كان قبل اجراء العملية ، وفي حزيران عملا فيهما عملية جراحية ثانية وازالا الباقي من الجزء الامامي من الفص الجبهي ، ثم اختبرا ذكاءهما في هذه المرة فوجدا تغيرا محسوسا فيه ، اذ وجدا ان شراسة الطبع التي كانت تظهر فيهما حينما يحرمان شيئا بسبب خطأ ارتكياه ، في اثناء تدريبيهما قد زالت منهما ، فصارا اذا أخطأ احدهما وعوقب لا ينور بل يهز كفيه ويعمل عملا آخر غير الذي كان يعمل به ، وقد تلا فولتن و جاكسن تقريريهما عن هذا الاختبار في المؤتمر الطبي الذي عقد في لندن سنة ١٩٣٥ ولما انتهى فولتن من تلاوته سأل الدكتور ايكازموني Egaz Money المتخصص بالامراض العصبية في لشبونة لماذا لا تطبق هذه النظرية على الانسان ، فنزال بها حالة التهمج الذي فيه ؟ فأجابه فولتن انه استغرب هذا الاقتراح اقتراح سرعة تطبيق هذه النظرية على الانسان . وبعد سنة فقط أجرى الدكتور موني مع أحد الجراحين البرتغاليين ، وهو الدكتور ليمال Dr. Limal خمسين عملية في مصابين بامراض عقلية مختلفة منقطع الأمل من شفاائهم ولكن الدكتور ليمال لم يستأصل في عملياته أي جزء كان من اللحاء ، بل

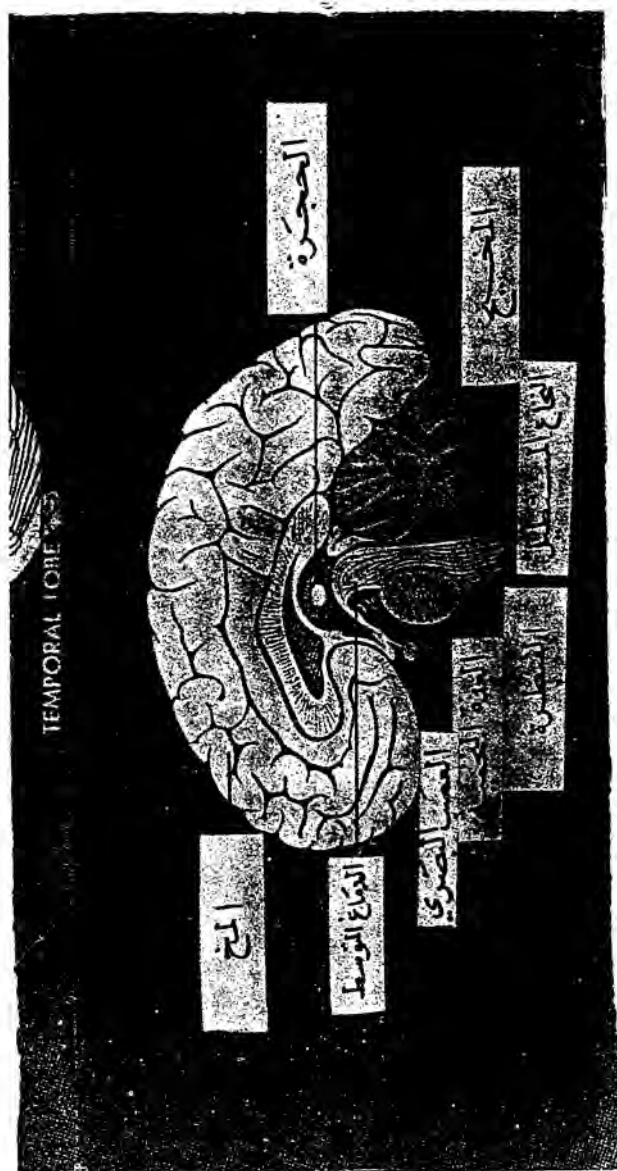
قطع الالياف التى بين مقدمة الفص الجبى ومركز الحجرة thalamus (١) فى ساق الدماغ . ولأنه استأصل الألياف البيض فقط سميت (العملية البيضاء) ، Leucotomy (معنى ليكوس فى اليونانية الأبيض) . وفى السنة التالية لتلك أجرى أول عملية من هذا النوع عدد من الجراحين فى الولايات المتحدة ، وانتشرت فى أنحاء اميركا الشمالية حتى بلغ عدد الأشخاص الذين عملت لهم نحو من ٢٠٠ انسان .

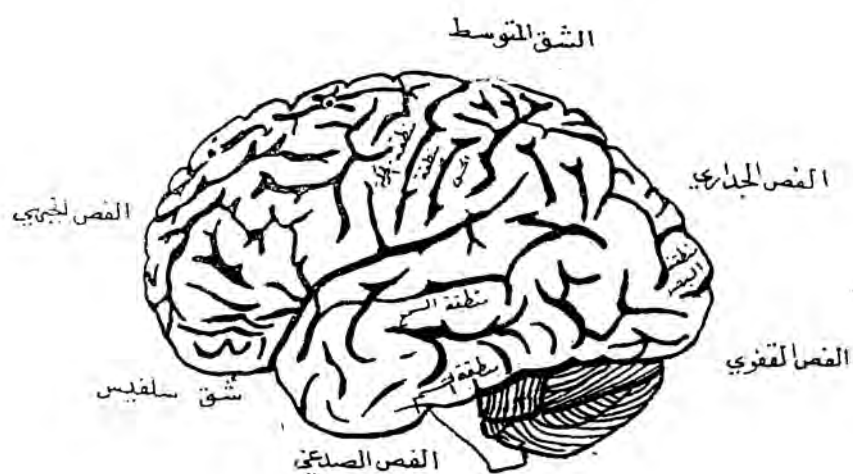
ان استئصال هذه الالياف البيض التى تصل الجزء الامامى من الفص الجبى - المعروف بالدماغ الجديد بساق المخ المعروفة بالدماغ القديم يقطع صلة سيطرة العاطفة التى فى ساق المخ عن الجزء الامامى منه ، ولا نعرف طبيعة هذه الصلة بين العاطفة والجزء الامامى من فص الدماغ الجبى ، ومهما كانت طبيعتها فإن قطعها ادى الى شفاء كثير من المصابين بأنواع الجنون وجعلهم اسوياء ولم يكتب النجاح لقسم من هذه العمليات ، وبزعم الذين قاموا بها أن نحو من ٦٠/٠٠ ممن أجريت فيهم تحسنت أحوالهم بعد العملية ، ويحاول الأطباء تطبيق هذه العملية على الانحرافات الشخصية كالافراط فى حب الذات ، وعدم التقيد بالروادع الأخلاقية والبطش ، وفقدان اتزان العاطفة وما أشبه ذلك .

ان الحروب والعواض هيأت للجراحين ألوف حوادث ، لاختبار جراحة مقدمة انفس الجبى لاستئصال الأورام والأمراض الدماغية الأخرى ، وقد مهدت السبيل لاختبار وظائف هذه الناحية من الدماغ .

لقد انطعت فى نفس الدكتور كرت كولد ستين Dr. Kurt Goldstein الحوادث التى شاهدها فى مستشفى مونتفيور فى نيويورك فى المصابين بجروح فى ادمغتهم فى المعارك الحربية فانه وجد كثيرا من المصابين بجروح فى الفص الجبى يفقدون قوة التخيل ويكونون ضعفاء الآراء ، ولاحظ ان المصابين يكونون اسوياء فى الحالات المحسوس بها ، اما اذا تغيرت الحالة وكابدوا مشكلات لا خبرة لهم بها فانهم يقفون عاجزين عن معالجتها ، فهم اسوياء فى الامور المحسوس بها وغير اسوياء فى الامور المجردة . وقد اهتم كوستار ريلندر Gosta Rylander من ستوكهلم لهذه الظاهرة فدرس ٣٢ اصابة اذى فى الجزء الامامى من الفص الجبى اختبر عددا منهم

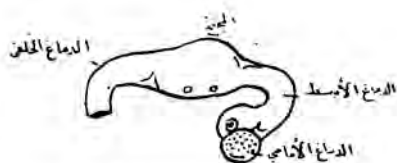
(١) لفظة يونانية الاصل معناها الحجرة وهى كتلة سنجابية من مادة اللحاء فى قاعدة الدماغ ، واقعة فى حدود البطين الثالث وتعرف ايضا بعجزة البصر .



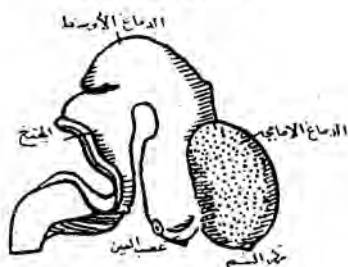


« جانب من المخ »

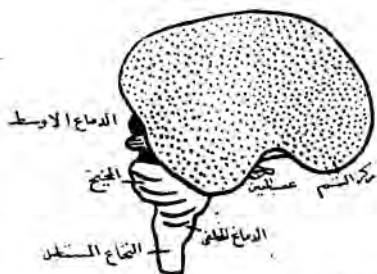
١٤٠ (د)



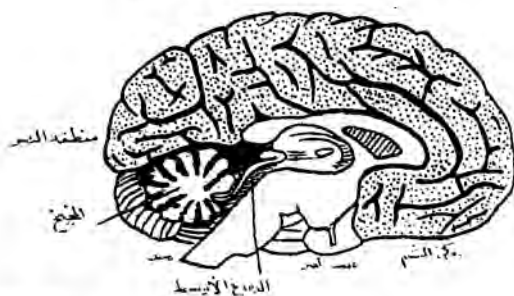
دماغ الجنين في الأسبوع الخامس



دماغ الجنين في الأسبوع السابع



دماغ الجنين في الأسبوع العاشر



نفسه
كروماتيك

دماغ الوليد

ينبت دماغ الجنين عن تطور : تظهر مقدمة الدماغ في أعلى الصورة جزء
مثلاً من مجموعته فنصح إبراز جزء منه في أسفل الصورة

٤٢

الغدة الكظرية

الغدة الكظرية

الشق المستطيل



الغدة الكظرية

بضرب الامثال السائرة لهم وطلب منهم تفسيرها مثل (لا تسلم الجرة كل مرة) ففسرها عدة منهم تفسيراً حرفياً مجرداً عن الحكمة التي تشتمل عليها فجاء تفسيرها بغير معنى وكان جواب احد المختبرين وهو ارقاهم ثقافة ان الجرة لا تنزل الى البئر ، ولما قرئ له المثل (حتى الدجاجة العمياء تجد حبا) فهقه ضاحكا وقال انها لا تستطيع ذلك اذا كانت لا تبصر .

وقد استخلص الدكتور ريلندر نتائج اختباراته الاتنين والثلاثين مريضا فكانت كما يأتي : تأثرت عواطف ٣٠ منهم ، وحدث تغير في ارادة ٢٢ ونفسياتهم ، وتأثر ذكاء ٢١ منهم (خصوصا المواهب العليا) ، فاستنتج ١١ بالرغم من انهم يستطيعون ان يحيا حياة اجتماعية سوية يصيهم الويل اذا اشتغلوا اشغالا عقلية ذات شأن .

وقد قام بدراسة واسعة موضوع فقدان الجزء الامامي من الفص الجبهي العالم النفساني الشهير وورد هالستد Ward Halstead في كتابه الشهير «الدماغ والذكاء» كان هالستد يدير ادارة مستشفى للبحث عن الامراض العصبية في جامعة شيكاغو ، وفحص عن احوال ٢٣٧ شخصا ، منهم مصابون بأذى في الدماغ ، وآخرون بأمراض عقلية ، وفحص معهم عن احوال اشخاص اسوياء ليتخذ منهم ضوابط لمباحثته ، وكانت خلاصة النتائج التي توصل اليها في اثناء الاثنى عشرة سنة من بحثه هي : (١) ان الذكاء البيولوجي مستقر في لحاء الدماغ (٢) ان الذكاء ليس متساويا في انحاء اللحاء (٣) ان الذكاء يبلغ ذروته في فصوص الدماغ الجبئية ، واستنتج ان هذه الفصوص التي ظلت مدة طويلة معدودة من المناطق الصامتة هي اكثر اجزاء الدماغ اتجاها للذكاء .

وبالرغم من المباحث الواسعة التي قام بها العلماء عن اسرار هذا الجرم الصغير الذي وسع السموات والارض وانطوت فيه معجزات الحياة لا تزال نجعل كثيرا منها ، ولا يزال جماعة من الثقات متمسكين بالنظرية القائلة ان الدماغ وحدة لا تتجزأ ، ومن المحقق ان في فلسفة الدماغ ما يؤيد هذا الرأي ، ومهما قيل في لحاء الدماغ فانه لا يزال لغزا شديدا الابهام ، ولا نعلم ايستطيع هذا الدماغ حل طلاسم نفسه وادراك ما فيه من القوى العظيمة التي هي فوق مقدرة البشر أم يعجز عن ذلك ، ومما لاشك فيه أن الطبيعيات والكيمياء

والرياضيات التي استعان بها المتخصصون على درس الجهاز العصبي ستساعد على المباحث
المؤيصة التي نتظرنا ، وفوق كل ذي علم عليم .

شريف عبيد

اهم مصادر البحث

1. Scientific American October 1949.
2. Howells Text Book of Physicology Fulton 1948.
3. Gray's anatomy
4. Physiology of the Nervous System Fulton 1948.
5. Handbook of Physiology Medowell 1944.

موارد تاج الطبري

ان مسألة المصادر في تدوين التاريخ عند العرب لما تحلّ حلا علميا نهائيا ، ولما تدرس دراسة كافية^(١) على الرغم من الجهود التي بذلها نفر من المستشرقين مثل « وستفلد »^(٢) لتدوين تاريخ « علم التاريخ » عند العرب ، وبيان الاتجاهات التي سار عليها المؤرخون ، وتعيين صلات بعضهم ببعض . واذا كان الموضوع واضحا كما يخيّل لمن يريد الكتابة في تطور علم التاريخ عند العرب من القرن الرابع للهجرة فما بعد فإن هذا الوضوح لا يمكن أن يدرك بالنسبة للمقرون الثلاثة الأولى للهجرة ولا سيما للقرن الاول والثاني ، لأننا لا نستطيع حقاً أن نميز بين التاريخ الصرف والمواد التي كانت تروى وتقص على أنها مادة صالحة من مواد التاريخ ، وهي في الواقع شيء من الأساطير الشعبية والقصص المنقول بالتواتر عن العرب في العهد الجاهلي ، وشيء أخذ من هنا وهناك ومزج مزجاً فكان نواة لمادة التاريخ العلمي الذي بدأ يظهر في القرن الثاني للهجرة .

وليس هذا بدعاً جاءت به العقيلة العربية ، لأن ما تحدثنا عنه من ارتباك ومن صعوبة التمييز بين المواد التاريخية الأصلية والمواد شبه التاريخية قد مر على كل الأمم المتقدمة التي شمرت بحاجتها الى تدوين سيرها ، فلما شرعت في التدوين صدمتها هذه العقبة عبة التمييز بين المادة التي يبنى عليها المؤرخ أحكامه التاريخية والمواد التي ابتدعتها

(١) راجع دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية) ص ٤٨٣ ، والنص الانكليزي ٦٧٢/٤ وسأرمز الى الترجمة العربية بكلمة « دائرة » .

(٢) Ferdinand Wüstenfeld, Die geschichtschre über der Araber und ihre Werke in : Abhandlungen der Akademie der Wissenschaften zu Göttingen. Bd, 28 und 29. 1881. 1882. كذلك — Tabellen der Muhammedanischen und Christlichen Zeitrechnung. Leipzig 1884.

العاطفة واختلقها الخيال واقضتها الأحوال التي مرت بها تلك الأمة ، أعتى بها هذه الروايات التي تجمعت على مرور السنين وكانت تكيف كلما تقدم بها العهد من شعر وثر ، تلك التي كان أساسها الشعر الحماسي لسهولة حفظه ، ثم النثر الذي كان من مستلزمات هذا الشعر لشرحه وتوضيحه وكان يختلف طولاً وقصراً باختلاف عمره ، وحملته هم الرواة الذين كانوا يقصون ذلك على الناس شعراً أو نثراً ، ونسبى هذه المائدة القصص والأساطير . وهو مبدأ تأريخ كل أمة . وانه أن لم يفدنا فائدة من الناحية التاريخية فانه يفيدنا في ناحية دراستنا لعقليات الأمم ونفسياتها ، فهي لذلك مادة مهمة في علم الموازنات والمقايسات . به بدأ تأريخ اليونان وتاريخ الفرس وتاريخ الرومان ، ونجده في شعر « هوميروس » و « فرجيل » و « التردوسي » .

ومن هذا القبيل التاريخ المأثور عن عهود ما قبل الاسلام ، ولا سيما التاريخ المنقول بالسماع والرواية لشبه جزيرة العرب في العهد الجاهلي . ذلك الذي يتألف من قصص وأساطير رواها رجال معدودون يمكن عدّهم ويحتل الشعر فيها مكانة بارزة ، فلا تكاد تخلو قصة منه وان لم تكن هنالك مناسبة قوية ، فهي قد وضعت على طراز روايات الرواة في أيام العرب يعوزها الإبداع وتدقيق التفكير وبعد النظر ، وقد ذهب بين الناس على أنها تاريخ تلك الحقبة ، وقبلتها الأجيال التالية لجيل روايتها ، وسجلها المؤرخون والكتاب دون اعتراض أحياناً ، وبشيء من الاعتراض في بعض الأحيان . (١)

وإذا كان هذا الحادث مقبولا بالنسبة الى حالة نجد أو الحجاز أو تهامة قبل الاسلام ، فاننا لم نكن نأمل حدوثه بالنسبة الى أهل اليمن الذين كانت لهم حضارة وثقافة ، وكانوا قد تمتعوا بنعمة الاستقرار والارتباط بالأرض قبل زمن ينيف على (١٥٠٠) سنة قبل المسيح . أولئك الذين دونوا لنا حوادثهم منذ هذا العهد الى ما بعد المسيح بأحرف هجائية كاملة وبمهارة فنية . نعم ، كنا نأمل على العكس قيام أهل اليمن ، بل قيام أهل مكة و « يثرب » أيضاً والطائف ، لوجود عدد من الكتاب في هذه المدن ، بتدوين تأريخ ما قبل الاسلام وتاريخ ظهور الاسلام وانتشاره في شبه الجزيرة وما عقب ذلك من حوادث واقتلابات سياسية وفكرية واجتماعية وما شاكلها ، فلم يتحقق هذا الأمل يا للأسف ، وإذا تأريخ اليمن ضرب من النمط الذي نتحدث عنه ، أكثر مادته التهويل والمبالغات من نثر وشعر مصوغ بلهجة أهل مكة ، زعم الرواة أنهم أخذوه من رواية أقدم عهدا منهم وانهم كانوا في كل ما يروونه عنهم صادقين مؤتمنين .

واغرب من ذلك ان حملة لواء الاساطير والقصص رجال من أهل اليمن ، ادعوا العلم والمعرفة والوقوف ليس على تاريخ اليمن وحده ، بل على أخبار الامم السالفة وكتب الله المنزلة واللغات والكتابات القديمة أيضا . ولم يأت هؤلاء بأى دليل كان يؤيد صحة دعواهم ، بل قد برهن ما قالوه على أن هؤلاء كانوا تعوزهم قوة الابداع وفهم الحقائق والنقد السليم وانعام النظر حتى فيما يختص بأمور عصرهم .^(١) وان رجلا مثل وهب بن منبه ملأ الكتب بقصص وأساطير متزعة من الحكايات الاسرائيلية مؤرخة بأساطير عربية فى بعض الأحيان كان يعوزه العلم الصحيح بأصل تلك الحكايات على الرغم من تلك الدعاوى الطويلة العريضة التى بشها هو لنفسه أو أبناء ابنته وأسرتة والصنعايون . ثم انه لم يكن على ما يظهر من الروايات المنسوبة اليه يتورع من التنفيق ليثبت أنه كان صاحب علم بأحوال الماضين . يسكون ، شأنه فى ذلك شأن زميله كعب الأجار ، أو ابن سلام الذى يلبهما بالمنزلة ، أقول ذلك على الرغم من تلك الصورة التى رسمها نفر من المحدثين له وأحيطت بها حالة من التبحر والاحترام وعلى الرغم من تلك النعوت التى جاد بها عليه نفر من اصحاب كتب الرجال على حين كانوا يخلون بمنح بعضها اناسا أو ثقى منهم وأصدق بمراتب ودرجات^(٢) .

قد يكون من باب التسطط أن نقول ان الرواة الذين عتوا بجمع تاريخ اليمن مثل عبيد بن شربة أو وهب بن منبه أو الشعبي أو محمد بن كعب القرظى وهشام بن محمد بن السائب الكلبى كانوا يحسنون قراءة الحروف المعينة ، وهى الحروف التى عرفت عند المستشرقين خطأ باسم « الحروف الحميرية » ويطلق عليها العرب اسم « خط المسند »^(٣) .

وقد يكون من باب الغلو والمكابرة كذلك أن نقول ان غيرهم كانوا يقرؤون هذا المسند ويفهمونه فهما صحيحا ، ولو كانت هناك أدلة تدل من دون شك على أن أناسا كانوا يعرفون أشكال الحروف ، بل كانوا يعرفون الكتابة ، كالذى جاء فى كتاب « جمهرة النسب » المروى عن محمد بن حبيب التوفى سنة ٢٤٥ للهجرة^(٤) ، أو فى

(١) دائرة ص ٤٨٤ .

(٢) « عنده من علم أهل الكتاب شئ كثير » . كان يتبجح فيقول : « يقولون عبيد الله بن سلام أعلم أهل زمانه ، وكعب أعلم أهل زمانه ، أفرأيت من جمع علمهما يعنى نفسه » تذكرة الحفاظ ٩٥/١ .

(٣) Corpus Inscriptionum Semiticarum, Pars IV. Paris, 1889.

(٤) راجع ما كتبه فى أمر هذه المخطوطة فى موضع آخر من المجلة .

« الفهرست » لابن النديم ، وغير ذلك . ثم انه ليس من المعقول اختفاء هذه الكتابة اختفاء تاماً فى صدر الاسلام بعد أن كان أهل اليمن يدوتون أخبارهم بهذه الحروف وباللهجة الحميرية الى زمن ليس بعيد عن ظهور الاسلام ، ولم يكن تاريخ النص الذى دونه « ابرهة » حاكم اليمن الحبشى بهذه الحروف ذلك الذى يعود عهده الى سنة ٥٤٣ للميلاد ، ولا النص الذى عثر عليه الرحالة « كلاسر » ويعود الى سنة ٥٦٥ للميلاد بعيد فى الواقع عن الاسلام^(١) حتى نقول : ان أهل اليمن كانوا قد تركوا الكتابة بالمسند ، فلما ظهر الاسلام لم يكن عندهم أحد يحسن الكتابة بها والقراءة . كما أنه ليس من المعقول اختفاء اللهجة الحميرية اختفاء تاماً فى هذا الوقت حتى يضطر الرواة الى الاكتفاء بروايات القصص الشعبى والأساطير ، وترك تلك النصوص المدونة التى لا يمكن أن يتطرق الى صحتها شك مع ما بين العدنانيين والقحطانيين من نزاع وخصومة وتنافس ألباً رواة الطرفين الى اختلاق شعر وقصص تفضيل شعب على شعب آخر ، لا يعقل اعراض رواة اليمن عن هذه النصوص المدونة لو لم تكن هنالك أسباب لا تدخل فى موضوعنا هذا . دعا النظام القبلى الذى كان أساس النظام الاجتماعى والسياسى فى شبه جزيرة العرب الى العناية برواية التاريخ القبيلة وتاريخ القبائل التى ترتبط معها بحلف أو نسب ، والعناية بصورة خاصة بحوادث « الأيام » وما ورد فيها من مفاخرة ومدائح ومناقب فى الحضم . وقد كان الشعر هو المادة الأساسية فى رواية الأيام ، تتخلل كل رواية أبيات أو قصائد قد يكون لها مناسبة مع الحادث وربما لا يكون لها مناسبة ، وقد يكون دخوله لأسباب ثانوية كأن يكون شرحاً أو تقريراً لفرع من فروع الأصل . وإياً كان الأمر فقد كان وجوده ضرورياً فى عرف رواة « الأيام » وقد يكون وجوده هو السبب فى بقاء الرواية برمتها حتى أنه اذا نسبت الأشعار اندثرت الروايات القديمة باندثارها^(٢) . مع أن أشعاراً جديدة أو بيتاً ربما يصل علمها الى الرواة وهم لا علم لهم بها ، وقد تضطرهم الى خلق شرح حادثة لتفسير هذا الشعر وتلك الأبيات ، ووضع قصص وحكايات تذهب

E. Glaser, Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft. (١)
Berlin, 1897. pp, 390, 401. cf. Corpus Inscriptionum Semiticarum,
Pars IV t. i, pp, 15-19.

(٢) دائرة ص ٤٨٤

بين الناس كل مذهب وتتقل بالسماع وتدخل كتب التاريخ . وتلك ميزة تميزت بها كتب التاريخ عند العرب قلما تكون في كتب التاريخ عند الأمم الأخرى .

كان للرواة القدماء ولعم خاص بتضمين رواياتهم مادة سمينية من الشعر يمكن إدراك سقته من القاء نظرة خاطفة على كتاب من الكتب القديمة التي ألفت في هذا التاريخ ، مثل كتاب «التيجان في ملوك حير» رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفي سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة^(١) ، أو كتاب « أخبار عبيد بن شريعة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها » ،^(٢) أو كتاب « نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب » لعبد الملك بن قريب الأصمعي^(٣) وهو رجل مقصد بعض الاقتصاد في استعمال الشعر في الرواية بالنسبة لمن تقدمه من الأخباريين والأدباء ، أو كتاب « السيرة النبوية » لابن هشام الذي ترك جانباً كبيراً من الشعر الذي ورد في سيرة ابن اسحاق ، وهي التي بنى عليها ابن هشام سيرته ، ومع هذا بلغ مقدار ما بقي من الشعر في هذه السيرة خمس مادة الكتاب^(٤) . حتى الطبري الذي ضمن العهد المدني للرسول « ٣١٤ » بيتاً من الشعر^(٥) مع أنه كتاب في التاريخ العام .

وبالنظر الى تجدد ظهور العيصيات في العصر الأموي لقي علم الأنساب عناية خاصة أدى الى ازدهاره في القرن الثاني في الأخص ، فقد تمكن المتخصصون به من تدوين محصوله في كتب ومن تنسيق علمهم وتبويبه في فصول وأبواب تحمل طابع

(١) طبع بمدينة حيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٤٧ هـ . وفي ذيله « أخبار

عبيد » من ص ٣١١ الى ٤٨٩ .

(٢) « كتاب الملوك وأخبار الماضين » وقد حاز شهرة واسعة ، وكان معروفاً في أيام المسعودي ، وذكره ابن النديم في الفهرست ص ١٣٢ من الطبعة المصرية ص ٨٩ طبعة "Hitti, p, 244. "Flügel"

(٣) مخطوطة في المتحف البريطاني رقمه ٩٠٤ ، ١٢٧٣ وتوجد قطعة منها في مدينة "Gotha" بالمانية . برقم ٣٩ . وفي المجمع العلمي العراقي صورة فوتوغرافية لمخطوطة المتحف البريطاني .

Brockelmann, Suppl. Vol. 1. p, 164.

Nöldecke — Schwally. Vol. 2. p, 188. (٤)

راجع ابن هشام وطبعة وستنفلد "Wüstenfeld".

(٥) المصدر نفسه .

العلم وعلى رأس هؤلاء النسابة الكوفي محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ١٤٦^(١) للهجرة الذى اعتمد عليه أكثر من جاء بعده من علماء الانساب بالرواية والنقل من كتبه التى ذهبت بعد ذلك يا أسفاه . وولده هشام بن محمد بن السائب المتوفى سنة ٢٠٤ هـ الذى عنى عناية خاصة بتنظيم بحوث والده وتسميتها وتوسيع نطاقها واخراجها للناس^(٢) ، كما عنى بتنظيم روايات من تقدمه ومن عاصره من العلماء مثل أبى مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الذى تخصص بالأنساب وبالأحداث ولاسيما أحداث العراق والفتوح^(٣) . وعوانة بن الحكم الكلبى المتوفى سنة ١٤٧ للهجرة^(٤) من علماء الكوفة البازين وهو الذى كان بحكم اتصاله بأقربائه من « كلب » النازلين فى الشام المقربين من الأمويين على علم بأخبار الأمويين وصاحب رأى ان لم يكن مع الأمويين فانه لم يكن عليهم فهو من الثقات فى سيرة معاوية وبني أمية^(٥) .

وقد فاق هشام والده فى ميله الى الرجوع الى المصادر الأصلية والأخذ من الوثائق المكتوبة ولا سيما تاريخ الحيرة وأسرته المألكة وتاريخ الفرس ، وربما كان يحسن اللغة الفارسية ايضا . فانه أظهر بذلك براعة وقابلية تقدر فى فهم المعنى العلمى لواجب المؤرخ ، وهو وان كان نفسه لم يسلم من المطاعن والتهم التى سلطها عليه أصحاب الحديث خاصة فاتهموه بالتزوير والكذب فى الرواية فان البحوث الحديثة تدل على أن خصومه لم يكونوا على حق بصورة عامة فيما ذهبوا اليه وانه كان موفقا فى تحرياته وانه

(١) الفهرست من ص ١٣٦ - ١٣٧ ، طيقات ابن سعد ٢٤٩/٦ ، تاريخ بغداد ٤٥/١٤ ، الارشاد ٢٥٠/٧ ، تذكرة الحفاظ ٣١٤/١ . التهذيب ٢٦٦/٩ ،

Brockelmann, Suppl, Vol, 1. p. 211.

(٢) ٢٠٦ هـ ابن خلكان وفياة ١٩٥/٢ ، الفهرست ٩٥ ، جرجى زيدان كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ١٤٩/٢ .

Brockelmann, G. A. L. Vol, 1. p. 139. Suppl. 1. p. 211. Wüstenfeld, 26. 42. Goldziher, Muh, Stud. Vol, 1. p. 186.

(٣) الفهرست ٩٣ قوات ٢ - ١٤٠ ، التهذيب ٤ - ٢٩٥ .

Brockelmann, G. A. L. Vol, 1. p, 65. Suppl. Vol, 1. p, 213.

(٤) الفهرست ١٣٤ « وقد روى عن عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي عن عوانة بن الحكم انه كان عثمانيا فكان يضع الاخبار لبني أمية مات سنة ثمان وخمسين ومئة » . لسان الميزان ٣٨٦/٤ .

(٥) له « كتاب سيرة معاوية وبني أمية » . الفهرست ١٣٤ .

Wellhausen, Das Arabische Reich und sein Sturz. Berlin. 1902. p. VI.

خطا خطوات واسعة نحو التأليف التاريخي القائم على أساس العلم .^(١)
وساهم رواة الشعر وعلماء اللغة مساهمة فعلية في تدوين حقل التاريخ ، ولما كان
الشعر ديوان العرب ، صاحب الشعر دراسة المناسبات التي قيل من أجلها وايضاح غوامضه
والتعرض للإيام والرجال وما يستلزم ذلك ، كما صاحب الدراسة اللغوية والبحوث
عن الكلمات الغريبة أو الامثال أو اللهجات دراسة الأمكنة والقبائل والأيام والرجال
وغير ذلك .

تتكون من هذه الدراسات ثروة تاريخية عظيمة لا تقدر بثمن افادت المؤرخ فائدة
كبيرة حتى كاد يكون من الصعب فصل التاريخ عن الأدب أو التميز بين رواة الأدب
ورواة التاريخ ، ورجال مثل أبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩^(٢) أو الهيثم بن عدي^(٣) المتوفى
سنة ٢٠٩ أو محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة^(٤) أو الأصمعي عبد الملك بن
قريب المتوفى سنة ٢١٦ هـ^(٥) أو السكري ابن سعيد المتوفى سنة ٢٧٥^(٦) أو غيرهم
كانوا يعدون حلقة اتصال بين الأدب والتاريخ ، ولم تفصم عرا هذه الحلقة التي تكونت
بين الأدب والتاريخ حتى اليوم فما زال أكثر رجال الادب يكتبون في التاريخ .

وتطافرت مواد أخرى على نماء « التاريخ » وتطوره ، منها علم « التفسير » الذي
أوجد أكثر مادة ما قبل الاسلام ، أي « المبتدأ » كما اصطلاح القدماء عليه ، وهو القسم الذي
يسبق السيرة وينتهي بابتدائها . وغالبية قصص الرسل والانبياء والشعوب التي جاؤوا
بالرسالة اليها ، كتبها المفسرون شرحاً لما جاء في القرآن الكريم وجيزاً ، وقد تجمعت المادة

(١) دائرة المعارف الاسلامية ص ٤٨٥ .

Brockelmann. Suppl. 1. p. 162.

(٢) ٢٠٨ - ٢١٣ هـ .

الارشاد ٧ - ١٦٤ . زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ١٠٠ .

(٣) ٢٠٦ - ٢٠٩ هـ الارشاد ٧ - ٢٦٠ . الخطيب تاريخ بغداد ١٤ - ٥٠ .

Brockelmann, G. A. L. 1. p. 140.

Suppl. 1. p. 213.

الصفدي الوافي ١ - ٥١ ، اليافعي امرأة ٢ - ٣٢ .

G. A. L. Vol, 1. p. 106. Suppl. 1. p. 165.

(٤)

الفهرست ١٠٦ ، الارشاد ٦ - ٤٧٣ . السيوطي : البغية ٢٩ ،

G. A. L. 1. p. 104 f. Supple. 1. p. 163.

(٥)

زيدان تاريخ آداب اللغة العربية ١٠١/٢ (٢١٤ هـ)

(٦) ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري . الفهرست ٧٨ . الخطيب ٧ - ٢٩٦

G. A. L. Vol, 1. p. 108. Suppl. 1. p. 168.

السيوطي : البغية ٢٠٨ .

الاولى من هذه القصص فى الحجاز ولاسيما المدينة ، ثم أضيف اليها ما حصل عليه المفسرون فى العراق . ولما كانت معارف أهل الكتاب من اليهود والنصارى واسعة فى هذه القصص ظهرت جماعة من العلماء المتعلمين الى النظر ، الذين أرادوا أن يملأوا هذه الثغرات بما هو موجود عند اليهود والنصارى ، فأكملوا من خيالهم ما وجدوه من نقص ، مما هو - فى الغالب - من قيل القصص المتناقض غير المقبول فى صورته ، ووضعوا ذلك كله تفسيراً للقرآن . (١) . وقد تناول تلك القصص جماعة من الاتقياء فاتخذوها موضوعاً لوعظ العامة وزجرهم ، غير أن عصر الحيال دخل فيها فتوسعت مادتها وتشعبت فروعها وتناولت ناحية المغازى والحروب والمستقبل والتنبؤات والملاحم وهى القصص التى تدور حول التنبؤات المتعلقة بانقضاء العالم (٢) . وقد أثارت هذه المادة شغف العامة فى الاخص فكانوا يذهبون بشوق الى هؤلاء القصاص الذين اتخذوا المساجد والجوامع والشوارع أحياناً موضعاً لتقصصهم الذى تجاوز فى كثير من الاوقات حدّ المعتول ، قال الى غضب السلطات على القصاص ونهى العلماء عنه . حتى لقد روى ان الامام أحمد بن حنبل قال : « ثلاثة أشياء لا أصل لها : التفسير والملاحم والمغازى » (٣) . ومقصد الامام من التفسير ولا شك هو التفسير الذى من هذا القليل والتفسير بالرأى . وهو تفسير كان لا يرتاح له الصحابة فكانوا يجتنبونه بل ينهون عنه . ولما كان الرسول خاتم الأنبياء والمرسلين كان من الطبيعى معرفة تاريخ الرسالة وسيرة الرسول دراسة احوال الرسل والأنبياء الذين جاؤوا من قبله ونوع رسالتهم والأقوام الذين اتبعوا الرسالة أو

(١) المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن لاكتنس كولد ترهير "Ignatz Goldziher" ترجمة على حسن عبد القادر ، الطبعة الاولى القاهرة ، سنة ١٩٤٤ ص ٥٥ - ٥٦ وسارمز اليه بـ « المذاهب » .

(٢) المذاهب ص ٥٥ ، وقد انتشرت كتب الملاحم فى عصور تدهور السياسة العربية والدول العربية فى الاخص ، وقد تعرض لها ابن خلدون فى مقدمته فذكر أن كتباً كثيرة ألغت فى حدثان الدول ثراً ونظماً ، وللملاحم علاقة شديدة بعلم الجفر . راجع عن الملاحم دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانكليزية) ٣/ ص ١٨٨ - ١٨٩ .

De Sacy. Chrestomathie Arabe. Vol. 2, p, 298-302.

(٣) السيوطى : الاتقان ٢/ ٢٢٠ ، الطبرى ، التاريخ ٢/ ٦٠٧ (طبعة اوربا) س ٨ . Goldziher Muhammedanische Studien, Halle, 1888-1890, Vol. 2, p, 73. D. H. Müller. Burgen und Schlösser 1, p, 67-75.

رفضوها ، فتوسع مجال التاريخ . بذلك وارتبط بالتاريخ العام ، وأصبحت هذه الدراسة مقدمة لدراسة تاريخ الرسول والرسالة أو « السيرة » كما يقال لها عند العلماء ، ويمكن أن يقال عنها انها « بداية » السيرة ، ولذلك قيل لها « المبتدأ » أو « المبدأ » ^(١) وتبدأ بتاريخ آدم في العادة ، ثم تستمر الى أن تصل الى « السيرة » التي تبتدىء بالنسب أى نسب الرسول . ثم صار العرف أن يلحق بالسيرة قسم آخر يمكن أن يقال له « المغازى » ، وهو القسم الثالث والخاتمة .

لقد دل هذا الربط بين السيرة وتاريخ العالم منذ الخليقة الى المبعث على تطور مهم جدا في الفكرة التاريخية وفي المفهوم التاريخي . دل على شعور المؤرخين بأن التاريخ العربى صفحة من صفحات كثيرة مطوية تكون منها التاريخ العالمى ، وأن هذا التاريخ لا يمكن أن يبقى بمعزل عن تأريخ الشعوب الأخرى ، وقد تطورت هذه النظرية فى القرن الثالث بظهور المؤلفات الواسعة التي أحسنت فأفاضت فى القسم الثالث فذلكه بتأريخ الخلفاء وتأريخ الشعوب الاسلامية والأمم غير المسلمة مثل الروم ، وإن كنا لا نستطيع فى الواقع أن نتكلم على تدوين تاريخى منظم منتظم لها ، لأسباب قد تكون مقبولة بالقياس الى عرف ذلك الوقت وعقليته مثل بعد المسافة والاختلاف فى الدين والحروب التي باعدت بين الطرفين .

اتنا لا نستطيع فى الواقع أن نتكهن باسم أول من اتبع هذا الأسلوب ودونه فى كتاب ، فأما محمد بن اسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥١ للهجرة (٧٦٨ م) صاحب السيرة الذى سار فى مؤلفه على هذا التقسيم الثلاثى « المبتدأ » و « المبعث » و « المغازى » وعده المستشرق « جب » Gibb « أبعد أفقا وأوسع نطاقا من تفكير سابقه ومعاصريه ؛ لأنه نزع فيه لا الى تدوين تاريخ النبى حسب بل الى تأريخ النبوة نفسها أيضا ، وكان فى هذا الأسلوب المبتكر يشمل أقساما ثلاثة « المبتدأ » وهو تأريخ العصر الجاهلى منذ الخليقة وقد استمد أكثره من وهب بن منبه ومن المصادر العبرية ، ثم « المبعث » وهو تاريخ سيرة النبى حتى السنة الأولى للهجرة ، ثم « المغازى » ، وتناول هذا التأريخ الى وفاة النبى ، فانه لا يمكن أن يكون مبتكر هذا الأسلوب فى نظرى ؛ لأنه سبق أن

(١) ألفت كتب عدة قيل لها « المبدأ » او « المبتدأ » وهى فى قصص الانبياء .

استعان بمؤلفات « وهب بن منبه » الذى اتبع هو نفسه هذا الأسلوب الثلاثى وتحدث عن تاريخ الرسل والأنبياء بعده إياه مقدمة لازمة للسيرة وتسلسلا طبعياً لرسالة الرسول التى جاءت خاتمة الرسائل .

فمن الكتب التى ألفها وهب بن منبه أو أملاها « كتاب المبتدأ » ^(١) أو « المبدأ » ^(٢) ، أو « كتاب المبتدأ والسيرة » ^(٣) أو « مبتدأ الخلق » ^(٤) . وقد استعان به العلبي فى كتابه « قصص الأنبياء » . وهو رواية عبد المنعم بن إدريس بن سنان ابن ابنة وهب ابن منبه المتوفى سنة (٢٢٨) للهجرة ^(٥) وكتاب « السير » ثم « المغازى » ^(٦) . وقد اقتبس الطبرى من « المبتدأ » . ^(٧) وربما كان اقتباسه عن طريق سيرة ابن اسحاق . أما « المبعث » ، فلم يأخذ منه ابن اسحاق ، ولابد أن يكون ذلك لسبب معقول ، هو أنه لم يكن معتمدا عليه فى هذه الناحية أو أن العلماء لم يطمشوا إليه على الرغم من اطمئنانهم إليه فى الجملة ، ولكن ذلك لا يكفى فى الحكم أيضا فلا بد من التبع والاستقصاء ، فلعل هنالك من سبق وهب بن منبه الى هذه الفكرة ، ولعل هذه الأقسام اخذت أسماءها من سيرة ابن اسحاق ، وضعها عبد المنعم بن إدريس أو غيره ممن ستحدث عنهم . ثم لابد من البحث عما دونه عروة بن الزبير بن العوام المتوفى بين سنة (٩١) وسنة (١٠١) للهجرة ^(٨) وأبان بن الحليفة عثمان بن عفان المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة ^(٩) وشرجيل ابن سعد المتوفى سنة ١٣٣ للهجرة . ^(١٠) وعاصم بن عمر بن قتادة المتوفى بين سنة

(١) الفهرست ص ١٣١ .

(٢) Ency. of Islam, Vol. 4, p, 1084.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن قتيبة ، المعارف ص ٤ . وورد « البدء » .

(٥) الفهرست ص ١٣٨ .

(٦) Ency. of Islam, Vol. 4, p, 1084.

(٧) المصدر نفسه ص ١٠٨٥ .

(٨) تذكرة الحفاظ ١ ص ذكر أنه توفى سنة ٩٤ .

(٩) Ency. of Islam, Vol. 4, p, 441.

(١٠) المصدر نفسه .

١١٩ سنة ١٢٩^(١) ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري المتوفى سنة ١٢٤ للهجرة^(٢) وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ للهجرة^(٣) . فقد ألف هؤلاء في السيرة والمغازي كتباً ذهب الزمن بها ولم يبق منها غير الاقتباسات التي وردت في الكتب التي اعتمدت عليها وتنف مخطوطة في الكراريس والأوراق مثل قطعة محفوظة في مكتبة برلين رأى المستشرق « سخاو » « Sachau » أنها جزء من سيرة موسى بن عقبة^(٤) . وقيل للذي أخذ يمارس السيرة ويؤلف فيها ويرويها انه من اصحاب المغازي أو انه من أصحاب السير والمغازي أو من أصحاب السير . وذلك لتمييزهم عن غيرهم من النسابين والأخباريين وأصحاب الأحداث . وحملت أكثر كتبهم أسماء تلك المصطلحات الثلاثة فقيل ان له كتاباً في المبتدأ أو في السيرة أو في المغازي .

لقد كان من الأمور الطبيعية نشوء علم السيرة في المدينة ؛ لأنها الموطن الأصلي للدعوة الإسلامية ومنها انتشر الاسلام فاكسبت السيرة ثوباً مديناً ، وطبعت بالطابع الذي تميز به أهل الحجاز ، وهو ميلهم الى الحديث ، فاتخذت شكل الرواية المجردة من النقد ، واستعمال النظر ، غير أن هذا الاحتكار وان دام طوال عهد الخلفاء الراشدين وأيام الأمويين بصورة عامة ، لم يتمكن من المحافظة على مركزه في العهد العباسي ، فتضعف في أيام الخليفة المنصور بهجرة محمد بن اسحاق أو قبل ذلك بتدليل ، وظهر منافسون لعلماء السيرة المدينيين ، ظهوروا في بغداد والكوفة والبصرة ، بل في مصر كذلك ، وهم وان كانوا قد تأثروا بسيرة ابن اسحاق المستمدة من روحية أهل المدينة ، فإن الأمور سرعان ما تبدلت عندهم وظهرت روح العراق الميالة الى النقد والايجاز وتحكيم القتل بجلاء في الروايات الماثورة عن علماء هذه المدن المدونة في كتب التاريخ .

عما ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عملاً عظيماً جداً كان له أثر جليل في

(١) تذكرة الحفاظ ١٠٦/١ .

(٢) Horovitz, The earliest Biographies of the Prophet and their authors, Isl. Culture 1927, 1, 535-59. 1928, II 22-50, 164-82. 415-526.

Sachau, Des Berliner Fragment des M. b. 'u SBBA 1904, XI. (٣)

Schwally Vol, 2. p, 129. (٤)

تطور المغازى والتاريخ فهو أول من قابل بين الأحداث المختلفة المصادر فوق فيما بينها وسعى لادماجها فى حديث واحد . وهذا العمل وحده خطوة تقدم جريئة فى العرض التاريخى استخدمه المؤرخون فى غربلة الروايات التاريخية ووضع خلاصتها فى قالب واحد . وان كان هذا العمل قد فتح للمعاشين الذين لا يوثق بروايتهم باباً من أبواب العيب^(١) . على أن الحوادث قد برهنت فيما بعد على أنه مهما قيل فى هذه الطريقة من نقد ومهما اعترض عليها المعارضون وفى طليعتهم أهل الحديث ، فانها كانت خطوة لا بد منها ، اذ ثبت بالتجارب أنه لا يمكن الاستمرار الى الأبد على عرض التاريخ فى أسلوب أهل الحديث وتجزئة الحادثة الى أجزاء وأشلاء متنافرة بحيث يكون كل جزء من الرواية فى مكان ، أو بتكديس عدد كبير من النصوص دون ترتيب أو تنظيم أو مناقشة أو ابداء رأى ، وهو ما يتطلبه علم التاريخ من المؤرخ الحصيف . وشهد القرن الثانى للهجرة توسعاً آخر فى البحوث التاريخية بظهور فكرة تدوين تاريخ الخلافة والخلفاء ، بعد أن سبق هذا الفرع ظهور مؤلفات كثيرة فى « الأحداث » هيات للمؤرخين الذين دونوا تاريخ الخلافة مادة مينة كانت ضرورية لتدوين التاريخ العام ، ووضعت بين أيديهم عدداً من الوثائق النادرة التى أخذت من شهود عيان أو من رجال كانوا على اتصال بهم . وعندما اختمرت فكرة التدوين فى رؤوس الأخباريين والمتعقبين للأحداث أخذ جماعة منهم فى تسجيل مشاهداتهم ومسموعاتهم فى صحف وكراريس على مضض ، لما كان يوصم به أمثال هؤلاء من الضعف فى الحافظة والجهل اذ كان من دواعى الفخر عندهم الاعتماد على الحافظة وحدها فى كل وقت ومكان وعدم اللجوء الى المدونات وعدم الاشتغال بالتدوين^(٢) .

ويكاد العراق يحتل المكانة الأولى بين الأقطار الاسلامية فى تدوين كتب الأحداث وكتب تاريخ الخلافة فى العهد الأموى ، لا ينازعه على ذلك قطر من الأقطار . ويبدو

(١) دائرة ص ٤٨٦ .

(٢) كان الشعبى يفتخر بعدم اشتغاله بالتدوين . وهناك أمثلة عدة تدل على نفرة العلماء من التدوين . « قال معمر عن هشام « ابن عروة » : « ان أباه كان حرق كتباً فيها فقه » . ثم قال : « لوددت أنى كنت فديتها بأهلى ومالى » . تهذيب التهذيب ١٨٢/٧ -

ذلك غرباً ، فهو لم يتمتع بمركز الخلافة الا مدة قصيرة ، ولم ينظر اليه الامويون بارتياح ، وقد كان خليقاً بأهل العاصمة تدوين هذا التاريخ ؛ لانهم أقرب الناس من دائرة الحكم وأعرف الناس بأسرار الأمور ، وقد كان على أهل الشام أن يكونوا كأهل المدينة في الأقل أولئك الذين خسروا العاصمة ومع ذلك لم يقطعوا صلهم بتاريخ الخلافة وظل روايتها على اتصال بالأحداث وان كانوا قد اقتصرُوا في الغالب على ما له علاقة بالحجاز والحجازيين وبالاخلاق من حيث علاقتها بالقطار التي لها صلة بالحجاز عامة . ولذلك كانت مدارسها التاريخية لا تحفل بأمر الشام الا بقدر ما لهذا الأمر من علاقة بالحجاز ، والرواية المدنية رواية لم تكن حقاً في جانب أهل الشام .

كانت المدينة قلب المجتمع الاسلامي النابض ، والمكان الذي تبنى الاسلام وحاطه ؛ ولذلك كان لها أهمية خاصة في التاريخ ، وطبعت بحكم هذا المركز بطابع خاص في الحديث والرواية ، وعرفت بالتدقيق والمحافظة ، وظلت محافظة على مركزها هذا الى ما بعد انتقال الحكم الى الشام ، ولم تكن مقر الطبقة الأرستقراطية من قرش حسب ، بل ظلت أيضاً المركز الروحي للثقافة الاسلامية الى أن نازعتها على الرئاسة مدينة أخرى هي بغداد ، فأخذت مكانها حتى في رواية السيرة والمغازي التي كانت من خصائص المدينة ، ثم الحديث .

لفت تاريخ الخلفاء أنظار أهل المدينة بصورة مستمرة على الرغم من عدم اتفاقهم مع الحكومة ، كيف وقد كان مستقبل زعمائها مرتبطاً بالسياسة العامة التي كانت توجه الخلافة من الشام ، وقد كانوا كما قلنا أكثر اهتماماً بأمور الشام من كل قطر آخر كالعراق أو خراسان . فلما تحولت الخلافة الى العراق ، توجهت أنظارهم نحو هذا المكان ، وحلت ديار الشام في المنزلة الثانية عند الرواة . ويظهر من المؤلفات التي اعتمدت على رواية المدينة ، أو التي ألّفت بتأثير هذه المدرسة ، مثل سيرة ابن اسحاق أو مؤلفات أبي معشر نجيب بن عبدالرحمن صاحب كتاب المغازي المتوفى سنة ١٧٠ للهجرة^(١)

(١) وأبو معشر له مكان في العلم والتاريخ ، وتأريخه احتج به الأئمة ، وضعفوه في الحديث . . تهذيب التهذيب ٤٢٢/١٠ ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن الفلاح عبد الحى بن العماد المتوفى سنة ١٠٨٩ ج ١ ص ٣٧٨ .

والواقدى وغيرهم أن أهل المدينة كانت عندهم مادة غزيرة فى تاريخ الخلفاء ، وكانت عندهم وثائق مخطوطة اتخذها هؤلاء وأمثالهم مراجع رجعوا إليها ، وأنهم كانوا قد رتبوا أبناء الخلفاء والولاة وحكام الولايات الكبرى وغزو الروم وغير ذلك على صورة حوليات متقنة الصنع رتبت ترتيباً زمنياً عاماً فعاماً^(١) .

اقتصر ما ذكرناه على دوائر معينة وانحصر فى الخطوط الأساسية الكبرى . فأما فى الصورة الاعتيادية ، فإن رغبة علماء أهل المدينة كانت متجهة نحو الموضوعات المجردة ، والآبحاث العامة ، فهى لا تميل الى التفاصيل ، ولا الى الاشتراك الذاتى فى الرواية .

كان ، ولا شك ، بين أهل الشام رواة دونوا تاريخ الفتوحات وتاريخ الأمويين فى الشام وتاريخ الأحداث التى وقعت بين الأمويين وخصومهم ، وقد تضافرت الدلائل على وجود وثائق فى العصر الأموى بدمشق والعراق^(٢) . ومن المحتمل أن يكون المصنفون المتأخرون قد اعتمدوا عليها غير أنها فقدت بأسوأ حال عليها . ولعل لنساسة دحلا فى ذلك ونصيأ ، فلم يتسع صدرها ، فأصابها الالهال . ويمكن العثور على آثارها فى مصنفات البلاذرى ، وعزارة الكلبى الذى عاش فى الكوفة ولكنه كان على اتصال دائم بأهل الشام ، وكثيرا ما ينقل الطبرى عنه فى الأمور التى تتعلق بأهل الشام ، وكان بها بصيرا ، وطالما وازن الطبرى بين رواياته وروايات هشام الكلبى الذى يمثل وجهة نظر أهل العراق . ونجد أثر الروايات الشامية حتى فى مؤلفات ابن هشام الكلبى عن طريق عوانة خاصة ، فإن له نزعة ظاهرة فى تحزبه على عليّ مع أهل الشام^(٣) .

والظاهرة البارزة التى نراها على المؤرخين القدماء أن أغلبهم كانوا من أصحاب الحديث ، فكانوا يتبعون فى تدوينهم وفى معالجتهم للتاريخ أسلوب المحدثين ، فظلت طريقة « الاسناد » مرعية رعاية تامة الى نهاية القرن الثالث ، وقد جرح جماعة من

• دائرة ص ٤٨٨

• دائرة ص ٤٨٨

Grohmann, Allgemeine Einführung in die arabischen Papyrie. 1924. p. 27.

• دائرة ص ٤٨٩

المحدثين قسماً من أصحاب التواريخ مثل ابن اسحاق لأنه تساهل في الأسانيد^(١) . وقد يخطئ المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ للهجرة « ٨٤٠ م » وهو من زعماء رواة البصرة ، طريفاً وسطاً بين أبي مخنف وجماعته من رواة الكوفة ورواة المدينة الذين عرفوا بشدتهم وصلابتهم في الحديث واستمرارهم على الجادة ، فأخذ الروايات العراقية وتناولها بأساليب النقد الذي يمتشى مع مذاهب أهل المدينة ، وغداً بذلك المرجع المهم لمصنفات المؤرخين الذين جاؤوا من بعده^(٢) . وكان للمدائني ولع خاص بتأريخ البصرة وخراسان ، ولذلك اعتمد عليه الطبري في كل ما رواه عن هذين المكانين . ويجب أن لا ننسى أنه كان متأثراً بوجهة نظر العباسيين ، وتحت هذا المؤثر كتب في سقوط الدولة الأموية ومجيء الدولة العباسية^(٣) . وقد تأثرت البصرة بمذهب المدائني وبمذهب أهل المدينة ، ولوجود علاقات تجارية بينها وبين اليمن تأثرت بأراء الصنعائين الذين عرفوا بروايتهم الأساطير والأنسابات ، وهي على الحملة أخف حدة من الكوفة ، وأقرب من الكوفيين إلى مذاهب المحدثين ، وأقل تعصباً على الأمويين .

إن التشابه الذي نجده بين طريقة أهل الحديث وطريقة أهل الأخبار والتأريخ في الرواية ، دفع جماعة من المستشرقين الذين عنوا بكيفية نشوء علم التأريخ عند العرب إلى أن يقولوا إن التأريخ وليد علم الحديث ، وجماعة آخرين إلى أن يقولوا إن التأريخ وليد علم السيرة والمغازي ، وقد ظهرت كتب السيرة والمغازي بعد كتب الحديث ، وهي باب من أبواب الحديث . ولذلك كان علم التأريخ وليد علم الحديث . وحجتهم في ذلك أن كتب التأريخ إنما ظهرت بعد كتب الحديث ، وأن العرب كانوا في حال من البداوة لا تسمح لهم بالانتباه إلى تدوين مدونات في التاريخ .

وسنرى من خلال دراستنا لمصادر تأريخ الطبري أن هذا الرأي لا يستند إلى حجة ، وأن تشابه الحديث والتأريخ في طريقة الرواية لا يمكن أن يكون دليلاً على تفرع التأريخ من الحديث ، وسنرى أن التأريخ كان قديماً قدم الحديث ، وأن الناس كانوا

(١) دائرة ص ٤٩٠ .

(٢) ولهون : « الدولة العربية » ، المقدمة . عن المدائني : تأريخ بغداد للخطيب

٥٤/١٢ . ياقوت : الارشاد ٣٠٩/٥ .

(٣) Wellhausen, The Arab Kingdom and its Fall, pp., VII ff.

يدونون الحوادث ويعنون بتاريخ الماضين ، وأن الخلفاء كانوا يعنون به عنايتهم بالحديث ، وأن كتباً ألفت فى هذا الباب فقدت مأسوفاً عليها كما فقدت أكثر الكتب التى ألفت فى الحديث فى العهد الأموى . وسنرى أيضاً أن الرواية التى جردت العرب من الترجمة والتصنيف والتأليف فى صدر الاسلام وجعلت صدر الدولة العباسية مبدأ العلم والثقافة عند العرب ، رواية أملتھا السياسة ، ووضعنها الدعاية ، ولعلّ هذه الدعاية هى المسؤولة عن ضياع كتب التاريخ التى ألفت قبل ظهور هذه الدولة .

وسنرى أن كتباً ألفت فى الأحداث التى وقعت فى الاسلام ، وكتباً ألفت فى الدولة الأموية والأمويين ، وكتباً ألفت بأمر من الخلفاء الأمويين ، وكتباً ألفت برغبة من عدة من الأسر للإشادة بذكر أسرهم ، جرى كل ذلك كما يجرى عند سائر الناس وعند سائر الأمم ، وأن الذين يحاولون فهم التاريخ العربى على غير هذه الصورة هم على خطأ فيما ذهبوا اليه . فإن الانسان انسان ، وتاريخه تأريخ انسان لا أقل من ذلك ولا أكثر .

نبغ فى القرن الثالث للهجرة عدد من المؤرخين حققوا تلك الفكرة التى جاشت فى الرؤوس ، وهى تدوين تأريخ عام للعالم استناداً الى المواد المتقدمة الى مواد أخرى ستحدث عنها حين ندخل فى صلب الموضوع ، أعنى موضوع موارد تأريخ الطبرى . وبظهورت مؤلفات فى التاريخ العام بدأت بالخلقة ، ثم أوجزت فى تأريخ الشعوب الأخرى ولا سيما فى تاريخ الروم والرومان ولكن الدهر أتى على أكثرها ، ولم تكن معلومات المؤرخين فى هذا الباب كافية ، ولم يدل هذا القسم على قابلية حقيقة لفهم التأريخ ، كما أن ما دون باعتماده تاريخاً للعالم لم يكن تاريخاً للكون بالمعنى المفهوم من التأريخ ، ثم إن هذا التأريخ لا يكاد يهتم بتاريخ سائر الشعوب ، بل حصر المؤرخون كل اتجاههم فى تأريخ الاسلام . (١)

(١) دائرة المعارف ٤٩١ . من هؤلاء أحمد بن أبى يعقوب بن واضح العباسى المعروف باليعقوبى المتوفى سنة ٢٧٨ للهجرة . طبع تأريخه المستشرق «هوتسماء» "Houtsma" بعنوان :

Ibn — Wadhih qui dicitur al-Ja'qubi Historiae, 2 Vols. Leiden 1883.
وطبع فى النجف .

ومن خيرة المؤلفات التي تمكنت من مجالدة الزمان ، ووفقت بين المواد المستمدة من التفسير والحديث واللغة والأدب والسيرة وتاريخ الأحداث وتواريخ الخلفاء ، فجعلتها في صعيد واحد ، وحفظت لنا نماذج من الكتب التي أتى عليها الدهر ، كتاب « تاريخ الأئمة والملوك »^(١) أو « تاريخ الرسل والملوك » أو « أخبار الرسل والملوك » للطبري أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة^(٢) . وقد عرض المؤلف الروايات التاريخية المختلفة ببراءة عرضاً نزيهاً ، نسباً كل رواية الى صاحبها ، تاركاً أمر التعليق عليها الى القارىء يحكم لها أو عليها بما يشاء .

وقد اعتمد الطبري في كل فصل من فصول كتابه على مراجع منها شفوية أخذها سماعاً من مشايخه ، ومنها مؤلفات أجيز بروايتها فأخذ منها ، وقد جمع كتابه من مصادر كثيرة فأظهر مقدرة فائقة في الجمع بين المصادر والاطلاع على الكتب التي ألفت قبله ، كما أظهر في كتبه الأخرى مثل تفسيره المسمى « جامع البيان في تفسير القرآن » وهو

(١) دائرة ص ٤٩١

Ency. of Is'lam. Vol, 4. P. 579. Brockelmann, G. A. L. Vol, 1. P. 142. Supplement, Vol. 1. P. 217. Wensinck, Handwörterbuch des Islam. P. 710.

(٢) راجع عن الطبري : ياقوت ، الارشاد - ص ٤٢٣ فما بعد . السبكي : الطيقات ١٣٥/٢ فما بعد . الذهبي : تذكرة الحفاظ. ٢٥١/٢ فما بعد . الخطيب : تاريخ بغداد ١٦٢/٢ فما بعد . السمعاني : كتاب الانساب ورقة ٣٦٧ a ، ابن خلكان : الوفيات ٥٧٧/٢ .

المهرست : طبعة "Flügel" ص ٢٣٤ ، ص ٣٢٦ (طبعة المطبعة الرحمانية) . Goldziher, Die Literarische Tätigkeit des Tabari nach Ibn 'Asakir, W. Z. K.M. IX. 1895. p. 359. ff. Th. Nöldeke, Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden aus der Arab. Chronik des Tabari übersetzt und mit ausführl. Erläuterungen und Ergänzungen versehen, Leiden 1879. Brockelmann, Das Verhältnis Von Ibn el-Atris Kamil fit-ta'rih zu Tabaris Ahbar er-Rusul wal muluk, Strassburg 1890. Goldziher, Die Richtungen der Islamischen Koranauslegung, Leiden 1920. pp. 85 F.

كتاب ضخيم فى ثلاثين جزءاً ،^(١) وفى كتابه « كتاب اختلاف الفقهاء »^(٢) مثل هذه المقدرة التى تدل على تمكنه من العلوم وعلى سعة معارفه ومبلغ صبره على العمل . وقد كانت هذه المزايا من جملة الأسباب التى جعلت العلماء ينظرون الى كتبه نظرة تبحيل وتقدير .

وتفسير الطبرى دائرة معارف غنية تتحدث بعلم الرجل وفضله ، وقد سار فى تأليفه على طريقة التفسير بالعلم^(٣) ، وبعبارة أخرى بالرجوع الى أقوال الصحابة والتابعين وما صح ورودهم عنهم ، وهذا فى نظره علامة التفسير الصحيح^(٤) . فَمَا التفسير بالرأى فكان يتجنبه وينحى باللائمة على قائله ، لذلك كان تفسيره سلسلة أسانيد وروايات رويت عن العلماء اقتنع بإمكان روايتها فدونها فى تفسيره^(٥) . وقد كان يبدى رأيه فيها فيعلق عليها بصراحة حتى فى روايات ابن عباس^(٦)

كان الطبرى يلاحظ المعنى الظاهر للآية فاذا كان واضحاً لا يعدل عنه الى التفسير فاما اذا كان غامضاً بحيث يستدعى ذلك تفسيراً ، رجع الى الروايات القديمة وما وردعن

(١) « جامع البيان فى تأويل القرآن » القاهرة ١٣٢١ هـ (المطبعة الميمنية) .
« الميمنية » ١٣٢١ - ١٣٣٠ هـ . (المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق) . واحياناً « جامع البيان فى تفسير القرآن » القاهرة ١٣٣١ هـ .

H. Hausleiter, Register Zum qorankmt. des Tabari. Strassburg 1912.
O. Lotts Tabari's Korankom ZDMG. 35. p, 588-628. (1881).
Nöldecke. Gesch. des qoran. Vol, 2, p, 171.

وقد ترجم الى الفارسية بأمر منصور بن نوح السامانى
Grundriss der Iran. Philo. Vol, 2, p, 366. Storey, Pers. Liter. 1 ff.
المذاهب الاسلامية فى تفسير القرآن ص ٨٤ فما بعدها .

(٢) « F. Kern » طبعة in ZDMG. 55 pp, 61, -95.
١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م .

(٣) المذاهب الاسلامية ص ٨٦ . ج ١/١٣٢ ، (اهل العلم) . (الخلاف بين اهل العلم ومن يقسم القرآن برأيه) ١٢٩/١٢ ، ١٠٣ .

(٤) المذاهب الاسلامية ص ٨٦ ، ج ١/٤٣ ، ٩٧ ، ١٢٠ ، ج ٢/٤٢ .

(٥) Goldziher, Die Richtungen der Islamischen Koranauslegung, (٥) ung, Leiden 1920. P. 85—98.

المذاهب الاسلامية ص ٨٦

(٦) المذاهب الاسلامية ص ٨٧ . قال فى مجاهد من الرواة عن ابن عباس : ان رأيه « يخالف اجماع الذين لا يمكن نسبتهم الى الكذب » « وما ذكر هنا عن مجاهد لا معنى له ، وفساد رأيه لا شك فيه » .

البلات فيها^(١) . وإلى اللغة يستعين بها على إيضاح ذلك الغموض . فيورد من شواهد الشعر القديم ومن الأمثلة على نحو ما قل ابن عباس^(٢) ، لذلك حوى تفسير الطبري جملة كبيرة من المسائل اللغوية على اختلاف مذاهب النحويين واللغويين ، وأمثلة مهمة تدور من أمثلة الخلاف الذي كان بين البصريين والكوفيين^(٣) .

لقد حصل التفسير على شهرة واسعة عند العلماء حتى قيل ان أبا حامد الأسفراييني المتوفى سنة ٤٠٦ للهجرة قال : « لو سافر رجل الى أقصى الصين حتى يحصل تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا »^(٤) . وتكاد تكون هذه الشهرة في مرتبة الاجماع أو شبه الاجماع . نالكتاب سبعين المادة ، غنى في المصادر ، حوى معارف كثيرة ، وضمن مراجع لم تتوافر في كتاب آخر ، ما في ذلك شك ، الا أن هذا لا يمنعنا أن نقول ان العرض فيه أقوى من الابتكار ، والمادة فيه أغنى من الرأي ، ويعوزه النقد الإيجابي وروحية المجتهد الذي ينفذ الى أعماق المسائل^(٥) .

وحقق الطبري في كتابه « اختلاف الفقهاء »^(٦) هذا الرأي أيضا ، إذ أورد فيه أقوال الفقهاء ايرادا يدل على شدة حرصه في الجمع ، وعلى سعة علمه في الفقه ، وذلك مما يندرج العنود على أمثاله في الكتب الأخرى ، ولكنه لم يمسك فيه بطريقة الاسناد ،

(١) المذاهب الإسلامية ص ٨٨ . ج ١/٥٩ ، ١١٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ . ج ٢/٢٠٩ .
ج ٢٥ ص ١٢ سورة الشورى ، الآية ٤٥ .

(٢) المذاهب الإسلامية ص ٩١ . ج ١/١٢٤ ، ياقوت : الارشاد ٤٣٢/٦ .

(٣) المذاهب الإسلامية ص ٩٢ .

(٤) ياقوت : الارشاد ٤٢٤/٦ . لسان الميزان ١٠٣/٥ .

(٥) Ency. of Islam. Vol. 4, p. 578.

(٦) « كتاب اختلاف الفقهاء » الناهرة سنة ١٣٢٠ هـ = ١٩٠٢ م . طبعة "Kern"
نشر المستشرق «يوسف شخت» «كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام انجاريين من كتاب
اختلاف الفقهاء» أخذه من مخطوطة الاسبانية ، سنة ١٩٣٣ بمدينة لندن بواسطة
مكتبة «بريل» .

راجع تعليق المستشرق «كيرن» "Kern" عن كتاب «اختلاف الفقهاء» في
«مجلة الجمعية الشرقية الألمانية» سنة ١٩٠١ . ZDMG. 1901. p. 61 ff.

كذلك بحث «يوسف شخت» في الأكاديمية البروسية لسنة ١٩٢٨ .

Abh. Preuss. Akad. 1928 و Phil. — Hist. Klasse. nr. 8. nr. 22.

ولم يتتبع بتواعد الرواية تنيدا تاماً ، فكان يدخل الى القول رأساً بعد ذكر اسم صاحب القول ، كُنْ يقول « وقال أبو ثور » أو « وقال الأوزاعى » أو « وقال مالك بن أنس » ثم يشير فى نهاية القول الى رايه كُنْ يقول : « حدثنى بذلك العباس عن أبيه عنه » أو « حدثت بذلك عن معاوية عن أبي اسحق عنه » أو « حدثنا بذلك الربيع » ولم يتبع هذه الطريقة بالنسبة لاقوال الامام أبى حنيفة وأصحابه^(١) . فَمَا بالنسبة لاقوال « أبى ثور »^(٢) فإنه لم يتتبع بالاسناد قط^(٣) . وبعد هذا العمل عملاً جريئاً فى نظر المحدثين ، وهو فى حد ذاته تطوّر كبير ظهر فى هذا القرن . ومن رجاله الذين روى عنهم فى هذا الكتاب يونس بن عبد الأعلى المتوفى سنة ٢٦٤ للهجرة ، وكان فتيهاً على رأس علماء مصر^(٤) . ومن رواة الامام الشافعى ، تعرف به الطبرى على ما يظهر فى أثناء اقامته بمصر ، وقد اقتصر عليه الطبرى فى رواية اقوال مالك بن أنس ، وهو يرويها بطريقتين : طريق أشهب عن مالك ، وصريق عبدالله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ للهجرة رواية كتب مالك وسننه وموطئه^(٥) . وقد أورد فى كتابه قطعاً لم تشر فى الكتب الأخرى المعروفة من كتب مالك تساعد كثيراً على فهم مذهب الامام ، والظاهر أن الطبرى لم يكن له علم

(١) كتاب الجهاد : مقدمة شخت ص XXII ' XVIII
Leiden. 1923. Wensinck, p, 410.

(٢) مقدمة ص XVIII

(٣) أبو ثور ابراهيم بن خالد بن اليمان الغزية الكلبى ، أخذ عن الشافعى ، وروى عنه وخالفه ، وأحدث له مذهباً اشتدته من مذهب الشافعى ، له مبسوط على ترتيب كتب الشافعى ، تفقه اكثر أهل أذربيجان وأرمينية على مذهبه . توفى سنة ٢٤٠ هـ . له كتب فى الفقه . الفهرست ص ٢٩٧ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٨/٢ . روى عن ابن عيينة ، وابن وهب ، الشذرات ١٤٩/٢ ، الوفيات ٥٥٣/٢ .

(٥) الفهرست ص ٢٨١ ، Ency. of Islam, Vol 3. p. 207 ، ابن وهب الفهرى «مولد سنة ١٢٥ هـ» روى عن ابن جريج وتلقه بمالك والليث وله تصانيف كثيرة . الشذرات ٣٤٨/١ .

Wensinck und Kramers, Handwörterbuch des Islam. Leiden 1941. p, 410.

أشهب بن عبد العزيز أبو عمرو العاصرى صاحب مالك . توفى فى ثامن عشر شعبان سنة ٢٠٤ هـ . الشذرات ١٢/٢ .

بكتاب « المدونة الكبرى » لسحنون المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة^(١) ، وهو من الكتب المهمة في فقه المالكية ، لذلك لم ينقل منه شيئاً^(٢) .

واعتمد الطبري في رواية فقه الأوزاعي الذي تعرف مذهبه في أثناء إقامته بمدينة « بيروت » على علمين هما العباس بن الوليد بن مزيد المتوفى سنة ٢٦٩ هـ . عن الأوزاعي ، ثم معاوية عن أبي اسحاق الفزاري^(٣) ، ومن معاوية هذا أخذ الطبري كذلك أقوال سفيان الثوري ، وهي في جملة أقوال الأوزاعي^(٤) . ومن شيخ آخر هو علي عن زيد^(٥) . وترد أقوالهما في رواية واحدة في الغالب ، وقلما يختلفان^(٦) .

أما فقه الإمام الشافعي ، فقد أخذته عن شيخه الربيع بن سليمان المرادي المتوفى

(١) الشذرات ٩٤/٢ .

Ency. of Islam, Vol, 3, p, 207. Wensinck, p, 411.

سحنون عبد السلام بن سعيد بن حبيب النخعي ، ص ٢١٥/٢ كما بعدها .
اليافعي : المرأة ١٥١/٢ .

Brockelmann, Suppl. Vol, 1, p, 299.

(٢) الفقهاء ص XIX

(٣) وقيل سنة ٢٧٠ او ٢٧١ للهجرة . تهذيب التهذيب ١٣٢/٥ .
الشذرات ١٦٠/٢ .
الفقهاء ص XIX وما بعدها .

De Goeje. Annales. Introduction. p, LXXIX.

أقام أبو جعفر الطبري ببغداد سبع ليال يبيت في المسجد الجامع بها حتى ختم القرآن بهذه الرواية تلاوة علي العباس بن الوليد .
p, LXXII.

(٤) الفقهاء ص XX وما بعدها . سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي المتوفى سنة ١٦١ للهجرة . تهذيب التهذيب ١١٤/٦ ، تذكرة الحناظ ١٩٠/١ .

«إبراهيم بن محمد بن الحارث أبو اسحاق الفزاري الكوفي» مات سنة ١٨٥ او ١٨٦ او ١٨٨ للهجرة . أول من عمل في الاسلام اضطراباً وله فيه تصانيف . وهو صاحب كتاب السير ، قال الشافعي لم يصنف أحد في السير مثله . تهذيب التهذيب ١٥٢/١ - ١٥٣ . تذكرة الحناظ ٢٥١/١ . معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدي مات سنة ٢١٣ او ٢١٤ للهجرة ، روى كتاب السير لأبي اسحاق الفزاري . تهذيب التهذيب ٢١٦/١٠ .

(٥) الفقهاء ص XXI

(٦) الفقهاء ص XXI

سنة ٢٧٠ للهجرة^(١)، وقد نزل عليه الطبري في أثناء إقامته بمصر . ولم يرد لكتاب « الأم » المنسوب للإمام الشافعي ذكر في كتاب الطبري ، وذلك مما يدل على أنه لم يكن يعرف هذا العنوان^(٢) . وأما فقه الامام أبي حنيفة وأصحابه : أبى يوسف يعقوب ابن ابراهيم المتوفى سنة ١٨٢ للهجرة ، ومحمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ من كبار رجال المذهب ، فقد أخذ في الأكثر من الحسن بن زياد اللؤلؤي المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة^(٣) ، أو من تلامذته ومن أبى سليمان الجوزجاني « الجزجاني »^(٤) راوى كتب محمد بن الحسن ، وكثيرا ما يورد الطبري أقوالهما بالأسناد .

ان هذا السائل الملحوظ في الاسناد في كتاب « اختلاف الفقهاء » يتأمله تشدد ومحافضة عليه في كتاب « تاريخ الرسل والملوك » ونصح تام في الرواية على طريقة أهل الحديث ، تبدأ الحوادث عنده بذكر السند أولا كذا يقول « حدثني ابن حميد قال حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال . . . » أو « حدثنا محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا أيوب بن سويد عن الأوزاعي قال حدثنا اسماعيل ابن عبد الله قال قدم أس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فقال له الوليد . . . » وهي صيغة مقبولة عند المحققين ، متصلة السند ، ليس بينها فاصل ولا قطع . سار على ذلك جملة في الكتاب الا في مواضع يظهر أنه لم يأخذها عن طريق الرواية ، وإنما أخذها

(١) الفهرست ص ٢٩٧، ٢٥٣، Ency. of Islam, Vol. 4, p. 253، الشذرات ١٥٩/٢ ،
الوفيات ٢٢٩/١ .

(٢) يظهر ان التسمية جاءت متأخرة . راجع Wensinck, p. 660 طبع في
القاهرة سنة ١٣٢١ - ١٣٢٥ هـ .

Brockelmann. Suppl. Vol. 1, p. 304.

(١) الحسن بن زياد اللؤلؤي أبو علي من اصحاب أبى حنيفة ، ممن أخذ عنه وسمع منه . وكان عالما بمذهب أبى حنيفة في الرأي ، له من الكتب كتاب المجرد لأبى حنيفة روايته ، كتاب أدب الناس ، كتاب الأعمال ، كتاب معاني الايمان ، كتاب النفقات ، كتاب الحراج ، كتاب الفرائض ، كتاب الوصايا . الفهرست ص ٢٨٨ .
- الشذرات ١٢/٢ .

(٤) أخذ عن محمد بن الحسن ، ولا مصنف له ، وإنما روى كتب محمد بن الحسن الفهرست ص ٢٩٠ ، عقد الجواهر ١٨٦/٢ توفي بعد سنة ٢٨٠ للهجرة .
الجوزجاني أبو سليمان موسى بن سليمان المتوفى بعد سنة ٢٨٠ للهجرة .

Brockelmann, Suppl. 1, p. 291-292.

من الكتب أو عن طريق الإجازة بالرواية من الكتب ، فذكر عبارات لا تستحب عند المحدثين أهمل فيها اسم المحدث ، مثل قوله « حدثت عن فلان » . انه قال حدثني «...» ، أو « ذكر عن فلان أنه قال » . ، استخدم هذه الصيغ في تأريخ الفرس حيث أكرر منها بالنسبة لأقوال هشام بن الكلبي . (١) والظاهر أنه أخذ ذلك من كتب هشام ، والا فانه كان يذكر في المواضع الأخرى أسماء الرواة الذين حدثوه عنه كما سترى فيما بعد .

واستخدم في الأجزاء الأخيرة من كتابه مثل هذه الصيغ : « ذكر لي بعض أصحابي » . أو « ذكر لي جماعة من أصحابنا » . ، أو « ذكر من رآه وشاهد » . أو « حدثني جماعة من أهل » . ، أو « أخبرني جماعة من أهل الخبرة » . ، أو « ذكر هذه التصة بعض أصحابنا عن حدثه أنه حضر » . ، وهي صيغ تدل ، ولاشك ، على التساعل في السند . ولابد أن يكون له سبب بعد أن نعلم أنه قد استخدم هذه الصيغ في الأقسام الأخيرة من التاريخ . أي في الحوادث التي وقعت قبيل أيامه وفي أيامه . وامله فعل ذلك ارضاء لمحدثيه الأحياء ، وخوفاً من غضب من يشملهم الحديث ، لما لهذه الأحاديث من علاقة بالسياسة العامة .

واستعمل أحياناً صيغاً تدل على أنه نقل ما سيقوله من المؤلفات بلا واسطة مثل قوله « قال ابن الكلبي » . ، أو « قال محمد بن سحاق » . ، أو « قال الواقدي » . ، أو « ذكر ابن الكلبي » . ، وأمثال ذلك . وهي صيغ ترد عند مؤلفين آخرين ممن لم يتتبعوا بالسند ، أو لم يكن من عاداتهم التمسك بالسند تمسكاً تاماً ، مثل أحمد بن يحيى ابن جابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ للهجرة « ٨٩٢ م » في كتابه المهم « أنساب الأشراف » ، (٢) فإنه تمسك بالسند في موضع ، وأهمله في موضع آخر ، وهو في الواقع من أوائل من حاول التوفيق بين المواد المستمدة من السيرة والمصادر الأخرى

(١) راجع هذا القسم من تاريخ الطبري .

(٢) من كتبه «فتوح البلدان» طبع بعناية «دى غوية» وفي القاهرة ١٣١٨ هـ .
Liber expugnationis Regionum auctore al-Beladsori quem. edidit m. j. de Goeje, Leiden, 1866.

ونشرت أجزاء من كتاب «أنساب الأشراف» . نشرتها الجامعة العبرية في القدس بعناية «غوتالين» . ياقوت ، الإرشاد ١٢٧/٢ .

محاوله منه لادماجها فى رواية واحدة متماسكة^(١) . ولما كانت الرواية هى الطريقة المحيية الى نفس الطبرى فى تأريخه ، والرواية لا تستلزم ذكر أسماء الكتب ، انما يقوم اسم الراوى مقام كتابه ، مع ما فى هذه الطريقة من أخطاء ، وجدنا الطبرى يعرض عن ذكر المراجع الكتابية التى اعتمد عليها ، لم يشذ عن هذه القاعدة الا فى مواضع معدودة كالذى قاله مرة حكائية عن عمر بن شبة البصرى الأخبارى المتوفى سنة ٢٦٢ للهجرة^(٢) . وهو صاحب مؤلفات كثيرة فى الأخبار ، منها كتاب الكوفة ، وكتاب مكة . واعتمد على كتبه الطبرى فقتبس منها فى كتابه « وحدثنى عمر مرة أخرى فى كتابه الذى سماه كتاب أهل البصرة فقال ... »^(٣) . غير أن هذه المواضع تعد بالنسبة للنسق الذى سار عليه فى « تاريخ الرسل والملوك » من قيل السواد .

وقد سببت طريقة الطبرى هذه خسارة كبيرة للمراجعين والباحثين ، فالسند على ما فيه من حسنات لا يخلو من سيئات ، فلا أكثر المشايخ الذين ذكرهم الطبرى فى أسانيد مؤلفات عديدة ، فمن أى مؤلف من هذه المؤلفات نقل الطبرى قوله ، ثم ان فى أعمال عناوين الكتب خسارة فادحة لنعلم ؛ لأننا قد حرمانا بذلك ثروة قيمة يمكن أن تكون عوناً لنا فى تحقيق المخطوطات وفى معرفة الرواة العتلة التى خلفتها لنا الثقافة العربية وما نعرفه اليوم من أسماء الكتب لا يعد فى الحقيقة شيئاً بالنسبة الى المفقود .

ولما كان تأريخ صدر الإسلام أكثر حساساً من غيره ، وفيه روايات أملت لها عاطفة الرواة ، أو السياسة ، أو اختلاف وجهات النظر والفهم ، كان هذا القسم موضع مناقشة وموطن جدل ، فكان على الطبرى ، وهو مؤرخ محايد اتباع طريقة « جمع الأصول » وتكديسها بعضها على بعض وتدوينها على صورة روايات المسؤول عنها رجال السند ، أقول : كان فى رأبى عرض كل رواية عرضاً كاملاً من أولها الى آخرها كما أخذها من شيخه ، فإذا انتهت سرد الرواية الثانية على نحو ما أخذها ، ثم يشرع فى سرد

(١) دائرة ص ٤٩١ .

(٢) الفهرست ص ١٦٣ وسأحدث عنه بتفصيل فى المكان المناسب له .
ووجدت تأريخ البصرة الوفيات ٤٧٨/١ ، الشذرات ١٤٦/٢ .

(٣) الطبرى ١٦٦/٦ (الطبعة المصرية) . « كتاب البصرة » « كتاب الكوفة »
« كتاب المدينة » « كتاب مكة » « كتاب أمراء البصرة » ، له كتب كثيرة . الفهرست ص ١٦٣ .

الرواية الثالثة عن الحادثة نفسها ، وهكذا . وبهذا السرد تتكون لدى القارئ فكرة واضحة عن الأوجه المختلفة التي وردت عن الحادث الواحد فيستطيع أن يوازن بين هذه الآراء ، ويرجح بعضها على بعض ، ويكون نظرة إيجابية خاصة في الموضوع . غير أن الطبري لم يسلك هذا الطريق ، بل كان يروي الحديث نسباً ارتد إلى محدثه ، فإذا وصل إلى موضوع مختلف فيه قطعه ليزكر مواضع الاختلاف مشيراً إلى ذلك بعبارة مثل « وأما فلان فقد قال غير هذا القول قال » ، أو « وأما فلان فإنه قال أو فقد قال غير هذا القول قال فيما حدثني فلان » ، أو « وأما الكلبي محمد بن السائب فإنه فيما حدثني الحارث بن محمد عن محمد بن سعد عن هشام قال أخبرني أبي » ، أو « وقال ابن اسحق فيما حدثنا فلان عن فلان » ، ثم يسرد مواطن الاختلاف فإذا انتهى منها عاد إلى المتن إلى الموضع الذي وقف عليه ، فيمهد الكلام بإشارة تدل على استئنافه كأن يقول : « رجع الحديث إلى حديث فلان » ، وقد تدخل المتن ويشبك الحديث ، فيشير حينئذ إلى ذلك بقوله : « دخل حديث بعضهم في بعض » . وهذه طريقة تركب القارئ ، فتسببه الحادث الأصلي ، وتنقل فكره من الأصل إلى الفروع . استدرجت الطبري في كثير من المواضع ، فوجهت عنايته إلى التنصيل في المسائل الفرعية وبالأشخاص الذين ليس لهم علاقة وثيقة بالرواية ، فغض النظر عما كان يجب أن يتحدث عنه ، ونسى أشياء كان لها علاقة مباشرة بمصلب الموضوع . ولكننا يجب أن نعرف من جهة أخرى بحرص الطبري على جمع الأخبار الجديدة وترتيب الروايات ، نانه كان ميالاً دائماً إلى الأكثر من الأخبار الواردة عن حادث واحد ، يضعها بعضها فوق بعض أو يوحدها بحيث يشمل ذلك كل تلك الروايات الواردة عنه^(١) .

وإذا حدث ورود اختلاف بين وجهات أنظار الرواة ، وسطر تلك الروايات ، عقب عليها أحياناً ببعض الجمل التي تشير إلى ذلك ، مثل قوله « قال أبو جعفر : واختلف النسب من أهل العلم في » ذكر من قال ذلك فقال بعضهم وقد وافق قول من قال وقال آخرون قال أبو جعفر وقد وافق قول من قال » وأمثال ذلك ، لكنه قلما كان يبدى آراءه في الحوادث فيناقضها منازعة عميقة أساسية

بصرحة ثامة . وأما ما جاء فى مواضع من أسناد الكتاب مما يشعر أنه نقد لعدة روايات مثل قوله « قال أبو جعفر والصحيح عندنا فى ذلك » ، أو « أنا أشك فى ذلك » ، أو جمل يشعر منها النقد أو الترجيح مثل « وقد زعم بعضهم » أو « قيل » أو « يقول » ؛ فإنها ليست نقدا بالمعنى العلمى الحديث مع تلة هذه المواضع بالنسبة للعرض العام الوارد فى الكتاب ، وهذا ما يذكرنا الصراحة التى استعملها الطبرى فى صفحات تفسيره فى نقد الآراء والروايات ، وقلما نجد لها مثيلا فى التأريخ ، على الرغم من الافاضة والاشراق الظاهرين على رواياته ، ولعل لاختلاف طبيعتى الموضوعين دخلا فى هذا التناوت ^(١) .

ولهذا السبب عدّ المستشرق « شواله » « Schwally » طريقة الطبرى هذه فى عرض التأريخ على طريقة أهل الحديث طريقة فريدة فى بابها ، الا أنه وجدها من جهة أخرى رجوعاً الى البراء من الوجهة الفنية ، الا أن مما يعوض من هذا النقص غنى الكتاب بالمراجع والمصادر التى تفيد فى البحث وقلما تيسر فى كتاب آخر ، وهو مما يرفع من منزلته فى انظار الباحثين ، ونختص بالذكر فصولا مهمة وقطعا من كتب لم تنشر حتى الآن تساعد الناشرين على التحقيق ^(٢) .

أثبتت التجارب أن الاعتماد على الرواية فى التأريخ أمر لا يليق بالمؤرخ القدير ، ولا سيما فى النسبة لتدوين تاريخ الزمن الذى يعيش فيه المؤرخ ، اذ يجوز أن يكون الراوى ثابتاً صادقا موثوقاً به الا أنه كان منفعلا متأثرا بما عفته ، أو أنه يأخذ الأمور دون تحقيق ، أو أن الرجل الذى وثق به الراوى فأخذ حديثه منه كان غير صادق فى قوله ، أو أنه كان متأثرا أو منفعلا من الحادث ، أو أنه لم يفهم الخبر فهماً صحيحاً ، ولذلك كان الصحابة مع فضلهم وعلمهم يختلفون فى خبر واحد لاختلاف مداركهم فى الفهم ، فلا بد اذن من الرجوع الى الوثائق الاصلية الى الكتابات الرسمية والأضابير ، واستخدام طرق النقد ، وقد كان عمل ابن الكلبي فى هذه الناحية عملا متميزا جدا بالنسبة الى عمل الطبرى قلما سلكه المؤرخون . فانه كان يذهب بنفسه الى الكنائس والديارات فيسأل عن المدونات . ومن هذه الناحية أيضاً لفت الأنظار ضعف القسم الأخير من كتاب

(١) دائرة ص ٤٩٣ .

(٢) Schwally. 2. p. 141.

الطبرى - وهو القسم الذى يشمل تاريخ الأيام التى عاش فيها الى أن معالجة التاريخ بالاعتماد على الرواية وحدها لا يكفى ، فلا بد من الرجوع الى سجلات قصور الخلفاء ودواوين الأعمال وما دونه رجال السياسة والتدبير^(١) .

ان كتاب الطبرى ، وان كان قد أنهى فى بداية القرن الرابع للهجرة يسئل فى الواقع نتاجاً كان خاتمة نتاج القرن الثالث ، القرن المشرق بالنسبة للرواية العربية والأسلوب العربى الصميم فى التأليف ، والحق أن هذا الكتاب وحده كان رمزا لحتم عصر من عصور التاريخ ، وبداية تطور فى تاريخ التأريخ .

كان الطبرى محدثاً بدأ حياته العلمية بدراسة الحديث ، فكان حريصاً أن يتأثر بطريقة المحدثين فى جمع الرواية التاريخية ونقدها ، وكان يجمع مآثور الروايات ويدونها مع استنادها الى مصدرها الأصل ، مثل شيخ يثق به ، أو عدل شارك فى الحادثة أو كان له علم بها ، أو كتاب تدارسه بالسند المتصل قراءة وسماعاً وإجازة ، أو من جماعة من أهل البادية ، أو القاديين من الأمصار بعد وثوقه بهم ، فأصبح النقد أى الجرح والتعديل - وهو فن بلغ أوج الرقى عند المسلمين - ذاتياً منصباً على الرواة ، للراوى الاعتبار والمنزلة عند المؤرخ ، لا ما يقوله من مرويات ، وقد ضمنت هذه الطريقة صحة الأخبار بالنسبة للعصور الاسلامية ، ولكنها عجزت عن ان تضمن ذلك فى أخبار ما قبل الاسلام . وكان هذا القسم فى نظر المؤرخ الحديث أضعف نواحى كتب التاريخ عند العرب^(٢) . ومع ذلك كان لطريقة الطبرى هذه فضل عظيم فى المحافظة على النصوص التاريخية وبعض الفصول والتف المهمة التى أصبحت اليوم فى خبر كان .

لقد كان تأريخ الرسل والملوك عملاً رائعاً جداً يشهد لصاحبه بالبراعة الفائقة وسعة العلم ، فلم يعن أحد من المصنفين المتأخرين بجمع وتحقيق جديدين ، ولم يتوافر عندهم ذلك الشغف الذى وجدناه عند الطبرى فى جمع مختلف الروايات ، لقد أخذت طائفة

(١) دائرة ص ٤٩٣ . «وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي انه قال : انى كنت استخرج أخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اغمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وامورهم كلها» . الطبرى ٣٧/٢ .

(٢) تعليق عبد الحميد العبادى على «علم التاريخ» ص ٦٦ ، راجع كذلك كتاب «مصطلح التاريخ» تأليف أسد رستم، الباب السادس العدالة والضبط ص ٨٦ فما بعدها .

منهم ما ورد عن البلاذرى مما لم يرد له ذكر عند الطبرى ، فأضافوه الى ما أخذوه من انطربى ، غير أنهم كانوا فى أكثر الأحيان يبدأون حيث انتهى الطبرى ، وللطبرى فى كل ذلك فضل عظيم (١).

أما مذهب الطبرى فى التاريخ ووجهة نظره للحوادث ، فيمكن ادراكها من مقدمته لكتابه ، نراه فى هذه المقدمة عالماً مولعاً بالحفظ والرواية ، يهتم بالجمع وتركيز الروايات ، دون عناية بالفائدة العملية ، فلذلك تضاعفت وجهات نظره بازاء آراء الرواة ، فلا يتبين رأيه بين معرض الآراء . ورجل مثل الطبرى قطع شوطاً كبيراً من حياته فى التنقل فى أهم الاقطار الاسلامية فى الأقطار التى كانت مركز الحياة الثقافية فى الشرق القديم ، وزار المدن التى كانت تجاور آثار أقدم مدن العالم ، وكانت تناديه ليكتب تاريخها كتابة شاهد عيان ، ان هذا الرجل الذى دون التاريخ القديم بأفاضة لا يجدها عند غيره ، لم يكتب عن مشاهداته ، ولم يتحدث عن الحرائب التى مر بها أو التى كان يتحدث عنها الناس ، فلم يصف لنا الحيرة ولا واسطاً فى الأقل ولا مكاناً آخر اسلامياً أوجاهلياً ، ولم يدون شيئاً من تواريخ المدن التى سمر بها ، على النقيض من المسعودى مثلاً الذى سجل فى تضاعيف كتبه ملاحظات وان كانت مبشرة غير منتظمة ، تدل فى الواقع على حب استطلاع وقابلية لفهم واجب المؤرخ وهيل الى النقد الذى هو من أهم مستلزمات التاريخ . وتحدث عن عادات الشعوب التى زارها وعقائدها وأديانها وعاداتها الاجتماعية وغرائب الطبيعة وغير ذلك . كل هذه الأمور لم تلفت نظر الطبرى ، ولم تحرك منه ساكناً .

الطبرى متيم بالروايات يذكرها على علاتها ، وللقارىء أن يستخرج منها ما يشاء وأن يعتقد فيها ما يشاء ، لا يهمه ذلك بقدر ما تهمة اثناحية التعليمة من التاريخ . هذه فلسفته ، وهذه وجهة نظره ، تمثل لك فى قوله : « ولعلم الناظر فى كتابنا هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه ، انما هو على ما رويت من الأخبار التى انا ذاكرها فيه والآثار التى انا مسندها الى روايتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستببط بفكر النفوس الا القليل اليسير منه ، اذ كان العلم بما كان من

أخبار الماضين وما هو كائن من أنباء الحادئين غير واصل الى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم الا باخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النقوس . فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما ينكره قارئه ، أو يستسعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقله الينا . وانا انما أدتينا ذلك على نحو ما أدى الينا . ^(١) . هذا هو رأى الطبرى في التاريخ ، ويحسن بهذه المناسبة الموازنة بين هذا الرأى ورأى مؤرخ آخر عاش متأخرا بالنسبة للطبرى ، ولكن ذلك لا يمنع أبداً من الموازنة بين الرجلين ، وهذا المؤرخ « ابن مسكويه » ، وهو ممن نقل من تاريخ الطبرى ، ونال الاجازة بروايته من « ابن كامل » راوى هذا التاريخ .

التاريخ في نظر ابن مسكويه تجارب مدونة مرت على السلف يحسن بالخلف الاطلاع عليها وقراءتها واتخاذها اماماً يقتدى به عند حدوث الملمات ، « فان أمور الدنيا متشابهة ، وأحوالها متناسبة ، وصار جميع ما حفظه الإنسان من هذا الضرب كأنه تجارب له ، وقد دفع اليها واحتك بها ، وكأنه قد عاش ذلك الزمان كله ، وباشر تلك الأحوال بنفسه ، واستقبل أموره استقبال الخير ، وعرفها قبل وقوعها ، فجعلها نصب عينه وقبالة لحظه ، فأعد لها أقرانها ، وقابلها بأشكالها ، وشتان بين من كان بهذه الصورة وبين من كان غمراً غمراً لا يتبين الأمر الا بعد وقوعه ، ولا يلاحظه الا بعين الغريب منه يحسّر كل خطب يستقبله ، ويدهشه كل أمر يتجدد له ^(٢) . . . »

(١) الطبرى التاريخ ٥/١ . (طبعة لايدن) دورة أولى ٦/١ .

(٢) تجارب الامم وتغاقب الهمم (Gibb) ج ١ ص ١ . (طبعة امدرود)

القاهرة سنة ١٩١٤ ترجمة المؤلف ٢/١ .

ابن مسكويه هو ابو على أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه ، مات سنة ٤٢١ للهجرة . ياقوت : الارشاد ٨٨/٢ فما بعدها ، ابن القفطي : تاريخ الحكماء ص ٣٣١ . (طبعة Lippert) (روضة الافراح ونزهة الأرواح) او (نزهة الأرواح وروضة الافراح) لشمس الدين محمد بن محمود الشهير زورى الاشراقى . ورقة ١٨٣ « أحمد بن محمد مسكويه » وفي المجمع العلمى العراقى صورة فوتوغرافية لمخطوطة المتحف البريطانى . (Add. 23365)

Brockelmann, G. A. I., Vol. 1, p. 342. Suppl., 1, p. 582. Ency. of Islam, Vol. 2, p. 404.

دفعت هذه النظرية التجريبية ابن مسكويه الى الاقتصار فى تاريخ ما قبل الاسلام على كل ما له فائدة وعظة من الناحية التعليمية ، الى ما يتصل بالسياسات وعمارات البلدان ، وجمع كلمة الرعية ، واصلاح نيات الجند وحيل الحروب ومكايد الرجال وما تم منها على العدو وما رجع على صاحبه ، وذكر الأسباب التى تقدم بها قوم عند السلطان والأحوال التى تأخر بها آخرون . وغايته من ذلك قبل كل شئ أن يكون علم التاريخ علماً للوزراء والساسة ومن بيدهم الحل والعقد . قال : « فلذلك جمعت هذا الكتاب ، وسميته « تجارب الامم » وأكثر الناس انتفاعاً به وأكبرهم حظاً منه أوفرهم فسطحاً من الدنيا كالوزراء وأصحاب الجيوش وسوأس المدن ومعتبرى أمر العامة والخاصة ثم سائر طبقات الناس ، وأقل الناس حظاً لا يخلو له أن ينتفع به فى سياسة المنزل وعشرة الصديق ومداخلة الغريب ، ولم يعد مع ذلك السمر الذى وجد فى القسم الآخر الذى اطرخاه » (١)

هذه الأسباب المذكورة هى التى جعلت ابن مسكويه يكتفى من الماضى بذكر الحوادث المهمة التى لها فائدة عملية للانسان ، فلم يتبسط فى سرد القصص الشعبية والأساطير التى رويت عن الأقسام القديمة ، ولم يحفل بالاسرائيليات ؛ لأنه وجد هذا النمط من « الأخبار مغموراً بالأخبار التى تجرى مجرى الأسفار والخرافات التى لا فائدة منها غير استجلاب النوم والاستمتاع بأنس المستطرف منها ، حتى ضاع بينها وتبدد فى أنثائها ، فبطل الانتفاع به ، ولم يتصل لسامعه وقارئه اتصالاً يربط بعضه بعضاً ، بل تنسى النكته منها قبل أن تجيء أختها ولهذا السبب بعينه لم تتعرض لذكر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم وما تم لهم من السياسات بها ؛ لأن أهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة فيما يستقبلونه من أمورهم ، اللهم الا ما كان منها تدبيراً بشرياً لا يقتصرن بالاعجاز وأنا مبتدئ بذكر الله ومنته بما نقل الينا من الأخبار بعد الطوفان ، لقلة الثقة بما كان منها قبله ، ولأن ما نقل أيضاً لا يفيد شيئاً مما عزمنا على ذكره وضمناه فى صدر الكتاب . » (٢)

(١) تجارب الامم ج ١ ص ١

(٢) تجارب الامم ج ١ ص ٢

اقتصد ابن مسكويه فى أخبار ما قبل الاسلام ، ولم يتبسط الا فى أخبار القرس وهو منهم ، مدفوعاً الى ذلك بعاطفته وشعوره القومى . فأما الطبرى ، فقد تبسط فى كل شئ فيما قبل الاسلام وفيما بعد الاسلام ؛ لأنه رجل عالم محدث يريد أن يقدم علمه للناس ، وأن يضع ما وعاه فى خدمة طلاب العلم .

وطريقة تدوين التأريخ على صورة « حوليات » تقتيد فيها المؤرخ بترتيب السنين « من الطرائق التأريخية القديمة ، وقد عرفت عند الآشوريين ، والمصريين ، والبابليين ، واستعملها كثيراً مؤرخو اليونان والرومان . والفرق بينها وبين طريقة « التأريخ » (Chronicles) التى تقتيد بالترتيب الزمانى كذلك ، أن الطريقة الثانية وان كانت تراعى الترتيب الزمانى ، لا تقتيد بتسجيل الحوادث على حسب ترتيب الشهور والسنين ^(١) ، وقد جمع أكثر من كتب فى التأريخ العام من العرب بين هاتين الطريقتين على نحو ما فعله الطبرى .

داعى الطبرى فى ترتيب كتابه تسلسل الحوادث ، فرتبها على حسب وقوعها عاماً بعد عام منذ الهجرة الى نهاية عام ٣٠٢ للهجرة ، فذكر فى كل سنة ما وقع فيها من أحداث رآها تستحق الذكر . أما اذا كانت الحادثة طويلة ، فانه كان يجزئها على حسب السنين التى وقعت فيها ، أو يشير اليها مجملاً ثم يذكرها بالتفصيل فى الموضع الملائم . ويقال لهذه الطريقة "Annals" أى « الحوليات » .

أما القسم الأول من كتابه وهو القسم الخاص بما قبل الاسلام الى الخليفة ، فقد اتبع فيه طريقة أخرى فى عرض الحوادث ، فلم يرتب الحوادث على حسب وقوعها عاماً بعد عام ، اذ كان ذلك امراً غير ممكن له فسار على النهج الذى سلكه أكثر المؤرخين الذين ساروا على طريقة علماء التوراة بالبدء بالخليفة ثم بالأنبياء على حسب ما ورد فى التوراة ، ثم بالتعرض للحوادث التى وقعت فى أيامهم وذكر الملوك الذين كانوا يعاصرونهم وما جرت لهم من حوادث وحروب ، ثم ذكر الأمم التى جاءت بعد الانبياء الى ظهور الاسلام . وهو الترتيب المعروف عند أهل الكتاب . ويقال لهذه الطريقة فى تدوين التأريخ (Chronicles) ^(٢) « تأريخ » .

Alfred Feder. Lehrbuch der Geschichtlichen methode. (١)
Regensburg. 1924. p, 92.

R. Flint. History of the Philosophy of History. 1893. pp, 157. (٢)
دائرة المعارف البريطانية مادة "Chronicles"

وقد سبق الطبرى جماعة من العلماء الى تدوين التاريخ على النمطين المذكورين ، ومن هؤلاء الهيثم بن عدى المتوفى سنة سبع ومثني ، وقد وضع فى التاريخ كتاباً رتبته على السنين والأعوام ،^(١) وجعفر بن محمد بن الأزهر بن عيسى الأخبارى المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة ، وله كتاب فى التاريخ وضعه على أساس السنين^(٢) .

خلد الطبرى فى كتابه نماذج من متون كتب أتى الدهر عليها ، وحفظ قطعاً حسنة من أقوال عبدالله بن عباس ومجاهد وعاصم وقادة وكعب الأخبار ووهب بن منبه وعبدالله بن سلام والزهرى والشعبى وأبى مخنف ، وأمثلة من أقدم الكتب التى ألقت فى التاريخ وفى الأحداث السياسية التى وقعت فى صدر الإسلام ، أخذها من كتب التخصص ومن الرجال الذين عرفوا بالدراية والاطلاع على هذه الموضوعات ، فأخذ الاسرائيليات من كتب أخذت من أقوال وهب بن منبه ، واعتمد فى رواية تاريخ العرب التقديم على الاخباريين الذين كان لهم علم بذلك مثل عبيد بن شربة والأصمعى والشعبى ومحمد بن السائب الكلبى ، خاصة فى تاريخ الفرس والعراق ، واعتمد فى السيرة على سيرة ابن سحاق فى الأنخص وعلى كتب السير الأخرى التى ستحدث عنها ، ولم يأخذ من مغازى وهب بن منبه ؛ لأنه لم يكن عنده رجلا ثقة فى هذا الباب - كما أشرنا إليه سابقاً .

والطبرى مثل أكثر المؤرخين الذين كتبوا فى التاريخ العام قصر اهتمامه على التاريخ السياسى متأثراً بروحية العصر الذى عاش فيه ، وبالنظرية التى كان يدين بها جهمرة المؤرخين ليس فى العالم العربى حسب بل فى العالم الخارجى كذلك ، مثل العالم النصرانى الذى كان مؤرخوه متأثرين بنظرية الكنيسة فى تفسير التاريخ ، تلك النظرية

(١) أحمد أمين : ضحى الإسلام (١٩٣٥) ص ٣٥٨ «كتاب التاريخ على السنين» .
الفهرست ص ١٤٦ (الطبعة المصرية) . «الهيثم بن عدى : أبو عبد الرحمن الطائى الكوفى الاخبارى المؤرخ» . روى عن مجالد وابن اسحاق وجماعة ، وهو متروك الحديث ، وقال ابو داود السجستانى : كذب . الشذرات ١٩/٢ «قال الامام أحمد : كان صاحب أخبار وتدليس» . «متروك الحديث محله محل الواقدي» . لسان الميزان ٢١٠/٦ «كتاب التاريخ على السنين» الوفيات ٢/٢٦٩ .

(٢) الفهرست ٥٣/٢ (طبعة أوربة) ياقوت : الارشاد ٢/٢٤٧ .

التي استخلصها ووضع قواعدها فيلسوف الكنيسة القديس «أوغسطين» "St. Augustinus" في كتابه المسمى «اثنا وعشرون كتاباً عن مملكة الله»^(١) فجعل التاريخ صراعاً بين قوتين ، أو مملكتين : مملكة الله في السماء حيث الحق والعدل ، ومملكة الشيطان (Teufelsreich) في الأرض حيث السقوط والغواية . وقد تكونت بالخطيئة ، وكان أول مواطن فيها هو «قابيل» (Kain) وأما «هابيل» (Abel) الذي شمله الله بعطفه ، فقد كان من مواطني مملكة السماء . ومن هذا الصراع تولد التاريخ الذي سينتهي بتغلب مملكة الله وخلص البشر من «الخطيئة» بظهور المخلص ونشر تعاليمه على وجه الأرض ، ومشاركة المؤمنين في مكافحة دولة «الضالين» ، فيسود العدل ، ويختفى فعل الشيطان ، ويحل الأمن ، وتذهب كل آثار الفساد ، ثم تكون بعد ذلك القيامة حيث ينال «أبناء الله» الأبدية في مملكة السماء^(٢) .

فالتاريخ البشري إذن هو صفحة تقدم وتطور تؤدي في الأخير إلى الفضيلة والایمان ، وللاسراع في ذلك وجب على المؤمنين حكومات وأفراد ، العمل على تنفيذ أوامر الله ، ونشر كلمته بين الضالين ، فإذا فعلت ذلك نالت الوطنية في مملكة السماء . ومن هنا ظهرت سلطة «البابا» على كل السلطات ، باعتداده ممثل «المسيح» على الأرض ، فاطاعة أوامره تعني اطاعة أوامر الله ، ومخالفة أوامره تعني مخالفة أوامر الله ، وهذه النظرية هي النظرية الرسمية للكنيسة في تفسير التاريخ . وقد حكمت دوراً كبيراً في القرون الوسطى في توجيه السياسة العالمية^(٣) .

ظلت هذه النظرية التي تعد التاريخ نتيجة عمل الأفراد ، مهمة على عقول الكتاب حتى الآن ، ولا سيما في البلاد التي تديرها الدكتاتوريات أو الأحزاب الواحدة . ولما كان الحلفاء والملوك والسلاطين هم الذين كانوا يسيطرون على الشعب ، ويسرون أمور

(١) كتب بين ٤١٣ - ٤٢٦ للميلاد .

Bernheim, Einleitung in die Geschichtswissenschaft. p. 19.
"De Civitate Dei".

Bernstein, p. 20. Alfred Feder. Lehrbuch der Geschichtlichen (٢)
methode. pp, 320.

Bernheim, mittelalterliche zeitschauungen in ihrem einfluss (٣)
auf Politik und Geschichtschreibung. Teil 1. 1918.

الحروب ، لم نطمع من الطبرى فى أن يذهب فى تفسير التأريخ على طريقة أخرى ، كذلك لم يؤمل أن يرى مثل هذا التفسير يصدر من شخص آخر غير الطبرى . فلم يكن للشعوب ، ولا للرأى العام قوة فى العالم الى القرن الثامن عشر ، حتى يفتن المؤرخون اليها . ولهذا انصرفت عنايتهم الى الشؤون السياسية والعسكرية ، فى التأريخ . ومما يؤسف عليه أن الطبرى لم يذكر فى مؤلفاته السنة التى شرع فيها فى تأليف تأريخه ، والظاهر أنه بدأ به املاءً حتى اذا بلغ نهاية حوادث سنة ٢٠٢ للهجرة قطعه . ويفهم من رواية نقلها الذهبي فى كتابه « تذكرة الحفاظ » ، وهذا نصها : ان ابن جرير قال لأصحابه : هل تشعظون لتأريخ العالم ؟ قالوا : كم يجيى ؟ فذكر نحواً من ثلاثين ألف ورقة . فقالوا : هذا ما يضى الأعمار قبل تمامه ، قال : ان الله مات الهمم . فأملأه فى نحو ثلاثة آلاف ورقة . ولما أراد أن يملئ التفسير ، قال لهم ذلك ، ثم املاء على نحو من التاريخ (١) . ان الطبرى بدأ بالتأريخ قبل التفسير ، وهذه الرواية هى على عكس ما جاء فى الكتب التى ترجمت الطبرى ، فقد ورد فيها ، ان الطبرى بدأ يذكر التفسير اولاً ثم نثى بالتأريخ ، (٢) وهى أقرب الى الواقع من الرواية الأولى ، فالمعروف أن الطبرى انما أراد من تأريخه أن يكون متمماً للتفسير لاحقاً به (٣) . ويؤيد هذا الرأى الطبرى نفسه حيث أشار فى تأريخه الى أن التفسير كان معداً حينما باشر التأريخ « وقيل أقوال فى ذلك قد حكينا منها جملاً فى كتابنا المسمى جامع البيان عن تأويل آى القرآن فكرها اطالة الكتاب بذكر ذلك فى هذا الموضوع » (٤) ولما كان الطبرى قد بدأ باملاء كتاب التفسير سنة ٢٧٠ بمدينة بغداد على رواية ، أو فى سنة ٢٨٣ على رواية أخرى ، وقد استمر على املائه سبع سنوات فأنهاء سنة ٢٠٩ هـ ، وجب أن يكون الطبرى قد اشتغل به بعد سنة ٢٧٠ للهجرة وفى أيام اقامته بمدينة بغداد بعد ان تجمعت لديه مادة واسعة فى التأريخ ، وقد فرغ من املائه ومن عرض المسلمين له عليه للموافقة عليه موافقة نهائية فى يوم الأربعاء لثلاث بقتن من شهر ربيع

(١) الذهبي : تذكرة الحفاظ ٢/ ٢٥٢ .

(٢) الارشاد ٦/ ٤٢٣ فما بعدها .

(٣) دائرة ص ٤٩٤ .

(٤) الطبرى ١/ ٤٥ (طبعة مصر) ص ٥٠ طبعة لندن .

الآخر سنة ٣٠٣ للهجرة * (١)

ولاهمية « تاريخ الرسل والملوك » ترجم الى الفارسية بأمر الأمير أبي صالح منصور بن أحمد بن اسماعيل بن سامان الساماني ، وكان مشغولاً به ، مكرراً لمطالعة والاستفادة منه ، ترجم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة ، قام بترجمته وزير من وزراء الدولة السامانية وأديب خطير بلغ بالفارسية هو أبو علي محمد بن محمد بن عبدالله البلعي المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة * (٢)

وقد نص البلعي في مقدمة الترجمة على الطريقة التي اتبعها وعلى النسق الذي سار عليه في الترجمة ، فذكر أنه راعى « الاقتصار على سوق الأخبار دون الأسانيد وتهذيبها عما في هذا الكتاب من الاعتمادات ، والتطال في ساقاة قصة كل نبي وملك وخبر ... الى ان قال : « وأنا أنترجم هذا الكتاب ، وأقابل به بالتقسيم الكبير ، وأقدم وأؤخر من القصص ما يجب تقديمه وتأخير ، حتى أسوق كل قصة على وجهها ، وأسرد كل خبر على سبيله ، وأقرن كل شيء بشكله وأجمعه الى نوعه ومثله ، وأبواب الكتاب بأخبار الانبياء والملوك وأؤرخه بأسماء الأزمنة والأوقات الخ » (٣) وعلى هذه الترجمة صنعت الترجمة التركية في عهد « أمير الأمراء أحمد باشا » ، ثم الترجمة الثانية التي صنعت ما بين سنتي ٩٢٨ - ٩٣٨ للهجرة * (٤)

(١) الارشاد ٤٢٥/٦ قال أبو بكر بن بالويه : قال لي أبو بكر محمد بن اسحاق - يعني ابن خزيمة - : « بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير ، قلت : نعم ، كتبنا التفسير عنه . قال : كله ؟ قلت : نعم . قال : في أي سنة ؟ قلت : من سنة ثلاث وثمانين الى سنة تسعين . »

De Goeje, Annales. Introductio P, LXXVIII.

(٢) راجع عن البلعي Ency. of Islam, Vol, I. P, 613-614

Ethè, Grundriss der Iranischen Philologie, Vol. I. P, 355.

Browne, A Literary History of Persia. Vol, I. P, 614.

وراجع « الانساب للسمعاني » ودستور الوزراء لخنودمير ص ١٠٨ من طبعة ايران ككشف الظنون ٢٩٧/١ ، العتبي : تاريخ يميني بعناية (مثنى) ، القاهرة سنة ١٢٨٦ . ذكر « ريو » انه توفي سنة ٣٨٦ هـ ، وهو وهم واقعه فيه التباسه بشخص آخر .

Rieu. Catalogue Brit. Muss. Vol, I. P, 70

J.G.L. Rosegarten, Taberistanensis id est Abu Dschaferi (٣)

mohammed ben Dscherir ettaberi, Annales Regum Atque Legatorum Dei. Cryphisvaldiae MDCCCXXXI. P. XI.

De. Goeje, Annales, Introductio, P, XXVII. Zotenberg, (٤)

Chronique de Abou-djafar mohammed-ben-yezid Tabari, Traduite Sur la Version Persane. 4 Vol, Paris, 1867-1879 (٩٢٨ هـ) في كتاب

Rosegarten. P, XXIII

والظاهر أن الطلب لتأريخ الطبرى كان كبيرا غير أن نسخه كانت قليلة، أو أنها أصبحت فى بعض الاماكن فى حكم النادرة، فلذلك قام خضر بن خضر بن الحاج حسن الآمدى بترجمة الترجمة الفارسية الى اللغة العربية ، وهى ترجمة ليست بشيء بالنسبة الى الاصل، ومع ذلك استعان بها المستشرقون حين شرعوا فى طبع تاريخ الطبرى ^(١) كما استعانوا بنسخ اخرى لم تكن كاملة، اذ لم يتيسر العثور على نسخة كاملة للكتاب ، والنسخة المطبوعة فى أوربة وهى أصح نسخة مطبوعة حتى الآن ، هى ناقصة مع ذلك . وقد عثر على اقسام فى عدة من المخطوطات لم يعثر عليها ناشر تاريخ الطبرى، وربما يعثر فى المستقبل على اقسام أخرى ، الا أنها كما يظهر لا تكون نقضا مهما بالنسبة لجملته للكتاب ولا تقلل من قيمة هذه النسخة المطبوعة ومن قيمة النسخ التى طبعت عنها فى بلاد الشرق ^(٢) . وهذا الكتاب جدير بالدراسة ، حرى بالنقد ، وهو مثل أغلب الكتب التاريخية الاخرى لم يدرس دراسة علمية حديثة دقيقة ، فلم يقابل بالكتب التى ألفت قبله أو فى أيامه ، وطبعت ، أو لا تزال مخطوطة ، ولم تراجع سلسلة أسانيده وهى كثيرة ولو أن عددا من المستشرقين درسوا الكتاب دراسة عامة، وكتبوا فصولا عنه، وتحديثوا عرضا عن قسم من المصادر التى استعان الطبرى بها فى جمع كتابه ، مثل سيرة ابن اسحاق ، و « تاريخ بغداد » لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ للهجرة ^(٣) ولم يشر الى اسمه الا مرة واحدة فى حوادث سنة ٢٥٠ للهجرة ^(٤) مع

(١) Rosegarten. P. XXIV « تبتدى » بعون الله الملك القيوم القوي

فى ترجمة الجزء الثانى من تأريخ الطبرى ، العبد الفقير الحقير خضر بن خضر بن حاجى حسن الآمدى عفى الله عنهم بطلفه الخفى فى يوم الخميس ثانى عشر شهر رمضان سنة ٩٣٥ هـ . « تمامة جزء الثانى من ترجمة تأريخ الطبرى من العجمى الى العربى العبد الفقير الحقير الراجى رحمة ربه خضر بن خضر ابن الحاجى حسن بن الحاجى محمد بن الحاجى حسن بن الحاجى اسماعيل بن الحاجى على الآمدى عفى الله عنهم وذلك فى ليلة الثلاثاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة ٩٣٧ هـ . » كذا فى النسخ المطبوعة . وله ترجمة عربية أخرى عن الفارسية فى مدينة « ليدن » .

(٢) راجع الكراسة الصغيرة التى أصدرها « دى غويه » فى اقسام عثر عليها من تأريخ الطبرى .

(٣) كتاب « تاريخ بغداد » لم يعرف منه غير الجزء السادس ، وقد ترجمه

الى اللغة الالمانية وطبعه H. Keller بمدينة « لايبزك » Leipzig عام ١٩٠٨ م .

وترجمه K.C.Scelye الى اللغة الانكليزية وطبعه بنيويورك عام ١٩٢٠ م .

(Columbia Univ. Orient. Ser. XVI). وقد أخذ المجمع العلمى العراقى صورة

فوتغرافية لمخطوطة ، المنشور والمنظوم ، للمؤلف نفسه . وطبع « تأريخ بغداد » حديثا فى

القاهرة .

(٤) الدورة الثالثة ص ١٥١٦ (طبعة ليدن) .

أنه أخذ من كتاب « تاريخ بغداد » واعتمد عليه كما سترى فيما بعد . والكتاب مع هذا به حاجة الى دراسة ونقد، فهو واسع متشعب، وهذه الحاجة هي التي دفعتني الى مراجعة أسانيد الطبري ومقابلته بالكتب المطبوعة والمخطوطات التي حصل المجمع العلمي العراقي على صور لها لتكوين دراسة علمية متقنة ناضجة لهذا الكتاب المهم .

وقد لاحظت أن الطبري لا يتقيد بالقيود التي يمسك بها أهل الحديث بالنسبة الى الرواة الضعفاء، فأدخل في تفسيره وفي تاريخه أقوال الكلبي^(١) وابنه هشام والسدي^(٢)، وهم من الضعفاء، ولم يجد في ذلك حرجاً، وفضل سيف بن عمر على الواقدي في « الردة » وفي فصول أخرى من تاريخه، وهو مطعون عليه ومتهم بالزندقة، ولم يكن للطبري نفسه رأى حسن فيه، وبعد تأريخ الطبري وكذلك تفسيره من الكتب الغنية بالاسرائيليات، وقد استمدّها من مصادر عدة ترجع الى منابع يهودية مثل كتب الأخبار ووهب بن منبه، ورجال من يهود العراق، والى مصادر نصرانية، كسنده عن ابن اسحاق عن أبي عتاب وهو رجل من قبيلة تغلب، كان نصرانياً ثم أسلم^(٣)، فأدخل طائفة من القصص النصرانية، وكذلك جماعة آخرون أخذ منهم ابن اسحاق، وغيره .^(٤)

وتاريخ الطبري مجموعة مصادر تاريخية قيمة، وتنف من كتب قديمة، ذهب الدهر باكثر أصولها، نقلت على ما كتبت، ووضعت في المحلات المناسبة، ولذلك أصبح خزانة روايات ونصوص، جمعها المؤلف بعناية وبدقيق، متوخياً في ذلك الحياد التام، والامانة في النقل والاحاطة بالشيء، على قدر الامكان، ومن هنا اكتسب تلك الشهرة الفاتكة بين كتب التاريخ .

(١) الطبري . التفسير ٢٥٢/١ (الطبعة الاولى) بالمطبعة الأميرية ببغداد سنة ١٣٢٣ .

(٢) الطبري . التفسير ١٩٤/١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ومواضع أخرى

« حدثني موسى بن هارون ، قال حدثنا عمرو ، قال حدثنا أسباط بن نصر عن السدي »
« قيل للشعبي ان السدي قد اعطى حظاً من علم القرآن . فقال : قد اعطى حظاً من جهل بالقرآن » . « قال سلم بن عبد الرحمن مر ابراهيم النخعي بالسدي وهو يفسر لهم القرآن فقال أما أنه يفسر تفسير القوم » . « وقال الجوزجاني حدثت عن معتمر عن ليث يعني ابن أبي سليم قال كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي والآخر السدي . »
وسأحدث عن السدي فيما بعد . تهذيب التهذيب ٣١٤/١ ، ١٧٩/٩ .

(٣) المذاهب الاسلامية ٨٨ ، Lidzbarski, of, 13

(٤) « عن محمد بن اسحاق . أخبرنا بعض من أسلم من أهل الكتاب ممن كان

عنده علم بتاريخ العجم . » . التفسير ١٦/١٢ ، المذاهب الاسلامية ٨٩ .

فهو كتاب متميز من كتب المصادر لا بد من رجوع المؤرخ الحديث اليه لتدوين التاريخ العربى وتاريخ الشعوب الاسلامية بطريقة حديثة ، لأنه يقدم له الأصول ، والوثائق التى تجمعت لمؤلفه فى أيامه ، ذهب الدهر بها . ولكنك لا تجد فيه طريقة المؤرخ الناقده ، والرأى الايجابى ، بل تجد فيه ضعف ملكة النقد بوجه عام ، وإدارته التاريخ العام على الافراد والحروب والسياسة فى أيسر صورها ، وتجد قلة عناية بالشؤون العامة للجماعات وتعليل الحوادث والنفاذ الى أسرارها . وهى نقاط ضعف يشاركه فيها أكثر المؤرخين^(١) .

ويجتهد الطبرى فى تدوين كل ما يمكنه تدوينه من الروايات والاقتوال عن الحادث الواحد ، ويرجح بالطبع اقوال شهود العيان على غيرهم لما لشهادتهم من أثر كبير فى تصوير الموقف ، واعطاء صورة دقيقة محسوسة عنه ، كما يقيم وزنا لشهادات المعاصرين للحوادث ولا يباء المعاصرين ، ويستطيع القارىء بعد قراءة هذه الاقتوال وتمحيصها أن يكون فكرة خاصة فيها ، وهى ميزة قلما نجدها فى الكتب التاريخية التى ألفت فى ذلك الوقت عند الأمم الاخرى ، ولو تيسرت لنا النسخ الاصلية لتاريخ الطبرى ، لنسخ التى كتبها أولا ولم يسمح الدهر الى اليوم بإبرازها ، وهى نسخ مطولة عمل منها الكتاب المتداول المعروف^(٢) ، لكان للكتاب شأن أى شأن ، ولعرفنا من خلاله أشياء ربما لم يُسَر نشرها فى النسخة المختصرة المتداولة ، - أقول مختصرة مع أنها مطولة غنية بالنسبة الى الكتب الاخرى - قد تبدل أوجه نظرنا وأحكامنا فى النواحي الغامضة والحساسة من تاريخ الاسلام .

وطريقة استقصاء الموارد ، ووضع متون الكتب التاريخية السابقة والوثائق والشهادات بعضها فوق بعضها ، وتدوينها فى كتاب واحد ، وإن كانت طريقة حسنة محدودة ، أفادت اليوم كثيرا ، غير أنها صرفت الرواة والخباريين عن تحرى أخبار الحوادث الرئيسة والقضايا التى يجب أن تحتل المكانة الاولى الى تتبع المسائل الثانوية واستقصاء الامور الجزئية ، والمسائل النافهة فى الاحيان ، كما جعلتهم يبعدون فى الغالب الاشياء أنفسها بتغيير طفيف ، فى الكلمات أو العبارات ، لا يستوجب كل ذلك الاهتمام . فداخلت الروايات ، واختفت الآراء ، واحتلت الشخصيات الثانوية مكانة الشخصيات

(١) علم التاريخ ترجمة عبد الحميد العبادى وتعليقه ص ٦٩ .

(٢) Annales Quos Scripsit Abu Djafar mohammed Ibn Djarir At-Tabari. by De Goeje. Introductio, Glossarium Et Ebenda. Iugd. 1901, P, XXVII.

الاولى التى كان يجب أن يدور الحديث حولها ، وتشعب الحديث وخرج عن الموضوع الاصلى الى موضوعات لا علاقة لها بالحادث جاءت بها اتفاقات الاستطراد ، ففسى الراوى ونقل الرواية الحادث الاصلى ، تحت تأثير نشوة الحديث ، فخرج الخبر من طابع الاخبار التاريخية الى طابع الاحاديث الادبية : احاديث المجالس التى تشعب ، وقد تمنع فى الاستطراد فتشذ عن الاصل وينسى المحدث السبب الذى دعا الى ذلك الحديث .

تجمعت مادة تأريخ الرسل والانبيااء عند الطبرى من موردين : كتب السير ، وكتب التفسير ولاسيما تفاسير تلامذة ابن عباس والمدارس التى تأثرت برأيه فى التفسير . أما تأريخ الفرس فقد أخذ من الترجمات العربية لكتب الفرس ولاسيما كتب ابن المقفع وكتب ابن الكلبي الذى كان له علم واسع بانباء العجم ، ولم يتبع فى تأريخ الفرس ما ألفناه عنده من ذكر السند والتقيده ، ويدل ذلك بالطبع على أنه نقل هذا التأريخ من الكتب بلا واسطة ، وقد استهل عدة من الفصول بهذه العبارة : (ذكر العلماء بأخبار الامم السالفة من العرب والعجم أن^(١)) ، كما أكثر فيه من عبارة : « فحدث عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال^(٢) » ، أو « وذكر بعضهم ان^(٣) » ، أو « وزعم بعض العجم^(٤) » ، أو « وقال آخرون^(٥) » . « وقال غير هشام^(٦) » ولذلك نرانا مضطرين الى مقابلة هذه الفصول بما جاء فى الكتب الاخرى لتعيين تلك الموارد ، ولعله نقل من كتب أخرى لما ورد عنده من العبارات التى تدل على ذلك ، مثل قوله : « قال وذكر غير هشام أن^(٧) » ، ومعنى هذا أنه نقل قول رجل آخر فدونّه على نحو ما ذكره ، والظاهر أنه أخذ ذلك من مؤلف ولولا ذلك لذكر اسم الرجل ، فمن عادته اهمال اسم المؤلف حين ينقل أقواله من الكتب .

أما تاريخ العرب قبل الاسلام ، فأكثره من أقوال هشام بن الكلبي ، وفى الاخص

(١) الطبرى ٢٩٣/١ ومواضع أخرى .

(٢) الطبرى ٢٩٥/١ ، ٢/٢ ، ٤ ، ٢٧ ، ٣٧ ومواضع عديدة .

(٣) راجع تاريخ الفرس والحيرة .

(٤) وزعم بعض أصحاب الاخبار . الطبرى ٦٢/٢ .

(٥) وقال غيره . الطبرى ٥٦/٢ .

(٦) « فأما ابن حميد فانه حدثنا » الطبرى ٣٧/٢ ، ولم يشر الى سند أو كتاب .

الطبرى ٤/٢ .

(٧) الطبرى ٦/٢ .

القسم العراقى منه حيث يكاد ينفرد بالرواية^(١) . وأما القسم الخاص بتاريخ اليمن ، فقد اترع من سيرة ابن اسحاق ، وقد استفاد ابن اسحاق فى الاكثر من وهب بن منبه ومحمد بن كعب القرظى ، وهومن مسلمةاليهود^(٢) . وأما تاريخالرومفهزىلجدا لا يكاد يكون شيئا بالقياس الى ما ذكره الطبرى من أمر ملوك الفرس .

وتحتل سيرة ابن اسحاق المنزلة الاولى فى القسم الخاص بسيرة الرسول ، ثم تليها الكتب الاخرى التى ألفت فى السير والمغازى ، وبها خلد الطبرى قطعا من أقوال أقدم من اشتغل بهذا الموضوع ، مثل ابان بن الحليفة عثمان بن عفان المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة ، وعروة بن الزبير بن العوام المتوفى بين ٩١ - ١٠١ للهجرة ، وشرحيل بن سعد المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة ، وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ ، وعاصم بن عمر ابن قتادة المتوفى سنة ١٢٠^(٣) هـ ، وابن شهاب الزهرى ، وغيرهم ممن ستحدث عنهم بشئ من التفصيل حين نصل الى المحل المناسب لهم .

أما الردة ، فقد أخذ الطبرى أخبارها من كتاب سيف بن عمر الأسدى حيث فضله على غيره مع وجود آخرين كانوا قد عرفوا باطلاعهم على أخبارها مثل الواقدى صاحب كتاب الردة^(٤) ، والمدائنى وهو صاحب كتاب فى الردة كذلك^(٥) ، وقد اعتمد عليه فى أخبار الفتوح والحوادث التى وقعت فى أيام الخلفاء الراشدين حيث نجد أخباره مقدمة على أخبار من بعدهم فى الطليعة مثل المدائنى وابن الكلبي والواقدى وغيرهم ، مع أنه ضعيف عند أكثر المؤرخين والمحدثين ، ويخفى صوت سيف بن عمر الاسدى بانقضاء حوادث معركة الجمل ، ويرتفع صوت آخر هو صوت أبى مخنف الازدى من معركة صفين فما بعد حيث يكون موضع ثقة الطبرى ، يعاونه المدائنى ، وعوانة ، والواقدى ، وعمر بن شبة ، وابن الكلبي .

(١) الطبرى ٢/ ٢٧ ، ٢٨ ، ٧٢ ، ٨٦ ، ٨٩ ومواضع أخرى .

(٢) الطبرى ٢/ ٣٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٠ محمد بن كعب القرظى الكوفى توفى

سنة ١٠٨ هـ ، وقيل : فى ١١٧ هـ . شذرات الذهب ١/ ١٣٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ٥/ ٥٤ وقيل : سنة ٢٦ أو ٢٧ أو ٢٩ بعد المئة .

ابان بن عثمان بن عفان كان معلّم عبدالله بن أبى بكر الذى يرد اسمه فى تاريخ الطبرى . تهذيب التهذيب ١/ ٩٧ . وقد ورد اسم « أبان » فى مواضع متعددة من تاريخ الطبرى .

(٤) الفهرست ١٤٤

(٥) الفهرست ص ١٤٩

أما تاريخ الدولة العباسية ، فقد استمدّه من موارد كثيرة من كتب ابن أبي خيثمة أحمد بن زهير وهو من المؤرخين المعروفين ، وقد أخذ منه أخبار آخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، ومن كتب المدائني ، وعمر بن راشد ، والهيثم بن عدي ، وآخرين ستحدث عنهم عند دخولنا في صلب الموضوع .

تأريخ ما قبل الاسلام

اللون البارز على هذا القسم الذي يمكن عده أطول قسم كتب عن الفترة التي سبقت الاسلام في كتب التأريخ العام عند المؤرخين العرب ، هو اللون الخيالي القصصي ، ففي تضاعفه مادة واسعة من الأساطير والحكايات التي ترجع الى العهود التاريخية القديمة للإنسان حيث تحتل السذاجة وبساطة التفكير المنزلة الأولى فيها ، وفيها مادة واسعة من الاسرائيليات التي نستطيع البحث عن مصادرها في العهد القديم ، كما أن فيها مادة من الاساطير الشعبية الوثنية ولكنها قليلة بالنسبة الى العناصر الاخرى المسنفحة في هذا القسم .

ولاعجب اذا رأينا لهذا القسم حظاً في تاريخ الطبري ، فقد قسم الطبري تأريخه كما يظهر من عنوانه الى قسمين : تأريخ الرسل وهو القسم الاول والاقدم ، وتأريخ الملوك ويدخل فيه تأريخ الخلفاء ، وهو القسم الثاني . وقد حشر في القسم الاول كل ما استطاع جمعه من أقوال في الرسل والانبياء من غير نقد ، ولا تفكير في الفائدة التي يروجوها من هذه الأقوال للقارئ . وقد سبق أن قلت : انه محدث عالم ، ومن صفات مثل هذا الرجل أنه يحفظ كثيراً ، ويريد أن يقدم للناس ما يريده لنفسه من حفظ وعلم . وقد بدأ الطبري تأريخه بالزمان : ما هو ؟ وما ابتداءه ومنتهاه ؟ ثم تكلم على حدوث الاوقات والأزمان والليل والنهار ، وهل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً ؟ وتحدث عن القديم الاول وهو الله خالق الزمان والمحدث لكل شيء^(١) ، ثم وصل الى ابتداء الخلق والايام التي خلق الله فيها العالم ، ثم استمر فبحث عن خلق آدم ، واهباطه اياه من السماء الى الارض والموضع الذي أهبط آدم وحواء اليه والاحداث التي كانت في أيام آدم واستمر على هذا المتوال حتى دخل في بحث الطوفان وقصص الرسل والانبياء والامم التي عاشت قبل الاسلام .

ولايد من الاشارة الى أن أول من نهج هذا المنهج في تدوين التاريخ هو

المؤرخ « سكس يوليوس افريقانوس » (الافريقى) « عاش فى القرن الثالث « Sextus »
 (١) « Julius Africanus » الذى كتب تاريخا للعالم من الحليقة الى عام ٢٢١ م ، ثم المؤرخ
 « أوسيبوس » « Eusebius » (٢٦٧ - ٣٤٠ م) أسقف قيسارية ومؤسس التاريخ
 الكنسى ، وقد بدأ فى كتابه « Chronica » الذى دون فيه تاريخ العالم بالحليقة وبقصة
 آدم وهبوطه مع حواء من السماء الى الارض ثم استمر الى « نوح » والطوفان ، ثم
 استمر الى ابراهيم ثم « داود » فسقوط القدس ، الى ظهور المسيح . أخذ ما جاء فى
 التوراة فوضعه فى تاريخه . وقد أصبح هذا المنهج الطريقة المحببة الى نفوس المؤرخين ،
 والنموذج الكامل لدى المؤرخ الحبيب الباحث عن تاريخ العالم عند اليهود والنصارى
 والمسلمين ، فأضاف من جاء بعدهم الى الحوليات حتى أوصلوها الى أيامهم ، غير أنهم
 لم يغيروا شيئا فى المنهج العام ، وهو السير على طريقة « التاريخ » « Chronicles »
 فى البدء ثم الحاقه بالحوليات « Annales » (٢) الى أيام المؤرخ ، وهو المنهج الذى سار
 عليه الطبرى فى كتابه « تاريخ الرسل والملوك » وسار عليه قبله وهب بن منبه على
 ما يظهر ثم ابن اسحاق .

وبعد هذا العرض المجمل نعود الى الموارد التى أخذ منها الطبرى ، والواقع أن
 البحث فى موارد الطبرى معناه تدوين تاريخ التأريخ عند العرب الى أيام هذا المؤلف ، والبحث
 عن المؤرخين والنظريات التى طفت على مؤلفاتهم ، وليس هذا بأمر يسير ، بعد أن ذهبت
 أكثر اخبارهم ، وجرت عادة الناس بالاعتصار على أمر الاحداث والاخبار السياسية
 والعسكرية دون الالتفات الى الناحية الثقافية فى التأريخ ، حتى أصبحت النظرية العامة أن
 التأريخ العلمى والثقافى عند العرب لم يبدأ الا فى أيام الدولة العباسية ، وأن الناس قبل
 ذلك كانوا قد انشغلوا بالفتن والحروب ، وتلك نظرية أملتها السياسة المعارضة نكايه
 بالعهد السابق .

يتردد اسم وهب بن منبه (٣) فى مقدمة الاسماء الواردة فى تأريخ الرسل وقصصى
 الانبياء ، ثم يليه كعب الاخبار ، وعبدالله بن سلام ، ومحمد بن كعب القرظى . أما

Bernheim, Einleitung. P, 81 (١)

The Encyclopaedia Britannica 14 edition Vol, 11. Art. (٢)

Eusebius.

(٣) توفى سنة ١١٤ للهجرة . الشذرات ١/١٥٠ ، المعارف ص ١٥٨ ، (القاهرة
 ١٣٠٠ هـ) ، ميزان الاعتدال ٢/٢٧٨ ، التذكرة ١/٨٨ ، ابن سعد ، الطبقات ٥/٣٩٥ ،
 ابن حجر التهذيب ١٥/١٠٦ ، ٢٣٢ ، الياقنى ، مرآة الجنان ١/٨٠ .

وهب بن منبه فقد نسب اليه الاخباريون عدة من الكتب زعموا أنه ألفها أو ترجمها، من ذلك كتاب في القدر، قال عمرو بن دينار انه رآه في دار وهب بن منبه بمدينة صنعاء^(١)، وه كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم^(٢)، وقد وضع على طريقة أيام العرب، لم يتبع وهب بن منبه فيه طريقة الاسناد^(٣). ومن هذا الكتاب وضع أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة كتابه «التيجان في ملوك حمير»^(٤)، بعد أن أضاف الى ما أخذه من كتاب وهب مواد جديدة أخذها من مؤلفات أخرى، مثل مؤلفات محمد بن السائب الكلبي^(٥) وأبي مخنف لوط ابن يحيى المؤرخ المعروف باطلاعه الواسع على أحداث العراق في أيام الاسلام^(٦)، وزيد بن عبد الله بن الطفيل العامري أبي محمد الكوفي المعروف بالبكائي راوية ابن اسحاق صاحب السيرة^(٧) المتوفى سنة ١٨٣ للهجرة الذي نقل عنه ابن هشام سيرة ابن اسحاق وألف من نسخته هذه السيرة المعروفة بسيرة ابن هشام، وهو نفسه عالم اشتغل بالسيرة، وروى عنه جماعة من العلماء، منهم الحسن بن عرفة صاحب محمد بن اسحاق^(٨).

وأهم مرجع اعتمد عليه ابن هشام في الحصول على روايات وهب بن منبه هو أسد ابن موسى الذي أخذ عن أبي ادريس بن سنان صاحب مؤلفات وهب بن منبه والمتحدث عنه^(٩). فالكتاب كما ترى - من تأليف ابن هشام، أخذه من أصل كتاب وهب بن

(١) ارشاد الاديب ٢٣٢/٧.

(٢) الارشاد ٢٣٢/٧ «كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك».

«الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» ابن خلكان، الوفيات: ٢٣٨/٢. Brockelmann, Suppl. Vol, 1. P, 101.

(٣) Ency. of Islam, Vol, 4. P, 1084.

(٤) طبع بمدينة حيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٤٧ هـ، وبذيله كتاب «أخبار عبيد

ابن شربة الجرمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها» Ency. of Islam, Vol, 2, p, 384.

(٥) التيجان ١٣٢، ٢١٢، ٢١٣ ومواضع أخرى.

(٦) التيجان ١٢٥، ١٨٠.

(٧) التيجان ص ٦٦، ٧٥. عن البكائي: لسان الميزان ٨٣٦/٦ سيرة ابن هشام

اخراج محمد محيي الدين عبد الحميد ١٦/١. كتاب الكنى والالقب ٨٢/٢ لعباس بن رضا القمي، مطبعة العرفان بصيدا، سنة ١٣٥٨ هـ.

(٨) لسان الميزان ٨٣٦/٦.

(٩) التيجان: ١٠٨، ١٠٩، ١٧٣ ومواضع أخرى.

منه ، وأضاف اليه أقساما نقلها من أناس آخرين ؛ ويظهر أن الطبري لم ينقل منه ولا من مؤلفات ابن هشام الأخرى مثل السيرة ، ولعله لم يتمكن من الوصول إليها في أثناء إقامته بمصر ، مع أن ابن هشام كان قد توفي بالفسطاط وحصل على شهرة واسعة هناك^(١) .
وقيل ان لوهب كتابا في المغازي سماه بعضهم « مغازي رسول الله » لم يعرف من أمره شيء ، حتى عثر المستشرق « بيكر » « C. H. Becker » في ضمن مجموعة من الاوراق الخطية في مدينة « هايد لبرك » بألمانية يقال لها مجموعة « Sshot-Reinhardt » على أقسام تعرفها ، واذا هي في مغازي الرسول وسيرته ، ظهر منها أنها رواية عن وهب ابن منبه رواية عبد المنعم بن أدريس ابن بنت وهب ، وقد تناولت قسما من الأحداث التي وقعت قبل الهجرة ، وكذلك غزوة ختم^(٢) .

ونسب اليه كتاب آخر قيل له كتاب « المبتدأ » أو « المبدأ » وهو في مبدأ خلق العالم ، كان عند عبد المنعم بن أدريس بن سنان ابن ابنة وهب بن منبه المتوفى سنة ٢٢٨ للهجرة وقد نسب ابن التميمي هذا الكتاب الى عبد المنعم^(٣) . وكان عبد المنعم هذا قاصا مشهورا ، وقيل عنه انه كان يكذب على وهب ، ويضع الحديث على أبيه ، وكان يطلب الكتب من الوراقين ويدعيها ، ويشتري كتب السيرة فيرويها ، ما سمعها عن أبيه^(٤) . وقد ينسبها الى جده ، والذي يظهر على كل حال هو أنه كان ذكيا واليه تعزى كل أخبار وهب بن منبه^(٥) . ونسب الى وهب ترجمة (زبور داود) « كتاب زبور داود ترجمة وهب بن منبه » ، ولعل هذه الترجمة هي الترجمة المعروفة التي يقال لها « كتاب المزامير ترجمة الزبور » وتوجد نسخ منها اليوم قيل عنها : انها ترجمة علماء الاسلام^(٦) . كما نسبت اليه مواعظ قيل انه أخذها من مطالعته للكتب السماوية ولحكمة لقمان^(٧) .

(١) لم يرد اسم ابن هشام في تاريخ الطبري . راجع فهرست الطبري ص ٣٦١ .

(٢) Ency. of Islam, Vol, 4, P, 1085. C. H. Becker, Papyri

Schott Reinhardt. I. 8. Füek Muhammed Ibn Ishâq, P, 4 Lidzbarski. P, 2. Wensinck, P, 700.

(٣) « كتاب المبتدأ والسير » لوهب بن منبه . الفهرست ص ١٣٨ « كتاب المبتدأ » ابن حجر الاصابة : ٨٨٧/١ .

(٤) لسان الميزان ٧٣/٤ .

(٥) عيون الأخبار لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ، ٢٧٢ ، ٦٢/٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ .

(٦) Ency of Islam. Vol 4, P, 1085. 1185 Wensinck, P, 816.

Fihrist Biblioteca Arabo Hispana. Vol IX, P, 294.

(٧) « مواعظ وهب بن منبه » « حكمة وهب » Ency. of Islam Vol, 4, P,

1085 Brockelmann, Suppl, I. P, 101 « حكمة آل داود »

وكان لوهب بن منبه أثر كبير في القصص ، فاليه يرجع رواية قسم كبير من أفايص اليمن التي طبعت بطابعين : الطابع الاسرائيلي ، وهو لاشك من تأثير اليهودية في اليمن وعمل المتهود من العرب الذين بدلوا فيها أيضا تبديلا يناسب المحيط الذي عاشوا فيه . والطابع المحلي الذي يمثل تعصب أهل اليمن لتاريخهم القديم ولل فكرة الاقليمية التي كانوا يدنون بها وتمثلت في نظرية انتسابهم الى جد أعلى لهم هو قحطان . وقد دخل قسم من هذه الاساطير التي رواها وهب بن منبه الكتب العربية ، ومنها كتاب الطبري الذي ذكرنا أنه حصل عليها من سيرة ابن اسحاق ، ومن مشايخه الذين وقفوا على روايات وهب بن منبه ، مثل محمد بن سهل بن عسكر بن عمارة مولى بنى تيم البخاري المتوفى سنة ٢٥١ للهجرة بمدينة بغداد^(١) ، والظاهر أن الطبري قد تعرف به في هذه المدينة في أيام اقامته الاولى ، وهو ممن روى عن جماعة كبيرة من العلماء ، مثل عثمان بن عمر بن فارس^(٢) ، وعبد الرزاق^(٣) ، ويحيى بن حسان^(٤) ، والقاسم بن كثير^(٥) ، وسعيد بن أبي مريم^(٦) ، وعبد الله بن موسى^(٧) ، وغيرهم . ولا أكثر هؤلاء أخبار في تاريخ الطبري وصلت اليه عن طريق مشايخه الذين وردت أسماؤهم في الأسانيد . أما الشيخ الذي نقل عنه محمد ابن سهل روايات وهب بن منبه ، فهو اسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه أبو هشام المتوفى سنة ٢١٠^(٨) للهجرة من هذه الاسرة التي ينتمى اليها وهب بن منبه ، ومن مثلها في رواية أكثر الاخبار التي لها صلة بالاسرائيليات وبالعهد القديم .

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٠٧/٩ ، تاريخ بغداد ٣١٣/٥ .

(٢) عثمان بن عمر بن فارس بن لقيط العبدى ، أصله من بخاري ، من رواة أبي معشر السندی ، روى عنه أبو خيثمة ، مات سنة ٢٠٧ أو ٢٠٨ أو ٢٠٩ للهجرة . تهذيب التهذيب ١٤٢/٧ - ١٤٣ .

(٣) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني ، روى عنه أبو خيثمة ، له كتب ، مات سنة ٢١١ هـ . تهذيب التهذيب ٣١٠/٦ ، « صاحب المصنفات » الشذرات ٢٧/٢ .

(٤) يحيى بن حسان بن حيان التنيسي البكري أبو زكرياء البصري ، توفي بمصر سنة ٢٠٨ هـ ، وقيل : سنة ٢٠٧ هـ ، تهذيب التهذيب ١١/١٩٧ .

(٥) القاسم بن كثير بن النعمان الاسكندراني ، ويقال المصري ، توفي قريبا من سنة عشرين ومائتين . تهذيب التهذيب ٨/٣٣٠ .

(٦) سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المعروف بابن أبي مريم الجمحي أبو محمد المصري من سكنة مصر ، مات سنة ٢٢٤ هـ . تهذيب التهذيب ٤/١٨ .

(٧) عبيد الله بن موسى بن أبي المختار ، واسمه باذام العيسى مولاهم الكوفي ، روى عنه عدد كبير من العلماء ، مات سنة ٢١٣ . تهذيب التهذيب ٧/٥٢ - ٥٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ١/٣١٥ « والصحيفة التي يرويها عن وهب عن جابر ليست بشيء ، انما هو كتاب وقع اليهم ، ولم يسمع عن وهب من جابر شيئا » « صحيفة همام عن أبي هريرة مشهورة » وهمام شقيق وهب بن منبه .

كان اسماعيل بن عبد الكريم لسان هذه الاسرة الناطق ، وقد روى أخبارا عدة في مدح جد هذه الاسرة الذي كون لها شأنا وجعل لها أثرا كبيرا في المدرسة اليمانية ، ولاسيما مدرسة صنعاء التي تلونت بهذا اللون الذي وضعه وهب بن منبه ومتهودة اليمن في هذا القطر ، فزعم استادا الى حديث قال انه حدثه به محمد بن داوود عن أبيه داوود ابن قيس الصنعاني ، أن الرسول قال : يكون في أمتي رجلان أحدهما وهب يهب الله له الحكمة ، والاخر غيلان فتته على هذه الأمة شر من فتنة الشيطان ، وهو أيضا صاحب هذا الخبر المبثوث في الكتب المعزوة الى داوود بن قيس الصنعاني الذي زعم أنه قال : سمعت وهب بن منبه يقول لقد قرأت اثنين وتسعين كتابا كلها أنزلت من السماء ، اثنان وسبعون منها في الكتابس وفي أيدي الناس ، وعشرون لا يعلمها الا قليل ، وجدت في كلها أن من أضاف الى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر^(١) . ولا أدري أكان وهب بن منبه قد قرأ التوراة قراءة صحيحة أم لا ؟ والواقع هو أنه كان ذكيا وأنه كان يدعى معرفة كل شيء حتى اللغات التي لا يعقل أن يكون له بها المام فضلا عن الاحاطة بها .

روى اسماعيل بن عبد الكريم عن رجال من هذه الاسرة ، فروى عن ابن عمه ابراهيم بن عقيل بن معقل بن منبه الصنعاني ، وروى عن عمه عبد الصمد بن معقل ، وروى عن رجال من أهل اليمن كانوا على اتصال بهذه الاسرة مثل عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري من مدينة « ذمار » إحدى مدن اليمن ، وعلى بن الحسين وهو رجل من أهل اليمن كان من خاصة وهب بن منبه^(٢) .

أما ابراهيم بن عقيل^(٣) فهو من هذا النوع الذي تحدث عنه ، روى عن أبيه عقيل ، وروى عقيل عن والده معقل شقيق وهب بن منبه ، وقد مات قبل وهب ، وروى وهب عنه^(٤) . وأما عبد الصمد الذي دخل في رجال سند انطبري ، فهو ابن معقل ، فيكون وهب بن منبه عمه ، وتوفي سنة ٨٣ أو ٩٠ للهجرة^(٥) . وقد روى عن عمه وهب بن منبه وطاووس وعكرمة ، وروى عنه الاخباريون ولاسيما أهل صنعاء ، مثل عبد الوهاب

(١) طبقات ابن سعد ٣٦٦/٥ « قرأت من كتب الله اثني وتسعين كتابا » ، الشذرات ١٥٠/١ « وكان شديد الاعتناء بكتب الاولين وأخبار الأئمة وقصصهم بحيث كان يشبه بكعب الأحماس في زمانه ، وله مصنف في ذكر ملوك حمير ، صغير » . ابن خلكان الوفيات : ٢٣٨/٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ٣١٥/١ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٤٦/١ .

(٤) الطبقات ٣٦٦/٥ .

(٥) تهذيب التهذيب ٣٢٨/٦ .

ابن معقل وأبناء يحيى ويونس ابني عبدالصمد ، وعبدالرزاق ، ومحمد بن خالد ، وعمر ابن عبيد الصنعانيين^(١) .

وتلقى الطبري أخبار وهب من شيخ آخر من شيوخه هو الحسن بن يحيى بن الجعد ابن تشيط العبدى أبو على بن أبى الربيع الجرجاني المتوفى سنة ٢٦٣ أو ٢٨٥ للهجرة وكان نزيل بندا^(٢) ، وهو من جملة رواة عبدالرزاق بن همام بن نافع بن منبه شقيق وهب ، وقد توفى سنة ٢١١ للهجرة ، وكان مولده سنة ١٢٦ هـ ، وهو صاحب كتب ومؤلفات ، منها كتاب السنن فى الفقه ، وكتاب المغازى^(٣) ولعله استند فى تأليفه الى ذلك الكتاب الذى بدأ به وهب بن منبه وأجيز الى عبدالنعم بن ادريس . وقد روى عن معمر بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ للهجرة ، وهو مولى من موالى الازد ترك البصرة ونزل اليمن ، فكان من الطبيعى بالنسبة اليه الاتصال بآل منبه الذين كان لهم شأن فى القصص والأخبار وفى المغازى فى مدينة صنعاء ، وقد تأثر بهم وألف كتابا فى المغازى^(٤) لعله هذا الكتاب الذى تحدثنا عنه أو عمل عليه ورواه عنه عبدالرزاق .

لم يشر ويا للأسف أكثر النقلة الذين نقلوا أقوال وهب بن منبه الى المصادر التى أخذوا منها ؛ لذلك كان من المفيد موازنة هذه الكتب التى اقتبست من أقوال وهب ، مثل كتاب المعارف و« كتاب عيون الاخبار » لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦ للهجرة^(٥) ، وتأريخ يعقوبى أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ٣٢٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢٤ ، شذرات ٢/ ١٤٧ .

(٣) له كتاب فى التفسير وهو شيخ البخارى فى الحديث . كشف الظنون ج ١ ص ٤٥٢ (طبعة استانبول وكالة المعارف) سنة ١٩٤١ .

الفهرست ص ٣١٨ ، « عبدالرزاق بن همام العلامة الحافظ أبو بكر الصنعاني صاحب المصنفات » . الشذرات ٢/ ٢٧ ، تهذيب التهذيب ٦/ ٣١٠ .

(٤) وقيل : سنة ١٥٢ هـ أو ١٥٣ ، ١٥٤ هـ . الشذرات ١/ ٢٣٥ الطبقات ٥/ ٣٩٧ ، وعند ابن النديم أنه من أهل الكوفة . الفهرست ص ١٣٨ ، تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٤٤/ ١٠ فما بعدها .

(٥) اعتمدت على طبعة محمد اسماعيل عبدالله الصاوى ، الطبعة الاولى بالقاهرة سنة ١٩٣٤ . « ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى » عيون الاخبار (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) ١٢/ ٤ .

بابن واضح المتوفى سنة ٢٩٢^(١) بما ورد فى مروج الذهب للمسعودى وفى كتاب «قصص الانبياء» للعلبى المتوفى سنة ٤٢٧ للهجرة^(٢)، وهو كتاب جمعت مادته من الاخبار المنسوبة الى وهب بن منبه وكعب الاحبار وعبدالله بن سلام^(٣)، وفى تاريخ الطبرى للوقوف على الروايات الصحيحة المنسوبة لوهب، والرجوع بها الى مواردها الاولى التى قيل ان وهب بن منبه قد أخذ منها وهى التوراة والتلمود وقصص بنى اسرائيل • وتبين لى من موازناى بين أقوال وهب بن منبه المدونة فى تاريخ الطبرى ونصوص العهد القديم أن وهب بن منبه قد أصاب فى أشياء فقل ما جاء فى التوراة نقلا صحيحا، وأخطأ فى أشياء قد تكون أحيانا من باب البديهيّات بالنسبة الى اليهودى المطلع على أحكام التوراة مثل جدول الانساب • ويلاحظ أن بين مروياته أقوالا لا بد أن تكون صادرة من مصادر نصرانية^(٤)، وأقوالا أخرى هى من الأحاديث التى يغلب عليها الطابع الجاهلى أو الطابع الاسلامى، وقد تجمعت فى أحاديث الانبياء والعباد وأحاديث بنى اسرائيل • التى كان يرويها وينشرها بين الناس بيفداد عبد المنعم بن ادريس بن سنان المتوفى سنة ٢٢٨^(٥) • وكانت تدّعى على أنها من التوراة •

وتجد فى أحاديث وهب بن منبه أحاديث ترجع الى أصل يونانى والى الفلسفة اليونانية النصرانية التى وجدت لها سبيلا الى اليهودية، مثل حديثه عن العناصر والطابع الأربع، وأصله النظرية اليونانية التى قالها الفيلسوف «أنبادقلس» «Empedokles» (حوالى ٤٩٠ - ٤٣٠ قبل المسيح^(٦))، وجمع بها نظرية «طاليس» «Thales»

(١) اعتمدت على طبعة النجف، وهى فى ثلاثة أجزاء •

(٢) «عرائس المجالس فى قصص الانبياء» •

احمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسحق النيسابورى، وهو من مشاهير المفسرين، له كتاب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن»، وقد طبع كتابه «قصص الانبياء» أو «عرائس المجالس فى قصص الانبياء» مرارا فى القاهرة • راجع عنه الارشاد ١٠٤/٢ • ووفيات الاعيان رقم ٣٠، ج ١ ص ٢٦، طبقات السبكي ٢٣/٣، وبغية الوعاة ١٥٤ • Ency. of Islam, Vol. 4, P. 735. Wüstenfeld, Gesch. d. Ara, p. 185 Schwally. Vol. 2, P. 174.

(٣) اعتمدت على الطبعة المصرية •

(٤) الطبرى ١٠٢/١، قارنه بالتكوين اصحاح ١٠ آية ٢١ فما بعد • مولد المسيح وحياته تفسير الطبرى ١٤٧/٣، ١٧٧، و ٤٣/١٦ •

(٥) ابن سعد، الطبقات ج ٧ قسم ٢ ص ٩٧ •

(٦) Heinrich Schmidt, Philosophisches Wörterbuch, P. 148. Kafka, Zur Physik des Empedokles. in "Philologus" 78.1923,

(٦٢٥ - ٥٤٥ ق م) القائل ان أصل العالم من الماء ،^(١) ونظرية « انكسيمينس » « Anaximenes » (٥٨٥ - ٥٢٥ ق م) الذي زعم أن أصل العالم من الهواء ،^(٢) ونظرية « هرقلطس » « Herakleitos » « Heraklit »^(٣) (٥٤٠ - ٤٨٠ ق م) الذي زعم أن أصل العالم من النار ، ونظرية « انكسمندر » « Anaximandr »^(٤) (٦١١ - ٥٤٥ ق م) الذي زعم أن أصل كل شيء هو - ال « Apeiron » أي « اللانهاية » أي « الأزلية » التي لا يمكن تعرفها ولا وصفها ، وهي « العلة الأولى » أي « المسبب الأول » أي « الفاعل الأول »^(٥) ، فأخذ « أبادقلس » العناصر الثلاثة المتقدمة ، وأضاف إليها عنصرا رابعا هو « التراب » ؛ لأنه العنصر المحسوس به الملموس الذي يلائم تلك العناصر ، وقال : من هذه العناصر تكرر كل شيء في العالم ، ومن هذه العناصر الاربعة نشأت نظرية الطبائع الاربعة ، التي زعم أن وهب بن منبه قال انه وجدها مكتوبة في التوراة : « وجدت في التوراة : اني حين خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء ، ثم جعلتها ورائة في ولده تنمى في أجسادهم وينمون عليها الى يوم القيامة ... الخ »^(٦) . وهو قول ان صح عن وهب ، فانه يدل على انه كان قد وقف على « المدراشيم » (المدراش) وعلى التفاسير والشروح المتأثرة بالفلسفة اليونانية . أما قوله انه وجد ذلك في التوراة ، فهو قول لا يستند الى أساس ، وقد يكون ذلك من باب التعميم ؛ اذ جرت العادة عند الاخباريين المسلمين اطلاق « التوراة »^(٧) على العهد القديم

Schmidt, Phil. 657, (١)

Diels, H. Fragmente der Vorsokratiker, 1922. W. Capelle (٢)
Die Vorsokratiker, (KTA) 1935.

Diels, H. Von Ephesos. 1909. Snell, H. Fragmente 1925. (٣)
Weerts, H. Und Herakliteer, 1927.

Schmidt, P, 22. J. Burnet, Early Greek Philosophy, (٤)
3 ed. London, 19١4.

Schmidt, P, 32, P. Tannery, Pour l'histoire, de Science (٥)
hellène. Paris 1887.

(٦) عيون الأخبار ٦٢/٢ .

(٧) التوراة مأخوذة من كلمة « Toràth » وفي الأصل « Toràh » بمعنى « قانون » وهو الوحي الذي أنزله « يهوه » على موسى « Pentateuch » وهو أسفار موسى الخمسة ، ولم يتقيد المسلمون في تخصيص لفظة «توراة» بأسفار موسى الخمسة ، بل

و « التلمود » ^(١) والمدراشيم والتركومين البابلي واليوريشلمى والكتب الأخرى • ولم يكن للناس علم بجمعها ، فسب ذلك بالدهاء لهذا السبب الى التوراة التى كانت معروفة • وأغلب ظنى أنه وضع على وهب ، من أوله الى آخره • ولكننا نجد من ناحية أخرى أنه كان - مثل كعب الاحبار - لا يتورع من اضافة أشياء كثيرة الى التوراة من النبؤات والملاحم ، والقصص الشعبى ، حتى أوصاف الخلفاء والملوك ، وهى ليست من قبيل أحاديث آحاد أو روايات قليلة حتى يمكن أن نجد مخرجا لبرئته ذمته من أمرها ولكنها ترد بكثرة ، وتؤيدها دعواه الطويلة العريضة وزعمه أنه كان يعرف أخبار الماضين = سموا بها أيضا الأسفار الأخرى التلمود بقسميه والتركوم حتى الكتب التاريخية والقصص الشعبى : راجع كلمة « توراة » •

Weusink, Handwor. P, 744, Hastings. P, 532. Ency. Bibl, PP, 2714.

(١) التلمود « Talmud » بمعنى « تعليم » ويقسم التلمود الى قسمين « المشنة » (mishna) وهو الموضوع و « الجمارة » وهو التفسير « التعليم » فالمشنة « التكرار » مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع آيات من الكتاب المقدس ، وهى التقاليد التى قلد العمل بها لموسى حين كان على الجبل ، ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها الى الانبياء • ثم انتقلت عن الانبياء الى اعضاء المجمع المقدس (Pirke Aboth, I. I) • وكان اعضاء المجمع المقدس وخلفاؤهم يقرأون فى المعابد « الكنيس » « Synagogues » التوراة ، ويشرحون الآيات للناس ، ويعلمونهم الاحكام ، ويضيفون الى ذلك القصص الاسرائيلى الشعبى وعادات بنى اسرائيل ، واطلق على ذلك أى على قراءة المتن والشروح واجتهاد المفسرين « Sâpherim » أى « الوصف » وكون ذلك « القانون الشفاهى » • وقد اطلق على التفاسير الاولى والشروح « ميدراش » (midrash) « تدارس » « مذاكرة » وقد تولدت بمرور السنين حتى القرن الثانى للمسيح من هذه الشروح روايات مختلفة ، وذلك مما اضطر الحاخامين الى جمعها وتدوينها وتنسيقها ، فكانت أساسا لما يقال له « المشنة » Hastings. P, 890. • وأما « الجمارة » (الكمارة) (Gamarah) فهو جمهرة المناظرات والتعاليم والتفاسير التى جرت فى (المدراس) أى فى محلات تدريس الكتاب المقدس فى حلقات الدراسة فى « الكنيس » ، بعد انتهاء المشنة •

والتلمود على نوعين : التلمود البابلي وقد كتب فى القرن الخامس ، والتلمود اليوروشلمى أو « تلمود أورشليم » كتبه حاخامو طبرية بين القرن الثالث والخامس • وتتألف « المشنة » من ستة أقسام ، يقال لكل قسم « Sedarim » « آرامية » تعنى الترتيب ، النظام ، ويتألف كل « Seder » من جمهرة فصول ، وكل فصل من فصول أخرى ، أو أقسام ، ويتألف كل قسم من فقرات • وأطلق على الذين كانوا يقومون بشرح « المشنة » وجمعه اسم « المعلمين » أو « Tannaim » وكان ذلك طوال عهد « المشنة » ، فلما انتهى عهد « المشنة » وأعلن الربانيون انتهاء « المشنة » ، قيل للذى كان يشرح كتب المشنة التى جمعة واتخذت شكلها النهائى « أمورثيم » « Amoraim »

بمعنى « المفسر » و « الشارح » • Hastings. P, 891.

وكتب الله المنزلة على الانبياء والمرسلين ، وأنه كان يحسن قراءة الكتابات التي لم يكن يعرفها أحد من الناس . على أن هذا لايعنى أنه كان قد اختلق جميع تلك الاخبار ، فقد كان منها ما هو منتزع من التلمود ، أو من الشروح التي وضعها « الرابانيون » بعد المسيح ، أو من كتب النصارى كما يظهر من وقوفه على كيفية انتشار النصرانية في شبه جزيرة العرب ، ومن حوادث الشهداء النصارى في نجران ، ومن قصص « المسيح » وحوارييه ، وغير ذلك مما يدل على أنه كان متصلا بالنصارى ، وأنه كان يستعين بهم أو بكتبهم في وقوفه على تلك الاخبار . (١)

والظاهر أن وهب بن منبه كان يستعين بالكتب ، وأنه تمكن من الحصول عليها . جاء في الاخبار أن همام بن منبه بن كامل بن شيخ اليماني أبا عقة الصنعاني الأنباوى ، وهو شقيق وهب بن منبه ، كان يشتري الكتب لأخيه (٢) . وقد استفاد حقا كثيرا من هذه الكتب التي اتخذها لنفسه واسطة من وسائل الاعلان والأدعاء ، وقد استطاع بها من حشو كتب المسلمين بتلك المادة السمينة من الاسرائيليات ومن التقرب الى الحلفاء بجمجة أنه من أصحاب العلم الاول ، وأن عنده من العلم بكتب الله وبأخبار الامم الماضية ما لا يوجد عند أحد من الناس . ولكن علينا ألا ننسى كذلك أن قسطا ليس بقليل من هذه الروايات التي نسبت الى وهب كانت من وضع أفراد من بنى وهب استفعلوا شهرته فوضعوا عليه مالم يكن قاله ولا كتبه ، وعلى رأس هؤلاء عبد المنعم بن ادريس راوى كتاب « المبدأ » الذى كان عليه اعتماد الثعلبى في كتابه « قصص الانبياء » .

ونجد في تاريخ الطبرى قطعا من التوراة ترجمت ترجمة متقنة ، عبارات بليغة سلسة ، كما نجد فيه قطعا انتزعت من المزامير ، أو من الأسفار الأخرى ، أو من التلمود ، ومن الأنجيل أحيانا ، غير أننا نجد فيه قصصا زعم أنها من التوراة أو من كتب الله المنزلة على أنبياء اسرائيل ، وهى فى الواقع ضرب من القصص الشعبي الذى كان شائعا عند العرب او القبائل العربية المتهودة او القبائل المنتصرة ، ولا علاقة له بكتب اليهود ويمكننا أن نقول ان ما كان يعنيه أصحاب كتب الرجال والقصاص من كثرة عدد الكتب

(١) « كان ناس من اليهود كتبوا كتابا من عندهم يبيعونه من العرب ويحدثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنا قليلا » .

Nallino, Raccolta Di Scritti Editi E Inediti, Vol 3. Storia Della' Arabia Preislamica. Roma. 1941. P. 120.

(٢) تهذيب التهذيب ١١/٦٧ .

المنزلة التى كان قد قرأها وهب بن منبه وكعب الاحبار انما تعنى فى الواقع أسفار التوراة وكتب التلمود والتفاسير .

أما كعب الاحبار ، وقد أورد الطبرى له أقوالا فى الانبياء والاسرائيليات ، فهو يهودى من أهل اليمن يقال له أبو اسحاق كعب بن مطيع بن هيسوع * أسلم فى أيام أبى بكر أو أيام عمر ، وعرف « بكعب الاحبار » أو « كعب الجبر » من « حابر » « Hábér »^(١) بمعنى العالم عند يهود بابل ، وهى منزلة تلى درجة « Rabbi » « ربانون »^(٢) . ولا نكاد نعرف من أمره شيئا . ولم ينسب له كتاب ، فالظاهر أن ما نسب اليه انما ورد عن طريق الرواية . وقد اورد الطبرى فى تاريخه جملة من الاقوال المنسوبة اليه يظهر أنها أخذت من مصادر قديمة ، وهى لم تدرس حتى الآن دراسة دقيقة ، ولم تقابل بالمصادر اليهودية أو أحاديث الكنائس لبيان مقدار قربها أو بعدها منها . وهو أهم مرجع يعد وهب بن منبه اعتمد عليه فى كتب قصص الانبياء^(٣) .

ومن أكثر الناس حديثا عن كعب . ابن عباس ، وأبو هريرة^(٤) ، غير أن البحوث الحديثة لم تتمكن حتى الآن من وجدان دليل على التقاء ابن عباس وكعب ، ولذلك لانجد مجالا لنا للتصديق بهذه الأحاديث المنسوبة لابن عباس عن كعب^(٥) . أما حديث أبى هريرة عن كعب الاحبار وهو فى الانبياء والاسرائيليات ، فالأمر يحتاج الى دراسة عميقة كذلك ، اذ ثبت أن كثيرا من هذه الاحاديث المنسوبة الى أبى هريرة نفسه هى غير صحيحة ، كما روى أن جماعة من الصحابة أنفسهم لاحظوا عليه كثرة ما يرويه عن الرسول ، فوصل ذلك الى علمه ، فقال : « انكم تقولون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعود ، كنت رجلا مسكينا أخذم رسول الله صلى الله

(١) والجمع « حابریم » (Hàbèrim)

Nallino, Raccolta Di Scritti Editi E Inediti Vol. 3. Storia Della' Arabia Preislamica Roma. 1941 (Pubblicazioni Dell' Istituto Per L' Oriente.)

(٢) دائرة المعارف اليهودية مادة Rabbi

(٣) أسد الغابة ٣١٥/٥ فما بعدها . ابن سعد الطبقات م ٧ قسم ٢ ص ١٥٦
كعب الاحبار بن ماتع الحميرى توفى فى خلافة عثمان . أسلم فى زمن أبى بكر ، وقدم من اليمن فى زمن عمر . تذكره الحفاظ ٤٩/١ توفى سنة ٣٢ هـ أو ٣٤ هـ . تهذيب التهذيب ٤٣٩/٨ .

(٤) الطبرى ١/١٢٦ ومواضع أخرى ، النووى : ص ٥٢٣ .

Schwally: 2, P.165 (٥)

عليه وسلم على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم^(١) ، وأغلب الظن أنها وضعها عليه من ادعى أنه روى عنه ، وبلغت الأحاديث المنسوبة إليه (٣٥٠٠) حديث رواها عنه نحو (٨٠٠) رجل^(٢) ، بينهم عدد كبير من الموالى يمثلون مختلف الأماكن والاجناس . وأقوال كعب الأحبار قليلة عند الطبرى وعند غيره إذا قيست الى أقوال وهب بن منبه^(٣) .

أخذ الطبرى أقوال كعب من أقدم مشايخه الذين درس عليهم فى أيام شبابه ، وهو ابن حميد عالم الرى الذى زود الطبرى سيرة ابن اسحاق ، وأخذ ابن حميد أقوال كعب من شيخه جرير عن الأعمش عن أبى صالح عن كعب^(٤) ، وسوف نتحدث عنهم . ويدخل فى هذه الأقوال المنسوبة الى وهب بن منبه وكعب الأحبار (الملاحم) أو (التبؤات بالغب) . وفى الطبرى نبؤة من كعب الأحبار بمقتل الخليفة عمر بن الخطاب قالها له قبل مقتله بثلاثة أيام ، زعم أنه وجدها فى التوراة رواها للطبرى شيخه (سلمة ابن جنادة)^(٥) . وروى المقرئى أن ابن أبى حذيفة سأل كعب الأحبار ، وكان معه فى سفينة واحدة : (هل هذا السفر مذكور عندكم فى التوراة ؟) ولكن كعبا لم يحر جوابا عن هذا السؤال وإنما قال (انى أجد عندنا فى التوراة أن شابا اشعر يضرب حتى يموت كما يموت الحمار ، وأخاف أن لا يكون أنت^(٦)) . ان هذا التندر اللاذع من ابن

(١) عن أبى هريرة : صحيح مسلم ٢٠٢/٥ ابن الاثير ، أسد الغابة ٣١٥/٥ ابن دريد ، الاشتقاق ص ٧٧٠ . Ency. of Islam. Vol, 1. P, 93-94.

(٢) Sprenger. Das leben und die lehre des Mohammad, Vol, 3. P, Lxxxiii. Goldziher, abh. zur arab. Philologie, 1. P, 49. ZDMG. 1. P, 487. D. S. Margoliouth, mohammad, P, 352. Ency. of Islam, Vol, 1 p, 94.

(٣) Ency. of Islam. Vol, 2. 582 ورد اسم « كعب » فى « ٣٣ » موضعا من تاريخ الطبرى . راجع فهرست الطبرى ص ٤٧٨ ، ورد اسم وهب فى أكثر من « ٥٥ » موضعا . وورد اسم كعب فى عدد من الأماكن من كتاب « عيون الأخبار » راجع الفهرست ص ٢١٤ ، وكذلك فى الكتب الأخرى بالنسبة لوهب .

(٤) الطبرى ٢٢/١ ، ٣١ .

(٥) الطبرى ١٢/٥ . راجع عن كعب : الدولابى ٩٩/١ ،

Weil, Biblische Legenden der muselmmänner P, 10. Sprenger, Das Leben und die Lehre des mohammad, Vol 3. P, cix. note 2 H. Hirschfeld, Art Ka'b el-Ahbâr in Jewish Encyclopedia Vol, 7. P, 400.

(٦) السيادة العربية والشيعية والاسرائيليات تأليف « فان فلوتن » ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن ومحمد زكى ابراهيم سنة ١٩٣٤ ، ص ١١٥ .

أبى حذيفة بكعب الاخبار ، وكذلك سؤال الخليفة عمر بن الخطاب حين أبلغه كعب أنه سيقبل بعد ثلاثة أيام : (وما يدريك ؟) فقال : (أجده فى كتاب الله عز وجل : التوراة !) فأجابه عمر (الله انك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟) فأجاب : (اللهم لا ولكنى أجد صفتك وحليتك وأنه قد فى أجلك) فقال عمر : (وعمر لا يحسن وجعا ولا ألما^(١) !) ، ليدلان على علم كعب بالملكيدة ، وعلى مشاركته فيها ، كما يدلان على المصادر التى كان يستعين بها كعب وأمثاله فى صنع الاخبار ، وعلى نصيب أحاديثهم من الصحة . والواقع أن كعبا ووهبا لم يكونا يتورعان عن الكذب محاولة منهما لاثبات أن لهما علما بكل شيء . ومن أمثلة ذلك ما ذكره المسعودى عن وهب بن منبه ، قال : (لما ابتدأ الوليد ببناء مسجد دمشق ، وجد فى حائط المسجد لوح من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به الى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب فى أيام سليمان بن داود عليهما السلام ، فقرأه فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن آدم ! لو عايت ما بئى من يسير أجلك ، لرهبت لىما بئى من طول أملك ، وقصرت عن رغبتك وحيلتك ، وانما تلقى ندمك اذا زلت بك قدمك ، وأسلمك أهلك ، وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القريب ، ثم صرت تدعى قولا فلا تجيب . فلا أنت الى أهلك عائد ، ولا فى عملك زائد ، فاغتم الحياة قبل الموت ، والقوة قبل الفوت ، وقبل أن يؤخذ منك بالكظم ، ويحال بينك وبين العمل ، وكتب زمن سليمان بن داود « فامر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد فى حائط المسجد : « ربنا الله ، لانهب الا الله ، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التى كانت فيه عبدالله الوليد أمير المؤمنين فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين » ويقول المسعودى : وهذا الكلام مكتوب بالذهب فى مسجد دمشق الى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة^(٢) . ولم أستجز ذكر هذا النموذج لولا أن لوهب نماذج عدة من هذا الطراز وردت فى الكتب ولا سيما كتاب التيجان ، زعم أنها تراجم لألواح وجدت مكتوبة بخطوط لم يستطع أحد قراءتها خلا وهب بن منبه ، وكعب الاخبار .

(١) الطبرى ١٢/٥ ومن قبيل الملاحم ما جاء فى فتح مصر . الطبرى ١٢٧/١ زعم أن عبدالله بن الزبير كان قد قال عن كعب الاخبار : « ما كان فى سلطاني شيء الا قد حدثنى به ، ولقد حدثنى أنه يظهر على البيت قوم » تهذيب التهذيب ٤٤٠/٨ .
(٢) مروج الذهب ٩٧/٣ ، ١٥٢/٢ (طبع المطبعة البهية) ١٣٤٦ بالقاهرة .
« وكانت له معرفة باخبار الاوائل وقيام الدنيا وأحوال الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وسير الملوك » ابن خلكان ، وفیات الاعيان ٢٣٨/٢ .

ولم يذكر الطبرى اسم « كعب الأخبار » فى الفصل الذى عقده لقصة يوسف^(١)، فلم يرو له خبراً، على حين تردد اسمه فى الكتب الأخرى ولا سيما كتب قصص الأنبياء كقصة يوسف^(٢). وقد دخل اسمه فى كثير منها حتى فى قصة « يوسف وزليخا » للفردوسى^(٣). ومن هذه الكتب دخل اسم « كعب الأخبار » فى « قصة يوسف » التى اشتهرت فى الأدب الأسباني^(٤). ويمكن تعليل ذلك بأن ظهور اسم « كعب » فى قصة يوسف إنما كان بعد زمان الطبرى، ولذلك لم يرد فى هذا الباب من التاريخ^(٥).

ولوهب بن منبه وكعب الأخبار أخبار عن العرب العاربة مثل عاد وثمود وردت فى (قصص الأنبياء) للكسائى^(٦). وفى تاريخ الطبرى حديث لوهب بن منبه عن قوم عاد أخذه عن شيخه محمد بن سهل بن عسكر عن اسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد عن وهب بن منبه. وأخذ ما قصه ابن اسحاق عن كيفية انتشار النصرانية فى جنوب بلاد العرب، وهو مما روى عن وهب بن منبه^(٧).

ويجب أن نعرف أيضاً بأن قسماً من الأسماء الواردة فى الروايات المنسوبة لوهب وفى كتاب التيجان، يدل على أنه كان قد نقلها نقلاً صحيحاً على النحو الذى وردت عليه فى التوراة، وأنه كان يذكر أحياناً الشكل الذى كان ينطق به الاسم عند العبرانيين على النحو الذى نقلوه فيه من الترجمات السريانية^(٨)، فذلك مما يشعر منه بأن وهب بن منبه كان يراجع المظان للحصول على هذه المعلومات.

(١) الطبرى القسم الاول ص ٣٧١ - ٤١٣.

(٢) الثعلبى، قصص الأنبياء ص ٦١ (القاهرة ١٣٢٤ هـ). قصص الأنبياء للكسائى (طبعة بون) ص ٣١٥ فما بعدها.

(٣) طبعة « Ethé » - ٧ قسم ١ (اكسفورد ١٩٠٨) ص ٢٥٨.

(٤) F. Guillén Robles, Leyendas de José hijo de Jacob. y de Alejandro magno, Zaragoza. 1888.

(٥) Ency. of Islam, Vol, 2, P, 583

(٦) الطبرى ١١٥/١ هو غير الكسائى العالم النحوى الشهير، راجع عنه :

Ency. Vol, 2, P, 1037. Lidzbarski, Vita Prophetarum auctore muhammad ben Abdallah al-Kisa'i. Bonn. Hottinger. Promptuarium. Heidelberg

Ency. of Islam. Vol. 4, p. 1085. (٧)

Ency. Vol 4, P, 1084 (٨)

ولابد لنا ، وقد أشرنا على انتهاء أمر وهب وكعب ، من التحدث عن شخص آخر كان من أصل يهودى من يهود المدينة ، وهو محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظى المتوفى بين ١١٨ - ١٢٠ للهجرة . من قريظة حلفاء الأوس ، وقد عد من علماء الحديث والقرآن حتى قال بعضهم انه (من أعلم الناس بالتأويل^(١)) . وكان مثل وهب قاصا من القصص يقص فى المسجد . وكان الغالب على أهل القصص الاغراب فى الحكايات والمبالغة فيها اجتلابا لقلوب الناس كما هو معلوم . وقد جر قصصه هذا عليه البلايا ، فانه بينما كان يقص فى المسجد سقط عليه السقف فمات .

وجدت أقوال محمد بن كعب القرظى سيلها الى تاريخ الطبرى عن طريق سيرة ابن اسحاق ، وذلك بالطريق المؤلف الذى سنعرفه فيما بعد فى رواية هذه السيرة بالنسبة للطبرى ، وهو طريق ابن حميد عن سلمة بن الفضل عن ابن اسحاق ، صاحب السيرة الذى أخذ منه بلا واسطة كما أخذ عنه بالواسطة . أما الأخبار المروية عنه ، فهى فى سير الرسل والأنبياء ، وفى انتشار الديانة اليهودية والنصرانية فى اليمن ، وفى الأموريين تخص اليهود فى الحجاز^(٢) . وقد كان من المقربين الى الخليفة عمر بن عبدالعزيز ؛ لأنه كانت له به معرفة سابقة قبل توليه الخلافة . فلما ولى الخلافة ، كان يذهب اليه ، ويتحدث معه فى الزهد وفى القصص الذى يحمل طابع الاسرائيليات^(٣) وفى التفسير الذى اشتهر به .

وإذا كانت المذاهب السياسية الحديثة التى تريد احتكار العقول وتوجيهها على حسب رأيها قد تجد من اول أهدافها تحريم قراءة كتب المذاهب المعارضة فى القرن العشرين ، ولاسيما المذاهب المنسوخة من حيث هى ناسخة لها وأنها خطر على العقول ، فان الاسلام لم يفعل ذلك : لم يحرم قراءة التوراة ، ولا الانجيل ، ولم يمنع المسلمين من سماع القصص التى كان يقصها عليهم أهل الكتاب ؛ ولذلك وجدت قصص الرسل والأنبياء وخلق العالم سيلها الى المسلمين بمطالعة هذه الكتب أنفسهم ، أو بمدرسة أهل الكتاب . وقد حصل الطبرى على قسم من أخباره المدونة فى سير الرسل والأنبياء من مطالعته للتوراة والانجيل كما أخذ ابن قتيبة الدينورى وأحمد بن واضح يعقوبى .

(١) تهذيب التهذيب ٤٢٠/٩ . تجد له عدة روايات عليها الطابع الاسرائيلى . راجع عيون الاخبار ٢٠١/١ ، ٢٦٤ ، ٢ ص ١٤ ، ٣٤٣ ، ٤/٣ .

(٢) الطبرى ١/١٣٨ ، ١٠٤/٢ ورد اسمه فى « ٢٩ » موضعا من تاريخ الطبرى .

(٣) ابن سعد ، الطبقات ٢٧٢/٥ فما بعدها . مجلد ٧ قسم ٢ ص ١٩٣ عيون الاخبار

٣٤٣/٢ . « مقام محمد بن كعب القرظى بن يدى عمر بن عبدالعزيز » ح ٣ ص ٤ .

والمسعودى وغيرهم من التوراة كذلك . ولما كانت التوراة مجموعة أقاصيص وأساطير تاريخية تناولت التكوين والأئمة التي اتصلت باليهود وحوادث الأنبياء والرسل الذين اعترف بهم الاسلام ، كان من الطبيعى أن تصبح مألوقة عند علماء المسلمين أكثر من الانجيل . وقد كان ابن اسحاق يحمل عن اليهود والنصارى ، ويسميهما فى كنه أهل العلم الاول^(١) . وكان يسألهم ايضا سعيد بن جبير . حتى ان الحلفاء لم يجدوا حرجا فى الأخذ من أهل الكتاب ، مثل الخليفة عمر بن عبدالعزيز^(٢) .

ويصعب على المؤرخ الحديث تعيين أول ترجمة للتوراة والانجيل باللغة العربية ، ويظهر من انشعر الجاهلى ومن الأئمة والمصطلحات الدينية التى ترجع الى أصل يهودى أو مسيحى أن القسيسين ودعاة النصرانية « المبشرين » كانوا يعنون بتفسير العهدين ، أو أقسام منها ، لرعاياهم العرب فى الجاهلية ، وهنالك أدلة على أن العهدين كانا مترجمين فى العصر الأموى ، وذكر أن أحمد بن عبدالله بن سلام ترجم التوراة ترجمة صحيحة للخليفة هارون الرشيد ، وأن تلك الترجمة كانت قد حفظت فى خزانة المأمون^(٣) . وقد ذكر المسعودى أسماء جماعة من اليهود والنصارى ترجموا التوراة والانجيل^(٤) . وقد كانت هذه الترجمات من المواد المساعدة ، ولاشك ، على تأليف تأريخ ما قبل الاسلام . وكما كانت التوراة والانجيل المواد المساعدة لبناء هيكل تأريخ الرسل والأنبياء كذلك ساعدت مادة أخرى فى تثبيت المنهج الذى سار عليه المؤرخون فى تدوين هذا التأريخ ، هى كتب التواريخ التى كانت عند النصارى خاصة ، وليس هنالك مجال لتكرار ذلك . فلا يعقل أن يكون الطبرى ومن جاء قبله من المؤرخين قد ابتكروا هذا المنهج الذى يبدأ بالتكوين ، ثم يتمشى مع التوراة ويسير قدما الى ما بعد المسيح مرتباً على النمط الذى سار عليه رجال الكنيسة فى تدوين التاريخ ، لا يعقل ذلك البتة ، ولا يعقل أن يكون قد جاء اليهم من وحى الخاطر والاتفاق . لقد كان للثوائف النصرانية كتب فى تأريخ الرسل والملوك والأئمة ، ذكرها المسعودى بشئ من التفصيل ، ويكاد ذلك التشابه الذى تلمسه

(١) الفهرست ص ١٣٦ .

(٢) الطبرى ١/١٣٨ .

(٣) الفهرست ص ٣٢ . أحمد بن عبدالله بن سلام الانجيل .

Wésinck, P, 745

(٤) التنبيه والاشراف ص ٩٨ . منهم أبو كثير يحيى بن زكريا الكاتب الطبرانى وكانت وفاته فى حدود العشرين والثلاث مئة ، ومنهم سعيد بن يعقوب الفيومى وكان قد قرأ على أبى كثير ، ومنهم داود القومسى وكانت وفاته سنة ٣٣٤ هـ ، وإبراهيم البغدادى .

حتى فى عنوان تاريخ الطبرى يوحى الى أن الطبرى وغيره قد أخذوا اصطلاحهم هذا ، وهو (تاريخ الرسل والانبياء والملوك ، وأحيانا الامم أيضا) من تلك الكتب التى كانت موسومة فى الغالب بهذه العناوين ، وكانت تبدأ على نحو بداية الطبرى بالخليقة ، ثم تسير على هذا النحو حتى تنتهى بسير الملوك فى أيامهم ، متبعة فى ذلك الترتيب الزمنى ، أى نظام الحوليات .

ولهذا الموضوع علاقة بكتاب له أثر واضح فى تكوين الأجزاء الاولى من تاريخ الطبرى ، هذا الكتاب هو سيرة ابن اسحاق الذى ضمنه مؤلفه مادة واسعة من تاريخ الرسل والملوك والاسرائيليات شغلت حيزا كبيرا من هذا التاريخ . وقد فقدت هذه السيرة ، يا أسفاه ! ولكن القسم الأعظم من أشلائها ظل باقيا فى أثناء الكتب ، وتجدها مبثورة فى صفحات تاريخ الطبرى . وقد خلد ابن هشام فى سيرته الجزء الأكبر من هذه السيرة ، ولا سيما السيرة النبوية . فأما ما قبل السيرة النبوية ، فقد استبعد منها تاريخ الانبياء من آدم الى ابراهيم ، واقتصر من بعد ابراهيم على ما له علاقة بالسبب النبوى كما حذف من الاخبار ما يسوء ، ومن الشعر ما لم يثبت ، وأضاف الى السيرة ما فاته ابن اسحاق (١) .

اشتغل الطبرى برواية سيرة ابن اسحاق ، وهو فى أيام شبابه ، وقد أخذها من عالم كبير كان رأس علماء مدينة (الرى) ، هذا العالم هو محمد بن حميد بن حيان التميمي أبو عبدالله الحافظ المروزي ، المتوفى سنة ٢٤٨ للهجرة ، وكان صاحب شهرة واسعة فى علم الحديث والسيرة والمغازي ، أخذ علمه عن جماعة من العلماء ، أمثال : يعقوب بن عبدالله القسي ، وابراهيم بن المختار ، وجريز بن عبد الحميد ، وابن المبارك ، وهارون بن المغيرة ، وسلمة بن الفضل (٢) ، كما روى عنه جماعة من كبار العلماء الذين كانوا يقصدونه من مختلف الانحاء ، ومنهم طائفة من كبار المحدثين والمؤرخين ، أمثال : أبى داود ، والترمذى ، ويحيى بن معين ، وعبدالله بن عبد الصمد بن أبى خدش ، ومحمد بن اسحاق الصاغاني ، وأبى بكر بن أبى الدنيا ، ومحمد بن هارون الرويانى ، والطبرى ، وبقية هذه الطبقة التى مثلت الرصانة والتعمق فى البحث والتدقيق فى الكتابة والتأليف . ولما كانت وفاة محمد بن حميد فى سنة ٢٤٨ للهجرة كما أشرنا اليه أى بعد مغادرة

(١) راجع مقدمة ابن هشام .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢٧/٩ . تذكرة الحفاظ ٦٨/٢ شذرات الذهب ١١٨/٢ ومع شهرته وعلمه روى بالضعف «ضعف مضامين الاحاديث» قال فيه يعقوب بن شيبة : كثير المناكير . وقال البخارى : فيه نظر . وقال النسائي : ليس ثقة .

الطبري لمدينة الري ودخوله بغداد^(١) بسنوات ، وجب ان يكون الطبري قد أخذ اجازته منه بالرواية عنه وعن مشايخه الذين أجازوه قبل دخوله مدينة السلام ، ويعنى هذا أن الطبري كان قد اشتغل بسيرة ابن اسحاق التي أخذها عن هذا العام قبل اشتغاله بتأليفه كتابه في التاريخ بمدة طويلة ، ولعله في بداية عهده بالطلب حيث كان يكثر من الذهاب الى مجلس شيخه لسماح ما كان يتحدث به ولتدوين ما يعليه على الطلاب ، فاذا أتم ذلك دون الطبري أقوال شيخه ، ثم يعود عليه لعرض ما دونه خوفا من السهو والنسيان ، يفعل ذلك حتى في الليل ، وكان في جملة ما يقرؤه (ابن حميد) على الناس سيرة ابن اسحاق اجازة عن سلمة بن الفضل^(٢) .

أما سلمة بن الفضل شيخ محمد بن حميد الذي أجازوه برواية سيرة ابن اسحاق فهو سلمة بن الفضل الأبرش الأنصاري قاضي الري المتوفى بعد سنة ١٩٠ للهجرة ، وكان صديقا لمحمد بن اسحاق ، وقد قيل : ان مؤلف السيرة كان قد كتب نسخة من السيرة في قراطيس ، ثم صير القراطيس لسلمة بن الفضل ، ومن هنا فضلت رواية سلمة للسيرة على غيره لمكان تلك القراطيس ، وكان يقال عنه : انه صاحب مغازي ابن اسحاق وانه روى عنه المبتدأ والمغازي^(٣) ويرى « أدورد سخاو » أن من الجائز أن يكون ابن اسحاق قد سلم هذه النسخة لسلمة بن الفضل في أثناء اقامته في مدينة الري ، وهي هذه النسخة التي اتخذت مرجعا مهما للطبري^(٤) وقد كان لسلمة نفسه كتاب في المغازي قيل عنه : انه ليس في الكتب أتم من هذا الكتاب^(٥) . والظاهر أنه متزعم من هذه السيرة ، أو لعلها السيرة برواية سلمة أجريت عليها التثقيحات ، ففرت باسمه ، كما حدث في سيرة ابن هشام .

(١) لم يعرف تاريخ دخول الطبري مدينة بغداد أول مرة معرفة أكيدة ، غير أن دخوله اياها كان بعد وفاة الامام أحمد بن حنبل بقليل ، وقد توفي أحمد بن حنبل في ١٢ شهر ربيع الأول سنة ٢٤١ للهجرة (٨٥٥ م) . فيكون مجيء الطبري الى بغداد بعد هذا التاريخ بقليل ، وربما كان في هذه السنة . ياقوت : ارشاد الأريب ٤٣١/٦ .

(٢) تهذيب التهذيب ١٢٩/٩ ، ارشاد الأريب ٤٣٠/٦ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٥٣/٤ . « سلمة بن الأبرش قاضي الري وراوي المغازي عن ابن اسحاق ، وقد اختلف في الاحتجاج به ، ولكنه ممن وثقهم ابن اسحاق » .

الشنذرات ٣٢٨/١ .

(٤) طبقات ابن سعد ح ٣ القسم الأول ، مقدمة Eduard Sachau ص ٢٥ ،

« أبو عبدالله سلمة بن الفضل الرازي ، الدولابي ٥٦/٣ .

(٥) تهذيب التهذيب ١٥٣/٤ .

وزعم أبو بكر بن كامل ، وهو ممن أخذ العلم عن الطبري وكتب سيرة شيخه ودافع عنه الطاعين ، أن الطبري كان قد حصل على نسخة من سيرة ابن اسحاق من شيخ آخر من شيوخه كان يقيم في قرية مجاورة للري ، اشتهر بالسير والمغازي ، هو أحمد ابن حماد الدولابي ، وكان الطبري يأتي اليه أيضا للأخذ منه ، وهو صاحب كتاب « المتبدأ والمغازي »^(١) ، وكان قد أخذ السيرة عن سلمة بن الفضل ، فهو مثل محمد بن حميد من تلاميذ سلمة صاحب النسخة الأصلية لسيرة ابن اسحاق ، غير أن أسانيد الطبري لا تؤيد هذا الرأي ، ولم نجد في تاريخ الطبري ما يشير الى ان الطبري كان قد بنى تاريخه على هذه النسخة . والدولابي هو من أهل « دولاب » ، وهي قرية من أعمال الري ، وكان له ولد اشتهر بالحديث والاخبار والتواريخ ، وطاف كأهل هذا الشأن في أماكن مختلفة طلبا للعلم ، وهو أبو بشر محمد بن أحمد المتوفى في سنة ٣١٠ للهجرة ، وله مؤلفات في التاريخ والموايد والوفيات ، طبع منها « كتاب الكنى والأسماء »^(٢) .

لم يقتصر الطبري مع ذلك على النسخة التي كانت عند « محمد بن حميد » ، بل أشار في تضعيف كتابه الى أنه أخذ من مشايخ آخرين مثل هناد بن السرى بن مصعب التميمي الكوفي المتوفى سنة ٢٤٣ للهجرة ، المعروف براهب الكوفة ، لشدة زهده وورعه . وكان هناد من المشتغلين بالسيرة ، أخذ اجازته بروايتها من محدث ومؤرخ من أهل الكوفة هو يونس بن بكير بن واصل أبو بكر الشيباني الجمال المتوفى سنة ١٩٩ للهجرة ، وقد عرف بصاحب المغازي^(٣) ، و كان من الراوين عن الأعشى وهشام بن عروة وأمثالهما من مشاهير أهل الحديث . وقد أجاز لجماعة برواية المغازي عنه مثل أبي كريب من علماء الكوفة المعروفين ، وأخذ منه الطبري ، وذكر اسمه في مواضع كثيرة من تاريخه ، ومثل

(١) أرشاد الأريب ٤٣٠/٦ ،

(٢) ولد سنة ٢٢٤ للهجرة ، فهو في سنن الطبري . وكتابه هذا طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد دكن بالهند سنة ١٣٢٢ هـ . راجع عنه تذكرة الحفاظ ٢٩١/٢ فما بعد . وه الكنى واللقاب ، لعباس بن محمد رضا القمي . مطبعة العرفان صيدا ٣٥٨ هـ . ج ٢ ص ٢١١ - لم يذكره الطبري في تاريخه غير مرة واحدة ، راجع الدورة الأولى ص ١٨٠٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٢٩٩/١ . طبقات ابن سعد ، مقدمة « سخاو » ج ٣ قسم ١ ص ٢٥ ، الشذرات ١٠٤/٢ ، ورد اسمه في أكثر من « ١٠ » مواضع من تاريخ الطبري . فهرست الطبري ص ٦١٦ .

أحمد بن عبد الجبار الطاردي أبي عمرو الذي أجاز لغيره برواية سيرة ابن اسحاق الى أن وصلت الى ابن الأثير ، فاعتقد عليها في كتابه^(١) « أسد الغابة في معرفة الصحابة »^(٢) ، واستفاد الطبرى من نسخة أخرى من نسخ سيرة ابن اسحاق كانت عند علم من أعلام السيرة والمغازي هو « سعيد بن يحيى بن سعيد بن العاص الأموى » وهو ، وإن كان أمويا ، يمثل مدرسة الكوفة في الرواية ، وكان يقيم فيها وفي بغداد^(٣) وقد حدث عن أبيه المتوفى سنة ١٩٤ للهجرة عن ابن اسحاق وعن عمه محمد بن سعيد ، وقد أخذ عن ابن اسحاق^(٤) ، وكان يحيى بن سعيد الأموى من خصة ابن اسحاق ، وهو الذى روى عنه كتاب الخلفاء^(٥) .

فهذه نسخة أخرى من سيرة ابن اسحاق حصل عليها من رواية أهل الكوفة ومن رجل عرف باتصاله بالمؤلف . وروايته كتبه عنه من هذه المدينة التى سبقت سائر المدن العربية حتى مدينة الرسول فى تدوين التاريخ الإسلامى وروايته ، وسبقت المدينة بعدئذ فى تنظيم كتب السير والمغازي ورواية الأحداث الإسلامية ، وإن كنت قد أخذت هذا الدرس من عاصمة الإسلام الأولى . وقد نجح ابن اسحاق فى نشر مؤلفه بين رواة الكوفة الارستقراطيين الذين طبعوا التاريخ بطابع أهل الكوفة الخاص ، فلم تقتصر رواية السيرة على يحيى بن سعيد الأموى وحده ، بل ظهر عدد من الرواة وروايسيرة ابن اسحاق ، منهم هارون بن ادريس الأصم^(٦) من رؤوس رواة أهل الكوفة ، وقد نقل علمه بمغازي ابن اسحاق من شيخه عبدالرحمن بن محمد بن زياد أبى محمد الكوفى المحاربى المتوفى سنة ١٩٥ للهجرة^(٧) ، وهو من رواة ابن اسحاق . وقد روى عنه جماعة ،

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ١١/١ طبع جمعية المعارف .

(٢) أحمد بن عبد الجبار بن محمد بن عمر بن عطار بن حاجب بن زرارة التميمي الطاردي الكوفى ، توفى سنة ٢٧٢ للهجرة . تهذيب التهذيب ٥٢/١ ، ولم ينقل الطبرى من نسخته شيئا . راجع فهرست الطبرى ص ١٦ ترتيب De Goeje المطبوع سنة ١٩٠١ . الشذرات ١٦٢/٢ .

(٣) ارشاد الأريب ٤٠٠/٦ .

(٤) الطبرى ١٢٦/١ ، ١٢٦/٢ ، ومواضع أخرى . تجد ترجمته فى تاريخ بغداد ١٢٢/١٤ ، « يحيى بن سعيد بن أبان الأموى الكوفى حمل المغازي عن ابن اسحاق واعتنى بها وزاد فيها أشياء » الشذرات ٣٤١/١ .

(٥) الارشاد ٤٠١/٦ ، تذكرة الحفاظ ٢٩٨/١ ، « كتاب الكنى والاسماء » للدولابى ١٠٢/١ .

(٦) ورد اسمه فى موضعين من تاريخ الطبرى . الدورة الأولى ص ٥٧٣ ، ٩٧٠ .

(٧) عبدالرحمن بن محمد المحاربى . الشذرات ٣٤٣/١ ، تذكرة الحفاظ

٢٨٧/١ . ورد اسمه فى خمس مواضع من تاريخ الطبرى ، راجع الدورة الأولى ص ،

١١٥ ، ١٩٧ ، ٣٨٦ ، ٥٧٣ ، ٩٧٠ .

منهم هناد بن السرى الذى سبق ذكره ، وكانت لديه نسخة من سيرة ابن اسحاق ^(١) .
ومنهم أبو كريب شيخ الطبرى الذى يرد ذكره مرارا فى سند الطبرى كما ستحدث عنه .
وعرفت سيرة ابن اسحاق فى مدينة البصرة كذلك ، هذه المدينة التى نافست الكوفة فى
التحوى واللغة والقصص والأخبار ، وكان فيها جماعة كانت لهم صلات بالصنعانيين الذين
أكثرُوا من رواية الاسرائيليات ، ولكنها لم تستطع الفوايق على الكوفة فى الاخبار
والتاريخ . وقد روى هذه السيرة جماعة منهم ، مثل ابن المثنى الذى ورد اسمه مرارا فى
تاريخ الطبرى ، وهو محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزى أبو موسى البصرى
الحافظ المتوفى سنة ٢٥٢ للهجرة ^(٢) . أخذ الطبرى عنه فى أثناء زيارته للبصرة . وأخذ
ابن المثنى السيرة عن وهب بن جرير بن حازم أبى العباس البصرى الحافظ المتوفى سنة
٢٠٦ للهجرة ^(٣) من شيوخ البصرة المعروفين ، وحدث عن أبيه عن ابن اسحاق وعن
جويريه وآخرين من هذا الطراز ، وتجد له أخبارا فى كتاب « أنساب الأشراف » ^(٤) .
ترى منها أن الرجل كان من المؤرخين المشهورين .

أما ابن سعد صاحب الطبقات ، فقد استعان - كما يظهر من
« الطبقات الكبرى » - بنسخة من سيرة ابن اسحاق رواية ابراهيم بن سعد بن ابراهيم
ابن عوف الزهرى المتوفى بين ١٨٢ - ١٨٥ للهجرة ^(٥) بمدينة بغداد . وكان من أهل
المدينة ، ومن أصحاب ابن اسحاق ، روى عنه شيئا كثيرا من الحديث فى الأحكام ،
وروى عنه المغازى ، ويقال : انه المدنى الوحيد الذى روى سيرة ابن اسحاق ^(٦) ، وبنسخة

-
- (١) لسان الميزان ٨٤٨/٦ ، تهذيب التهذيب ٢٦٥/٦ تذكرة الحفاظ ٢٨٧/١
الشذرات ٣٤٣/١ .
(٢) تهذيب التهذيب ٤٢٥/٩ ، تذكرة الحفاظ ٨٦/٢ ، الشذرات ١٢٦/٢ ،
ورد اسمه فى أكثر من ٤٠ موضعا فى تاريخ الطبرى ، راجع فهرست الطبرى ص ٥٢٨ .
(٣) تهذيب التهذيب ١٦١/١١ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٧/١ ، الشذرات ١٦/٢ وقد
روى عن ابن المثنى ابو بشر محمد بن أحمد الدولاى راجع ٥٦/١ ومواقع أخرى .
(٤) « أنساب الأشراف » لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، الجزء الخامس ،
القدس سنة ١٩٣٦ ، صفحة : ٥٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ومواقع عديدة أخرى .
(٥) تذكرة الحفاظ ٢٣٢/١ ، الشذرات ٣٠٥/١ ، الدولاى ٩٩/١ .
(٦) روى عنه « كتاب السيرة والمبتدأ والمغازى » الارشاد ٤٠١/٦ ، الفهرست ص
١٣٦ ، طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٥ مقدمة ٠ و ج ٣ قسم ٢ ص ٥١ ، تهذيب
التهذيب ١٢١/١ ، و ابراهيم بن سعد من أكثر أهل المدينة حديثا فى زمانه ، ولى بيت
المال ببغداد ، وأكرمه الرشيد .

أخرى هي نسخة هارون بن أبي عيسى الشامي كاتب ابن اسحاق ، وأحد الرواة عنه ، وكان موثقاً به في الرواية عن شيخه ابن اسحاق^(١) ، ونسخة ثالثة كانت عند محمد بن عبدالله بن نصير الهمداني أبي عبدالرحمن الكوفي النخيلي من رؤساء أهل الحديث في الكوفة ، ومن الأشخاص القليلين الذين رضى عنهم أهل الحديث ، وقد توفي بمدينة حران ، وأرى أن نسخة النخيلي هذه إنما نقلت من نسخة إبراهيم بن سعد ، إذ يستبعد أخذ النخيلي المتوفى سنة ٢٣٤ من ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥٠ ، أو بعد ذلك بقليل ، وإن صرح ابن السديم في كتابه أن النخيلي قد روى كتاب السيرة والمغازي عن ابن اسحاق^(٢) .

والتعارف عند الرواة أن ابن اسحاق ، إنما ألف السيرة اجابة لطلب الخليفة أبي جعفر المنصور ، وذلك على أثر زيارته له بالحيرة ، فهم يقولون أن الخليفة كان بين يديه ابنه المهدي حين دخل عليه ابن اسحاق ، فلما بصر به قال له : أعرف هذا يا ابن اسحاق ؟ قال نعم ، هذا ابن أمير المؤمنين . فقال الخليفة : اذهب فصنف له كتاباً منذ خلق الله تعالى آدم الى يومك هذا . فذهب فصنف له السيرة فلما عاد ابن اسحاق بها ، قال له : لقد طولت يا ابن اسحاق ، اذهب فاختصره ، فذهب فاختصره ، فهو هذا الكتاب المختصر ، وألقى الكتاب في خزانة أمير المؤمنين^(٣) . وفي رواية أخرى أن ابن اسحاق صنف هذا الكتاب في القرايطيس ، ثم صير القرايطيس لسلمة بن الفضل ، فمن ثم فضلت رواية سلمة ابن الفضل على رواية غيره لحال تلك القرايطيس^(٤) .

والواقع أن ابن اسحاق كان قد أتم تصنيف السيرة ، وهو في المدينة ، وقبل اضطراذه الى الهجرة منها في عام ١٣٢ هـ . وقد وضعها على طريقة أهل المدينة في رواية السيرة ، وأخذها من رواية أهل المدينة^(٥) ، وحملها معه ، وأجاز روايتها للعلماء الذين اتصلوا به في أثناء سفره الى العراق . فلما قدم العراق ، أهدى نسخة منها الى الخليفة^(٦) ، ثم ذهب الى الري وهناك اتصل بالمهدي

(١) الطبقات ٣ قسم ١ ص ٢٥ ، و ٣ قسم ٢ ص ٥١ ، تهذيب التهذيب ١١/١٠ روى عنه ابنه عبدالله بن هارون ، ومعلى بن أسد العمي . قال البخاري : يخطئ في غير حديث ابن اسحاق .

(٢) الفهرست ص ١٣٦ ، شذرات الذهب ٢/٨٠ تذكرة الحفاظ ٢/٢٤ ،

Sprenger, ZDMG xiv 288

(٣) تاريخ بغداد ١/٢٢١ .

(٤) تاريخ بغداد ١/٢٢١ .

(٥) Brockelmann, Suppl. Vol, I. P 205

Fück, Muhammed Ibn Ishâq. Frankfurt A.M. 19٤5 (٦)

وأجاز جماعة من أهل الرى برواية السيرة ، ولعله قدم نسخة أخرى منها الى سلمة بن الفضل قاضى الرى ، ثم عاد بعد ذلك الى بغداد حيث توفى بها عام ١٥٠ أو ١٥١ أو بعد ذلك بقليل (١) .

تألفت سيرة ابن سحاق من أقسام ثلاثة : من المبتدأ وقصص الأنبياء ، أو المبدأ ، وهو تاريخ ما قبل الاسلام ، أو عبارة أصبح تاريخ العالم منذ الخليفة الى مولد الرسول . وهو يكون القسم الأول أى المقدمة بالنسبة للسيرة . وأما القسم الثانى فهو السيرة والمغازى (٢) ، ثم يليها القسم الثالث . وقد دعى بكتاب الخلفاء (٣) . ويفصل فريق بين السيرة والمغازى ، ويفرقون بين الاثنين فيدخلون فى المغازى ما ليس من مغازى الرسول ويتوسعون فيها . وقد اقتصد ابن هشام فى القسم الاول . وأما الطبرى ، فلم يقتصد فى النقل منه . وقد نقل عن المبدأ أبو الوليد أحمد بن محمد الوليد بن الأزرقي صاحب « كتاب أخبار مكة المشرفة » رواية سبطه ابى الوليد محمد بن عبدالله الأزرقي ، والمطهر بن طاهر البلخي (٤) .

والظاهر أن حظ القسم الثالث وهو « كتاب الخلفاء » كان عاثراً ، فام ينل من المؤرخين عناية تستحق الذكر ، ولم يكتسب الشهرة التى نالتها السيرة . وقد اقتبس منه الطبرى فى تأريخ الخلفاء الراشدين وخلافة معاوية وصدر الدولة الأموية (٥) . أخذ ذلك عن شيخه محمد بن حميد ، وشيخه عمر بن شبة عن زهير عن وهيب عن أبيه

(١) ابن سعد ، الطبقات ٢/٧ . ابن قتيبة ، المعارف ص ٢٤٧ . الفهرست ص ١٣٦ الارشاد ٣٩٩/٥ ، ابن خلكان ، الوفيات ٦٢٣ . الذهبى ميزان الاعتدال ٢١/٣ . ابن حجر ، التهذيب ٢٤٧/٩ « ومن كتب ابن اسحاق أخذ عبدالمكك بن هشام ، وكل من تكلم فى السير فعليه اعتماده » الشذرات ١/٢٣٠ .

(٢) « المبتدأ » الفهرست ص ٩٢ . « مبدأ الخلق » ابن هشام ، طبعة « وستنفلد » ٨/٢ . المبدأ وقصص الأنبياء « السيرة الحلبية ٢/٢٣٥ . « كتاب المغازى » . Eney.Vol,2. P,390.

(٣) « كتاب الخلفاء » : ظن المستشرق Karabacek « أنه قد تمكن من الاهتداء الى أوراق منه فى مجموعة Rainer » يمكن أن تكون نسخة أصلية لسيرة ابن اسحاق .

Führes durch die Sammlung no: 665.Horovitz, in mitt, des Sem für Orient. Sprachen. X.westas. Stud.P, 14. Eney Vol, 2, P,390

(٤) « أخبار مكة المشرفة » « تاريخ مكة المشرفة » . Brockelmann, Suppl. Vol,1. P,209,Wüstenfeld Chroniken der Stadt Mekka. Eney. Vol, 1,P, 542

(٥) الطبرى ، تاريخ معاوية فما بعد .

عن ابن اسحاق^(١) ، وعن عمر بن شبة أيضا عن علي بن مجاهد بن رافع الكلابي أبي مجاهد المتوفى بعد سنة ١٨٠ للهجرة ، وهو صاحب كتاب في المغازي وأحد رواة المغازي عن ابن اسحاق وأبي معشر السدي ، وكان له كتاب في أخبار الأمويين^(٢) . وقد ورد اسمه في مواضع كثيرة من تاريخ الطبري^(٣) . وستحدث عنه في الموضوع المناسب ، عند البحث في تاريخ الأمويين . كما ورد اسمه في مواضع متعددة من كتاب « أنساب الأشراف » للبلاذري حيث ذكر له جملة أخبار في تاريخ بني أمية^(٤) لعلها انتزعت من كتاب في تاريخهم .

وقد استخدم ابن اسحاق في سيرته مقدارا وافرا من الشعر ، ويمكن الحصول على فكرة تقريبية عن كمية الشعر من النظر في ابن هشام ، فإنه نبذ قسما كبيرا من الشعر الذي استعمله ابن اسحاق ، وبلغت كمية ما تبقى منه مع كل ذلك نحو خمس مادة الكتاب . واتهم ابن اسحاق بأنه لم يكن يميز بين الصحيح والفساد من الشعر ، وأنه كان يعمل له الأشعار ويؤتي بها ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة فيقول . فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر^(٥) . ولهذا السبب ترك ابن هشام جزءا وافرا من الشعر الوارد في سيرة ابن اسحاق لم ير أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفه ، أو لأن شيخه البكائي الذي أخذ هو نفسه السيرة عن ابن اسحاق لم يقره^(٦) .

وقد طعن على ابن اسحاق من هذه الناحية ، والواقع هو أنه لم يكن أول من أدخل الشعر المنحول في كُتبه ، أو أنه الوحيد الذي لم يكن يميز بين الصحيح والفساد من الشعر ، وتكاد تضرب كتب الأخبار والأنساب التي تعرضت لما قبل الإسلام الرقم القياسي في إيراد الشعر المخلوق ، ثم إن من طبيعة المحدث الذي يعتمد على الرواية وقيم وزنا لصدق الراوي في نظره ، التصديق بكل رواية ، ومن هنا تبين نقطة الضعف عند الرواة !

كانت الرواية هي الغالبة على أهل المدينة ، ولذلك كانوا يتمسكون بالسند ، ولا يرتضون الرأي ، فكانوا في ذلك على نقيض أهل العراق ، ولا سيما أهل الكوفة الذين استعملوا الرأي والقياس . كانت أسانيد أهل

(١) تهذيب التهذيب ٣٧٧/٧ . تاريخ بغداد ١٠٦/١٢ الطبري ١٦٦/٦ .

(٢) كشف الظنون ٢٨٩/١ .

(٣) فهرست الطبري ٣٩٩ .

(٤) أنساب الأشراف ، القسم الثاني من الجزء الرابع ص ٦ ، ١٤١ ، ١٤٧ .

ص ٢٦٣ .

(٥) الفهرست ص ١٣٦ .

(٦) ابن هشام ٤/١ .

المدينة مبنية قوية محكمة فى الغالب ، مرتبطة متسلسلة الا أنها لاتستطيع أن تقف تجاه الرأى ولا تستطيع أن تثبت بازاء نقد النقاد . ولهذا السبب أيضا كانت السيرة عند أهل المدينة مشرقة متصلة الأسانيد ، ولكنها لم تكن مبنية البناء على نحو كتب السيرة التى وضعت فى الكوفة بعد انتقال علم السيرة من الحجاز الى العراق ، فمحمد بن اسحاق يمثل فى الواقع طبيعة أهل المدينة ، ولعله لم يكن متمعدا ادخال هذا الشعر المنحول فى السيرة ، وانما كان الرواة الذين تحدثوا اليه مسؤولين عنه .

وظعن علماء الحديث على ابن اسحاق ؛ لأنه خالف قواعد الاسناد ، وتساهل فى الرواية ، ومثل هذا لايجوز فى مصطلح أهل الحديث ، فجاءت أسانيد فى نظرهم بهذا التساهل مفككة غير مرتبطة كقوله « حدثنى من لا أنهمه ^(١) » أو قوله « حدثنى بعض أهل العلم ^(٢) » ، أو قوله « حدثت ان .. ^(٣) » ، أو قوله « يقال ... ^(٤) » ، أو « حدثنا ... » وغيره من أهل العلم أن .. ^(٥) » ، وغير ذلك من الأمثلة التى ترد فى سيرة ابن هشام وفى تاريخ الطبرى نقلا من سيرة ابن اسحاق . وإذا جاز أن يكون هذا من مواطن النقد ، فانه ينطبق على الطبرى وعلى كثير من أمثاله ممن اتبع السند ولم يتقيد بشروط الرواية .

وظعن عليه ؛ لأنه كان يحمل عن اليهود والنصارى ، ويعتمد عليهم ، ويسميه أهل العلم الأول ، وفى سيرته شواهد كثيرة تؤيد هذا الرأى . وقد أخذ غيره عن أهل الكتاب ، الا أنه لم يكثر ، ولم يغرب فى الرواية عنهم ، ولذلك لم يطعن عليهم .

وتدل القطع المنتزعة من كتابه على أنه من المبالغين فى الاعتماد على النقل ، ولهذا السبب صدق بما كان يحدثه به أهل الكتاب على أنه من العلم الأول ، وأنه وارد عندهم فى كتب الله . وما قيل فيه قيل فى اضراجه الذين اغربوا فى التصديق بالاسرائيليات . أخذ ابن اسحاق عن جماعة من المشايخ بلغ عددهم « ١١٤ » شيخا ، وليس هذا العدد بشىء كبير بالنسبة للأولف ذلك الزمان الذى كان فيه العلم شعبيا مشاعا ؛ فقد كان من عادة رجال العلم الاكباب على الدراسة حتى الموت ، والاغتراب عن الوطن فى سبيل الأخذ عن العلماء ، لاتقطع أيام التلمذة مهما بلغ الانسان من العلم ، ففوق كل ذى

(١) الطبرى ١/٩٢ . (٢) الطبرى ١/٧٠ . (٣) الطبرى ١/٥٥ .

(٤) الطبرى ١/٤٧ . (٥) الطبرى ١/١٣٠ .

ابن اسحاق أبوه اسحاق بن يسار الذي ورد اسمه « ١٥ » مرة ^(١) ، وعبدالله بن أبي بكر المتوفى سنة ١٣٦ للهجرة الذي تردد اسمه « ٤٠ » مرة ^(٢) ، ويحيى بن عباد بن عبدالله ابن الزبير الذي جاء اسمه « ١٤ » مرة ^(٣) ، ومحمد بن جعفر بن الزبير ^(٤) ، ونافع مولى ابن عمر ^(٥) ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ^(٦) ، ومحمد بن ابراهيم التيمي ^(٧) ، وعبدالله بن أبي نجیح ^(٨) ، وهشام بن عروة ^(٩) ، ويزيد بن أبي حبيب المصري ^(١٠) ،

(١) وقد ورد اسمه في « ٧ » مواضع من تأريخ الطبري راجع فهرست الطبري ص ٣٢ . روى عن الحسن بن علي وعروة بن الزبير ، وروى عنه ابنه . تهذيب التهذيب ٢٥٧/١ .

(٢) راجع فهرست الطبري ص ٣٩٧ .

(٣) يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام . تهذيب التهذيب ٢٣٤/١١ . ورد اسمه في « ١٧ » موضعا من تأريخ الطبري . راجع فهرست الطبري ص ٦٣٦ .

(٤) ورد اسمه في « ١٦ » موضعا من تأريخ الطبري . فهرست الطبري ص ٥٠٨ . محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام المتوفى بين ١١٠ - ١٢٠ للهجرة كان من فقهاء المدينة . تهذيب التهذيب ٩٣/٩ .

(٥) ورد اسمه في « ٢٤ » موضعا من تأريخ الطبري . فهرست الطبري ص ٥٨٧ ، نافع الفقيه مولى ابن عمر أبو عبدالله المدني ، توفي سنة ١١٧ أو ١١٩ أو ١٢٠ هـ . تهذيب التهذيب ١٠ / ٤١٤ الشذرات ١ / ١٥٤ بعثه عمر بن عبدالعزيز الى أهل مصر يعلمهم السنن .

(٦) ورد اسمه في « ٤ » مواضع من تأريخ الطبري راجع فهرست الطبري ص ٣٤٤ . توفي بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومئة . الشذرات ١ / ١٥٣ وقيل توفي سنة « ١١٠ » ، قال ذلك الواقدي ، وهو وهم ، والاول أصح . وكان عالما بالانساب والعربية . تهذيب التهذيب ٦ / ٢٩١ ، « كاتب المصاحف » تذكرة الحفاظ ١ / ٩١ . (٧) محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي ، توفي سنة ١٢٠ هـ ، روى عنه يحيى ابن سعيد الأنصاري ، وهشام بن عروة ، والأوزاعي ، ومحمد بن اسحاق . تذكرة الحفاظ ١ / ١١٧ ، الشذرات ١ / ١٥٧ .

(٨) مولى الاخنس بن شريق . توفي سنة ١٣١ هـ . من المفسرين والمحدثين ، قيل كان يرى القدر . تهذيب التهذيب ٦ / ٥٤ وهو صاحب مجاهد . الشذرات ١ / ١٨٢ (٩) ورد اسمه في « ٣٧ » موضعا من تأريخ الطبري . هو هشام بن عروة بن الزبير ، توفي سنة ١٤٦ أو ١٤٧ . تهذيب التهذيب ١١ / ٥٠ - ٥١ . تحدث عنه في موضع آخر .

(١٠) ورد اسمه في « ١٢ » موضعا من تأريخ الطبري . راجع فهرست الطبري ص ٦٤٠ . يزيد بن أبي حبيب ، واسمه سويد الأزدي مولاهم أبو رجا المصري ، كان مفتي أهل مصر في زمانه ، وكان أول من أظهر العلم بمصر ، توفي سنة ١٢٨ هـ . تهذيب التهذيب ١١ / ٣١٩ ، الشذرات ١ / ١٧٥ .

وسعيد المقرئ^(١) ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وشعبة بن الحجاج ، وروح بن القاسم وغيرهم^(٢) ممن وردت أسماؤهم فى تاريخ الطبرى ، وستحدث عنهم فيما بعد بشئ من التفصيل .

وإذا كانت سيرة ابن اسحاق قد أمدت الطبرى بمادة واسعة من مادة ما قبل الاسلام ، فقد أمد علم ابن عباس هذا الباب بمادة غزيرة وردت على الطبرى عن ابن اسحاق ما فى ذلك شك ، وعن مدارس التفسير وتلامذة ابن عباس الذين نقلوا علم أستاذهم الى أقصى أنحاء الخلافة ، وعن كتب المغازى التى وضعت تاريخ الرسل والأنبياء مقدمة لسيرة الرسول .

ولا بن عباس كلام فى تاريخ الطبرى وفى تفسيره ، وقد ورد اسمه « ٢٨٦ » مرة فى التاريخ ، وفى هذا العدد كفاية للحكم على منزلته فى « تاريخ الرسل والملوك » . وقد ورد اسم أبى هريرة « ٥٢ » مرة وأنس بن مالك « ٤٧ »^(٣) مرة ، وأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى وابن عمر عدة مرات ، ولم يرد عن أحد من الصحابة والتابعين فى تاريخ الطبرى هذا المقدار من الأسانيد التى وردت عن ابن عباس . أما الموضوعات التى يتناولها ابن عباس بالبحث ، فتمكن معرفتها من قراءة هذا الخبر الذى رواه ابن سعد عن مشايخه عن عبدالله بن عتبة قال : « كان ابن عباس قد فات الناس بخصال يعلم ما سبقه وفقه فيما احتجج اليه من رأيه وحلم ونسب وتأويل ، وما رأيت احدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ، صلى عليه وسلم ، منه ، ولا أعلم بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه فى رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم بما مضى ، ولا أثقب رأيا فيما احتجج اليه منه . ولقد كان يجلس يوما ما يذكر فيه الا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازى ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب . وما رأيت عالما قط جلس اليه الا خضع له ، وما رأيت

(١) سعيد بن أبى سعيد كيسان ، توفى سنة ١٢٥ أو ١٢٦ هـ . تذكرة الحفاظ ١ / ١١٠ ، تهذيب التهذيب ٤ / ٣٨ الشذرات ١ / ١٦٣ .

(٢) مقدمة « وستنقله » لسيرة ابن هشام . يحيى بن سعيد الانصارى ورد اسمه فى « ١١ » موضعا من تاريخ الطبرى . كانت له كتب . تهذيب التهذيب ١١ / ٢٢٠ . تذكرة الحفاظ ١ / ١٢٩ . شعبة بن الحجاج ورد اسمه فى مواضع متعددة من تاريخ الطبرى توفى سنة ١٦٠ هـ . محدث البصرة . تذكرة الحفاظ ١ / ١٨١ فما بعد . « أمير المؤمنين فى الحديث » الشذرات ١ / ٢٤٧ .

Schwally, Vol, 2, P, 125. 126. Goldziher muh. stud, Vol, 2, P, (٣)

147. Caetani, Annali, Vol, 1, P, 43

سائلا فط سألہ الا وجد عنده علما^(١) ٥٠

ولا تكاد تقرأ فصلا من فصول الطبرى الا تجد فيه قولاً أو أكثر لابن عباس فى الاسرائيليات وفى الشعوب العربية البائدة وفى المغازى ، ولا تكاد تقرأ كتاباً من الكتب التى تبحث فى مثل هذه الموضوعات الا تجد فيها كلاماً لابن عباس ، وقد نسب المحدثون اليه (١٦٦٠) حديثاً من الأحاديث زعموا أن ابن عباس رواها عن الرسول ، أخرج منها البخارى ومسلم (٩٥) حديثاً ، عدا الأحاديث الأخرى التى أخرجها كل واحد من المحدثين على انفراد ، ونسبوا اليه (١٠٠) حديث فى تفسير كلام الله^(٢) .

قالوا : وكان عند كريب بن أبى مسلم مولى ابن عباس حمل بعير * من كتب ابن عباس ، فكان على بن عبد الله بن عباس اذا أراد الكتاب كتب اليه : ابعت الى بصحيفة كذا وكذا ، فينسخها ، فيبعث اليه باحدهما^(٣) . وفى هذا الخبر إشارة الى أنه كان قد بدى يتدوين أقوال ابن عباس فى أيام حياته ، وأنه ترك صحفاً لورثته بعد وفاته ، غير أنه لم يرد فى الأخبار أنه صنف كتباً على نحو ما نفهم من الكتاب فى زماننا .

ويثير لنا هذا الخبر مشكلة عويصة ، فإذا كان ما جاء حقاً من أن ابن عباس ترك صحفاً تقدر بحمل بعير أو أكثر من ذلك أو أقل ، فلم هذا التناقض والاختلاف الذى دونه الرواة فى مادة واحدة مثلاً من أقوال ابن عباس ؟

الحقيقة هى أن الجواب العلمى المنقح عن هذا الاشكال يرضى الناقد الحديث ، أمر ليس بسهل ولا يسير ، أكان ابن عباس متردداً فى أقواله يقول ثم يرجع عن قوله بعد ذلك أم كان ينسى أقواله فعليه تقع تبعه هذا التناقض ؟ أم كانت هذه التبعة تقع على كاهل الرواة وعلى الذين كانوا يدونون أقواله فى حلقات الدراسة التى عقدها فى البصرة أو مكة أو الطائف أو الأماكن الأخرى ؟ أم لا تقع عليه ولا على هؤلاء ، بل على السياسة التى أعرضت عن معاقبة الوضاعين الذين ظنوا أنهم يتقربون بهذا الدس من ساسة الدولة العباسية ، قدسوا عليه أكثر هذه الأقوال كما دس على الرسول وعلى خلفائه وعلى الشعراء الجاهليين والاسلاميين ؟ *

(١) الطبقات ج ٢ قسم ٢ ص ١٢٢ ، أسد الغابة ٣/١٩٣ راجع عن ابن

عباس ، الدولابى ٨٢/١ .

(٢) الطبقات ٥/٢١٦ ، تهذيب التهذيب ٤/٢٧٦ فما بعدها .

دفعت هذه المشكلة « شبرنكر » A. Sprenger ، ^(١) الى التحامل على ابن عباس فرماه بالكذب والبهتان ، وأنا على يقين أنه لو أعمل عقله ودرس هذه الأقوال المنسوبة الى ابن عباس دراسة علمية دقيقة ، ولو فكر فى العوامل السياسية التى يمنن أن تكون هى المسؤولة أولاً عن ذلك ، وهى لا تدخل فى بحثنا هذا فى زماننا ، أقول : لو فكر فى ذلك ، وتعمق فى البحث عن هذه الأسباب ، ما تسرع فى حكمه هذا الذى تخالفه أسير قواعد الجرح والتعديل .

ترك ابن عباس وراءه عددا من الطلاب كان لهم أثر كبير فى العقيلة العربية فى العصر الأموى انتشروا فى العراق والشام والحجاز وسائر الأقطار وأنشأوا كآستاذهم عدة حلقات للدراسة كان الطابع الغالب عليها هو التفسير ثم الحديث والآيام والشعر ، ولا بد لدراسة التاريخ الثقافى فى العصور الاولى للإسلام من دراسة نشاط هؤلاء وما روى من أقوالهم ومؤلفاتهم . وقد ذكر ابن الأثير ^(٢) أساء أكثرهم نذكر منهم عبدالله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وكثير بن عباس أخا عبدالله بن عباس ، وعلى بن عبدالله بن عباس ، وعكرمة ، وكريب ، وعطاء بن أبى رباح ، ومجاهدا ، وابن أبى ملكية ، وعمرو بن دينار ، وعبيد بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، ومحمد بن كعب ، وطاووسا ، وهب بن منبه ، وكعب الأخبار وسعيد بن جبير ، وأبا صالح باذام .

ولأكثر هؤلاء علاقة بتاريخ الطبرى ، فلهم فيه أقوال وروايات أخذها الطبرى عن شيوخه ، وقد سبق أن تحدثنا عن وهب بن منبه بقدر ما لوهب من علاقة بتاريخ الطبرى وعن طرق الاسناد التى وصلت الطبرى بابن منبه ، ولوهب روايات زعم أنه أخذها من ابن عباس أشك فى صحتها ، اذ كيف يعقل أخذ وهب بن منبه هذه الاسرائيليات من ابن عباس ، وهو أعلم بها منه ، ولا سيما بعد ان زعم الصنعانيون وآل منبه أنه قرأ عشرات الكتب ، وانه كان عالما بأحكام الكتب السماوية وبالتوراة والتلمود والمدراس ، ولذلك نرى الجائز العكس ، يؤيد هذا ما جاء فى الروايات من أن ابن عباس كان يسأل أهل الكتاب عما كان يشكل عليه ، والظاهر أن رواة وهب بن منبه ،

A. Sprenger in Journal of the Asiatic Society of Bengal. (١)
Vol, 25. P,72. Year 1856. Das Leben und die lehre des Muhammed
III. PP, CVI—CXV. Caetani, aunali. Vol. 1. 47-51, Schwally,
Vol, 2. P, 167.

(٢) أسد الغابة ٣/١٩٤ . الالتقان ٩٠٩ فما بعدها .

أو وهب بن مبه نفسه ، هم الذين وضعوا هذه الأقوال على لسان ابن عباس لتجد لها سيلا بين المسلمين .

وأما كعب الأحبار وروايته عن ابن عباس فمسألة فيها نظر ، وإن لم تكن كذلك في نظر أهل الأخبار وفي نظر الطبري نفسه الذي ذكر له عدة من الروايات بسنده عن ابن عباس^(١) . غير أنني أعتقد أنه ليس هنالك دليل قوى يثبت لقاء كعب الأحبار لابن عباس .

ومن أكثر طلاب ابن عباس رواية عنه في تاريخ الطبري سعيد بن جبير المتوفى سنة ٩٥ للهجرة ، ومجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٣ للهجرة ، وعكرمة المتوفى سنة ١٠٦ للهجرة ، وعطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ للهجرة ، وأبو صالح باذام ، وعمرو بن دينار المتوفى سنة ١٢٦^(٢) .

فأما سعيد بن جبير الذي له روايات عدة في الطبري تارة عن ابن عباس وتارة أخرى عن غيره وأحيانا ينتهي السند إليه^(٣) ، فقد كان من طلاب ابن عباس التشيطنين كان يحضر مجالسه ويستمع الى أسئلة الحاضرين وأجوبة ابن عباس فيكتبها في الصحف التي كان يحملها معه اذا ذهب الى ابن عباس . وكان على علم بالحساب ، ولذلك كان يسأل عن الفرائض ، وكان يجلس للناس بعد صلاة الفجر وصلاة العصر ويقص لهم كما كان يقرأ لهم القرآن . وكان قويا في الكتابة والقراءة فلذلك كان يعتمد عليه ابن عباس^(٤) .

استقر سعيد بن جبير بالكوفة ، وحصل على شهرة كبيرة فيها ، وحمل اليها علم ابن عباس ، فكان أهل الكوفة اذا أرادوا شيئا من حديثه عمدوا الى سعيد بن جبير ، وكانوا اذا كتبوا الى ابن عباس يسألونه حديثه ، أشار عليهم بمراجعة ابن جبير . وجلس في هذه المدينة كما جلس أستاذه في الطائف ومكة يعلم الناس ويتحدث اليهم ، ويأخذ عنهم ، ويتبع أخبار الماضين وما ورد عند أهل الكتاب من أخبار الرسل والأنبياء والخلق . وقد كان شغف القوم بهذا الموضوع عظيما فأخذ عن ابن عباس

(١) الطبري ٦٢/١ . الواحدى ، الأسباب ١٤١ . Schwally. 2. p, 165

(٢) الفهرست ص ٥١ .

(٣) ورد اسمه في أكثر من ٦٣ « موضعا من تاريخ الطبري .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ١٧٩/٦ فما بعد . الشذرات ١٠٨/١ فما بعدها

« وكان لا يكتب الفتاوى مع تصدى ابن عباس لها . فلما عمى ابن عباس ، كتب » .
تذكرة الحفاظ ٦٥/١ فما بعدها .

منهم ، ولذلك نجد له فى الطبرى أقوالا يرجع ابن جبير سندها الى اليهود ، والظاهر أنه كان يجتمع فى الكوفة فيدارسهم ويأخذ منهم هذا النوع من التاريخ ، وكان له صاحب يقال له عزرة كان يختلف الى سعيد بن جبير معه التفسير فى كتاب ومعه الدواة يغير^(١) ، وقد اشتهر تفسير سعيد بن جبير ورواه عنه جماعة من الشيوخ .

ترك ابن جبير عددا من المشايخ أخذوا العلم منه ، ولا سيما علم التفسير الذى اشتهر به ، ومن هؤلاء الضحاك بن مزاحم المتوفى سنة ١٠٥ للهجرة^(٢) . أخذ التفسير من سعيد بن جبير ، وهو بالرى^(٣) . وكان له كتاب يعلم فيه القراءة والكتابة والتفسير والقصص ، ومن أشهر طلابه الذين أخذوا عنه التفسير جوير بن سعيد البلخى ، وعلى بن الحكم ، وعبيد بن سليمان الباهلى (سلمان) ، وابو روق بن حارث ، ونهشل^(٤) . فسند سعيد بن جبير بوصل الى سند ابن عباس ، وأما طرق

(١) ابن سعد : الطبقات ١٨٦/٦ « حكى سعيد بن جبير قال : قال يهودى بالكوفة - وأنا أتجهز للحج : انى أراك رجلا تتبصع العلم ، فأخبرنى أى الاجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم ، وأنا قادم على جبر العرب (ابن عباس) فسأله عن ذلك : فلما قدمت مكة ، سألت ابن عباس عن ذلك ، وأخبرته بقول اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى اكثرهما وأطيبهما ، ان النبى اذا وعد لم يخلف قال سعيد : فقدمت العراق ، فلقيت اليهودى فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل على موسى والله العالم » المذاهب الاسلامية ص ٧٢ . Schwally. 2. P. 167 الطبرى ، تفسير ٤٠/٢٠ -

(٢) ابن سعد : الطبقات ٢١٠/٦ ،

(٣) « لقي سعيد بن جبير بالرى فأخذ منه التفسير » تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤ . توفى سنة ١٠٢ هـ . الشذرات ١٢٤/١ ، وقيل : ١٠٦ هـ .

(٤) Sprenger. das Leben. Vol. 3, p. CXIII. nr. 2.

جوير بن سعيد الأزدي ابو القاسم البلخى من المفسرين ، قال يحيى القطان : « تسألهوا فى أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم فى الحديث ، ثم ذكر الضحاك وجويرا ومحمد بن السائب وقال : هؤلاء لا يحصل حديثهم ، ويكتب التفسير عنهم » . « جوير بن سعيد : كن من أهل بلخ ، وهو صاحب الضحاك ، وله رواية ومعرفة بأيام الناس ، وحاله حسن فى التفسير ، وهولن فى الرواية » مات بين ١٤٠ - ١٥٠ تهذيب التهذيب ١٢٤/٢ .

على بن الحكم البناني ابو الحكم البصرى ، توفى سنة ١٣٠ ، أو ١٣١ هـ أو ١٣٥ هـ . تهذيب التهذيب ٣١١/٧ .

عبيد بن سليمان الباهلى مولاهم ، أصله من أهل الكوفة ، سن مرو ، روى عن الضحاك بن مزاحم . تهذيب التهذيب ٦٧/٧ .

ابو روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفي صاحب التفسير ، تهذيب التهذيب ٢٢٤/٧ وقد ورد اسمه فى « ٤٦ » موضعا من تاريخ الطبرى .

نهشل بن سعيد بن وردان الورداني أبو سعيد ، ويقال أبو عبدالله الخراساني النيسابورى ، ويقال الترمذى . ليس بثقة ، كذاب ، ولا يكتب حديثه ، روى عن الضحاك الموضوعات . تهذيب التهذيب ٤٧٩/١٠ .

الاستناد التي وصلت الطبري بسعيد بن جبير ، فهي طريق سفيان بن وكيع بن الجراح الرؤاسي أبي محمد الكوفي المتوفى سنة ٢٤٧ للهجرة ، وقد أكثر الطبري من الرواية عنه فكان يقول : « حدثنا ابن وكيع » في الغالب ، وفي الأحيان : « حدثنا سفيان بن وكيع » . وهو ابن وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي بن فرس بن جمجمة الرؤاسي الكوفي المتوفى سنة ١٩٧ للهجرة .^(١) وهو من أصحاب الحديث والأخبار له مؤلفات في التاريخ . وقد أخذ عن جماعة من مشاهير علماء الحديث في عصره مثل اسماعيل بن أبي خالد وهشام بن عروة وعبدالله بن عون وابن جريح والأوزاعي الفقيه البيروني الشهير وسفيان الثوري وإسرائيل وشعبة ، وهم ممن ترد أسماؤهم في طرق الاستناد عند الطبري . وقد نقل عنه جماعة منهم : ابنه سفيان بن وكيع شيخ الطبري ، وعبدالله ابن المبارك ، ويحيى بن آدم ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلى بن المديني ، وأبو خيثمة زهير بن حرب ، وأبو بكر وعثمان ابنا شيعة ، وعباس بن غالب الوراق ، ويعقوب الدورقي ،^(٢) وغيرهم من مشاهير المحدثين والمؤرخين .

استغل الوراقون شهرة سفيان بن وكيع فصاروا ينحلونه الكتب وينسبونها اليه استغلالا لشهرته^(٣) . ويتصل سنده بسعيد بن جبير بطرق كثيرة ، مثل طريق والده عن شيخه سفيان بن عيينة بن أبي عمران أبي محمد المتوفى سنة ١٩٨ للهجرة^(٤) . وكان من محدثي الكوفة ، فانتقل الى مكة وأقام بها ، وسمع من محدثي الحجاز فأصبح من أعلم الناس بحديث أهل الحجاز ، حتى قيل : ان الامام الشافعي قال : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز^(٥) . كما كان من كبار المفسرين ، أخذ علم التفسير عن صالح بن كيسان وعمرو بن دينار والزهرى ، وله كتاب في التفسير . وعن طريق هؤلاء اتصل سنده ابن عيينة بابن عباس^(٦) .

حدث سفيان بن عيينة عن نفر عدهم العلماء من أشهر المحدثين

(١) المعارف ص ٢٢١ ، الفهرست ٣١٧ ، ولد سنة ١٢٩ للهجرة تذكرة الحفاظ ٢٨٢/١ . الشذرات ٣٤٩/١ .

(٢) تاريخ بغداد ٤٩٦/١٣ .

(٣) تهذيب التهذيب ١٢٣/٤ .

(٤) تجد ترجمة سفيان بن عيينة المولود سنة ١٠٧ هـ الذي هاجر الى مكة سنة ٦٣ للهجرة ، في كتاب المعارف ص ٢٢١ وتهذيب التهذيب ١١٧/٤ . من رواة الزهرى قال ابن وهب لا أعلم احدا أعلم بالتفسير من ابن عيينة « الشذرات ٣٥٤/١ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢٤٢/١ .

(٦) الفهرست ص ٣١٦ .

مثل الأعمش وابن جريج وشعبة . والواقع هو أن هؤلاء وأمثالهم كفتاة ويحيى بن أبي كثير وأبي اسحاق السبيعي قد قاموا بخدمة عظيمة لعلم الحديث ، لأنهم سهروا في جمعه ، واشتغلوا بتربيته ، فكانوا ممهدين الجادة لمن جاء من بعدهم .

أما الأعمش ، وهو سليمان بن مهران أبو محمد الاسدي الكوفي المتوفى بين ١٤٥ - ١٤٨ للهجرة^(١) ، فقد كان من كبار رواة مجاهد بن جبر العالم المشهور بالتفسير ومن تلامذة ابن عباس ، ومن الرواة عن المنهال بن عمرو الأسدي الكوفي أحد الرواة عن أنس وسعيد بن جبير ومجاهد بن جبر ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى والشعبي وغيرهم من مشاهير المحدثين والمفسرين في الكوفة .

وأما ابن جريج ، فهو عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج المتوفى سنة ١٥٠^(٢) . مولى الأمويين ، وأصله من الروم . وقد تحدث عن جماعة ، منهم : الزهري ، وأبوه ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، ونافع ، وعكرمة ، وصالح بن كيسان ، وعمرو بن دينار . وأدرك صفار الصحابة ، وتحدث عنه جماعة من علماء الحديث والتفسير في الحجاز والشام والعراق ، مثل سفيان بن عيينة الذي تحدثنا عنه ، وسفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من فقهاء الكوفة ومحدثيهم المتوفى سنة ١٦١^(٣) ومن « بنى ثور » النازلين في الكوفة ، وكان الخليفة المهدي ناقما عليه ، لأنه لم يكن يجاريه ، ولأنه كان جريئا في الحق ، فكان يجاهر برأيه فاضطر الى الهرب الى البصرة والتخفي فيها الى أن مات . وقد ترك كتبه لعمار بن سيف ، والظاهر أنه خاف من حيازة هذه الكتب فمحاها وأحرقها^(٤) .

كان ابن جريج من العلماء المؤلفين ، ذكر ابن التديم أسماء كتب له ألفها في الفقه^(٥) . وذكر المترجمون أنه أول من صنف الكتب بالحجاز أو أول من صنف الكتب في الاسلام ، وذكروا معه ابن أبي عروبة^(٦) . على أنه أول من صنف بالعراق ، وذكروا أنه كان قد ألف كتابا ، وكانت مجموعة منها عند خالد بن نزار الأبلبي^(٧) . وقد كتب هو

(١) تذكرة الحفاظ ١٤٥ ، وكان محدث الكوفة وعالمها « الشذرات ١/ ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٦٠/١ ، الشذرات ١/ ٢٢٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٩١/١ فما بعدها . ولد سنة ٩٧ للهجرة . « أمير المؤمنين في

(٤) الفهرست ٣١٤ - ٣١٥ « كتاب الستين » .

الحديث « الشذرات ١/ ٢٥٠ .

(٥) الفهرست ٣١٦ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١٦١/١ . الشذرات ١/ ٢٢٦ .

(٧) تذكرة الحفاظ ١٦١/١ . خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم الغساني مولا لهم

الأبلي ، مات سنة ٢٢٢ هـ علي رواية ابن سعد تهذيب التهذيب ١٢٣/٣ +

نفسه عن كتب الزهرى^(١) . والظاهر أنه كان من المكثرين فى تصنيف الكتب الضخمة المبوبة ، فقالوا فيه : انه كان أول من ألف كتابا ، كما قالوا عن معاصره وزميله فى الحديث والفقه سعيد بن أبى عروبة البصرى المتوفى سنة ١٥٦ هـ : انه أول من صنف الكتب ، وقصدهم بذلك أول من صنف الابواب فى البصرة^(٢) . وقد كان كابن جريج صاحب أثر كبير فى بلدته البصرة حيث تخرج عليه عدد كبير من طلاب العلم أصبحوا فيما بعد من أشهر علماء هذه المدينة .

وكان شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى المتوفى سنة ١٦٠ للهجرة^(٣) محدث البصرة ، هو من أهل واسط ، درس فى الكوفة فجمع بين علم الكوفة والبصرة ، وتخرج على يديه السخثاني المحدث الشهير ، وابن اسحاق وهو من مشايخه أيضا ، وسفيان الثوري ، وغندر ، وأمثالهم . وكان يختلف عن بقية المحدثين فى ميله الى دراسة الشعر حتى قال عنه الأصمعي : « لم نر أحدا قط أعلم بالشعر من شعبة^(٤) » .

ويتصل سند الأعمش بالمهال بن عمرو الأسدي الكوفي من رواة أنس بن مالك ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وعبد الرحمن بن أبى ليلي المتوفى سنة ٨٢ أو ٨٣^(٥) من علماء الكوفة بالفقه ومن الذين خرجوا على انحجاج مع ابن الأشعث^(٦) .

كان أثر ابن جبير فى الكوفة كبيرا ، وكذلك أثر سائر تلامذة ابن عباس ، فأصبحت هذه المدينة التى اشتهرت بالعربية والأخبار والحديث من أشهر المدن بعلم التفسير ولاسيما التفسير المتأثر بطريقة ابن عباس ، وقد كان فى مقدور تلامذة ابن جبير وحدهم خلق جو علمي ، فكيف بتلامذة ابن عباس الآخرين ؟ وسرعان ما ظهرت فى الكوفة طبقة من المفسرين قصدها الناس من سائر أنحاء الخلافة ، حتى من العاصمة التى أراد المنصور مؤسسها أن يجعلها تفوق على هذه المدينة التى لم يكن مزاجها السياسى يلائم مزاج المنصور والعباسيين .

(١) تهذيب التهذيب ٤٠٢/٦ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٦٧/١ . الشذرات ٢٣٧/١ « شيخ البصرة وعلمها ، وأول من دون العلم بها » .

(٣) التذكرة ١٨٥/١ . « لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق » . الشذرات ٢٤٧/١ .

(٤) التذكرة ١٨١/١ .

(٥) عبد الرحمن بن أبى ليلي الأنصارى الفقيه الكوفي . الشذرات ٩٢/١ . تهذيب

التهذيب ٢٦١/٦ . تذكرة الحفاظ ٥٥/١ .

(٦) تذكرة الحفاظ ٥٥/١ .

لقى الكوفيون اضطهادا عنيقا من الحجاج دفع العلماء منهم والمتقنين الى الانضمام الى حركة ابن الاشعث ، فكان من بينهم ابن جبير وتلامذته ، ولكن الحركة لم تنجح ، بل كان نصيبها الاخفاق ، فحكم على ابن جبير بالقتل ، وقتل جماعة من الفقهاء والقراء والمحدثين والمفسرين . وكانت هذه الحركة فى الواقع نكبة من النكبات المؤسفة التى حلت بالعلم ، ونكسة من النكسات التى نزلت بتاريخ الثقافة فى العراق أثرت على حرية الرأى وجعلت الجو العلمى خاضعا لرقابة السياسة الصارمة التى لم يكن لها هدف أو اتجاه . ومن تلامذة مدرسة ابن عباس مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي المتوفى بين سنتي ١٠٠ - ١٠٤هـ (١) ، وكان من ملازميه مدة طويلة ، عرض القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات من أوله الى آخره يوقفه عند كل آية منه ويسأله عنها عن وقت نزولها وأسباب النزول ، فيحفظ ذلك ، ويدونه ، حتى تكون من ذلك تفسيره . وقد مدح تفسيره هذا ، وقيل عنه : انه من أعلم الناس بالتفسير ، وقيل : انه أضاف الى التفسير الذى أخذه من ابن عباس شيئا أخذه من صحيفة جابر وما أخذه من أهل الكتاب (٢) .

والظاهر أنه ترك كتابا فى التفسير أجاز بروايته لجماعة منهم حميد بن قيس وابن أبى نجيج ، وقد نقله عنه أبو روق وعيسى بن ميمون (٣) ، كما أخذ منه عطاء وعكرمة وابن

(١) تذكرة الحفاظ ٨٦/١ ، تفسير الطبرى ٣١/١ ، المذاهب الاسلامية ص ٧٣ ، ابن سعد ، الطبقات ٣٤٣/٥ . Schwally 2. P. 167

(٢) « عن ابن أبى مليكة قال : رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه ، فيقول له ابن عباس : أكتب . قال : حتى سأله عن التفسير كله . » تفسير الطبرى ٣١/١ « القاهرة سنة ١٣٢٣ مطبعة بولاق » . « عن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته الى خاتمته أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها » الشذرات ١٢٥/١ .

(٣) حميد بن قيس الأعرج المكي أبو صفوان الثارى الأسدى مولاهم ، مات سنة ١٣٠ هـ . تهذيب ٤٧/٢ .

عبدالله بن أبى نجيج المكي المفسر صاحب مجاهد كان مولى لبنى مخزوم ، مات سنة ١٣١ هـ . الشذرات ١٨٢/١ « كان سفيان يصحح تفسير ابن أبى نجيج » قال يحيى بن سعيد لم يسمع ابن أبى نجيج التفسير من مجاهد « قال القطان : لم يسمع التفسير كله من مجاهد ، بل كله عن القاسم بن أبى بزة ، وهو نظير ابن جريج فى كتاب القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى التفسير ، ورويا عن مجاهد من غير سماع » . تهذيب التهذيب ٥٤/٦ .

أبو روق عطية بن الحارث الهمداني الكوفى صاحب التفسير . عيسى بن ميمون الجرشى المكي أبو موسى المعروف بابن داية ، وهو صاحب التفسير . تهذيب التهذيب ٢٣٥/٨ .

عون وعمرو بن دينار وأبو اسحاق السبيعي وقادة والأعمش وغيرهم ، ويتصل سند الطبري بهم وبأستاذهم عن طريق سفيان بن وكيع عن أبيه وكيع عن خليف بن عبد الرحمن الجزري أبي عون الحضرمي الحرائي الذي روى عن مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبير^(١) .

لقد كان كل واحد من هؤلاء مدرسة منتقلة همها الحديث والتفسير والفقه ، فعطاء بن أبي رباح المتوفى سنة ١١٤ أو ١١٥ للهجرة^(٢) ، هو من تلامذة ابن عباس ومقتى مكة ومحدثها ، وقد تخرج عليه جماعة من أشهر الفقهاء والمحدثين أخذوا علمه ونشروه في الأفاق فكان منهم من نشره في الحجاز ، ومنهم من نقله إلى اليمن ، ومنهم من أصدره إلى الشام أو العراق ، يكفي لذلك أن تعلم أن من بينهم أمثال ابن جريج ، والأوزاعي فقيه الشام وصاحب النظريات المهمة في الفقه الذي قال عنه المسترقون انه كان حلقة وصل بين فقه الرومان وفقه الاسلام ، وأبي حنيفة صاحب المذهب المعروف في الفقه وممثل أهل العراق في النقد واستعمال الرأي والقياس ، وجريز بن حازم المتوفى سنة ١٧٥ للهجرة محدث البصرة وعالمها الشهير^(٣) ، ووالده وهب بن جريز بن حازم المتوفى سنة ٢٠٦ للهجرة^(٤) المحدث الذي ينقل عنه المؤرخون كثيرا من الأقوال مثل أبي خزيمة وابنه ابن أبي خزيمة المؤرخ وصاحب مؤلف مهم في التاريخ ، والبلاذري^(٥) ، والطبري^(٦) ، وغيرهم من المؤرخين .

وأما عكرمة المتوفى بين ١٠٥ - ١٠٧ هـ ، فقد نعت بالحبر العالم^(٧) وقيل عنه انه « أعلم الناس بالتفسير » ، وزعم أنه قال « طبت العلم أربعين سنة » ، وكان ابن

(١) تذكرة الحفاظ ١٨٦/١ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ج ٢ قسم ٢ ص ١٣٣ ، ٥/ص ٣٤٤ - ٣٤٦ تذكرة الحفاظ

٩٢/١ . الشذرات ١٤٧/١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٨٦/١ ، تهذيب التهذيب ٦٩/٢ فما بعدها .

(٤) تذكرة الحفاظ ٣٠٧/١ ، الشذرات ١٦/١ ؛ وقد ورد اسمه في « ٢٤ »

موضعا من تاريخ الطبري .

(٥) أنساب الأشراف ج ٤ القسم الثاني ، وقد ورد اسم وهب بن جريز في مواضع

كثيرة من الكتاب ، راجع « فهرست الاعلام » ص ٣٠ والجزء الخامس « فهرست الاعلام »

ص ٤٢٨ .

(٦) فهرست تاريخ الطبري ص ٦٣٠ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ٢١٢/٥ ، ١٨٩/١ ، تذكرة الحفاظ ١٨٩/١ .

عباس يضع الكلب فى رجلى على تعلم القرآن والسنة^(١) . « بل زعم أن أبا الشعثاء كان يقول : « هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا أعلم الناس . » وزعم أن الشعبى قال عنه : « ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة^(٢) . » ولا يخلو هذا الكلام من مبالغة حقا ، فهو من النوع المألوف الذى يرد ذكره فى حق كثير من الرجال ، وفى حق نفر من تلامذة ابن عباس . وقد صدر مثل هذا فى حق أناس كان يرضى عنهم الشعبى ، فيكيل لهم هذا الكيل ، تجده فى كتب التراجم والطبقات . ولم ينج الرجل مع كل هذا من الاتهام ، وأكثر من اتهمه هم من جماعة ابن عباس ، اتهموه بالكذب على ابن عباس وباستغلال صلاته به^(٣) . والواقع أن هذا النوع من الطعن هو من النوع المألوف كذلك . وتدل قرائن الأحوال فى أكثر الأحيان على أن الطاعنين لم يكونوا على صواب فى تقديم هذا ، وأنهم كانوا يقومون به بدافع من العواطف الانسانية التى لا ينجو منها الانسان . وأما اهانة عبدالله بن عباس له ، فالظاهر أن مبعثها سوء العلاقات التى كانت بين الاثنين ، حتى أن على بن عباس باعه فى الأسواق ، ثم بدم على ذلك وأعتقه^(٤) .

طاف عكرمة فى أماكن كثيرة ، فزار البصرة وحدث فيها وترك له فيها جماعة من العلماء ، وزار سمرقند ، وقد ضاقت حاله ولم يكن يملك شيئا ، ونجد له جملة أحاديث ترجع أكثرها الى ابن عباس ذكرها الطبرى فى تاريخه أخذها من جملة مشايخ منهم : أحمد بن أبى خيثمة زهير بن حرب بن شداد المتوفى سنة ٢٩٩ للهجرة^(٥) وكان من المحدثين والمؤرخين ، ألف كتابا فى التاريخ اتبع فيه طريقة أهل الحديث فى ذكر السند ، أى على الطريقة التى اتبعها الطبرى . وقد مدح المؤرخون هذا الكتاب وأثنوا

(١) تذكرة الحفاظ ٩٠/١ ، ابن سعد : الطبقات ٢ قسم ٢ ص ١٣٣ و ٢١٢/٥ « كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكلب يعلمنى القرآن ويعلمنى السنة . »

(٢) تذكرة الحفاظ ٩٠/١ ، الشذرات ١٣٠/١ . Schwolby, Vol. 2, P. 167

(٣) المذاهب الاسلامية ص ٧٤ .
ياقوت : الارشاد ٦٢/٥ . « قال عبدالله بن أبى الحارث : دخلت على على بن عبدالله بن عباس ، وعكرمة موقوف على باب كنيف ، فقلت : اتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال : ان هذا يكذب على أبى » ابن خلكان ٤٠٢/١ . « وقد تكلم الناس فيه لأنه كان يرى رأى الخوارج + »
(٤) ابن سعد ، الطبقات ٢١٢/٥ ، ابن خلكان وفیات الأعيان ٤٠٢/١ ياقوت

ارشاد الأريب ٦٣/٥ .
(٥) ولد سنة ٢٠٥ للهجرة . تذكرة الحفاظ ١٥٦/٢ ، لسان الميزان ١٧٤/١ ،

ارشاد الأريب ١٢٨/١ ، تاريخ بغداد ١٦٢/٤ ، القهرست ص ٣٢١ ، له من الكتب كتاب أخبار الشعراء . وكتاب المتيمين من الأعراب . الشذرات ٨٠/٢ ، توفى والده

أبى خيثمة زهير بن حرب الشيبانى سنة ٢٣٤ هـ . وله مصنفات .

عليه ، وناظر أنه في التاريخ العام من الخليفة الى أيامه ، وكان لا يرويه الا على الوجه ، وقد سمعه منه جماعة من الشيوخ ولم يكن يسمح لأحد بروايته الا اذا قرأه عليه وأجاز به .

أخذ ابن أبي خيثمة علم الحديث من أبيه زهير بن حرب^(١) ، وعن يحيى بن معين المحدث الشهير ، وأحمد بن حنبل ؛ وأخذ علم النسب عن مصعب بن عبدالله بن مصعب ابن الزبير المتوفى سنة ٢٣٣ للهجرة الشاعر الراوية الأديب المحدث ، وهو صاحب كتب ومؤلفات في النسب ، مثل كتب النسب الكبير ، وكتاب نسب قريش^(٢) . وهو من أسرة عرفت بعنايتها بالأخبار والنسب والمغازي ، وهو عم الزبير بن بكار أبي عبدالله الزبيرى المتوفى بمكة سنة ٢٥٦ للهجرة صاحب مؤلفات عدة في الأخبار والنسب والأدب ذكر أسماءها ابن النديم^(٣) . وأخذ الأدب عن الأديب المعروف محمد ابن سلام الجمحي^(٤) ، وأيام الناس عن أبي الحسن على بن محمد المدائنى المتوفى سنة ٢١٥ أو ٢٢٥ هـ المؤرخ الشهير الذى اعتمد عليه أكثر المؤرخين ، ذكر ابن السديم كتبه ، وهى كثيرة^(٥) . وستحدث عنه .

وأخذ ابن أبي خيثمة عن موسى بن اسماعيل التبوذكى المنقرى البصرى المتوفى سنة ٢١٣ للهجرة^(٦) ، وهو من تلاميذ داوود بن بكر ابن أبي الفرات من المحدثين^(٧) ومن رواية علباء بن أحمر اليشكرى البصرى^(٨) الذى حدث عن أبيه أحمر بن جزء اليشكرى^(٩) وعن عكرمة عن ابن عباس .

(١) توفى سنة ٢٣٤ للهجرة . له من الكتب : كتاب المسند ، كتاب العلم . الفهرست ص ٣٢١ . وقد ورد اسمه فى أكثر من « ٢٣ » موضعاً من تاريخ الطبرى على أنه « زهير بن حرب بن شداد الحرشى أبو خيثمة » ولد سنة « ١٦٠ » تهذيب التهذيب ٣٤٢/٣ فما بعدها .

(٢) الفهرست ١٦٠ ، ابن خلكان ، الوفيات رقم ٢٦٦ - ٢٦٧ ، ٤٢٧ ،

Brockelmann, Suppl, Vol, 1.P, 212.

(٣) الفهرست ص ١٦٠ - ١٦١ ، تاريخ بغداد للخطيب ٤٦٧/٨ ، ٤٧١ . ياقوت الارشاد ٢١٨/٤ ، تذكرة الحفاظ ٩٩/٢ . انبافى ، المرأة ١٦٧/٢ « ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفاً » زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ١٩٤/٢ ، ابن خلكان : الوفيات ١٨٩/١ ، توجد بعض مؤلفاته فى خزائن الكتب .

(٤) ارشاد الأريب ١٢٨/١ : أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصرى ، المتوفى سنة ٢٣٢ هـ . زيدان ١٠٨/٢ ، الفهرست ١٦٥ .

(٥) الفهرست ١٤٧ . (٦) تذكرة الحفاظ ٣٥٧/١ .

(٧) تهذيب التهذيب ١٨٠/٣ .

(٨) تهذيب التهذيب ٢٧٣/٧ .

(٩) ويقال أحمد بن سواء بن جزء ، ويقال ابن شهاب بن جزء بن ثعلبة . تهذيب التهذيب ١٩٠/١ .

وكان زهير بن حرب بن شداد المتوفى سنة ٢٣٤ للهجرة^(١) والد أحمد بن زهير من مشاهير المحدثين ، كما كان من المؤرخين وأصحاب العلم بالأخبار ، وهو من جملة من اعتمد عليهم أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى فى كتابه « أنساب الأشراف »^(٢) . وسند زهير فى البلاذرى وهب بن جرير بن حازم الذى سبق أن تحدثنا عنه . وأخذ الطبرى سنده عن عكرمة عن عالم من علماء الكوفة ورد اسمه كثيرا فى هذا القسم من تاريخ الطبرى ، وأغنى به محمد بن العلاء بن كريب الكوفى الحافظ أبا كريب المتوفى سنة ٢٤٧ أو ٢٤٨ للهجرة^(٣) . وهو من رؤساء أهل الحديث والأخبار فى الكوفة فى زمانه . وكان يقصده المحدثون للأخذ منه ، وقد قصده الطبرى عند دخوله الكوفة مع جماعة من طلاب العلم ، وبعد أن تحقق أبو كريب مقدرة أبى جعفر فى العلم أجازاه بالرواية عنه . وتتصل سلسلة اسناده بعدد كبير من المحدثين الذين كانوا فى أيامه كأبى معاوية الضرير ، والأعشى ، وعثمان بن سعيد ، وبشر بن عمارة ، ويحيى بن يعلى المحاربى ، ويحيى بن عيسى . وقد أجازاه هؤلاء بالتحدث عن مشايخهم ، مثل : اسرائيل بن يونس بن أبى اسحاق السيعى الهمدانى أبى يوسف الكوفى المتوفى سنة ١٦٠ أو بعد ذلك بسنة أو ستين^(٤) ، وهو من المحدثين المشاهير روى عن جده أبى اسحاق السيعى ، وسماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهبى البكرى أبو المغيرة الكوفى المتوفى سنة ١٢٣ للهجرة ، من رواة الكوفة ممن أخذ عن عكرمة فى التفسير ومن العلماء بالشعر وبأيام الناس ، ويتصل سنده بعكرمة ومن عكرمة بابن عباس^(٥) . وفى تضاعيف القسم الأول من تاريخ الطبرى روايات أخرى أخذها الطبرى من أبى كريب عن مختلف مشايخه ، ذكر أسماءهم الطبرى ، تصل أسانيدنا الى رجال رووا عن ابن عباس^(٦) . ويدل ورود اسمه فى مواضع متعددة من هذا القسم على أن أبا كريب كان من المعينين بهذا النوع من الأخبار . ومن رواة ابن عباس التفسير فى التفسير أبو صالح باذان ، ويقال باذام مولى

(١) تهذيب التهذيب ٣/ ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٢) أنساب الأشراف « طبع الجامعة العبرية بالقدس ، القسم الثانى من الجزء الرابع ص ٢٣ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ٨٨ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ص ٥٠ ، ١٠١ .

١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ ، ٣٠٣ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٣) تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٥ ، ١٢/ ٢١٢ . ويرد اسمه كثيرا فى تفسير الطبرى .

(٤) تهذيب التهذيب ١/ ٢٦١ .

(٥) تهذيب التهذيب ٤/ ٢٣٢ .

(٦) الطبرى ١/ ٩٤ ، ١٤٢ ، ١٨٥ ، ٢٣٣ .

أم هانيء بنت أبي طالب . وكان يعلم الصبيان ، واشتغل بالتفسير ، وكان له فيه كتاب رواه عن ابن عباس ، وقد رواه عنه محمد بن السائب الكلبي وهو نفسه من المفسرين . وقد روى عن أبي صالح - الأعمش ، واسماعيل السدي ، واسماعيل بن أبي خالد ، وعاصم ، وأبو قلابة ، وسفيان الثوري ، وسماك بن حرب^(١) ، وغيرهم من رجال هذه الطبقة التي زاولت الحديث والتفسير ورواية الأخبار .

وقد دون الطبري قطعا من روايات أبي صالح عن ابن عباس ، أخذها في الغالب عن طريق شيخه الحارث بن محمد بن أبي أسامة التيمي المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة صاحب المسند ، وكان من الحفاظ المحدثين وقد سمع يزيد بن هارون ، وعلى بن عاصم ، وعمر بن شبة البصري ، وابن سعد ، والواقدي ، وابن المدائني ، والقعنبی ، وهدي ، وغيرهم من المحدثين والمؤرخين^(٢) .

وبرد اسم الحارث بن محمد في مواضع كثيرة من الطبري ، وأكثر أخباره عن ابن سعد صاحب الطبقات الشيرازي عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح بإذام عن ابن عباس^(٣) . وقد يتحدث عن مجاهد بن جبر عن الحسن عن وراق عن ابن أبي نجيح فمجاهد^(٤) ، أو عن عبد العزيز عن سفيان عن رجل آخر عن مجاهد^(٥) . برزت الكوفة في هذه العلوم التي تحدثنا عنها ، وكان لها صلة بتاريخ الطبري ، وقد اشتهر من مفسري الكوفة عالمان هما السدي والكلبي ، وكلاهما صنف تفسيراً ، وكلاهما كان موضع شك وريبة في نظر العلماء ، وقد اشتهر بينهم هذا القول : « كان بالكوفة كذابان : السدي ، والكلبي^(٦) » . لكن على الرغم من هذا التحذير أدخل الطبري في تفسيره وفي تاريخه طائفة من أقوالهما ، دون أن يلتفت إلى مواطن التشبهات ، وربما كان عذره في ذلك أنه لم ينقل عنهما في المواضع التي تتعلق بالأحكام . والواقع أن الطبري غريب في مثل هذه الانصرفات ، فهو قد آثر الرواية لمصنف « سيف » المنحول على مصنف الواقدي بسبب ما حام حول الواقدي من شبهة بين المحدثين^(٧) .

عرف السدي الكبير اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة أبو محمد القرشي الكوفي

(١) ابن سعد ، الطبقات ٦/٢٠٧ ، تهذيب التهذيب ١/٤١٦ ، المعارف ص ٢١٠ .

(٢) ميزان الاعتدال ١/٢٠٥ ، تاريخ بغداد ٨/٢١٨ ، تذكرة ٢/١٧٦ .

(٣) الطبري ١/٦٠ ، ٦١ ، ٦٦ ، ٧٦ .

(٤) الطبري ١/١٦٨ .

(٥) الطبري ١/١٨١ .

(٦) تهذيب التهذيب ١/٣١٣ .

(٧) دائرة المعارف ص ٤٩٣ (الترجمة العربية) مادة تاريخ .

الأعور المتوفى سنة ١٢٧ للهجرة بسعة علمه بتفسير كتاب الله ، وكان أحد ثلاثة اشتهروا في هذه المدينة بالتفسير : الشعبي ، ومحمد بن السائب الكلبي ، وهو . وقد اختلف أصحاب الحديث والأخبار في أمره ، هذا يضعفه ويقول : لا يصح الأخذ منه ، وهذا يقويه ويقول : انه ثقة صدوق ، مأمون ، أعلم بالقرآن من الشعبي . والطبري من الفريق الأول يروى أنه قال : لا يحتج بحديثه (١) . ومع ذلك فقد أخرج هو وابن أبي حاتم وغيرهما في تفسيرهم تفسير السدي مفرقا في السور من طريق أسباط بن نصر عنه (٢) . ويعتد أسباط بن نصر الهمداني أبو يوسف أو أبو نصر الراوية الأول للسدي ، وهو نفسه من رواة أهل الكوفة المعروفين ، الذين لم ينجوا من نقد النقاد . وقد وردت أكثر روايات السدي في تاريخ الطبري عن طريقه ، وهي في الاسرائيليات ، روى عنه رواة أكثرهم من مدرسة الكوفة ، مثل : أحمد بن الفضل الحضري الكوفي ، وعمرو بن حماد القناد ، وأبي غسان النهدي ، ويونس بن بكير ، وعبدالله بن صالح العجلي (٣) . وأنشد هؤلاء رواية عن عمرو بن حماد بن طلحة القناد أبو محمد الكوفي المتوفى سنة ٢٢٣ للهجرة (٤) شيخ موسى بن هارون الكوفي المتوفى سنة ٢٩٤ للهجرة (٥) راوية أخبار السدي ومسندها الى الطبري ، وابراهيم بن الحكيم بن ظهير الفزاري أبو اسحاق صاحب تفسير السدي (٦) وهناك شيخ آخر من مشايخ الطبري نقل أقوال السدي اليه هو محمد بن الحسين من رواة أحمد بن الفضل بن القرشي الأعمى الكوفي الحضري المتوفى سنة ٢١٤ أو ٢١٥ هـ . وهو من رواة أسباط والثوري واسرائيل . ولكن موسى بن هارون هو المرجح عند الطبري على غيره في رواية أقوال السدي التي قد تنتهي به وتقطع ، فيكون ذلك رأى السدي نفسه ، وقد تستمر حتى تتصل بابن عباس ، وحينئذ يقرن السند بسند آخر يصل بعبدالله بن مسعود ، فيكون السند على هذا المتوال

(١) تهذيب التهذيب ٢١١/١ ، لسان الميزان ٨٢/١ ، السمعاني ، الانساب ، ورقة ٢٩٤ ب ، الذريعة الى تصانيف الشيعة ، محمد محسن المعروف بأغابرك الطهراني

٢٧٦/٤ ، تاريخ بغداد ٢٩٣/٣ .

(٢) أعيان الشيعة ١٤/١٢ .

(٣) تهذيب التهذيب ٢١١/١ ، لسان الميزان ٨٢/١ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ٢٨٥/٦ « صاحب تفسير أسباط بن نصر » تهذيب

التهذيب ٢٢/٨ .

(٥) تذكرة الحفاظ ٢١٧/٢ .

(٦) الطوسي ، الفهرست ص ٤ .

« حدثني موسى بن هارون قال حدثني عمرو بن حماد قال حدثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن عبدالله بن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) . »

أما الكلبي الذي طعن فيه وكان صاحب اطلاع واسع ليس في التفسير حسب ، بل في الأيام والأنساب والأحداث وتاريخ العراق خاصة ، وهو محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ هـ ^(٢) ، فقد استمد مادة التفسير من تلامذة ابن عباس . وتختلف طريقة الاسانيد المتبعة في مخطوطة التفسير المنسوبة لابن الكلبي الموجودة في مكتبة برلين عن طريقة الاسناد المألوفة عن ابن الكلبي ، وتحتاج النسخة المطبوعة من التفسير والمنسوبة إليه الى دراسة ، فلعلها لغيره . وأكثر ظني أنها ليست له لوجود اختلاف بين هذا المطبوع والنصوص المقتبسة من تفسيره المبثوث في أثناء الكتب الأخرى . وراوى هذا التفسير هو محمد بن مروان بن عبدالله بن اسماعيل المعروف بالسدي الصغير المتوفى سنة ١٨٦ هـ ^(٣) حفيد السدي الكبير ، وكان من الملازمين للكلبي والمرافقين له حتى قيل له محمد بن مروان الكلبي ^(٤) . وقد حصل على شهرة واسعة في علم التفسير ، ولهذه الشهرة استقدمه سليمان بن علي الى البصرة وأجلسه في داره فجعل يملئ على الناس القرآن آية آية حتى أتم التفسير ^(٥) . وكان له ولد يقال له « العباس » روى عنه ، وقد أكثر البلاذري ^(٦) من الرواية عن العباس ، وكذلك أصحاب التاريخ والأخبار . فاما الطبري فقد اكتفى بالأخذ عن هشام .

وسند السدي عن الكلبي ضعيف عند العلماء ، فعندهم أن سلسلة « السدي عن

(١) الطبري ١/٢٠ ، ٢٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥٣ ، ١٣٠ ، ١٩٨ .

٢١٨ ، ٢٣٧ . ومواضع أخر .

(٢) عن ابن الكلبي : الفهرست ص ٩٥ (طبعة فلوكل) ابن سعد ، الطبقات

٢٤٩/٦ ، السيوطي ، الاتقان ٩١٦ .

Schwally. 2-P, 171. Ency. of Islam, Vol, 2, P, 689.

(٣) الذريعة ٤/٢٧٦ ، ٢٤٤ . عن نسخ تفاسير ابن الكلبي المخطوطة ببرلين ،

راجع Brockelmann Vol, 1. P, 190. Sprenger. 404 المطبوع بمدينة

« بمبي » سنة ١٣٠٢ . توجد نسخ منه في مكتبات الأستانة . Schwally 2 P, 171 .

(٤) تاريخ بغداد ٣/٢٩٣ .

(٥) الفهرست ١٣٩ .

(٦) راجع صفحات « أنساب الأشراف » طبع الجامعة العبرية .

الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، هي سلسلة الكذب^(١) .

وروى تفسير ابن الكلبى رجال آخرون اخذوا من الكلبى ، منهم : محمد بن فضل ابن غزوان الضبى الكوفى المتوفى سنة ١٩٥هـ^(٢) . وقد رواه عنه يوسف بن بلال السعدي الذى أخذ التفسير عن السدى الصغير كذلك ، وحيان بن على الغزوى أحد رواة ابن الكلبى^(٣) .

تأثرت أكثر التفاسير التى وضعت فى القرنين الأول والثانى للهجرة بمدرسة ابن عباس ، ومن هذه التفاسير تفسير الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٠هـ^(٤) ، وليس لدينا دليل قوى يؤكد وجود صلة تامة بين مدرسة ابن عباس وتفسير الحسن البصرى الا أن فى تكرار ورود اسم ابن عباس فى هذا التفسير ما يشير ضمنا الى أثر تفسير ابن عباس فيه^(٥) .

واختلف فى قتادة بن دعامة أبى الخطاب السدوسى المتوفى سنة ١١٧ أو ١١٨هـ^(٦) وهو مثل الحسن البصرى من أهل البصرة ومن المؤثرين فى مدرسة البصرة أكان ممن سمعوا من ابن عباس أم لا^(٧) . والظاهر أنه كان قد تأثر به . وقد روى تفسير قتادة

(١) سلسلة الكذب « الاتقان ص ٩١٤ . السيوطى ، لباب النقول فى أسباب النزول . تفسير سورة ١٢ ، ١٣ . ابن سعد الطبقات ٢٥٠/٦ .
Schwally 2. P, 170. Sprenger. 3. P, CXIV, otto loth in ZDMG. Vol. 35. P, 598 (1881).

(٢) تذكرة الحفاظ ٢٨٩/١ .

(٣) ابن سعد الطبقات ١١٤/٧ ، النووى ، ٤٠٩ فما بعدها .

(٤) Schwally 2. P, 168 .

تذكرة الحفاظ ٦٦/١ « الحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد البصرى »
الفهرست ١٨٣ (طبعة فولكل) . ابن خلكان الوفيات ١٦٠/١ تهذيب التهذيب ٢٦٤/١ .
ابن سعد الطبقات ١١٤/٧ فما بعدها .

Ency. Vol, 2. P. 2٦3. Von Kremer, Geschichte der herrschenden Ideen des Islam. P. 22. Horten, Die Philosophischen Systeme. P. 120

Schwally. 2. P, 168. Brockelmann, G.A.L. Vol, 1 P. 67. (٥)

(٦) وقيل ١١٢ هـ . الفهرست ٥١ « كتاب سعيد بن بشر عن قتادة ، كتاب تفسير محمد بن ثور عن معمر عن قتادة » . تذكرة الحفاظ ١١٥/١ « ومع تحفظ قتادة وعلمه بالحديث كان رأسا فى العربية واللغة وایام العرب والنسب » . تهذيب

Schwally. 2. P, 168. فما بعدها .
Schwally. 2. P, 168 . (٧) النووى ، ص ٥٠٩

جماعة من العلماء منهم خارجة بن مصعب السرخسى (توفى سنة ١٦٨هـ^(١)) وروى هذا التفسير عن سعيد بن أبى عروبة (توفى سنة ١٥٦ أو ١٥٧هـ^(٢)) . ومنهم شيان ابن عبدالرحمن المتوفى سنة ١٦٤هـ^(٣) ، ومعمار بن راشد المتوفى سنة ١٥٣ أو ١٥٤هـ^(٤) وسعيد بن بشير^(٥) ، وقد روى تفسير معمر بن راشد محمد بن تور^(٦) ، ولم يكن قتادة مفسرا حسب بل كان رأسا فى العربية واللغة وأيام العرب والنسب ، ويقال انه كان من أنسب الناس فى البصرة^(٧) .

ولا بد لنا أن نشير الى تفسير محمد بن كعب القرظى الذى سبق أن تحدثنا عنه ، فيظهر أنه ممن أخذ من ابن عباس . وقد استفاد من تفسيره ومن كتبه أبو معشر المتوفى سنة ١٧٠هـ وكتاب آخرون من أصحاب السير والمغازى^(٨) والتواريخ مثل الطبرى . ومن المفسرين الذين مثلوا طبقة أخرى بعد من تقدم ذكرهم شعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠هـ^(٩) الذى مر ذكره ، ووکیع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧هـ وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨هـ ، وميزيد بن هارون المتوفى سنة ٢٠٦هـ ، وعبدالرزاق ابن همام المتوفى سنة ٢١١هـ^(١٠) من رواة ابن جريج ومعمر والأوزاعى والثورى ، وكان صاحب مؤلفات ، وآدم بن أبى أياس (المتوفى سنة ٢٢٠هـ) كاتب الحديث عند شعبة^(١١) .

وفى الطبرى والتفسير ما يفيد أن ابن عباس كان له علم بالتوراة ، وأنه كان يقرأ التوراة ، وأنه كان يسأل أبا الجلد جيلان بن فروة الأزدي فضلا عن كعب الأجرار

(١) خارجة بن مصعب بن خارجة الضبعى بن الحجاج الحراسانى السرخسى .
تهذيب التهذيب ٧/٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٦٧/١ هو أثبت الناس فى قتادة .

(٣) تذكرة الحفاظ ٢٠٢/١ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ .

(٥) الفهرست ٥١ . Sprenger. Das Leben. Vol, 3, P,CXVI. nr. 7 .

(٦) الفهرست ٥٧ محمد بن ثور الصنعائى . أبو عبدالله العابد مات سنة تسعين

ومئة ، أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل . تهذيب التهذيب ٨٧/٩ .

(٧) الفهرست ٥١ . تذكرة الحفاظ ١١٥/١ .

(٨) تذكرة الحفاظ ١١٦/١ . Schwally. Vol, 2, P, 168 .

(٩) تذكرة الحفاظ ١٧٤/١ ، النووى ٣١٣ ، تهذيب التهذيب ٣٣٨/٤ .

(١٠) تذكرة الحفاظ ٣٣١/١ .

(١١) تذكرة الحفاظ ٣٦٩/١ .

ووهب بن منبه وعبدالله سلام ، ويرجع اليه فى فهم معضلات القرآن . وورد عن أبى الجلد أنه كان يقرأ الكتب ، وكان يقرأ القرآن فى كل سبعة أيام ، ويحتم التوراة فى سنة ، يقرأها نظرا ، فإذا كان يوم ختمها حشد لذلك ناسا ، وكان يقال : تنزل عند ختمها الرحمة^(١) . وقد نقل الطبرى شيئا من أقواله فى تفسيره . وأعتقد أنه كان من أصل يهودى . وتشبه هذه القصة القصص الأخرى المروية عن اخوانه مسلمة اليهود ، وهى على الرغم من سذاجتها وآثار الوضع البين عليها قد وجدت لها سيلا الى الكتب مع خذر أصحابها وخوفهم من الرجوع اليها بشهادة ابن عباس نفسه حيث روى أنه كان يقول : « لاسألوا أهل الكتاب عن شئ » « ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم^(٢) » . وقد يكون فى هذين الخبرين توضيح للفكرة الغامضة المنتشرة بين المؤرخين عن مدى تأثير ابن عباس بالاسرائيليات .

وقد يكون من النافع جمع أقوال ابن عباس المروية عنه فى الكتب ، وفى التفسير المنسوب له ، لتعلم الغاية التى بلغها التناقض فى أقوال هذا العالم . وإذا أردنا أن يكون قولنا هذا قولاً عملياً ، قلنا : الى أى مدى سيصل هذا التناقض فى أقوال تلامذة ابن عباس ، وهل يعقل صدور ذلك كله من رجل واحد أيا كان عدد طلابه ومهما اختلف ادراكهم فى الفهم ؟

وكان فى مصر تفسير زعم أنه تفسير ابن عباس رواه على بن طلحة الهاشمى ، أخذ منه الطبرى ، قيل انه من أصدق الروايات^(٣) ومع ذلك فهناك شك فى كون على ابن طلحة قد سمع هذا التفسير حضورا من ابن عباس .

ولابد لانهاء البحث فى هذا القسم من التحدث عن نفر من الصحابة وردت لهم أقوال فى تاريخ الطبرى ، وهم أبو ذر الغفارى المتوفى سنة ٣٢ أو ٣٣ هـ ، وعبدالله ابن مسعود المتوفى سنة ٣٢ أو ٣٣ للهجرة^(٤) ، وسلمان الفارسى المتوفى سنة ٣٥ أو

(١) طبقات ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ١٦١ .

(٢) المذاهب الاسلامية ص ٧٧ .

(٣) المذاهب الاسلامية ص ٧٧ .

(٤) غيرن الاخبار ص ٢٧٣ (طبعة Brockelmann) . طبقات ابن سعد ١٠٥/٣ فما بعد . (طبعة Sachau) ومقدمته ص XV . ابن هشام ١/٢٧٠ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ١٢٥/٢ ، ٢٧٦ ، ٣٢٨ ، ١٧٩/٤ (طبعة محمد محيى الدين عبد الحميد) .

٣٦ (١) ، وأبو هريرة المتوفى سنة ٥٧ أو ٥٨ هـ (٢) ، وجابر بن عبدالله المتوفى سنة ٧٨ (٣) ، وأُس بن مالك المتوفى سنة ٩٠ أو ٩١ للهجرة (٤) . أما الخلفاء الراشدون فليس لهم سوى روايات معدودة ، وأكثرهم حديثاً هو على بن أبي طالب حيث نقل الطبري شيئاً من أقواله أخذها من شيخه هناد بن السرى الذى مر ذكره عن أبى الأخصب سلام بن سليم الكوفى من زعماء مدرسة الحديث فى الكوفة (٥) الذى روى عنه جماعة محدثى الكوفة ، مثل : خلف بن هشام ، وأبى بكر بن أبى شيبة ، وعثمان ابن أبى شيبة وأمثالهم ممن أخذ منهم الطبري وطبقته . وقد حدث أبو الأخصب عن جماعة من العلماء ، مثل : زياد بن علاقة ، ومنصور بن المقمر المتوفى ٣٢ للهجرة (٦) ، وآدم بن على ، وسماك بن حرب . ويتصل سند سماك بن حرب بعرعة عن على بن أبى طالب (٧) .

وعرفت أخبار الامام على بن أبى طالب فى البصرة كذلك ، فقد أقام الامام بها مدة ، وترك فيها جماعة . وكان فى جملة من أخذ الطبري أخبار الامام منه فى أثناء

(١) طبقات ابن سعد ج ٤ القسم الأول ص ٥٣ فما بعد . كتاب اللمع (طبعة Nicholson) ص ١٣٤ ، الطبري (طبعة دى غويه) فهرسته . أسد الغابة ٣٢٨/٢ . ابن هشام ١٣٦ فما بعد (طبعة وستنفلد) .

Ency. Vol, 4, P, 116. C. Huart, Selman du Fars in Mélanges. H. Derenbourg. Paris 1909. P. 297.

(٢) كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٩٥ .

Ency. Vol, ' P, 93.f Sprenger, Das Leben Und die Lehre des Muhammad. Vol, 3, PP. IXXXIII. Goldziher, Abh. Zur Arabi. Philologie, 1.P49. ZDMG. 1487. Wensinck, Handwörterbuch des Islam, Leiden 1941. P. 10

(٣) طبقات الحفاظ ٤ رقم ١١ . ميزان الاعتدال ١٧٥/١ ، تذكرة الحفاظ ٤٠/١ ، Goldziher, Muh. Stud. Vol, 2.P, 10

(٤) تذكرة الحفاظ ٤٢/١ ، توفى بين ٩٠ - ٩٣ للهجرة . البلاذرى ص ٣٨١ (طبعة دى غويه) . المعارف لابن قتيبة ص ١٥٧ (طبعة وستنفلد) . ابن الاثير أسد الغابة ١٢٧/١ (طبعة القاهرة ١٢٨٦) .

Ency. Vol, 1. P. 346. Goldziher, Muh. Stud. 2. P, 32. Wensinck, Hand. des Islam, P. 51

(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٣٠ .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ١٣٤ .

(٧) الطبري ١/ ١٢٨ .

زيارته لمدينة البصرة عالمان اشتهرا بالحديث بين رجال أهل البصرة ، هما : ابن بشار ، وابن المنثى .

أما ابن بشار ، فهو محمد بن بشار بن عثمان العبدى البصرى المتوفى سنة ٢٥٢ للهجرة ، ويعرف ببندار ، وكان صاحب علم بالأخبار ، يقصده المحدثون من مختلف الأنحاء . وأما ابن المنثى ، فهو محمد بن المنثى أبو موسى العزرى البصرى المتوفى سنة ٢٥٢ هـ ^(١) . وقد نقلنا حديثهما الذى رواه عنهما الطبرى عن مؤمل . ويتصل سند مؤمل بسفيان بن عينة الكوفى عن أبى اسحاق السيسى عمرو بن عبدالله الهمداني الكوفى ، من أشهر أصحاب الحديث فى الكوفة . وقد حدث عن (٣٠٠) شيخ ، وحدث عن جماعة من الصحابة .

ولم يكن أبو اسحاق السيسى محدثا حسب ، بل كان نفسه قد ساهم فى الأحداث التى وقعت فى أيامه فاشترك فى الجيش الذى أرسله معاوية لغزو الروم ، والظاهر أن حملاته به كانت حسنة . وكان من أعلم الناس بحديث على بن أبى طالب وعبدالله بن مسعود ، وكان أحد أربعة اشتهروا فى عصرهم برواية الحديث ، هم : الزهرى ، وقتادة ، والأعمش ، وأبو اسحاق . يتفوق كل واحد منهم فى ناحية ، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف ، والزهرى بالأسناد ، وأبو اسحاق بحديث على وابن مسعود ، والأعمش بكل هذا ^(٢) . وهنالك سند آخر يصل الطبرى بالامام على ، هو سنده عن شيخه المعروف بالزغفراني من أهل بغداد . وهو أبو على الحسن بن محمد بن الصباح المتوفى سنة ٢٧٠ هـ ^(٣) ، من رجال الفقه بالعاصمة ، وأصله من نبط العراق . وكان من الملازمين للامام الشافعى ، ومن أقدر طلابه ، ولذلك كان يقوم بوظيفة قراءة الكتب وما يمليه الامام على الحاضرين فى حلقة الدرس لفصاحته وبلاغته . وكان من جملة مشايخه محمد ابن أبى عدى ، ويتصل سنده بشعبة عن أبى اسحاق السيسى عن عبدالرحمن بن دانيال ^(٤) عن الامام . وهذا الخبر هو فى تفسير الآية : « وان كان مكروهم لتزول منه الجبال » ، والتفسير - على ما يظهر - هو من قيل هذا القصص الوارد عن أهل الكتاب ، لعله من وضع ابن دانيال « دانيال » الذى يرجح أن يكون والده أو هو نفسه من أهل الكتاب . أما أقوال الصحابى عبدالله بن مسعود أحد علماء الصحابة فى القرآن الذى كان

(١) تذكرة الحفاظ ٨٦/٢ . الطبرى ١٢٩/١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٠٨/١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٩٧/٢ .

(٤) الطبرى ١٤٩/١ : « دانيال » .

قد جمع القرآن ورتبه فقد وصلت الى الطبرى عن طريق شيخه موسى بن هارون البغدادي الحمال المتوفى سنة ٢٩٤ هـ^(١) عن عمرو بن حماد عن أسباط عن السدى عن مرة الهمداني المعروف بمرة الخير المتوفى في حدود سنة تسعين^(٢) عن ابن مسعود ، وبعد مرة من المفسرين العباد ، ولذلك كانت في تفسيره مسحة من اللون الذي اصطبغت به تفاسير العباد والزهاد من النزعة الصوفية والميل الى القصص وحكايات الترهيب .
 يتصل سنده بأبى بكر ، وعمر ، وأبى ذر ، وأبى موسى الأشعري^(٣) .
 هذا ما أردناه من الكلام على موارد الطبرى في تأريخ العرب قبل الاسلام ،
 وسعرض في بقية كلامنا في المجلد الثانى لموارده في تأريخ الفرس .

موارد على

(١) تذكرة الحفاظ ٢/٢١٧ فما بعدها . الطبرى : فهرسته (طبعة دى غويه)

(٢) تذكرة الحفاظ ١/٦٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١/٦٣ ، الطبرى ١/١٥٦ ، ٢٣٧ ، ٢٢٣ .

مبحث في سلامة العربية

- ١ -

كتب كثير من الكتاب في وجوب سلامة العربية ، والحفاظ عليها من الغلط واللعن وسوء التركيب ورداءة الاستعارة ونحو غيرها من المجاز ، وصنف منهم جماعة في هذا الموضوع رسائل يعرفها كل من عني به ، ولكنهم كانوا بين مجيد ومقصر ، ومتساهل ومتحجر ، ومتقلل ومتكبر ، وقد ثبت أن التحجر الشديد دليل على النخر والدعوى العريضة التي لا بينة لها وأن التساهل الكثير دليل على قلة العلم أو التفتي من تبعه الخطأ وكلاهما مضر بالعربية ، محل بالقومية فإن اللغة قوامها ونظامها وأرشد السبل في المحافظة على سلامة اللغة وصحتها ، الاقتصاد والاستقامة ، ومعنى ذلك أن التخطئة والمؤاخذة ينبغي أن تكونا على حسب المقام ، (فالأسلوب العلمي أشد احتياجا إلى التساهل من الأسلوب الأدبي) وأن تعتمدا على امتناع وجوه التأويل اللاحظ والقياس المطرد والأشتقاق المستتب والتعريب الرشيق .

فأما التساهل في الأسلوب العلمي فلا أن اللغة العربية حديثة الاتصال بالعلوم والفنون الجديدة ، وقد كان لها عصر ازدهار علمي في العصور الحالية ، كثرت فيه اصطلاحاتها ومعرباتها ، وزادت به مشتقاتها ، ودام نماؤها ، واستديم فتاؤها وبهاؤها ، ولم ينته ذلك العصر المديد إلا بانتهاء حركة التأليف الفني والتصنيف العلمي فيها .

وأما المدافعة في الأسلوب الأدبي فلا أن هذا الأسلوب هو مظهر الفصاحة والبلاغة ومعرض البيان وجمال التركيب ، فلا يجوز فيه التحلل من شروط حسن التأليف ، ولا الترخص في استعمال الكلم ، ولا التسميح في التعبير ، فإن ذلك يؤدي إلى الإبهام والتعقيد اللغوي والمعنوي وهي من المحظورات في علم البلاغة ، إلا أن هذه المدافعة ينبغي أن لا تعتمد على التحكم ولا تستند إلى التكلف والتجني وإنما يجب فيها الرجوع إلى الأحكام اللغوية الصريحة والأقوال الصحيحة والشواهد الفصيحة ، لأن للكلم قيمتين قيمة معجمية وهي التي تذكرها المعجمات واستعمالية وهي التي تضمنها كلام العرب ، وقد تساوى القيمتان وربما اختلفان ، وعند الاختلاف يرجع إلى الاستعمال لأنه مظنة القيمة الحقيقية . وكذلك القول في القواعد النحوية ، والقواعد

الصرفية ، فإن الاستقراء السام لكلام العرب اذا خالفها دل ذلك على اختلالها واعتلالها ، وان ادعى لها أنها مبنية على الاستقراء ، فالدعوى الصحيحة لا تخالفها شهادة الاستعمال الذى يعتمد عليه ذلك الاستقراء .

وقد تبينا بكرة مطالعنا لكتب الأدب الفصيحة ومراجعتنا لكتب اللغة العربية أن المعجمات اللغوية أغفلت مقداراً كبيراً من اللغة وأهملت كثيراً من المشتقات ، ولو كان ذلك الأهمال من مؤلفيها إشارة الى القياس ما ذكروا القليل منها ولا فاتهم كثير من التعابير الصحيحة فضلاً عن المولدة المليحة ، ولطالما اغتررنا بما فيها فجررنا جرائر لغوية ، لأننا لم نفرع قبل الاغترار الى ما ذكرناه من التأويل اللاجب والقياس المطرد والانتقاف المستتب ، ولا عولنا على القيم الاستعمالية للكلم ، ولا راعينا التطور الذى هو طبعى فى كل لغة حية .

ومن الواجب علينا أن نشير الى أن جماعة قليلة من اللغويين لم يهملوا الإشارة الى تطور اللغة ولا تركوا الأيماء الى ما لتغير الأحوال وتبدل الدول واختلاف الأقطار من التأثير فيها ، وأبرعهم فى ذلك جار الله الزمخشري ، فقد نبه فى أساس البلاغة على هذه الأمور ، كالذى قاله فى الكلام على « استأهل » أى استوجب واستحق فإن من اللغويين من لا يراه فصيحاً ، قال « وقد استأهل لذلك وهو مستأهل له ، سمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالاً واسعاً » وعلى ب د د قال : « من الكناية سمعت مرشد بن معضاد الحفاجي يقول : « خرجت أبده » كنى بذلك عن البول وعلى ب خ ن ق قال : « وأملت على أم هبة : أم متواى بالطائف فى كتاب استكسبته الى ابنتها (١) بمكة خفرة تقول : « لكم ياعمى أشكو اليك حر العرى فى وجهى فأرسلنى الى من مخاضب حائكم ما أتبخق به » .

وعلى ب ث ث قال : « وقد انبت هذا الخبر وسمعت من يقول : الروح فى القلب على سبل الركز وفى غيره على سبل الانبثا » . وعلى ب ث ن قال « أخضبت الارض وصارت بثنية وعسلا وهى خنطة موصوفة ، سمعت شامياً يصفها بالحمرة ويقول قمح الشام انواع منه البثى والكيون والحسن والهويدى والتاقونى والشيلونى والسوادى » . وقال فى الكلام على مادة (ت ر ب) « ووطئت كل تربة فى أرض العرب فوجدت تربة أطيب التراب وهى واد على مسيرة أربع ليال من الطائف ورأيت ناساً من أهلها ، وكان عندنا بمكة التربي المؤتى بعض مزامير داود » .

(١) جاء فى طبعة دار الكتب المصرية تعليق على هذه الكلمة نصه « الى ابنتها هكذا بالأصل ولعلها الى عمتها » وهو صواب .

وعلى ت و ر قال : « وكان رسول الله - ص - يتوضأ بالتور وهو انا صغير وهو مذكر عند أهل اللغة ومررت بباب العمرة على امرأة تقول لجارتها : أعيرينى تويرتك » .
وعلى خ ص ص قال « وسددت خصاصة فلان » جبرت فقره . وسمعت أهل السراة يقولون : رفع الله خصتك » . وعلى د ف ن قال « وفيه داء دفين وهو الذى لا يعلم به حتى يظهر شره وسمعت من العرب من يقول فى رائية ذى الرمة : أبياتها كلها دفن أى غامضة معماة » .

وعلى الز مخشرى فى الاهتمام بلفظة عصره والتطور الذى يصيب الكلمات أحمد الفيومى وهو من ضعفاء اللغويين^(١) ، قال فى ج ف ف من الصباح « والتجفاف : تفعل بالكسر شئ تلبسه الفرس عند الحرب كأنه درع والجمع تجافيف ، قيل سعى بذلك لما فيه من الصلابة واليوسة » وقال ابن الجوالقى : التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن . وهو الذى يسمى فى عصرنا بركبطلوان » . وفى ع م ر « والعمارية : الكحاجة كأنه نسبة الى الاسم » . ونجد قريبا من هذا فى تاج العروس .

وأفرد ما أشرنا اليه من الجديد فى اللغة والطارىء عليها واحد بل انسان من اللغويين أحدهما شهاب الدين الخفاجى مؤلف « شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » ، ذكر فيه الجديد واقتديم وخدم العربية خدمة مشكورة سجيىس الليالى^(٢) ، واقتدى به دوزى العلامة الهولندى قألف مستدركا لمعجمات اللغة العربية ، وفسره بالافرنسية ، وألف فى هذا الضرب مع ادماجه فى الاصول المستشرق لين الانكليزى وفسر معجمه بالانكليزية ، ومع سعيهما المشكور فانهما كثير من الانفاظ المولدة ، فان الإحاطة بها مستحيلة .

واللغة فى الحقيقة كالعين الجارية الغزيرة العد ، يتدفق منها الماء المعين ، فجددها ممتزج بقديمها ، وجريانها مستلزم لتجدد مائها ، قال المجد الفيروزأبادى فى القاموس « والتيروز أول يوم من السنة معرب نوروز ، قدم الى (على بن أبى طالب) شئ من

(١) انظر الى استدلاله على تفكير « منسدل » فى « ندل » من مصباحه قال « المنديل مذكر قاله ابن الأنبارى وجماعة ، ولا يجوز التأنيث لعدم العلامة فى التصغير والجمع فانه لا يقال منديلة ولا منديلات ولا بوصف بالمؤنث فلا يقال منديل حسنة فان ذلك كله يدل على تأنيث الاسم . فاذا فقدت علامة التأنيث مع كونها طارئة على الاسم ، تعين التذكير الذى هو الاصل » قال ذلك مع أنه ذكر قاعدة التصغير للمؤنث الذى تلحقه التاء فى « صغر » من مصباحه بأن الاسم لا تلحقه التاء الا اذا كان ثلاثيا مثل قديرة وعيينة ، وذكر فى « قدم » أن قدام مؤنثه وتصغر بالهاء فيقال قديديمة وأنه لا يصغر رباعى بالهاء الا قدام ووراء » . فتأمل ذلك واقرا مادة « نال » .

(٢) والثانى أبو منصور الجوالقى مؤلف « المعرب » .

الحلاوى ، فسأل عنه ، فقالوا : للنيروز . فقال « نيرزونا كل يوم » ، وفي المهرجان قال « مهرجوننا كل يوم » * والسبب في ذلك أن النيروز والمهرجان لما دخلا في العربية واستعملا في صدر الاسلام استلزما اشتقاق فعلين لهما فسبق الامام غيره الى اشتقاقهما ، ولم ينكر عليه أحد ذلك الاشتقاق لأنه جرى على طبيعة العربية ، وذلك أن اسم كل من العيدين استعير للحلوى فكان معنى « نيرزونا ومهرجوننا » : قدموا لنا حلوى النيروز والمهرجان أو أطعموناها . كما قالت العرب « زودونا وعسلونا وتمرونا » أى أعطونا زادا وعسلا وتمرا . »

وذكر الشافى في كتابه « الديارات » أن أبا بكر أحمد بن محمد اللبادى الشاعر من أهل القرن الرابع للهجرة كان يلبس أبدا على ثيابه لبادا أحمر وأنه مدح أبا القاسم يوسف بن يوداذ بن أبى الساج نصار الى داره فلما دخل الدهليز قال له الحاجب - وقد أنكر زيه ولباده - : أى شئ أنت ؟ قال : شاعر ، وقد مدحت الأمير . فقال لبعض من بين يديه « زبطره » فزبطره وانصرف ، وكتب الى بكر بن محمد بن أحمد كاتب الافشين أبياتا منها :

فلما انتهيت الى داره جزيت على مدحه زبطره
فأنكرت جائزتي منهم وكانت لعمر أبى منكره

فليت شعري ما هذه الزبطره ؟ فليس لها أثر في كتب اللغة القديمة ولا في المستدركات ، ولكن ظاهرها يدل على أن لها علاقة بمدينة « زبطرة » ^(١) فمن ملك الروم توفيل بن ميخائيل أوقع في سنة « ٢٢٣ » بأهل زبطرة : قتل وأسر ممن بها من الرجال وسبى الذرية والنساء ومثل بمن صار في يده من المسلمين وسمل أعينهم وقطع أنوفهم وآذانهم ^(٢) ولم يخرج أهل زبطرة الأسرى من بلاد الروم الا في قداء سنة « ٢٣١ » ^(٣) . وعلى هذا يكون معنى « زبطره » فعل به بعض ما فعل ملك الروم بأهل زبطرة في الحرب .

فللغة العربية قابلية طبيعية لمجاراة الزمن وللتطور تطورا معتمدا على طبيعتها في النحت والاشتقاق والتعريب ، ومعرفة هذه الطبيعة واجبة على من عنى بها ووكل اليه

(١) بالكسر ثم الفتح وسكون الطاء المهملة وراء وهاء : مدينة كانت بين ملطية وشمشاط .

(٢) كامل ابن الاثير في حوادث هذه السنة .

(٣) التنبيه والاشراف للمسعودى « ص ١٦٢ » من طبعة مصر .

الحفاظ على سلامتها بدفع المخل عنها وازدافه المعنى لها اليها ، فالازدافه نوع من التوقى والاستعداد يعين على بقائها صحيحة زامية كما يحفظ التوقى الجسد من الامراض ويستديم صحته .

وقد اصاب اللغة وقواعدها شىء من الضعف والابتذال والحيث بتحكيم شعرها فى نشرها ، على أن فريقا من العلماء عدوا الشعر المحتوى على ما يخالف اللغة وقواعدها من الضرائر التى تسوغ للشاعر دون الناثر ، ولكنهم اختلفوا فى تعيينها ، فجماعة من النحويين ادخلوا صدرا من الضرائر فى قواعد النحور وذكروا أنها مخالفة للنثر ولكنها سائغة وجارهم فى ذلك فريق من اللغويين ، وآخر كتاب ألف فى الضرائر الشعرية هو « الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر » من تأليف العلامة السيد محمود شكرى الآلوسى (١) قال فيه « وذهب الجمهور الى أن أغلاط العرب ليس من قبيل الضرورة وانها لا تغفر لهم ولا يمدحون فيها ولا يتابعون عليها كما يتابعون فى الضرائر » (٢) ، ثم قال تحت عنوان « انابة حرف مكان حرف » :

« وقد عد ابن عصفور هذا الباب من الضرائر الشعرية فى كتابه فقال : ومنه انابة حرف مكان حرف . وأورد لذلك عدة شواهد منها قوله :

اذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها

أراد « عنى » ووجه ذلك أنها اذا رضيت عنه أحبته وأقبلت عليه ولذلك استعمل « على » بمعنى « عن » (١) ... ثم قيل : وهذا الذى قاله ابن عصفور لم يذكره غيره كيف وقد ورد فى القرآن والحديث وغيرهما وغاية ما قيل انه لا يطرد فى كل موضع « وأيد ذلك بقول لابن جنى فى الخصائص (٤) .

وانا أرى كثيرا من الحق فى قول ابن عصفور ، وقد ذكرنا بيان العلة فى ذلك فى موضع آخر من مواضع النشر (٥) ، والذى ورد منه فى القرآن الكريم يوضحه ما ورد فى مادة (ق و م) من الصحاح للجوهري فى « والاستقامة الاعتدال » ، يقال : استقام

(١) شرحه وطبعه (الأستاذ محمد بهجة الاثرى) فى المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤١ .

(٢) الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر « ص ٤٦ »

(٣) فى الأصل « من » وهو من غلط الطبع الذى لم يصحح .

(٤) الضرائر « ص ١٤٦ - ٧ » .

(٥) اراجع مقال « القول الناجع فى الغلط الشائع » فى الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق .

له الامر ، وقوله - تعالى - : فاستقيموا اليه . أى فى التوجه اليه دون الآلهة . • ومنه يعلم أن هذا الباب يعتمد على الحذف والتقدير ، وهذا الحذف وتقديره من أسرار البلاغة فى اللغة العربية ، أفلا ترى أن قولنا « غادر فلان بغداد الى البصرة » لا يتجه الا بتقدير « قاصدا الى البصرة » وقولنا « من لى بفلان ؟ » لا يصح الا بتقدير « من آت لى بفلان » أو « من ظفر لى بفلان » وقولنا « خرجت فاذا^(١) » به واقفا بالباب « لا يصح الا بتقدير « خرجت فاذا أنا شاعر به واقفا بالباب » أو ما فى معناه ، وقولهم فى المثل « الذود الى الذود » لا يصح الا بتقدير « الذود مضموما الى الذود ابل » ومنه يعلم أن قولهم « الامر لك » هو غير قولهم « الامر اليك » ففى الثانى تقدير « مسند وموكول » فتكون الجملة « الامر موكول اليك » . وقلة البناية بهذا الباب جعلتهم يحارون فى قوله تعالى « من أنصارى الى الله » فالتقدير - والله أعلم - « من أنصارى ضارعين الى الله » أو « متوجهين الى الله » أو « متوسلين الى الله » أو « لاجئين الى الله » وكلها بمعنى واحد وتقدير جماعة من المفسرين أنه « من أنصارى مع الله » ليس له معنى واضح سوى أن يكون « من أنصارى منضمين الى الله » أو فى الانضمام ، وإذا رجعنا الى تأويل صاحب الصحاح الذى نقلناه آنفا كان تقديره « من أنصارى فى الضراعة أو التوجه أو التوسل أو اللجوء الى الله » ، والذى يعنينا التقدير حسب ، والتقارب فى المعنى بين المقدرين .

وضمن سلامة اللغة لا يستوجب الاقيات على روحها ولا رميها بالجمود والعجز ولا اتخاذ قواعدها غايات لا ذرائع الى البيان بها ، فالتقد اللغوى والتقد النحوى معروفان منذ زمن الكسائى اذ ألف كتاب « ما تلحن فيه العامة » . وألفت بعده كتب فى هذا الفن وفى لحن الخاصة ، ولكننا فى عصرنا لا نطمع من الخاصة فى أن يتكلموا باللغة الصحيحة المعربة فضلا عن العامة وإنما أصبحت اللغة العربية صناعة لا يجيد الكتابة بها الا من يدمن تعلمها فيتقنها اتقاناً تاماً ، فى الكتابة والقراءة ، ويجب أن يكون فرق بين الذى يريد أن يكتب بها والذى يريد أن يكتب فى نقدها ، وهذا الفرق هو كالفرق بين التاجر الذى يعامل الناس ويبيعهم بالدرهم والصيرفى الذى حرفته نقد الدراهم والمعاملة بها معا ، وكنا أشرنا الى أن جماعة من الكتاب صنفوا فى التقد رسائل يعرفها كل

(١) هذا هو القول الصحيح ، ورفع « واقف » من الخطأ ، ودعوى أن الباء زائدة وهم من الأوهام فقد جاءت فى قولهم « فاذا أنا بفلان واقفا » وهذا يدل دلالة قاطعة على أنها ليست بزائدة .

من غنى بهذا الشأن ولكنهم كانوا بين مجيد ومقصر ومتساهل ومتحجر ومتقلل ومتشر - كما أومأنا إليه - .

وأشيع كتب النقد اللغوي في أيامنا لغة الجرائد « للشيخ ابراهيم اليازجي وهي المقالات التي نشرها تباعا في مجلته انضياء » و « تذكرة الكاتب » لاسعد خليل داغر وقد كان نشر قسما من مقالاتها في مجلة المضمار ، ولكنه كان دون ابراهيم اليازجي علما ومعرفة بالنقد ، حتى لقد أنكر ما جاء على وفق القواعد التحوية وكلام العرب ،^(١) وكان الغلط يحدث في كلام فحول اللغة ، زلزل بعضهم ينتقد على بعض فما ظنك بأسعد خليل داغر وغيره من المعاصرين لنا وان سبقونا الى الغاية المحتومة ؟ وقبل أن نعرض امثله من نقدهم ونذكر رأينا فيها نجب أن ننقل ما قاله العلامة السيد شهاب الدين محمود الحسني الألوسي في الاحتجاج لاستعمال « كافة » اسم فعل استعمالا مطلقا ، قال :

« ومقتضى الوضع أن كافة لا يلزمه ما ذكر (من استعماله بمعنى جميع منكرنا منصوبا في الناس خاصة) فيستعمل كما استعمل « جميعا » معرقا ومنكرا بوجوه الاعراب في الناس وغيرهم . والظاهر الجواز لا نألو اقتصرنا في الالفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة حجرتنا الواسع وعسر التكلم بالعربية على من بعدهم ، ولما لم يخرج عما وضع له فهو حقيقته وانذى يشهد له العقل السليم أنه لا مجيد عما قلناه الا للمكابر ومعاند ، على أنه قد ورد في كلام البلغاء على خلاف ما ادعوه كما في كتاب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لا ل بني كأكلة^(٢) فان فيه « قد جعلت هكذا لا ل بني كأكلة على كافة بيت مل المسلمين مثنى مثقل ذهب ابريزا ، كتبه عمر بن الخطاب وختمه » وعلى ختمه « كفى بالموت واعظا يا عمر^(٣) » .

فانذى ينتقد على الناس لفهم لا يجديدا من الاخذ بهذا الرأي السديد ، واذا

(١) كتخطئته من قال « سافر فلان في السكة الحديد » - ص ٤١ - وزعمه أن صواب هذا التركيب « السكة الحديدية » مع أن قول الفائل هو الصحيح وقوله هو الغلط ، بما صرح به النحويون وما جاء في كلام العرب ، لأن معنى « السكة الحديدية » غير معنى « السكة الحديد » التي هي ترجمة « شمن دي فير » بالفرنسية .

(٢) منهم القاضي عماد الدين أحمد بن اسماعيل الكاكي الأردبيلي من أهل القرن السابع للهجرة ، ذكره ابن الفوطي في معجم الالغاب قال « هذا من أولاد القضاة الذين يتوارثون بمكتوب (كذا) ، عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما » (ج ٤ ص ٩) من نسختنا .

(٣) كشف الطرة عن الغرة « ص ٨٦ » .

ثبت عنده خطأهم في كلمة من الكلم أو عبارة من العبارات فعليه أن يذكر صوابها أو ما يقوم مقامها والا كان كالطبيب الذي يدعى أنه يعرف الداء ولا يستطيع أن يصف الدواء ، بل هو دون ذلك الطبيب الناقص العلم .

توفرت الخبرة :

ومما عده أسعد داغر في تذكرته غلطا قولهم « يجب أن تتوفر فيه الخبرة التامة وهذا الامر لم تتوفر فيه الاسباب الكافية » . قال « يستعملون الفعل توفر بمعنى وفر أو توافر أى كثر ، فيقولون يجب أن تتوفر .. وهذا الامر لم تتوفر .. وفي اللغة : توفر عليه رعى حرمانه وصرف همته اليه » .^(١) انتهى قول أسعد .

والحقيقة أن « رعى حرمانه » غير « صرف همته اليه » لأن التوفر الأول على الانسان والتوفر الثاني على الاشياء ، فاخلط بينهما توحيد لمعانيهما وليس ذلك بصحيح قال الزمخشري في أساس البلاغة « وتوفر على صاحبه : اذا رعى حرمانه . وتوفر على كذا : اذا كان مصروف الهممة اليه » . و « كذا » كناية عن الشيء والعدد - كما هو معلوم - وقد تستعار الحرمة للشيء فيستعار لها الفعل على الاتساع ، ولكن ذلك لا ينفي استقلال « توفر على كذا » .

ومما يبعث على العجب من نقد مؤلف التذكرة أنه لم يذكر اكثر معاني مادة « و ف ر » مع انها تدل على الكثرة والتكثير والحفظ والابقاء والارعاء وانكمال والاكمال والتمام والانمام والجمع والاجتماع والصيانة والوقاية وما الى ذلك ، ولا أشار الى أن الثلاثي « وفر » له رباعي هو « وفر توفيراً » قياساً وسماعاً ، ولا أوماً الى ان الصنفين أجمعوا في مذهبهم الصرفي على أن لكل « فعل » متعدد مطاوعاً على وزن « تفعل » فإن جاء في اللغة « وفره توفيراً » بمعنى « اكمله اكمالاً وأتمه اتماماً وجمعه جمعا » ففي ذلك جواز اشتقاق « توفر »^(٢) عندهم ، والمؤلف تابع لهم ومحتج بأقوالهم وما قيس على لغة العرب فهو من لغتهم ، قلت هذا على مذهب من يرى المطاوعة .

(١) تذكرة الكاتب « ص ٦٦ » .

(٢) قال الزمخشري في المفصل « وتفعّل يجي مطاوع فعل نحو كسرتة فتكسر وقطعته فتقطع وبمعنى التكلف نحو تشجع وتصبر وتحكم وتقرأ ... ومنه تقيس وتنمر ، وبمعنى استتعمل كتكبر وتعظم وتعجل الشيء وتيقنه وتقصاه وتشبته وتبينه . وللعمل بعد العمل في مهلة كقولك تجرعه وتحساه وتعرفه وتقوّه ... وبمعنى اتخاذ الشيء نحو تدبرت المكان وتوسدت التراب ... وبمعنى التجنب كقولك تحوب ... ، ومما زاد عليه الرضى « صيرورة الشيء ذا أصله » كتناهل وتآلم وتآكل وتأسف .

وبتفرقا معانى صيغة « تفعل » نعلم أن « توفر » مطاوع « وفرة توفيراً » عند الصرفيين ، فيكون أصل القول « يجب أن توفر فيه الخبرة التامة فتوفر هي » .
 أى تجتمع فيه الخبرة التامة وتكمل ، و « هذا الامر لم توفر فيه الاسباب الكافية فلم تتوفر هي » أى لم تجتمع فيه الاسباب الكافية ولم تكمل . وبه يعلم أنهم لم يريدوا بقولهم « تتوفر الخبرة ولم تتوفر الأسباب » تكثر الخبرة ولم تكثر الأسباب - كما ظن مؤلف التذكرة - بل ارادوا « تكمل الخبرة وتجتمع » ، ولم تكمل الأسباب ولم تجتمع . ذلك لأن الخبرة محدودة الاجزاء معلومة الصفات ، ولأن الأسباب معدودة محدودة ، فلا تطلب الكثرة فيها وانما يراد اجتماعها وكمائها .

وقد أورد الشيخ ابراهيم اليازجى فى كلامه على الاقتصاد « توفر » من تأريخ المسعودى وأرسله ارسال الافعال المسلمة الصحة قال (١) :

« فمن ذلك ما جاء فى مروج الذهب للمسعودى فى الكلام على خلافة المعتضد نقلا عن ابن حمدون أن المعتضد أمر أن ينقص حشمه ومن كان يجرى عليه من كل رغبة أوفية ... قال ابن حمدون : فعجبت من ذلك فى أول أمره ثم تبينت انقصه فاذا أنه يتوفر من ذلك فى كل شهر مال عظيم (٢) » .

فانظر الى قوله « يتوفر » فهو بمعنى « يجتمع » ولو كان « التوفر » يفيد الكثرة ما قال « مال عظيم » ولاكتفى بذكر المال ، وعلى هذا يكون قوله « تتوافر الخبرة ولم تتوافر الاسباب » بعيدا عن المراد كل البعد ، فالتوافر هو ذو الكثرة مطلقا ، وانما المراد « التوفر » أى التجمع والاجتماع والوجود المتضام الاجزاء .

ولم تقصر كتب اللغة فى ايراد « توفر » الا أنها أوردت منه استعمالين فدلّت صيغهما على الاستعمالات الاخرى ، وقد جاء على الصورة التى يريدّها الكتاب فى الاغانى لأبى الفرج الأصفهاني ، قال بشار بن برد : « ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب » ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وتذكر قريحته (٣) . فتوفر الحسن كتوفر الاسباب وتوفر الخبرة ، وجاء فى كتاب (٤) طاهر بن الحسين الذى يوصى

(١) لغة الجرائد « ص ١٥ » .

(٢) اختصر اليازجى الخبر ، وتمتمه فى الاصل « ج ٢ ص ٤٦٢ » طبعة عبدالرحمن

محمّد و « ج ٤ ص ١٦٨ » طبعة دار الرجاء .

(٣) الاغانى « ج ٣ ص ١٤٢ » من طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) قال أبو الفضل أحمد بن طيفور « تنازعة الناس وكتبوه وتدارسوه وشاع

أمره حتى بلغ المأمون فدعا به وقرى عليه » .

فيه ابنه عبدالله : « فكثر خراجك وتوفرت أموالك »^(١) .

وقال الشريف المرتضى في شرح :

شغارة تقذ الفصيل برجلها قطاردة لقوادم الإبكار

« وقوله : تقذ الفصيل برجلها ، أى تركله وتدفعه عن الدنو الى الرضاع ليتوفر

اللبن على الحلب »^(٢)

فقوله « ليتوفر اللبن على الحلب » معناه ليجتمع لبنها ويتحفل . وركب زياد يوما في السوس يطوف الضياع والزرع فرأى عمارة حسنة فتعجب منها فخاف أهلها أن يزيد في خراجهم فلما نزل دعا وجوه البلد وقال : بارك الله عليكم فقد أحسستم العمارة وقد وضعت عنكم مئة ألف درهم . ثم قال : « ما يتوفر على من تهالك غيرهم على العمارة وأنهم جورى أضعاف ما وضعت عن هؤلاء الآن »^(٣) . . وقال عز الدين ابن أبي الحديد في الرد على الشريف المرتضى في قضية فذك « فليت شعري كم مقدار ما يتوفر على أبي بكر وستة نفر معه وهم من جملة خمسين ألفا أترى يكون المتوفر على أبي بكر وشهوده من التركة عشر عشر درهم ؟ ما أظن أنه يبلغ ذلك »^(٤) .

وقال الثعالبي في ترجمة بديع الزمان الهمداني « واختص بالدهخدا »^(٥) أبي سعيد محمد بن منصور - أيداه الله تعالى - ونفقت بضائعه لديه وتوفر حفظه من عادته المعروفة في اسداء المعروف والافضال على الافاضل^(٦) . . وقال القاضي الاكرم العلامة على بن يوسف المعروف بابن القفطي في ترجمة فلوطرخس « كان فيلسوفا مذكورا في عصره يعلم جزءا متوفرا من هذا الشأن » وفي ترجمة أبي الحسن بن غسان الطيب المصري « وكان لأبي الحسن هذا أدب متوفر وشعر حسن »^(٧) . . وقال شمس الدين ابن خلكان في ترجمة عماد الدين بن يونس « وتوفرت حرمة عند الظاهر أكثر مما كانت عند أبيه »^(٨) . . وأنشد أبو عبدالله الحسين بن علي اللغوي البصري النمرى لما مات أبو عبدالله محمد بن المولى الأتردي - وكان بينهما تنافس - :

(١) أخبار بغداد لابن طيفور « ص ٣١ » طبعة عزة انعطار الحسيني .

(٢) أمالي الشريف المرتضى « ج ١ ص ٥٦ » .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ج ٤ ص ١٣٦ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ٩٢ » .

(٥) في معجم الأدباء ، لياقوت الحموي « الدهخواه » ج ١ ص ٩٦ طبعة مرغليوث .

(٦) نيتيمة الدهر « ج ٤ ص ٢٤١ » طبعة الصاوي .

(٧) أخبار الحكماء « ص ١٧٠ ، ٢٦٣ » من طبعة مصر .

(٨) الوفيات « ج ٢ ص ٥١ » من طبعة العجم .

وكانت بيتا أبدا هــ توفّر عرضه منها وعرضي^(١)
وقال أبو الطيب المتنبّي :

بدر فتى لو كان من سؤانه يوما توفّر حظّه من مانه
قل ابن عدلان الموصلي فيما قال يشرح هذا البيت « فلو كان بدر من سؤال نفسه
لكان حظّه أوفّر من ماله^(٢) » .

وقال ابن عتبة في خبر من الاخبار « فما توفّرت على الطالبين أموالهم^(٣) » .
وعلى ما ذكرنا من الشواهد يقال « توفّر الحسن وتوفّرت الاموال ، وتوفّر اللبن على
الحلب ، وتوفّر عليه المال ، وتوفّر عليه كذا وكذا ، وتوفّر حظّه ، وتوفّرت حرمة ، وتوفّر
علمه ، وتوفّر أدبه ، وتوفّر عرضه » ، وهذا زيادة على « توفّر فلان على الأمر ، وتوفّر فلان
على فلان » . فكيف لا يقال « توفّرت الخبرة ولم توفّر فيه الأسباب » ؟ وكيف يدعى المدعى أن
الصواب « توفّر » والفرق بين الفعلين بعيد ؟ بالفعل « توفّر » بمعنى اجتمع وكمل
ومعناه هذا مستفاد من لغة زياد بن أبيه وبشار بن برد وطاهر بن الحسين والمتنبّي
وأبي عبد الله النعماني البصري والشريف المرتضى والنعماني وابن أبي الحديد المدائني
وابن القفطي وابن خلكان وابن عتبة . فهو مستعمل من اواسط القرن الاول للهجرة
حتى اوائل القرن التاسع لها ، فليس بدعاً أن يستعمله كتاب العرب في عصرنا وهم
قد قرؤوه في كتب الادب والاخبار كمقدمة ابن خلدون فانه استعمل « توفّرت الدواعي »
قال « وهو على ما ذكرناه من الغرابة توفّر الدواعي على نقله^(٤) » .

هو وقور وهم وقر وهن وقر ووقائر

ومما ينبغي التنبيه عليه قولهم « هم وقورون وهن وقورات » يحسبون أن
« اليقور » يجمع جمع سلامة وليس ذلك الحسبان بصحيح ، قال ابن الحاجب في
الكافية في جمع الصيغة جمع مذكر سالماً : « وان كان صفة فمذكر يعقل وأن لا يكون أفعل
فعلاً ، مثل احمر ولا فعلان فعلى مثل سكران ولا مستويا فيه مع المؤنث مثل جريح وصبور
ولا بناء تأنيث مثل علامة » . وقال في الشافية « ونحو صبور على صبر غالباً » . قال الرضي
الاسترابادي :

(١) المرجع المذكور « ص ٧٢ » .

(٢) شرح ديوان المتنبّي « ج ٢ ص ١٧٨ » لابن عدلان الموصلي ونسب الى
العكبري خطأ .

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ٦٢ » وهذه الشواهد كلها نقلناها
من « معجمنا اللغوي » ولا يزال مخطوطاً .

(٤) مقدمة ابن خلدون « ص ٨ » من طبعة المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ .

« قوله : ونحو صبور على صبر غالباً . سواء كان للمذكر أو للمؤنث ويستوى في هذا البناء المذكر والمؤنث ، والتاء في فروقة ومولوة للمبالغة فمن قال « فروقة » قال فروقات ومن قال « فروق » قال في جمعه فرق ، كما ذكرنا في شرح الكافية في باب الجمع ، وقد يجمع مؤنث فعول المجرد على « فاعل » كعجوز وعجائز وقلوص وفلاص وجدود وجدائد وذلك لأن علامة التانيث فيه مقدرة فكانه فعولة كما ذكرنا في فعل الاسمي وفعائل أكثر فيه من فعل ولا سيما فيما اختص بالمؤنث كقلوص وجدود . ولا يجمع « فعول » جمع السلامة - كما ذكرنا في شرح الكافية - (١) .

وقال ابن الحاجب في الكافية في شرط جمع الصفة جمع مؤنث سالماً : « وشرطه أن كان صفة وله مذكر فأن يكون مذكراً جمع بالواو والنون » . وقال الرضي الاسترابادي : « وإن لم يكن في النصف المؤنث علامة تانيث ظاهرة ولم تكن خماسية أصلية الحروف لم تجمع بالالف والتاء سواء كان لها (٢) مذكر يشاركها (٣) في اللفظ كجريح وصبور (وسائر ما يستوى مذكراً ومؤنثه ، حملاً لها على مذكراتها المتنوعة من الجمع بالواو والنون) أو لم يكن له مذكر أصلاً كحائض وطلق ومطل « ثم قال شارحاً : « ومعنى هذا الكلام أن المؤنث على ضربين إما أن يكون له مذكر أولاً ، فإن لم يكن له مذكر فشرطه أن لا يكون مجرداً عن التاء كحائض وإن كان له مذكر فشرطه أن يكون ذلك المذكر جمع بالواو والنون ، فخرج بهذا القيد « فعلاء أقبل وفعل فعلان » وجميع الأمثلة التي يستوى مذكرها ومؤنثها كصبور وجريح (٤) . »

والذي نقلنا يدل على أن « فعلاً » الصفة إذا كانت بمعنى « فاعل » مثل صبور بمعنى « صابر » (٥) فإن المذكر والمؤنث فيه يستويان ولا تلحقه علامة التانيث ولا يجمع جمع سلامة ولذلك يجب أن يقال « رجل وقور وامرأة وقور » و « رجال وقر ونساء وقر ووقائر » ومن الغلط أن يقال « امرأة وقورة ورجال وقورون ونساء وقورات » فإذا سمي بالقورة جاز استعمالها على ضعف كالعجوزة .

(١) شرح الشافية ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٠ « طبعة مطبعة الحجازي بمصر . والموضع الذي أشار إليه وأحال عليه من الكافية هو في ج ٢ ص ٢٠٨ » من طبعة الاستانة الرديئة .

(٢) في الأصل « له » فكانه أراد « الوصف » .

(٣) في الأصل « يشاركه » .

(٤) شرح الكافية ج ٢ ص ٢٠٩ « من الطبعة المشار إليها .

(٥) اسم الفاعل بصيغته الأصلية يدل على القلة والكثرة معا فإذا نقل إلى ما سموه

المبالغة اختص بالكثرة .

وقد علل الصرقيون امتناع جمع « امرأة وقور » على « وقورات » بامتناع جمع مذكرد « وقور » على « وقورين » ، فالجمعان السلان متفان متفان معا ، وهو تمليل عليل « ضعيف » فانه يقال لهم « ولم امتنع « وقور » المذكر أن يجمع جمعا سالما ؟ فيقولون : لانه لا يقبل تاء التانيث^(١) مع أنه لا صلة بين أن لا يجمع جمعا سالما وأن لا يقبل تاء التانيث ، بل لا صلة بين ذلك وأن لا يكون له مؤنث أصلا .

والذى أرى فى امتناع جمع « فحول » للمذكر والمؤنث جمعا سالما انما هو كون هذه النصفة معتلة ما بعد العين بأحد أحرف العلة وهو انواء ، فهى شبيهة بـ « فحول » وهذا الوزن - أعنى فعلا - هو الاصل فى النصفة الثلاثية الأصل ، والنصفة عند العرب قديما يستوى فيها المذكر والمؤنث والقليل والكثير ، وتشبهها من صفات اللغات الغربية التى تعرفها صفة النصفة الانكليزية ، قال - تعالى - « ان رحمة الله قريب من المؤمنين » ، وقال - عز وجل - « وكأى من نبى قاتل معرييون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله » . وقال الشاعر « قتل لها ان الكرام قتل » وتقول « هم حديق لى » و « هؤلاء عدو لكم » و « امرأة وقاح الوجه » و « جارية بالغ » قال ابن القطايع : بلغ بلاغا فهو بالغ والجارية بالغ أيضا بغير هاء . قال ابن الأبارى قالوا : جارية بالغ . فاستغنوا بذكر الموصوف وبثانيته عن تانيث حفته كما يقال : امرأة حائض . قال الأزهرى ، وكان انشاعى يقول : جارية بالغ ، وسمعت العرب تقولوه وقالوا امرأة عاشق^(٢) . والصحيح هو الذى ذكرناه ، لأن التذكير هو الامر القديم المشترك والتانيث هو الامر الحديث المعارض ، فالافراد والتذكير انما هما رجوع الى الأصل ، وبذلك تعلم أن التانيث فى اللغة حديث وأن جمع المؤنث السالم وجد بعد التانيث ، فجمع التكسير أقدم منه^(٣) ، ولذلك جمع « فحول » على « فعل » للمذكر والمؤنث وعلى « فعائل » للمؤنث خاصة ، واستغنى بذلك عن جمع المؤنث السالم ، وكذلك القول فى « فعل » بمعنى مفعول مثل « قتل » و « قلى » . واختصاص المؤنث بـ « فعائل » يدل على أن هذا الجمع أحدث من الاول زمانا لأن الاصل الاشتراك ولائ « فعائل » محمول على ملح تاء التانيث فى

(١) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك « ج ١ ص ٤٢ » طبعة مطبعة الاستقامة .

(٢) المصباح المنير « بلغ » وتتمة الكلام فى الاصل .

(٣) ومما يدل على ذلك أن جمع المؤنث السالم جعل لادنى العدد أى القلة « الفصل ص ١٩٥ » مع أن أصل الجمع الكثرة كما هو مقرر فى كتب الصرف ولعل السبب فى ذلك أن النظرة الاولى تستطيع تمييز الثلاثة والعشرة وما بينهما فيذكر الرائي العدد فان جاوز ذلك أتى بالجمع المبهم العدد الدال على الكثرة .

« فعول » المؤنث ، مع أن خلوه من هذه التاء وامتناعه من قبولها منعاً من أن يجمع جمع مؤنث سالماً ، في زعم الصرقيين ، وهو زعم فيه ما فيه .

ومن أعجب الأمور في هذا الجمع أنه لم يشذ عنه مثال يحتاج به أصحاب « على وفق الأصول » و « على وفق المنهاج » لأن المسموع والمنقول من كلام الفصحاء أن العربية ، وهذه السلامة من الشذوذ عزيزة في اللغة العربية كل العزة .

لا يقال « فعله وفق الأصول ولا ألفه وفقاً للمنهاج ، ولا وفقه الى الخير » :

نرى أكثر الكتاب يستعملون « فعله وفق الأصول وألفه وفقاً للمنهاج » والصواب « على وفق الأصول » و « على وفق المنهاج » لأن المسموع والمنقول من كلام الفصحاء أن يستعمل الوفق في مثل هذا الموضع مع « على » استعمال « حسب » ورغم و « قدر » و « نحو » وما إليها ، يقال « أنفق على حسب الوصية وبحسبها » و « فعله على رغم فلان » و « على الرغم منه » و « تكلم على قدر حاجته » و « جرى على النحو الذي عرف » . ولا يصح استعماله غير مجرور بـ « على » إلا إذا كان خبراً في الأعراب أو حالاً متفولة منه ، قال الجوهري « يقال : حلوبته وفق عياله أي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه قال الشاعر (١) :

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد » . ومثله ما في أساس البلاغة ، وقال الفيومي في المصباح المنير « وكسبه وفق عياله أي مقدار كفايتهم » وهو قريب منه ، وقال الخطري في « فقر » من « المغرب في ترتيب العرب » يفسر بيت الراعي المذكور « وفق العيال أي لينها يكفيهم » . وقال الراغب الاصفهاني في مفرداته « الوفق : المطابقة بين الشيئين قال : « جزاء وفاقا » . وفي تمثيله بعض البعد عن المراد ، لأن « وفاقا » وصف بالمصدر ، والمطابقة مصدر صريح فلا يكون بينهما تطابق ههنا : وجرى أكثر كتب اللغة على هذا النقل (٢) ولم يذكر فيها مثل للعبارتين اللتين ذكرناهما آفاً ، أي « على وفق الأصول وعلى وفق المنهاج » . وقد فسر بعض الأدباء « الوفق » بالتوفيق ، قال عوف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز :

يا عمر الخير الملقى وفقه سميت بالفاروق فافرق فرقه (٣)

(١) في أساس البلاغة أنه للراعي يشكو ساعى الصدقة ومثله ما في لسان العرب .
(٢) من ذلك ما ورد في اللسان « وفق الشيء ، مالا له وتقول : هذا وفق هذا وواقه وقيقه وفوقه وسبه وعدله ، واحد » .
(٣) الكامل للمبرد ج ٢ ص ٢١٤ « طبعة الدجموني الأزهرى وذكر هذا البيت في اللسان ولم يذكر السبب في قوله .

قال المبرد « وقوله : الملقى وقفه ، يقال تلقى فلان خيرا أى جعل يلقاه ، والوقف : التوفيق »^(١) ، وأنا أرى أن الوقف التمام فيكون معناه « يا عمر الخير الملقى تمام الخير » وقريب منه قول عبدالله الغامدى :

تعبدوا وأقيموا وفق دينكم ان الغالب صلب الله مغلوب^(٢)
أى أقيموا دينكم على تمامه وكمالها ، على أنه يجوز أن يكون من الإقامة بمعنى البقاء فيكون المعنى « ابقوا موافقين لدينكم » . قال الرمضرى فى أساس البلاغة « وجاء النجوم وفقا : متوافقين قال :

« يهوين شتى ويقعن وفقا »

وذكر فى اللسان « جاء النجوم وفقا أى متوافقين وكنت عنده وفق طلعت الشمس أى حين طلعت أو ساعة طلعت عن اللحيانى « وجاء فى نهج البلاغة فى وصف النملة « رزقها وفقها » . قال عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد المدائنى « ويروى : مكفول برزقها مرزوقة بوقفها^(٣) » . وقال فخر الدين انطرىحى فى مجمع البحرين ومطلع النبرين « والوقف من الموافقة بين الشئين كالاتحام ، وقولهم : حلوبته على وفق عياله أى له لبن قدر كفايتهم لأفضل فيه » . وهذا اللغوى انفراد بإضافة « على » الى العبارة المشهورة ، وقال الجاحظ « ذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم^(٤) » . وقال ابن المقفع « فوجده فى جميع الامور وفق عرضه^(٥) » . فلا تتجرد « وفق » من على الا اذا كانت خبرا أو حالا وقال أبو حيان التوحيدي « وكان منظره وفق مخبره » والشواهد على أن مثل نيك الجملة لا يستغنى فيه عن ذكر « على » قول عمر بن أبى ربيعة :

فما جئنا الا على وفق موعد على ملاء منا خرجنا له معا

ونقل صاحب المصباح المنير فى (شك ك) قولهم « وقد استعمل الفقهاء الشك فى الحالين على وفق اللغة نحو قولهم من شك فى الطلاق ومن شك فى الصلاة » . وقال ابن التجار فى ترجمة العماد الاصفهائى « وجرت أموره على وفق الصلاح »^(٦) .

(١) المرجع المذكور « ص ٢١٦ » .

(٢) أساس البلاغة فى « صلب » +

(٣) شرح نهج البلاغة « ج ٣ ص ١٩٩ » .

(٤) الحيوان ج ١ ص ٤٣ طبعة عبدالسلام هارون .

(٥) كليله ودمنة « ص ٣٦٩ » طبعة محمد المرسفى .

(٦) معجم الالقاب « ج ٤ ص ١٢٥ » من نسمختى التى انتسختها لنفسى .

وهذا هو الذي جرى عليه المتأخرون قال الرضى الاسترأبأدى فى شرح انكافىة
 « ج ٢ ص ٣٤٥ » فى باب نعم وبش: « ويجوز أن يأتى قبل المخصوص أو بعده
 تمييز أو حال على وفق مخصوصه » .

ومما قدما يستين أن « الوفق » هو القدر والمقدار والمكافأة والكفاء ، فإذا
 استعمل لبيان الطريقة أو الحال أو الهيئة وجب جره بعلى نحو « جئنا على وفق موعد »
 و « استعملوا الشك على وفق اللغة » . و « جرى على وفق الاصول وألف على وفق المنهاج »
 والظاهر من رواية لهج البلاغة جواز أن يقال « بوفق الاصول وبوفق المنهاج » كما قالوا
 « بحسب » و « برغم » و « بقدر » .

و « الوفق » عندى أصل اشتقاق الفعل « وافق » لأن الصفات المحافظة على وصفيتها
 والمنقلة الى الاسمية ، هى الأصل فى الاشتقاق فلاسود سابق لفعله « سود »
 و « الأبيض » سابق لفعله « بيض » و « اللابن والتامر والدارع » سابقة لأسماء الفاعلين
 المعنوية ، ولا تتفق دائما مع أفعالها ان كان لها أفعال ، وعليه يكون « الوفق » سابقا
 للفعل « وافق » فى الوجود ، ولما كان يراد به المفاعلة وجب أن يكون على « فعل » بكسر
 الفاء وسكون العين ، كمثل وشبه وعدل وقرن وسلف وتبع وند وضد والف ، ولكن
 الواو فى أوله امتعت من الكسر كما امتعت واو « زوج » من سبق الكسرة لها فقبل
 « زوج » ووجهه « زيغ » وكذلك « الزور » بمعنى المزاور ، ولكنه خضع للتطور فجعل
 « زيرا » وخص بالنساء فقبل « زير نساء » أى مزاور لهن ، فكأن الرقة جاءت منهن .
 وان لقائل أن يقول : ان « الزور » هو جمع قديم للزائر مثل « أهل وأهل
 وراكب وركب وسافر وسفر وشارب وشرب وصاحب وصحب وقائم وقوم ووافد
 ووفد » وغير ذلك ، فيصح على هذا أن يكون الوفق جمع « الوافق » مثل « الراجل
 جمع الرجل » و « حسب » بمعنى كاف فكأنه جمع حاسب ، و « رهط » فكأنه جمع
 راهط ؟ فيقال له : ان ذلك واه بالاضافة الى قول اللغويين : ان الوفق من
 الموافقة (كذا) بين الشيئين كالالتحام ، على أن الموافقة والتوفيق مشتقان من الوفق ،
 فوافقته : صار وفقا له كما تقول « آخاه : صار أخا له » و « طابقه : صار طبقا له » ووقفه له
 جعله وفقا له فكأنه لفق له كما تقول « وكله أى جعله وكىلا وقدره بمعنى جعله قائدا ،
 ولما كان الأصل « هذا وفق لهذا » و « كان هذا وفقا لهذا »^(١) وجب أن تبقى اللام فى

(١) قال الجاحظ فى البيان والتبيين « ج ٢ ص ٢٠ » طبعة مصطفى محمد سنة
 ١٩٢٦ « ومتى شاكل - أبقاك الله - ذلك اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه وكان لتلك
 الحال وفقا ولذلك القدر لفقاً » .

هذا المجرور أيضا حين تعلقه بالفعل أو مصدره فيقال « وفقه الله للنجاح » و « توفيقه للنجاح » ولا يجوز أن يقال « وفقه الله الى النجاح » لأن المعروف في كلامهم أن تعاقب اللام الى للتخفيف مثل « دعا له وقصد له واعتدى له » ولا يصح العكس أبدا ، وقد وقع هذا الغلط في عبارة لصالح الدين الصفدي قال « وأسأله التوفيق الى التحقيق »^(١) ، والظاهر أن هذه العبارة كانت السبب في انتشار هذا الخطأ في مصر وغيرها من الأقطار التي تتعاطى الكتابة باللغة العربية ، وقد نهت عليه غير مرة ، ويحسن بي أن أذكر الشواهد على اجماع أهل اللغة والادباء على أن النصاب « وفقه للامر » لا « وفق اليه » لأعصد القياس بالسمع .

قال الامام على - ع - في كتاب له الى أهل مصر : « عصمكم الله بالهدى وثبتكم بالتقوى وفقنا وإياكم لما يجب ويرضى » . وقال محمد بن أبي بكر الصديق - رض - في خطبة له خطب بها أهل مصر « فان رأيتم من ذلك عملا بغير الحق فارفعوه الى فاني بذلك أسعد وأنتم بذلك جديرون وفقنا الله وإياكم لصالح العمل »^(١) . وجاء في وصية للامام على - ع - كتبها من صفين الى ابنه الحسن - رض - « ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك وأن يهديك لقصدك »^(٢) . وقال في خطبة له يصف فيها المناققين : « نحمده على ما وفق له من الطاعة وداد عنه من المعصية »^(٣) . وجاء في العهد المعزوي اليه « وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقني وإياك لما فيه رضاه »^(٤) . ومن كتاب له الى قسم بن العباس « وفقنا الله وإياكم لمحابه »^(٥) . ومن الكلام المنسوب اليه « الهم أنت خلقتني كما شئت فارحمني كيف شئت ووفقني لطاعتك حتى تكون ثقتي كلها بك وخوفي كله منك »^(٦) وقال ابن المقفع « والرجل العالم الموفق للخير »^(٧) .

(*) الفيت المسجى في شرح لامية العجم « ج ١ ص ٦ » بالمطبعة الازهرية سنة ١٣٠٥ هـ وجاء في أساس البلاغة « والله يوفق عبده للطاعة وفي الطاعة » . واستعمال « في » لا ينفي اللام فكانه « يوفقه للفوز في الطاعة » .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ج ٢ ص ٢٦ ، ٢٩ » نقلنا من « كتاب الغارات » لابراهيم بن سعد بن هلال الشافعي .

(٢) الشرح المذكور « ج ٤ ص ٢٤ » .

(٣) المرجع المذكور « ج ٢ ص ٥٥٦ » .

(٤) ج ٤ ص ١٥٣ .

(٥) ص ٢٢٣ .

(٦) كليله ودمنة « ص ٣٩٨ » .

(٧) ص ٥٦٤ .

وقال أبو العباس المبرد في أول الكامل: « والله التوفيق والحول والقوة واليه
مفرعنا في درك كل طلبة والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا » ، وقال في موضع آخر
« يقال أوزعك الله شكره أى وفقك لذلك » .

وقال النابغة الذبياني :

فريع قلبى وكانت نظرة عرضت حينا وتوفيق أقدار لا أقدار^(١)
وهذا الشاهد أقدم زمانا مما ذكرنا من الأقوال ، إلا أن مذهبنا تفضيل الشرع على
الشعر في الاستشهاد . وقال الحكيم بن عبدل :

فأعفيتى لما رأيت زمامتى ووقفت منى للقضاء المسدد
وقال أبو نواس يمدح الأمين :

ملك تقصر المدائح عنه هاشمى موفق للصواب^(٢)
وقال أبو العتاهية في فتح الرشيد لهرقلة :

ألا نادى هرقلة للخراب من الملك الموفق للصواب^(٣)
وقال مروان بن أبي حفصة :

موفق لسبيل الرشد متبع يزنيه كل ما يأتى ويجنب

وعلى ذلك جرى المتأخرون في كتبهم ، قال الشريف المرتضى في تعريف « الاذن »
الوارد في قوله - تعالى - : « وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله » : « ومنها أن يكون
الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله يوفق لفعل الايمان ويلطف
فيه ويسهل السبل اليه »^(٤) . وقال أبو حيان التوحيدي « ولا يسعد بدعوته إلا
من وفق لاجابته وأذعن لطاعته »^(٥) .

وجاء في الفرج بعد الشدة « فحمد الله على ما وفقه له »^(٦) . وقال الجوهري في ت و ب
« تاب الله عليه وفقه لها » يعنى للتوبة . وقال في ض ل ل « وفلان يلومنى ضلة اذا لم يوفق
للرشاد في عذله » . وقال في ي س د « وقد يسره الله ليسرى أى وفقه لها » وقال
انزمخشري في ف و ق من الاساس « لا زلت للخير موفقا وسهمك في الكرم مفعوقا » .

(١) جمهرة أشعار العرب « ص ١١٧ » من الطبعة الأولى .

(٢) الطبرى في حوادث سنة ١٩٨ .

(٣) المروج ج ٢ ص ٢٠٨ طبعة المطبعة البهية .

(٤) أمالى المرتضى « ج ١ ص ٣٠ » .

(٥) الامتاع « ج ٢ ص ٢١ » .

(٦) الفرج بعد الشدة « ج ٢ ص ١٧٣ » .

وقال عز الدين بن أبى الحديد « لَنْ الله - تعالى - أجرى هذه الأُمور على أيديهم ووقفهم لها ، والفاعل لذلك بالحقيقة هو الله - تعالى - » (١) وقال عمر رضى الله عنه ، وقد سأله سائل أيجاب المنافق اذا دعا فى ساعة الاستجابة « فان المنافق لا يوفق لتلك الساعة » (٢) وقال ابن أبى الحديد أيضا « ويحتمل أن يكون الذى تمناه - ع - من ابداله بهم خيرا منهم قوما صالحين ينصرونه ويوفقون لطاعته » (٣) . وقال المطرزي « اللهم وفقنا لاصلاح الأعمال » (٤) .

هذه هى الشواهد التى جمعناها من لغة العرب من عصر الجاهلية الى القرن السابع للهجرة ، وكلها مجمعة على استعمال اللام فى مجرور الفعل « وفق » ومصدره ، ونود أن نقل شاهدا معجميا كنا نقلناه من أساس البلاغة فى الحواشى السوابق ، قال الزمخشري « يوفق عبده للطاعة وفى الطاعة » وكنا أوامنا الى أن استعمال « فى » لا يعنى أنها تقوم مقام اللام فكأنه أراد « وفقه الله فى الطاعة للفوز » أفلا ترى أنه قال - وقد نقلنا قوله - فى ف وق وتقول « لا زلت للخير موفقا وسمهك فى الكرم موفقا » ؟ فهذا هو الوجه الذى أبدته الشواهد فى عصر القدماء وعصر المولدين ، وعلى ذلك يكون « وفقه الله للطاعة » غير « وفقه الله فى الطاعة » كما أن « وفقه الله للعمل » غير « وفقه الله فى العمل » وان كان الثانى متوقفا على الاول ، أعنى أنه لا يقال فيه « وفقه الله فى العمل » الا بعد أن وفقه الله للعمل ، وانما دل المجرور بفى على المجرور باللام ، لأن « التوفيق » اختص بالخير ، فذكره كافى فى ارادة الخير وتعيينه . قال تعالى « وما توفيقى الا بالله » ، وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : « وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تنزل موفقا » (٥) . وقد أباحهم هذا الاختصاص أن يتصرفوا فى استعمال التوفيق كجعلهم الانسان « موفقا له » لا موفقا ، قال الجاحظ فى ذكر قس بن ساعدة : « وانما وفق ذلك لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد » (٦) وآل الانساع فى استعمال التوفيق الى التسوية بين الموفق والموفق له فى الجنس ، قال علقمة « قدمت الشام

(١) شرح نهج البلاغة « ج ١ ص ٤٧ » وفى الاصل « بذلك » .

(٢) البيان والتبيين « ج ٣ ص ١٦٢ » .

(٣) الشرح المذكور « ص ١١٥ » .

(٤) المغرب فى ترتيب العرب « ص ٣٢١ » .

(٥) الطبرى « ج ٥ ص ٣٠ » .

(٦) البيان والتبيين « ج ١ ص ٥٦ » من طبعة سنة ١٩٢٦ بمصر ونقله منه البغدادى

فى خزانة الادب « ج ١ ص ٣٧٦ » طبعة دار العصور غير الكاملة .

فقلت : اللهم وفق لى جليسا صالحا . فجلست الى رجل فاذا هو أبو الدرداء ،^(١) .
وقال الأخوص الشاعر « الحمد لله الذى وفقكم لى ، ما أحب أنكم غيركم »^(٢) وهو
من التوفيق أى جعل الشيء وفقا لغيره ، وكون الموفق ملاقيا مصادفا - كما فى
لسان العرب - مستفاد من كونه وفقا أى ملائما مطابقا والملائمة والمطابقة بعد
اللقاء . وجاء فى الشعر حذف اللام على الحذف والايصال قال أبو بكر بن دريد :
« الله وفقه اتباع رسوله »^(٣) .

وهو سائح جميل لأنه يلائم اللغة العربية فى ميلها الى التخفيف بالحذف ،
أعنى حذف حرف الجر وايصال الفعل الى مفعوله ، وهذا مطرد عند العرب فى الأفعال
التي تصب مفعولا به واحدا وتصل الى الثانى بحرف الجر « اللام » ، لأن حذفها لا يورث
الجملة التباسا ، ومن ذلك قولهم « كسب عياله مالا » أى لعياله و « كالهم برا » أى كال
لهم ، « وجناه عسلا » أى له ، قال الشاعر :

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الأوبر

وقد يكون المحذوف غير اللام مثل « حسده الشيء » و « ساهمه العيش » و « اختار
موسى قومه سبعين رجلا » الا أن القياس فى اللام كما ذكرت .

مصطفى جواد

(١) تاريخ الخطيب البغدادي « ج ١ ص ١٦٢ » .

(٢) الاغانى « ج ٤ ص ٢٤٣ » من طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) تاريخ الخطيب « ج ٢ ص ٧٢ » .

الأب الكرملي وكتاب النقود العربية وعلم النميات

أصبحت دراسة النقود ، منذ عهد بعيد ، علما يعنى به ؟ وغدت هذه النقود تنضد في المتخفات ولها هوون يجمعونها ويعتزون بها ، فرأى الأب أنستاس الكرملي أن يتحف قراء العربية بكتابه هذا (١) . وقد جاء في آخر مقدمته قوله : « وفي الختام نتوقع أن يقوم من يوفى هذا الموضوع أتم توفية ، ويشبعه اشباعا يرضى أبناء العرب والغرب ، نشرأ للآداب العربية ، وتحجيا للفن وأوضاعها ومصطلحاتها ، وليس ذلك ببعيد على من أوتى العزم والحزم » . فكلامه هذا يجروني على ابداء ملاحظات في شأن القسم المعنون بـ « أسماء النقود المستحدثة بعد العصر العباسي » (ص ١٦٥ من كتابه هذا) غير أنني لا أجد الموافقة المطلوبة بين البحث الذي طرقه وهذا العنوان ، ذلك أن هذا العنوان يدل على أن الكلام الذي يليه يشمل نقود الحقبة التي ابتدأت في أتر العصر العباسي ، وهو يريد النقود المستعملة في بلادنا العربية ، مع أن بحثه خاص بما هو مستعمل من النقود في هذه البلاد منذ نحو منتصف العصر العثماني (راجع ١٦٥ المار ذكرها وملاحظاتي الآتية ، تر تلك النقود ليست من النقود التي كانت قبل ذلك الا الآقجه) ، وقد فاته كثير منها مع اهماله لذكر النقود التي كان تداولها في الأقطار العربية الواقعة في غرب مصر وفي الحجاز والأحساء . ولو عنون هذا القسم من كتابه بقوله مثلا : « قسم من النقود المستعملة في معظم البلاد العربية منذ نحو منتصف العصر العثماني » لانطبقت التسمية على الواقع . وتدعو الحاجة هنا الى بيان السبب في غلطات الاب في كلامه على النقود المستعملة في أيامه ، ذلك أنه كان من الناس الذين لم تدخل النقود أيديهم وتخرج منها قلت هذه النقود أو كثرت . فقد كان يعيش في غرفته - بل في صومعته - وليس لديه من النقود الا ما يصل اليه منها لينفقه على معشوقاته من الكتب ، فكان له من الغلطات ما كان . وهذه ملاحظاتي :

آقجه

قال الأب : « المصريون كتبوها ولفظوها (أفنشا) كلمة تركية معناها الضارب أو الضاربة الى البياض ، وهي نقد صغير تركي عرف في مصر ، وكذلك في العراق . ولكن

قبل نحو أكثر من مئة سنة ...^(١) ، وباليونانية أسبرون Aspron ، وبالفرنسية أسبر Aspre ، وكان سعرها عند ظهورها نحواً من ٢٢ سنتيم ، ثم هبط الى أدنى من ذلك بكثير .

قلت : لو كانت جيم (آقجه) عربية ، لكان معناها كما قال الأب . وقد جاء في المعجم التركي الفرنسي لديران كلليان : « آقجه (بجيم عربية) تعني (Blanchâte) » . ومن المعلوم أن هذه الكلمة معناها « ضارب الى البياض » . وقال كذلك كلليان : (آقجه) بجيم عربية ، أو (آقجه) بجيم فارسية : نقد أما شمس الدين سامي فإنه يقول في معجمه : آقجه (بجيم فارسية) بياضه (أى ضارب الى البياض) . ويقول أيضاً آقجه : مثل السابقة بجيم فارسية نقد فضة صغير . قلت : فلعل الجيم الفارسية الواردة في الكلمة التي قال شمس الدين : ان معناها ضارب الى البياض غلط طبع . فقد أورد كلمة (بياضه) بجيم عربية كما رأينا ، ومثلها (صاريجه) (أنظر المادة فيه وفي كلليان) ، ومعناها ضارب الى الصفرة . وجاء في كلليان (فرمزيجه) كذلك بجيم عربية ، ومعناها ضارب الى الحمرة . وإذا رجعنا الى كتب النقود والتواريخ وغيرها نجد اسم النقد انما هو بجيم فارسية . ان هذه الأداة (جه) أداة فارسية ، وهي أداة تصغير كقولك باقجه = بسيتين ، صدقجه = صديق ، فاسم النقد اذن (آقجه) بجيم فارسية ، ومعناها أبيض (بالتصغير) وان رأى كلليان أن هذا النقد يكتب بجيم عربية أو بجيم فارسية . ويؤيد ذهابي الى أن اسم النقد بجيم فارسية كتاب تقويم مسكوكات عثمانية لاسماعيل غالب . استأبول ١٣٠٧^(٢) (ص ٥) حيث يقول : ان لفظة (آقجه) مغولية معناها نقد أبيض ، ولم يقل ضارب الى البياض . وفيه (ص ٥) ان الابتداء بضرب هذا النقد كان في عهد السلطان أورخان العثماني (٧٢٦/٦١) ، وثقله خمسة قرابط وثلاث جبات أى ربع مثقال ، وبحساب الغرامات اليوم أربعة غرامات و ٦١٨ ملغرام (ص ٣ وغيرها) ، ثم غير وزنه وحجمه وعياره كثيراً في أثناء قرون عدة مرت . والظاهر أن تعيين الأب لقيمة هذا النقد بنحو من ٢٢ سنتيم (من الفرنك) هو ما رآه في معجم لاروس الحديث المصور في مادة أسبر (Aspre) ، وهو قوله « نقد من الفضة صغير كان مستعملاً في ترقية وبلاد البربر ، وهو جزء من البياستر (Piastre غرش) الذي

(١) أعرض بالنقط هنا وفي ما يليه عما لا يمس جوهر الموضوع وعن أمثال ذلك ، ولا أتعرض للنقود التي كانت مستعملة خارج العراق ، الا ما أعرفه منها . وأما ما زاد على ذلك في كلام الأب فلا أؤيد ما قاله ولا أنكره عليه .

(٢) وقد قال في مقدمة كتابه (ص ب) أنه قضى خمس عشرة سنة في دراسة النقود العثمانية .

قیمتة اليوم اثنان وعشرون سنتیما . . ویقول المعجم : أن (آسبر) مشتقة من آسبرون اليونانية التي معناها ایض . قلت : فیکون الافرنج قد نقلوا معنى (آقجه) الى كلمة يونانية . ولعل سبب ذلك تلفظ اليونانین بهذه الكلمة من كلمات لفنهم ، فأخذها الافرنج عنهم ، فان من المعلوم أن بلاد اليونانین كانت لترکیة فی ذلك الزمن . ویظهر لی أن معجم لاروس أراد بالیاستر الذی ذکره جزءا واحدا من مئة جزء من الليرة العثمانية الذهب (الجزء الواحد هو الفرش) لمساواة الاثنین والعشرین سنتیما لجزء واحد من مئة جزء من هذه الليرة كما هو معلوم .

وأقول : ان الآقجه لم تكن جزءا من هذا الیاستر (الفرش) ، وذلك أنها أهمل تداولها بعد أن ضربت الليرة ، واعتبرت مئة غرش ، وكان ذلك بعيد منتصف القرن الماضي للهجرة . فالآقجه كانت معاصرة لقروش قديمة یأنی الکلام علیها . وسبب غلط المعجم وجدانه فی مرجع من المراجع أن مئة آسبر تساوی غرشا . فذهب الى ما ذهب اليه ، فقله مغلوط فيه . هذا بعض ما كنت کتبه فی مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ « ١٩٤١ » ٢٩٦ ح) ویراجع الباقي هناك .

وجاء فی تقویم مسکوکات عثمانية لاسماعيل غالب المار الذکر (ص ١٤ - ٤١٣) أن الآقجه لم یضرب منها شيء بعد سنة ١٢٣٤ ، وهی السنة الثانية عشرة لجلوس السلطان محمود . وفي تعریفه لرسم الاحتساب فی بغداد تأريخها سنة ١٠٩٤ (٨٣/١٦٨٢م) ذکر للفرش والباره والآقجه والبغدادی ، وفيها أن کل عشرين آقجه تساوی بغداديا^(١) . وفهم مما هناك ان کل ثمانی بغداديات كانت تساوی غرشا ، فکل مئة وستین آقجه كانت تساوی غرشا أيضا . وكثيرا ما كانت تقع اختلافات فی ما یساوی النقد الفلاتی مما هو أصغر منه أو أكبر منه لتغير الوزن والعیار فی هذا أو ذاك ، أو لرغبة الناس فی نقد دون الثاني ، أو لغير هذا السبب . ولی شواهد علی ذلك لا أريد التطویل بسردها . وبعد أن كانت الآقجه نقدا تتداوله الأیدی خلال عدة قرون أمسى أسما لجزء لا وجود له الا فی حسابات الحكومة الدقيقة ، فقد وجدت فی وثيقة للحكومة تأريخها أول أيلول ١٢٨٢ (١٣ أيلول ١٨٦٦) أن کل ثلاث آقجات تساوی بارة واحدة وکل أربعین بارة تساوی غرشا واحدا ، وکل مئة غرش تساوی ليرة عثمانية ذهبا ، فتكون الآقجه هذه جزءا واحدا من مئة وعشرين ألف جزء من هذه الليرة (تجد النقل من الوثيقة فی مجلة غرفة تجارة بغداد (٥ « ١٩٤٢ » ٦٠٥ / ٦٠٤) . ولم أطلع علی ذکر

(١) راجع التعریف ، وكنت نشرتها فی مجلة غرفة تجارة بغداد (٥ « ١٩٤٢ » ٣٠٥)

الآتجه في الحسابات بعد ذلك التاريخ . وكانت الآتجه معروفة في بغداد ، وتداولها الأيدي* ، وعندي وثائق تذكرها .

آته

قال : « نقد هندي من « النكل » دخل العراق في احتلال الإنكليز له ، ثم زال ... وهو يساوي ثمانية أفلس ، وبعض العوام يقولون (عانه) بالعين ، وهذا خطأ » .

قلت : هو نقد هندي بريطاني زال من التداول يظهر نقودنا العراقية في سنة ١٩٣٢ ، وهو جزء من الريبة التي تساوي ٧٥ فلسا من فلوسنا العراقية بموجب جدول تحويل الريبة الى نقدنا العراقي . ولما كانت الريبة تساوي ١٦ آته ، وهذه الريبة تساوي ٧٥ فلسا كما ذكرت ، فتكون الآته مساوية لأربعة أفلس وأحد عشر جزءا من أصل ستة عشر جزءا من الفلوس ، وانما الحكومة اعتبرت الآته خمسة أفلس تسهيلا للمعاملة ، فالآته لا تساوي ثمانية أفلس . وجدول تحويل الريبة الى فلوس تشرته الصحف عند ظهور نقدنا العراقي . ولا يزال فريق من العوام يسمى به « آته » أو « عانه » نقدنا ذا الأربعة الأفلس ، لقربه منها حجما وقيمة وثقلا ، ولاستخفافهم الاسم .

أبو مدفع ، بمدفع ، بومدفع

قال : ويقال بومدفع بحذف الهمزة ، وبمدفع بضم الباء ، أطلب (ريال) .

وقال في مادة (الريال) بعد أن عد أنواع الريالات : « وريال أبو مدفع ، أو بومدفع ، أو بمدفع » .

قلت : ان الذي ذكر تسمية هذا النقد بريال بمدفع هو مصطفى الذهبي الشافعي في جدولته (٨٥ من كتاب الأب) ، فكانت هذه التسمية خاصة بمصر . أما في بغداد فكان النقد يسميه الأهليون أبو طوب (والطوب هو المدفع) ، وقد ذكره جونس وقال : « انه نقد فضة ذو خمسة فرنكات » وعين قيمته بأربعة وتسعين غرشا رائجا باعتبار الليرة ٤٣٠ غرشا رائجا .

اسلامبول سليمي

قال : « نقد ذهبي تركي عراقي ^(١) قيمته ١٢٠ قرشا رائجا »

قلت : ذكره جونس وعين قيمته في جدولته ، ولا شك في أن الأب نقل ذلك من نسخة جدول جونس التي بعث بها ، وهذا النقد منسوب الى السلطان سليم ، وهو مضروب في استانبول كما يفهم من اسمه ، فهو أحد القدين المذكورين في اسماعيل غالب (ص ٣٤٨ برقم ٨٨٦ و ٨٨٧) وتقل الاول ١م و ١٠ ربع ط ^(٢) والثاني وزنه (١) ورد هنا للأب ، وكثيرا ما يرد له قوله (نقد تركي عراقي) وهو يريد أنه كان مستعملا في العراق .

(٢) الميم رمز درهم ، والطاء رمز قيراط . اسماعيل غالب (ص ١٠) .

ام ١ ط م ، فوزن كل منهما مثل الثاني تقريبا .

اسلامبول عتيق

قال : « نقد ذهبي تركي عراقي قيمته ١٥٠ غرشا رائجا » .

قلت : ذكره جونس أيضا مع بيان قيمته ، ولعله نقد السلطان عبدالحميد الأول (٢٠٣-١١٨٧هـ) الذي ذكره اسماعيل غالب (ص ٣٣١ رقم ٨٣٠) وثقله فيه ام ٦ ونصف مع بعض الزيادة على الاسلامبول السليمي ، وذلك ما جعل الناس تتعاطاه ب ١٥٠ غرشا أي بزيادة ثلاثين غرشا على اسلامبول سليمي .

اكلك

قال : « والبعض يكتبها « ايكلك » من التركية أي اثنين ، ومحصل معناها ذات القرشين ، وهي قطعة نقد صغير من فضة قيمتها قرشان » .

قلت : نقل هذه الكلمة عن مصطفى الذهبي (ص ٨٦ وغيرها من كتاب الأب) ، فيكون هذا الاسم من أسماء النقود التي كان تداولها في مصر ، ويظهر أن هذه التسمية لم تكن معروفة في بغداد لاغفال جونس لها ، كما أنني لم أسمعها عندنا ، ولم أعر على من ذكرها في الحسابات .

بارد

قال : « في محيط المحيط في مادة (ب ا ر) قطعة من المعاملة تساوي تسعة جدد ، أو خمس ثمن الغرش وتعرف بالمصرية . مغرب بارد بالفارسية ومعناها قطعة ج بارات » .

قلت : وقال الأب أيضا : « قوله المعاملة بمعنى النقد أو الورق لا يعرفه الفصحاء ، والعرب المصريون لم يقبسوا البارد من الفرس بل من الترك ، وهؤلاء أخذوها من الفرس ، وهذا ما يجب أن ينتبه له في علم اللغة ، وعشر بارات تساوي غرشا صاغا ، وأهل العراق يلقظون البارد بباء مثناة تحتيه أي باللفظ التركي ، ومثله في الفارسية ، وراجع ما جاء في (ورق) » .

قلت : اكتفى الأب بهذا الكلام الوجيز على البارد ، وهو تعريفه لها بعد منتصف القرن الماضي للهجرة حتى آخر زمن العثمانيين في بلادنا العربية ، فكان لا وجود لهذا النقد قبل هذه العقود من السنين . أجل كان أمرها في زمن البستاني صاحب محيط المحيط المتوفى في سنة ١٨٨٧ على ما قال . ومحصل قوله أن كل أربعين باردة تساوي غرشا واحدا ، وهذا الغرش جزء واحد من مئة جزء من الليرة العثمانية التي أحدثها السلطان عبدالمجيد . وكان الاهلون في بغداد يسمون هذا الغرش غرشا صاغا (صحيحا) ، وكان أمرها عندنا كما ذكره البستاني في سورية ، وقد ضرب منها ما قيمته أربعون

باره وأقسام من هذه الأربعين ، وهذا النقد ذو البارة الواحدة كان من التحاس وكان ضربه في استانبول ومصر في عهد السلطان عبد المجيد وعبد العزيز (راجع كتاب اسماعيل غالب ص ٣٢-٤٢٩ و ٤٩-٤٤٨) وإذا ما رجعا الى قول الأب : « ان عشر بارات تساوى غرشا صاغاه وجدناه في غير محله ، فان عشر بارات كانت تساوى غرشا رائجا ، وهذا الغرش هو ربع الغرش الصاغ . وفي زماننا الاول كنا نطلق كلمة بارة على نقد ايراني نحاسي مكتوب عليه : « ٥٠ دينار » (خمسون دينارا . يا للعجب !) وكنا نسمى هذا النقد « شاهية » أيضا (نسبة الى شاه ايران) ، وكان فريق منا يسميه فلسا ، وكانت أربع قطع من هذا النقد ، وأحيانا أكثر تساوى غرشا رائجا (يراجع ما كتبته في مجلة غرفة تجارة بغداد (٤ * ١٩٤١ * ٢٩٥ وما بعدها) .

ان الذى يظهر مما سلف أن البارة لم تكن معروفة قبل ضرب الليرة العثمانية ، وهذا غير صحيح ، فقد جاء في تقويم مسكوكات عثمانية (٢٠٠-١٩٩) ما نقله عن الرحالة تافرينه (Tavernier) (٤ : ٤١) وهو ذكره لنقد في استانبول اسمه « بارة » يوم كان فيها في سنة ١٦٣١ (١٠٤١) . وقال التقويم : ان المؤرخين لا يذكرون سنة ضرب البارة بصورة صريحة ، وان من هؤلاء جودت باشا . ويفيدنا التقويم أيضا أن أول ذكر للبارة ما جاء في تافرينه ، كما مر بنا ، فيكون أول خبر وقف عليه اسماعيل غالب واردا في أواخر الثلث الأول من القرن السابع عشر للميلاد (١٠٤١ هـ) . وجاء في معلمة الاسلام : ان البارة نقد تركي بدأ ظهوره في القرن السابع عشر (أوله ١٠١٠ للهجرة) وأنه من الفضة ، وكانت قيمته أربع آقجات . ولم تعين المعلمة سنة الضرب ، فاذا أصعدنا تأريخ ظهور هذا النقد الى بدء القرن السابع عشر نرى المعلمة كاسماعيل غالب لم تقبض على ناصية الحقيقة . وقد ظفرت بما يفيد أن نقدا اسمه « بارة » كان معروفا في بغداد على ما جاء في نسخة كتاب لوالى بغداد جماله زاده ستان باشا الى السلطان ، تأريخه العقد العاشر من المئة العاشرة (١٥٨٣/٩٢) يشكو فيه ظلما النجف ويذكر أن سكانها يشترون قربة الماء الشروب بخمس بارات أو ست . وهذا الكتاب بالتركية ، وهو مما تضمنه الكتاب المسمى « بدستور الانشاء » لصارى عبدالله ، وعندى قسم منه مخطوطا ، ولا علم لى بطبعه . وأكفى بشأن البارة بهذا الخبر الذى لم يطلع عليه اسماعيل غالب ، ولا كاتب المادة في المعلمة . وقد أوردت هنا أول خبر عن البارة في بغداد وآخر خبر عنها . وكنت نقلت فحوى كتاب

بقشة

قال : (بعد أن تكلم على أنها أساس النقد عند اليمانيين) : « وبقشة تساوى القمري عند العراقيين أو قرشين رائجين • والبقشة من التركية باغجه أو بغجه ، أى صرة أو خرقة ، لاسيما تلك الخرقة التى تلف بها الدراهم فسميت بذلك • »

قلت : ان كانت هذه الكلمة تحريفا للكلمة التركية باغجه أو بغجه التى قال الآب ان معناها صرة أو خرقة لاسيما تلك التى تلف بها الدراهم ، فهذا المعنى غير صحيح ، فان باغجه (ومن غير الأتراك من يقول « بقجه ») - وهى تصغير باغ - ، ومعنى باغجه : بسيتين = حديقة ، فهذه الكلمة لا تعنى ما قاله الآب • ويفهم من المعنى الذى ذكره لباغجه أنه يراد بها كلمة بوججه (بواو بين الباء الموحدة والغين المعجمة) ، وهى قطعة نسيج تلف بها الألبسة وأمثالها ، ولكن لا تلف بها الدراهم كما هو معلوم ، وانما النقود توضع فى كيس وما يضاهيه ولا تلف لفا فى بوججه • وان أريد حفظها فى قطعة نسيج ، فانها تمعد ، أو تنم أطرافها وتشد ، أو تخط • وان كانت بقجه تحريف باغجه فهل استحسّن أهل اليمن منظرها كأنها حديقة ، فقالوا باغجه محرفة ؟ والأعراب عندنا كانوا يسمونها (بكشه) بضم الباء واسكان الكاف العربية ، قبل أن عادت الينا فى السنين الأخيرة لفظة حديقة • وليس لدينا ما يؤيد أن البقشة كانت تساوى القمري أو قرشين رائجين عند العراقيين • والظاهر أن بقشة محرفة من (بر آقجه) أى آقجه واحدة ، فان اللفظ والمعنى يوافقان المقصود كل الموافقة • وفى رحلة سلفاتور أبوتى الايطالى فى اليمن فى سنة ١٣٥٣ المطبوعة فى مصر فى سنة ١٩٤٧ ترجمة طه فوزى (ص ٥٢) : « ان البقشة هى عملة قيمتها واحد على أربعين من الريال • »

بوطاقة (١)

قال : « ضرب من الريال هو أبو طاقة أو بطاقة أو بوطاقة • أطلب (ريال) • »

قلت : رجعت الى مادة (ريال) فرأيت فيها تعريفه اياه لئسا بمعنى مع ذكره لأنواع منه ، وأن سعره اختلف فى البلاد وفى الأزمنة ، ثم قال : « ان من الريالات أبو طاقة أو بوطاقة أو بطاقة • » ويظهر لى أن لفظة ريال أبى طاقة منقولة عن مصطفى (١) قال اسماعيل غالب (ص ٤٢٠ ح) وان كتب ما رسل الكلمة بـ « بى » الفرنسية الا أن الكلمة عربية ناقلا ذلك عما جاء فى ترجمة القاموس الى التركية (٨٧١ / ٢) ، وهذه جملة القاموس العربية بنصها : « البطاقة ككتابة الحديقة والرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التى ترقم ثمنه لأنها تشد بطاقة من حذب الثوب • »

وفى أقرب الموارد عن الجوهري : « رقيقة توضع فى الثوب فيها رقم الثمن بلغة أهل مصر • • • »

الذهبي فقد جاءت في جدول في كتاب الأب (ص ٨٥) وهذا الاسم لم أجد من ذكره بين أسماء النقود التي كانت تستعمل في بغداد ، وجد فيها هذا النقد أو لم يوجد . أما في مصر فقد جاء عنه في كتاب التوفيقات الالهامية للواء المصرى محمد مختار باشا (بولاق ١٣١١) فيما ذكره من حوادث ١٢١٠ هـ ما يأتى (١٧٩٥/٩٦) قال : كان للريال أبى بطاقة قيمتان : احدهما تسعون نصفاً وهى القيمة الديوانية ، وسعر فى المعاملة بين الناس ، وهى مختلفة تارة ١٢٢ ، وتارة ١٥٥ نصفاً فضة ، .

بشلف ، بشلك ، بيشاغ ، بيشلك

رجعنا الـ أب فى مادة بشلف وبشلك الى مادة بشلف ومادة بشلك ، وقال فى مادة بشلف : وبعضهم يكتبها كما يكتبها الترك (بشلك) ومعناها ذو خمسة ؛ لأن (يش) خمسة ، و(لك) بمنزلة ياء النسبة عند العرب ، ومعناها (ذو) . وكان أصل وضعه خمسة قروش ذهباً ، ثم توسعوا فى معناها ، فلم يلاحظوا فيه الخمسة ، بل مطلق النقد وان اختلفت قيمتها . وقيمة البشلف العتيق ٧٢ قرشاً ، والبشلف الجديد خمسة قروش صاغ أو ٢٠ قرشاً رائجاً . وهذا كان من الفضة فى غالب تركيه .

قال فى مادة (بشلك) : من التركية (يش) أى خمسة مختومة بالأداة (لك) الدالة على النسبة بمعنى (ذى) وأغلبهم كتبها بشلك أو بشلف ، وهو نقد فضى ذو خمسة غروش . وكان عند المصريين يشلك قديم وبشلك جديد وهونفس البشلف . قلت : يكتب الترك اليوم الكلمة (بشلك) من دون ياء بعد الباء . وأداة (لك) اذا ما ألحقت بعدد دلت على ما يحويه من الوحدة . وهذه الأداة تلحق بالألفاظ الخفيفة . أما فى الألفاظ الثقيلة فانها تكون (لق) كقولك (أولق) ، فشلك تعنى ذا الخمسة أو الخماسى . وليس بالحق ياء النسبة بخمسة . ولم يتوسع أحد فى معنى البشلك ولم يطلقوه على كل نقد وان اختلفت قيمته ، وانما الترك توسعوا فى لفظة آفجه وباره فاعتبروهما بمعنى نقد من أى نوع كان . ونحن البغادة قلنا ونقول (فلوس) وأهل سورية ولبنان ومصر يقولون (مصارى) فى هذا الباب .

وقد عين الـ أب قيمة هذا البشلك العتيق بـ ٧٢ قرشاً رائجاً ، ولا بد أن يكون هذا التعيين نقلاً من جدول جونز الذى نظمته فى سنة ١٨٥٤ (١٢٧٢ هـ) يوم كان فى بغداد ، كما أن هذا الجدول ذكر ربع المجيدى الفضة وقال : « قيمته عشرون قرشاً رائجاً » . وهذه العشرون من القروش الرائجة تساوى خمسة قروش « صاغ » (أى صحيحة) ، فيكون البشلك العتيق من النقود السابق ضربها لربع المجيدى الذى كنا

نسميه بشلك . وقد وجدت فى اسماعيل غالب (ص ٣٧٨) بين أسماء النقود المسماة الجهادية نقدا ذا خمسة قروش (من قروش قديمة) سمى بعد ضرب الليرة المجيدية الذهب والمجيدى الفضة وأقسامه (عتيق بش غروشلق) ، وهو من النقود التى ضربها السلطان محمود (٥٥-١٢٣٣ هـ) ، وليس فى وسعى أن أتكلم على البشلك فى مصر . ولقطة بشلغ بعين كانت على ألسنتنا . أما اذا تكلمنا بالتركية ، فكنا نقول بشلك .

تالير

قال : « وبعضهم يفتحها فيقول (طالير) وآخرون يتعرون فى لفظهم ويتفلسفون فى كتابتهم ، فيسمونها (تالير) بالاء المثلثة ، والشائع (تالير) بالثاء الفوقية ، وهى من الافرنجة Thaler وهو نقد ألماني الأصل من فضة . وكان فى القديم يساوى ثلاثة ماركات ، ثم تغير سعره مع الزمان والمكان . وقد عرفه الشرقيون من سوريين ومصريين فى الأيام الاخيرة قبل نحو نصف قرن . »

قلت : ذكر جونسن ريبالا قيمته ٩٩ قرشا رائجا ، وكتب بالانكليزية أنه نقد اسباني . وقد وهم فى هذه النسبة ، وكنت قد رأيته تتداوله الأيدي فى حدائقى ، وهو نقد عليه صورة ، ثم عرفت انها صورة (ماري تيريز) ابتراطورة المانية وملكة هنغاريا وبوهيمية وأرشدوكة أوسترية ، المولودة فى سنة ١٧١٧ والتوفاة فى سنة ١٧٨٠ (أنظر فى شأنها معجم لاروس الحديث المصور) . ولعل جونسن عده اسبانيا لأن أصل هذا النقد واسمه كانا اسبانيين ، وكان قد انتشر فى الشرق وأفريقية ، ودام ضربه على هذا الوجه . وقد كتب فيه كتابا فى ٢٠٦ صفحة مارسيل - موريس فيشل (Marcel-Maurice Eishel) باريس ١٩١٢ وصدره بـ « خارطة » البلاد التى كان أهلها يتداولونه فيها مع صورة هذا النقد . وفى آخر الكتاب جدول بسنى ضربه من سنة ١٧٥١م الى سنة تأليف الكتاب . وذكر هذا النقد باسم (ريال فرنسة) مكتوب للسيد عبد الجليل (له ديوان مطبوع) مؤرخ بسنة ١٢٣٦ (١٨١١) ، وهو فى البحرين اذ ذاك ، وذلك فى خبر (سعود آل سعود) بأخذهم من آل عتبة ثلاثين ألف ريال فرنسة (كنت نقلت المكتوب فى مجلة لغة العرب (٦ « ٢٩-١٩٢٨ » ٤٣-٧٤٠) ، وتجدد فى « مباحث عراقية » ، وكان هذا النقد رائجا فى بغداد ومعروفا قبل نحو ستين سنة ، وقد استمر رواجه فى بلاد العرب ، ومن ذلك ما نراه فى رحلة الايطالى سلفاتور ايويسى (١) فى اليمن فى سنة ١٣٥٣ (١٩٣٤) (ص ٧) فانه قال وهو فى سيارة ، وكان هناك (فيها أيضا كيس . . . وهو كيس النقود ، لأن الشعب اليمنى ليست له ثقة فى قطع

(١) نقلت الرحلة الى العربية بقلم طه فوزى .

الأوراق ... كنفود اذ أنه في اليمن كما في بلاد الحبشة يستعمل (ريال ماريا تيريزا) . وكان في هذا الكيس ألف من الريالات لا يقل وزنها عن الثمانية والعشرين من الكيلوجرامات . وكان يقال هناك ريال فحسب « اه . أما تسميته في بغداد بفرنسة ، وقول السيد عبدالجليل « ريال فرنسة » ، فلعل سبب ذلك أن النقد مكتوب فيه ماري تيريز أرشدوكة أوسترية التي كان يسميها معظمنا (نمسة) ، فأخذت الألسن تقول للنقد (فرنسة) لشيوع ذكرها عندنا أكثر من نمسة مع قرب اللفظة (وراجع ريال) .

تومان

قال : « نقد إيراني من ذهب كان معروفا في العراق لمجاورته لايران ، وسمه الليرة العثمانية التي تساوي ٤٠ قرشا رائجا لكن أصبحت قيمته باختلاف الزمان وهو معروف الى يومنا في العراق » .

قلت : قد زل القلم في قوله ان الليرة العثمانية تساوي ٤٠ قرشا رائجا ، ولعل سبب النزول سقوط صغرى الطبع . ان الليرة كانت تساوي مئة قرش صاغ (صحيح) بحساب الحكومة قبل اعلان الدستور (الشروطية) ، ثم بعد اعلانها جعلت تساوي مئة وعرشين وأربعا وعشرين باره (٢٤ باره = ٦٠ ستيما من العرش) . أما بين الناس ، فكانت تساوي اذ ذاك مئة وثمانية قروش صحيحة وبحساب القروش الرائجة ٤٣٢ قرشا . وكان قيمة التومان في عهد جونس ٢٠٨ قروش رائجة وباصطلاح القروش الصاغ ٤٢ قرشا ، وهو لا يشبه الليرة ، والعراق لا يعرفه في التداول منذ عقود سنين ؛ فأنى لم أراه في أيدي الناس متداولاً .

بندقي (جديد) بندقي محمودي (قديم) فندق

(١) بندقي

قال : « وبعضهم يقول فندق على السواء وهي نسبة تركية الى البندقية من مدن ايطالية ، وهو نقد ذهبي كان معروفا في مصر قبل نحو قرن ، وكان عندهم بندقي محمودي جديد . وكان عندهم بندقي أو فندقلي سليمي . وأسعار هذه النقود كانت في صعود وهبوط دائمين . وقد قلنا : ان البندقي غير البندقى ، فلكل معنى غير معنى الثاني ، والسعر مختلف جدا » .

(٢) بندقي

وقال : « بيا النسبة وبضم الأول والثالث هو عند المصريين ما يسميه العراقيون

(بندق) ، وهو نقد ذهب . واختلفت قيمته أيضا باختلاف الزمان والمكان ، وهو غير (البندقى) . وراجع فندق وان كان أصل اللفظين واحدا . ويقال فى بندق (فندق) أيضا وهو نقد ذهبى مصرى كان رائجا قبل نحو مئة سنة . وكان عندهم بندقى جديد وبندقى عتيق ، ويقول بعضهم (فندقى) ، وراجع (فندقى) .

(٣) فندق

ثم قال : « الفندق فندقان : فندق جديد ، وفندق عتيق . فالفندق الجديد نقد تركى عراقي من ذهب ، قيمته ١٦٠ قرشا رائجا . والفندق العتيق يساوى ٢٠٠ قرش رائج . وأصل (فندقى) بياء النسبة ، والترك يقولون فندقى ، وكلاهما منسوب الى الفندقية من بلاد ايطالية ؛ لأنه يضرب فيها ، ثم استغوا عن ضربه فى تلك المدينة ، والاسم بقى على حاله الأولى . وتلفظ فندق وفندقية بضم الأ ول والثالث . ويقال بندق وبندقية . وقيمة البندقى اختلفت دائما عن قيمة البندقى . »

قلت : ان الأداة (لى) هنا تعنى الاشتمال والاحتواء ، أى أن هذا النقد فيه فندق التى نقولها نحن البنداديين بندا . وبندقى ليست بنسبة تركية الى البندقية (المدينة) . فان أردنا النسبة اليها اتباعا لقواعد اللغة التركية ، فعليا أن نقول (بندقيه لى) . ثم ان الترك لا يسمون المدينة بندقية كما نسميها ، انما يقولون (ونديك) ، فالنسبة اليها « ونديكى » عندهم . وفى اسماعيل غالب وهو من علماء النميات التركية كما مر بنا (٢٧٤ من كتابه) : « ان سبب التسمية تشابه النقط - وباصطلاح آخر - الحبوب التى بأطراف النقد للفندق » وفيه : « أن من هذا النقد ما كان ضربه فى مصر . » ولا شك فى أن ذكر الأب لوجود فندقين قيمة العتيق منهما ٢٠٠ قرش رائج ، وقيمة الجديد ١٦٠ قرشا ، هو منقول من جدول جونس فى النقود التى كانت مستعملة فى بغداد فى الزمن الذى كان فيها (سنة ١٨٥٤) ، وان لم يذكر الأب محل التعامل بهذين النقدين . وفى جونس : « أنهما من ضرب اجزائر . » ولكن ليس فى اسماعيل غالب ما يشير الى ضرب نقود بهذا الاسم فى تلك البلاد . والذى يبين لى ، أن الفندق العتيق هو من ضرب السلطان سليم الثالث (١٢٢٢-٢٠٣ = ١٧٨٨/٨٠٧) ، فقد ذكر اسماعيل غالب ضربه فى (استانبول) لنقد باسم فندق مع بيان وزنه ١١ وط ١ وربع (اسماعيل غالب ص ٣٤٨) . أما الجديد ، فلا بعد أن يكون المضروب فى (القسطنطينية) للسلطان مصطفى (١٢٢-٢٣ = ١٨٠٧-١٨٠٨) ، فقد ذكره اسماعيل غالب أيضا وعين وزنه ١١ ، وقد سماه فندقا (ص ٣٦٢ رقم ٩٣٢) . وهذان الوزنان اللذان يقل ثانيهما عن الاول يجعلاننى أعتد بعض الاعتداد بما ذكرته ، أى أن أحد الفندقين للسلطان سليم والثانى للسلطان مصطفى . وراجع مادة (فندقى)

في المعلمة الاسلامية تر أن المقصود بهذه الكلمة النقد المسمى (فندق) • وليس هناك ما يشير الى أن الكلمة تحريف (بندقي) باعتبار أن هذه الكلمة هي نسبة الى مدينة البندقية • وجاء في المعلمة أيضا أن (الفندقى) لم يضرب منذ زمن السلطان محمود الثانى (٥٥-٢٢٣ = ١٨٠٨/٨٣٩) ، الا أن آخر ذكر للفندق فى اسماعيل غالب هو ضرب السلطان مصطفى اياه كما مر بنا • وياليت الأب أبان لنا مصادر بحثه بإضاح • وأقول أخيرا : ان كلمة البندقي والفندقى وبندق وفندق مصدرها واحد وان اختلف وزن هذا النقد باختلاف الزمان والمكان ، ولا أظن أن البندقي منسوب نسبة عربية الى البندقية ، وانما هو منسوب الى (بندق) بإبدال فاء النقد المسمى (فندق) بياء موحدة •

وقد سبق أن قلت : ان اسماعيل غالب لا يذكر نقدا اسمه « فندق » للسلطان محمود ، مع أننا نرى فى جدول مصطفى الذهبى (كتاب الأب ص ٨٤) نقدا مسمى (بندقي محمودى قديم) ، وآخر اسمه (بندقي جديد) فهل يمكن أن يكون التوفيق بين الكلامين هو أن المصريين رأوا أن يظنوا هذين الاسمين - أحدهما بنسبة تركية ، وثنائهما بنسبة عربية على نقدين للسلطان محمود أو على نقد واحد للسلطان محمود ، وعلى نقد آخر لحلفه السلطان مصطفى أو السلطان عبدالمجيد ، وان لم يسمياه فى (استانبول) فندقا ؟ ان هذا لجائز • وفى المعلمة الاسلامية فى مادة (زر محبوب) أن ضربا من هذا النقد هو فندق • وسيأتى الكلام بتفصيل على محبوب وزر محبوب •

تلق (حميدى) وتلق (مجيدي) (بكسر التاء واللام)

قال : « نقد فضى مصرى ، والكلمة من التركية (آلتلق) • وكان عندهم (تلق حميدى) وهى من أيام عبدالحميد • ومعنى تلق ذو أربعة ، لأن (آلتى) معناها أربعة و (لق) أداة الاضافة عندهم ، كانت تقول : أربع أو ذو أربعة غروش أو نحوذلك • وقال : « تلق مجيدى • والكلمة الأولى تركية أصلها (آلتلق) أى ذو ٦ قروش ، وهذه القطعة منسوبة الى السلطان عبدالمجيد ، وهى قطعة مصرية فضية كانت شائعة فى أسواق مصر قبل نحو مئة سنة • وكان عند المصريين « تلق » ثان اسمه (تلق مجيدى) • »

قلت : لاشك فى أن نقل اسم هذين النقيدين ، ووصف أحدهما بحميدى والثانى بمجيدى ، هو عن مصطفى الذهبى ، وما زاده الأب على قوله (آلتى) معناها أربعة ، فهو غير صواب ، فان معنى (آلتى) ستة • وقد أصاب فى قوله (سته) فى (تلق مجيدى) • وليست (لق) أداة اضافة • وقد مر بنا ما يراد بها فى مادة (بشلك)

وليس لى أن أنكر على الذهبى قوله وجود تلق حميدى وتلق مجيدى ، ولكن اسماعيل غالب لا يذكر (آتلىق) للسلطان عبد الحميد لا الأول (١٢٠٣/١١٨٧) ولا الثانى وانما يذكر (آتلىق) للسلطان محمود (ص ٣٨٥ رقم ١٠٣) وقد ضرب فى سنة ١٢٤٩ هـ ، وآخر للسلطان عبد المجيد (ص ٤٢٤ رقم ١١٤٧) وهو مضروب فى سنة ١٢٥٥ (وراجع الجدول ٣ لاسماعيل غالب فى آخر كتابه و ٤١٦ و ٤٢٤) وهما مضروبان فى (القسطنطينية) ، فهما ليسا بمضروبين (بمصر) ليقال انهما مصريان .

تمشلك (بكسر التاء والميم وسكون الشين وكسر اللام)

قال : « نقد فضى مصرى كان معروفًا فى بلاد وادى النيل قبل نحو من مئة سنة . والكلمة تركية من (آتمشلك) أى من آتمش ، أى ستين مع أداة النسبة ، فيكون معناها (ذات الستين باره) أو نحوها من النقود الصغيرة التحاسية أو الفضية . »

قلت : نقل وجوده فى مصر عن الذهبى ، والترك يلفظون الكلمة « التمشلق » لأن لفظة آتمش ثقيلة . وقد ذكر اسماعيل غالب (ص ٣١٥) ضرب السلطان مصطفى الثالث لآتمشلق (١١٧٩ = ١٧٦٥/٦٦ م) ، وذكر (ص ٣٣٥) آتمشلق ثانيا للسلطان عبد الحميد الاول (١١٨٧) وثالثا (ص ٣٥٠) للسلطان سليم الثالث (١٢٠٤) ورابعا (ص ٣٦٣) للسلطان مصطفى (١٢٢٢) ، وخامسا (ص ٣٨٥) للسلطان محمود الثانى (١٢٢٣) ، وقد سماه (جديد آتمشلق) ، راجع جدول اسماعيل غالب فى آخر كتابه .

والظاهر أن النقد الذى قصده الذهبى هو هذا ، وفيه أنه يساوى ٦٠ باره ، فهى من البارات المعروفة قبل ضرب الليرة المجيدية الذهب وأقسامها وضرب المجيدى الفضة وأقسامه فى سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) . وكل هذه النقود مضروبة فى القسطنطينية (راجع اسماعيل غالب ص ٣١٥ و ٣٣٥ و ٣٥٠) فلا آتمشلق ليس بنقد مضروب فى مصر ليقال انه مصرى . وجاء فى تاريخ يوسف الحورى عود الذى دون أخبار حلب فى أكثر من ٣٥ سنة آخرها أخبار سنة ١٢٢٠ = ١٨٠٥^(١) قوله فى آخر أخبار سنة ١٢٠٣ (١٧٨٨/٨٩) ما هذا نصه : « وفى هذا التاريخ حضر سكة جديدة أكبر من القرش الستينى بقرشين ، وقيل : أنه ذات (كذا) القرش المصطفى (كذا) سكوه بقرشين ، لأنه صار ضيقة على الخزائن فى هذا السفر (أى الحرب) والمصرف عظيم لا يقدر ، اه . »

(١) لا يزال هذا الكتاب مخطوطا ، ونسخته الوحيدة بخط مؤلفه هى عندى ، ولى بعض وصفه فى (لغة العرب) وفى (مباحث عراقية) ص ١٩٣ .

جرخى (بجيم فارسية فى الاول)

قال : « نقد تركى عراقى من فضة قيمته تسعة قروش وربع • والكلمة منسوبة الى (الجرخ) بالفتح وهى كلمة فارسية ... والمراد بالجرخى هذا النقد الاملس الدائر الحالى من التستين أو السلسلة • »

قلت : يصح الآن قوله ان هذا النقد تركى عراقى ، لانه مضروب فى بغداد^(١) ، وكان ضربه فى عهد السلطان محمود • وقد عين الأب قيمته عن جونس • وجاء فى اسماعيل غالب (ص ٣٨٨ رقم ١٠٥٣) : « جديد بشلك (ضرب بغداد) هو تقليد بشلك القسطنطينية الى درجة مع نقص فى وزنه ، وهو ما يسمى اليوم (جرخى) فى بغداد • » وهذه الغروش المذكورة فى جونس أحدها جزء من ٤٣٠ جزءا من الليرة الذهب العثمانية • وجاء فى جريدة الزوراء فى عددها المرقم بـ ٣٨٢ والمؤرخ فى ٢٢ رجب ١٢٩٠ = ٣ أيلول ١٢٨٨ (١٥ أيلول ١٨٧٣) أن الجرخى من ضرب على باشا يوم كان واليا فى بغداد •

جهادى

قال : « نقد تركى عراقى ذهبى قيمته ٣٤٠ قرشا رائجا ، والكلمة منسوبة الى الجهاد ككتاب • ويظن أنه ضرب فى أيام الجهاد • »

قلت : نقل اسم هذا النقد وقيمه عن جونس ، ولو قال قرشا رائجا باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٠ كما فى جونس نفسه فى شأن قيمتها لفهم المراد بالقرش الرائج ، ودفع كل التباس ، لوجود غروش قديمة تختلف كل الاختلاف عن هذه الغروش • ولا أدرى أى نقد أراد جونس ، فان اسماعيل غالب (ص ٣٧٨) يذكر عدة نقود أطلقت عليها لفظة (جهادية) ، ولكنها ليست ذهبا بل فضة ، وهى للسلطان محمود الثانى (١٢٢٣-٥٥ = ١٨٠٨/٣٩) • (أنظر اسماعيل غالب ص ٣٧٨ وما بعدها وص ٤١٢) والظاهر أن جونس أراد نقدا من النقود الذهب لهذا السلطان ، كان ضربه قليل ضرب النقود التى عملت لتأدية نفقات الجهاد ، وكان فى ذلك الزمن جهاد (أنظر التاريخ) ان ظن الأب مصيب فى سبب التسمية •

جنيه (بفتح الجيم وفتح النون)

قال : « وزان أمير ، والعراقيون لم يسمعوا بهذا النقد ، بل يرونه مكتوبا فى

(١) ضرب نقد ذهب فى الحلة على عهد السلطان سليمان الاول (اسماعيل غالب

ص ١٠٥ رقم ٢٨٢ ، وفى آخر الكتاب رسمه) •

الصحف المصرية والكتب المطبوعة فى ديار النيل ، ويلفظونها جنية مؤنت الجنى وزان الهندى . وقد حاولنا مرارا أن نصلح غلط من يقرأ هذه القراءة السيئة ، فكان جواب القارئ : أن تلفظ جنية ، لأن الذهب المصرى يسحر العقول والأنظار كبنيات الجن^(١) . . . الى أن قال : ومن الجنيات التى كانت معروفة فى مصر قبل قرن جنية مجيدى وهو الدينار العثمانى . . . »

قلت : ولم أسمع من قال لهذا النقد (جنية) مؤنت الجنى ، ثم انه لو قال « جنية مجيدى » وهو الليرة العثمانية ، لوافقت هذه التسمية نوعا ما بقوله الناس ، لأنه لم يسمع تسمية هذه الليرة بدينار مجيدى^(١) .

خرية وخيرية

قال : « ١ - خرية وزان هندية من النقد المصرى الذهبى الذى زال اسمه اليوم من التجارة ومن الاسواق . والكلمة منسوبة الى خير بك ، وذلك أن السلطان سليما أو السلطان سليم شاء كما يقول بعض المؤرخين أودع ولاية الديار المصرية سنة ٩٣٠ (١٥٢٣/٢٤) الى الأمير المذكور ، وكان يلقب بملك الأمر ، فضرب النقد الذهب ، فسمى خيرية على وزن دبرية ، ثم صحفها العوام فقالوا (خرية) بكسر الحاء وتشديد الراء المكسورة فباء مثاة تحتية مشددة فهاء . »

ثم أن الذين ضربوا الذهب فى مصر بعد الأمير خير بك راعوا الاسم من غير أن يتقيدوا بأنه من ضرب الأمير ، لأنهم طبعوا دنائير على حجم الخيرية وشكلها ، فسميت خيرية لهذا السبب دون غيره . فكان عندهم « خيرية » أو « خرية » مصرى . وكانت تضرب فى مصر نفسها ، وكان يأتيهم مثلها من استانبول ، وكانوا يسمونها (خيرية استانبولى قديمة) هكذا بهذين الوصفين : الأول مذكر ، والثانى مؤنث كما ترى ، وهو فى منتهى الغرابة . وكان عندهم « خرية مصرى قديمة » بسعر قائم بنفسه .

٢ - خرية : هى المسماة فى مصر خرية ، وخيرية بلسان أهل فلسطين ، وهى من ذهب . وهى نوعان : خيرية استانبولى قديمة ، وخرية مصرى ، وثمان كل منهما ٢٠ قرشا تركيا . . »

قلت : ان السلطان سليما لم تمتد أيامه الى سنة ٩٣٠ ، فقد كان آخرها سنة .

(١) المجلة : ما روى الكرملى العراقيين به من الجهل والسخف فى هذه الجملة ، له فى مقالاته أشباه ونظائر كثيرة كان (تجاوز الله عنه) يحلو له أن يخترعها اختراعا ، لتكون من المأثورات عنه فى بطون الدواوين ، وفى نفى الفاضل يعقوب سركيس لروايته هذه عن العراقيين ما يؤيد رأينا هذا فيه .

٩٢٦ ، وان ما ضرب باسمه نوعان من النقود الذهب كان يقال لهما تارة (سلطاني) ، وتارة (أشرفي) ، والأشرفي نسبة الى الأشرف لقب ملوك مصر الذين لقب كل منهم بالملك الأشرف (اسماعيل غالب ص ٨١) . ان لفظة خيرية متأخرة عن تلك الأزمنة ، فانها أطلقت على نقد ذهب من ضرب السلطان محمود الثاني (١٢٠٥-٢٣/١٢ = ١٨٠٨/٣٩) ، وعلى نقد مزدوج من هذا النوع والفئة ، وعلى نقد آخر هو نصف من هذا النوع . وفي عهد السلطان محمود هذا ضربت خيرية في مصر ، وهي نصف الوحدة (اسماعيل غالب ص ٣٩٠ رقم ١٠٦٢) ، فلا صلة بين هذا الاسم للنقود المار ذكرها وبين خير بك ، فان لفظة خيرية مقتبسة مما كان يقال له (تنظيمات خيرية) وهو تعبير بدىء باستعماله في عهد السلطان محمود (راجع مادة تنظيمات في معلمة الاسلام) .

الدبلون (بفتح الأولين وضم اللام) ، ودبنون (بفتح الأولين)

قال : « الدبلون وزان حلزون نقد ذهبي سمنا به بلفظ دبلون في العراق . وأما أهل مصر ، فيلفظونه دبلون كزيتون ، وهو في الأصل من ضرب الأسبانيين ، وكان معروفا في سورية أيضا ، وقيمته ستة عشر ريالاً أو يزيد أ وينقص بموجب البلاد والزمان . وبالأسبانية دبلون Doblón »

« دبنون . وزان حلزون هو دبلون ، وتلك بلغة أهل العراق . راجع الدبلون . وسمنا من يقول (أبو دبنون) . »

قلت : لم أسمع تسمية (دبنون) ولا (أبو دبنون) ولا أعرف من أمره شيئا في مصر وسورية . أما في بغداد ، فانه كان يساوي ١٦٠٠ قرش رائج باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٠ قرشا رائجا في سنة ١٨٥٤ (راجع جونس) .

ربع مجيدى ومجيدى

قال : « ربع مجيدى نقد تركي عراقي من ذهب قيمته ٢٠ قرشا رائجا . راجع مجيدى . »

« مجيدى . المجيدى : مجيدان كبير وصغير ، وكلاهما نقد تركي عراقي فضة . فالمجيدى الكبير قيمته ٨٠ قرشا رائجا ، والمجيدى الصغير يساوي ٨ قروش رائجة وبقيت القيمة واحدة . وكان عندهم نصف مجيدى وقيمته ٤٠ قرشا رائجا وربع مجيدى ويساوي ٢٠ قرشا رائجا . والمجيدى منسوب الى السلطان عبدالمجيد الذى ولي السلطنة سنة ١٨٣٩ للميلاد وتوفي سنة ١٨٦١ للميلاد . »

قلت : قوله : « ان ربع المجيدى من ذهب قيمته ٢٠ قرشا ليس بصحيح فان المجيدى من فضة وقيمته ٨٠ قرشا وربعه يساوى ٢٠ قرشا من هذه القروش كما ورد للأب فى مادة مجيدى ، وكنا نسمى هذا الربع بشلك نريد بهذه اللفظة ٥ قروش صاغ (أى صحيحة) باعتبار الليرة العثمانية مئة قرش بحساب الحكومة وبما يزيد على ذلك بأحد ، ومن القروش الصحيحة بحساب الأهلى ، وفى اصطلاح لهم يساوى ٢٠ قرشا رائجا باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٢ قرشا رائجا . وقوله : « مجيدى كبير ومجيدى صغير » منقول عن جونس . أما فى زماننا فكان يقال (مجيدى) فقط ، لما سمي هناك بمجيدى كبير ، وكنا نقول لما سمي هناك أيضا بمجيدى صغير (أبو نمانية) ، نريد به ثمانية قروش رائجة ، فهذا النقد الصغير هو جزء من عشرة أجزاء من المجيدى . ومن أقسام المجيدى نصفه كما قال الأب . ومنا من كان يسمى ذلك النقد الصغير (قرانا) لمساواة الواحد للثانى فى القيمة أحيانا وللفرق الجزئى بين قيمتهما أحيانا أخرى فى أيام عثمانى .

ربع غازى . غازى خيرى . غازية . غازى عتيق
قال : « ربع غازى نقد تركى عراقى ذهبى قيمته ٢١ قرشا رائجا . راجع غازى ثم خيرى .

غازى خيرى : نقد تركى عراقى من ذهب قيمته ٨٤ قرشا . وسمى باسم أحد السلاطين الغزاة ، وهم الذين يذهبون الى قتال العدى . قال صاحب محيط المحيط : « الغازى ضرب من المسكوكات القديمة يساوى نحو ٢٠ قرشا . » اه ، ويجمعونها على غوازى وغازيات . ثم توسع العوام بمعنى هذه الكلمة فأطلقوها على كل ما أشبه ذلك ، لقد وان كان من نحاس ممود بالذهب . واطلب معنى (الحيرى) فى محلها . غازى عتيق : نقد تركى عراقى من ذهب . قيمته ٩٥ قرشا رائجا . غازية : الغازية عند أهل فلسطين ما يسميه العراقيون الغازى . وهو عندهم نقد ذهبى يساوى القديمة ٣٠ قرشا تركيا . والجديدة ٢٠ قرشا . ويجمعونها على غازيات .

قلت : هنا نقل عن جونس فى شأن الغوازى الدارجة فى بغداد ، وفيه أنها نوعان : غازى عتيق ونصفه ، وغازى خيرى ونصفه وربعه ، فما الغازى الحيرى الا ما سمي خيرية أو خرية للسلطان محمود التى مر الكلام عليها . فقد جاء فى اسماعيل غالب (ص ٣٧٤ ح) أن النقود المسماة بالحيرية بدى بضرها فى السنة الحادية والعشرين لسلطته ، وضربت فى ستين وأنها هى ما يقال له (غازى) بلسان العوام . ولعل ما سمي

بـ (غارى عتيق) فى جونس ، هو أحد النقود المسماة فى اسماعيل غالب (جديد رومى آلتونى) (هو الذى أشار إليه بـ « تك » = مفرد فى ص ٣٧١ العدد ٩٦٢/٩٦١) وكان الابتداء بضرب هذا النقد فى السنة التاسعة لسلطنة محمود الثانى حتى السنة الخامسة عشرة لسلطنته . وسبب ذهابى هذا هو أن ذلك النقد الحيرى المذكور فى اسماعيل غالب المسمى بـ (الغازى) وزنه ٨ ط وثلاثة أرباع ، ووزن (جديد رومى آلتونى) (تك) هو ١١ ط وثلاثة أرباع . وكان ضرب هذا الرومى الجديد (تك) فى السنة الثانية والعشرين لسلطنة السلطان محمود . وقد أبان لنا اسماعيل غالب أن النقد المضروب فى السنة الخامسة عشرة المذكورة (رقم ٩٦٢) فى عياره نقص عن مثيله ، ولهذا أقول : لما كان الذى وزنه ٨ ط وثلاثة أرباع قيمته ٨٤ قرشا كما فى جونس ، وجب أن تكون قيمة النقد الذى وزنه ١١ ط وثلاثة أرباع نحو ١١٢ قرشا ، مع أن جونس يقول : قيمته ٩٥ قرشا ، والظاهر أن هذا النقص فى قيمته ناشئ عن النقص الذى فى عياره . وفى جونس أن لهذا الغازى العتيق نصفاً ، ولكن لا ذكر له فى اسماعيل غالب ، والأمر محتاج الى زيادة تحقيق على ما مر بنا . وجاء فى جدول فى سالنامه ثروت فون (٢ « ١٣٢٦ رومية = ١٩١٠ م » ٨١) فى النقود المستعملة زينة أن قيمة الغازى المسمى خيرية ٢٣ قرشا و ١٠ بارات ، وقيمة (جديد رومى آلتونى) ٢٨ قرشا و ٢٠ باره (باعتبار الليرة مئة قرش وقرشين وكسرا) .

ربع ممدوحى • ممدوحى • نصف ممدوحى

قال : « نقد تركى عراقى من فضة قيمته ٦ قروش رائجة • راجع ممدوحى • • »
 « ممدوحى : نقد تركى فضة يساوى ٢٤ قرشا رائجا ، ونظنه منسوباً الى ممدوح باشا ، وهو اسم طائفة من البشوات والوزراء الترك • • »
 « نصف ممدوحى : نقد تركى فضة يساوى ٢٤ قرشا رائجا • راجع ممدوحى • • »
 قلت : ان قيمة ربع (الممدوحى) منقولة عن جونس . أما ظنه أن هذا الاسم هو نسبة الى ممدوح باشا ، فليس بصحيح ، وليس فى الباشات والوزراء العثمانيين طائفة بهذا الاسم ، فقد راجعت كتاب تراجمهم المسمى (سجل عثمانى) وهو فى أربعة مجلدات ، فلم أجد فيه من اسمه ممدوح الا واحداً ، وهو (بك) لا (باشا) .
 وفى اسماعيل غالب (ص ٤٢٣ و ص ٤٣٥) أن النقود التى ضربها السلطان عبدالمجيد قبل ضربه لليرة الذهب وأقسامها وضربه للمجيدى الفضة وأقسامه كان يقال لها (ممدوحية) • وفى تاريخ أحمد راسم (ص ٢٠٧٢ الفائدة ٢٩٣) : أن (الممدوحية)

نقد ذهبي قيمته عشرون قرشا صاغا (أى صحيحا) ، وأن ضربه كان في أوائل جلوس السلطان عبدالمجيد ، وان لهذا النقد أنصافا وأرباعا من الفضة .

قلت أيضا : فما كان في التداول ببغداد من هذه الأقسام فهو ربع هذا النقد ، وقيمته خمسة غروش صاغ باعتبار الليرة مئة قرش صاغ ، وستة قروش صاغ أيضا باعتبارها نحو ١٠٨ غروش ، والستة الغروش الصاغ تساوي أربعة وعشرين قرشا رائجا ، وهكذا نجد ذلك في جونس ، فالنصف اذن قيمته ١٢ قرشا رائجا كما في جونس أيضا ، وليست قيمته ٢٤ قرشا كما سلف للأب .

ربعية ، وربعية سادة ، وربعية مزنجلة

قال : « ربعية . نقد مصري اخترف سعره باختلاف السنوات ، وفي السنة ١٢٣٨ كانت الربعية المصرية تساوي ثلاثة قروش ونصفا . »
ربعية سادة : نقد تركي عراقي من ذهب قيمته ٣٨ قرشا رائجا . والربعية نسبة الى الربع ...

ربعية مزنجلة : نقد تركي عراقي من ذهب قيمته ٣٩ قرشا رائجا . ومزنجلة اسم مفعول من زنجله . فيكون مزنجلة ، دائرها ذات سلسلة أو مستنة كالسلسلة .
قلت : ان نقل اسم هذين التقدين مع بيان قيمة كل منهما هو عن جونس ، ويظهر لي أن الربعية السادة هي النقد الذي ذكره اسماعيل غالب (ص ٣٣٤ رقم ٨٣٦) للسلطان عبد الحميد الأول مع بيان وزنه ٤ ط وربع كما أنه ذكر ربعية ثانية (ص ٣٤٨ العدد ٨٨٨) ، وهي للسلطان محمود وزنها ٤ ونصف ، فوزن كل منهما قريب جدا من الثاني . وهذا ما جعل الفرق بينهما في القيمة غرضا واحدا (وراجع مادة اسلانبولي في ما سبق) .

روبية ، أو روبية

قال : « نقد هندي من فضة دخل العراق منذ نحو سبعين سنة ، لكن انتشر كل الانتشار بعد احتلال الانكليز لديار العراق ، ويساوي ٧٥ فلسا من فلوس العراق العصرية . والكلمة هندية منسوبة الى « روب » وزان حوت ، ومعناها القطعة الفضية . واليوم ليس للروبية وجود في العراق . »

قلت : والأوفق أن يقال نقد هندي بريطاني ، وان كان الذهب في هذه الحالة لا ينصرف الى نقد هندي لا دخل للانكليز به ؛ فقد كان للهند من هذا النقد (راجع مادة روبية في معلمة الاسلام) . وقد وجدت في رحلة ايفس Ives في أخبار سنة ١٧٥٨ (١٧٧١) ذكر لروبية ايرانية في كلامه على النقود المتداولة في بغداد والبصرة

وحلب (كتابه ص ٢٣٦) وهو في البصرة . وسأنتقل جدولته في النقود) . وجاء في نسخة وقفية لأُملاك في بغداد مؤرخة بسنة ١١٨٦ (١٧٧٢) خص فيها الواقف أحد الموقوف عليهم بعشرين ربية شهريا لقيامه بواجبات دينية عنها له ، كما أنى وجدت في رسالة لأحد التجار في بغداد ذكر ربية عجم فيها بتأريخ ١٢٢٤ (١٨٠٩) . ولا أعرف ما يراد بهذه النقود ، إذ لم يكن في زمانى نقد يقال له روية لايران ، وجونس نفسه لم يذكر هذا النوع من النقود . وقد جاء ذكر هذا النقد في الص ١٦ و ١٠١ من كتاب النقود والأنواط والختوم لشاهات ايران لبورغوماله .

(Coins, Medals and seals of the shahs of Iran by H. L. Robiuo di Borgomale London 1945)

ريال

قال : « اسم شائع في جميع بلاد الشرق ، وأول من أجراه في السوق والتجارة الأسبانيون ، واسمه عندهم ريال Real ، ومعناه الملكي . وما من نقد اختلف سعره في البلاد مثل هذا النقد . وكذلك اختلف سعره في الأزمنة ، فقد اختلف بين ثمانين قرشا رائجا وتسعين قرشا . وقد اختلف أنواعه واسماؤها ... »

قلت : وجاءت هنا أسماء لريالات لم تسمع في بغداد ، فلا يعينى أمرها ، وليلها ، قوله : « ريال مجيدى أو ريال عثمانى ، ثم أطلق عليه اسم مجيدى . والآن قد شاع في العراق والديار المصرية الريال بدون أن يذكر له وصف ، وهو يساوى ٢٠ قرشا صاغا أو أربعة شلنات وخمسة دراهم في العراق ، وشاع في اليمن الريال التمساوى المعروف بأبو شوشة أو مارية تريزة أو ماري تريز . وفي اليمن الريال الامامى ، وهو مطبوع في صنعاء اليمن . ومن أنواع الريالات (الريال الحميدى) نسبة الى السلطان عبد الحميد ، (الريال الرشادى) نسبة الى السلطان محمد رشاد الخامس وهو الريال التركى وهو العثمانى أو المجيدى أيضا ، و (الريال المجرى) و (الروسى) الى غيرهما . »

قلت : ذكر جونس نوعا واحدا من الريالات وقال انه اسباني^(١) ، وسعره ٩٩ قرشا رائجا ، ويظهر لى أنه قد غلط في هذه النسبة ، لأن النقد الذى كنت أراه في التداول في أوائل شبابى - وبين تلك الأيام وزمن جونس نحو من أربعين سنة - هو ما كنا نسميه

(١) جاء في رحلة بولاي لوكوز (Boullaye le-Gouz) (ص ٤٨) الذى كان في استانبول في سنة ١٦٤٩ أن الخراج (الجزية) فيها على كل نصرانى ويهودى وهندى خمسة ريالات اسبانية وفيه (ص ٥٢٨) ان هذا النقد في تركية يساوى ٨٠ أسبر (آقجه) وكل آقجه تساوى أربعة مانغرات ، والمانغر من نحاس .

فرنسة ، وهو الريال النمساوى على ما عرفته أنا بعد حين ، وذلك من الكتابة والصورة التى فيه .

ولنرجع الى مادة (ريال Real) فى معلمة الاسلام ، فأنها تقول ما موجزه : « كانت تطلق كلمة (ريال) فى العالم الاسلامى فى القرن السابع عشر والثامن عشر ، على نقود كبيرة : هولندية ، وألمانية ، ونمساوية . وفى الأصل كانت تطلق كلمة (ريال) على نقد اسباني ، وأخيرا قام مقام تلك الريالات (الريال النمساوى) لما رأى تيريز . فالنقد الذى ذكره جونس كان من هذا النوع لا غيره كما سبق بيانه (وراجع مادة تالير فيما سبق) .

ان القول « ما من نقد اختلف سعره فى البلاد مثل (الريال) » ، هو قول فى غير محله ، ويكفى شاهدا فى رده أن أورد مثلا واحدا هو أن القرش كان قديما نقدا كبيرا كما هو معلوم (أنظر فى اسماعيل غالب وغيره) ، اختلف وزنه وحجمه وعبارة اختلافا عظيما خلال عدة قرون ، ثم رأينا فى عهدنا صغيرا جدا وهو جزء من مئة جزء من الليرة العثمانية الذهب بحساب الحكومة ، وهو القرش الصاغ عند الأهلىين ، بل هو جزء من أربع مئة وبضع عشرات من أجزاء هذه الليرة ، وهو القرش الرائج فى المعاملات الصغيرة عند هؤلاء الأهلىين أنفسهم .

واذا ما نظرنا الى القول المذكور آنفا : « ريال مجيدى أو ريال عثمانى » ، فهو كذلك غير صواب ؛ لأن هذا النقد الذى بدأ بضربه عبدالمجيد لم يسمه أحد عثمانيا ، وليست قيمة الريال لحكومتنا العراقية خمسة دراهم ، بل أربعة دراهم ، والدرهم خمسون فلسا . وهذا لا يحتاج الى الرجوع الى مصدر ، فان هذين التقدين بأيدي الناس ، وربما لا يخلو جيب رجل منها ، وإن قل الريال فى الأيدي لما فيه من الفضة فحفظ واختزن . وليس بيننا من كان يقول (ريال حميدى) و (ريال رشادى) ، بل كنا نقول (مجيدى) ؛ لأن ما ضرب من هذا النقد فى زمن السلطان عبدالحميد ورشاد كان ضربه كالسابق من دون تغيير فى حجمه ووزنه وعبارة . ولم ينطق الناس بتسمية له غير لفظة (مجيدى) ، وهكذا جاء اسمه فى اسماعيل غالب : مجيدية (ص ٤٢٧ العدد ١١٦١) .

ريج بالك

قال : « نقد تركى عراقي من ذهب قيمته خمس ليرات . والكلمة مركبة من ريج (براء مكسورة فاء مثناة ساكنة فحاء ساكنة) وهى فى لسان عوام العراقيين تخفيف لقولهم (أرح) من أراح يريج ، و (بالك) أى خاطرك . وكانت هذه القطعة الكبيرة من ذهب تريج بال من يملكها . »

قلت : لا تعليق لى على هذه المادة الا أن أضيف اليها أن هذا النقد بدىء بضربه فى عهد السلطان عبد الحميد فى السنة السادسة لسلطنته * (اسماعيل غالب ص ٤٢٦ رقم ١١٥٦) .

زر محبوب ، ومحبوب

قال : « زر محبوب * نقد ذهبى مصرى الاستعمال * والكلمة مركبة من الفارسية (زر) أى ذهب ، و (محبوب) اسم أحد الممالك فى سنة ٦٩٨ (١٢٩٩ م) ، وكان عياره ١٦ قيراطا وكسرا . وبقي عيار (الزر محبوب) قبل دخول الفرنسيين فى مصر كما كان يوم طبع *

محبوب : هو اسم أحد الممالك فى المئة السابعة للهجرة * وفى أيامه كانت تأنى الى مصر الدنانير من ضرب القسطنطينية * وكان يسمى (محبوب سليمى اسلامبول) ، وكان سالما من العث * ثم ان الملوك المذكور تولى لنفسه ضرب الدنانير ، ونقص من عيارها شيئا ، فسميت (زر محبوب) *

وهناك محبوب ثالث هو (محبوب مصطفاوى) وهو منسوب الى السلطان مصطفى الرابع الذى تولى السلطنة العثمانية سنة ١٨٠٧ * وكان فى مصر (محبوب محمودى جديد) * والمحبوب عند أهل فلسطين يعرف (بمحبوب سليمى) * وهو نقد ذهبى عثماني يساوى عشرين قرشا تركيا * .

قلت : لا أدري وجود أحد الممالك فى مصر اسمه محبوب فى سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩) * وهب ذلك صحيحا ، فهل كانت الفارسية أو التركية معروفة هناك ، فسمى النقد بهذا الاسم ؟ هذا ما لا أقره عليه ، ولا سيما أنى لا أقر أن هذا النقد بقى على حاله كما كان يطبع فى سنة ١٢٩٩ م الى ما قبل دخول الفرنسيين مصر فى سنة ١٧٩٨ م ، فمعنى ذلك أنه بقى على حاله خلال خمس مئة سنة ، مع أننا نرى تبديل أنواع النقود بغيرها من الأنواع خلال سنين معدودة ، فكيف فى تلك الأزمنة ؟ (راجع اسماعيل غالب وغيره) وما محبوب الا صفة لزر * .

دعنا من هذا الدليل وان كان مقنعا لايحتاج الى غيره ، ولتر غير للتأييد * ان محبوبا كما جاء فى قول الأب كان من أبناء المئة السابعة للهجرة ، وانه كان ترد فى أيامه نقود من ضرب القسطنطينية تسمى (محبوب سليمى اسلامبول) * وما هذا المحبوب الا للسلطان سليم الثالث (٢٢ / ١٢٠٣ = ١٧٨٨ / ٨٠٧) ؟ لأنه من المعلوم أنه فى سنة ٦٩٨ هـ لم تكن القسطنطينية قد دخلت فى يد العثمانيين ، فقد كان فتحهم لها فى سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) * .

وقد ذكر اسماعيل غالب (ص ٣٤٩ رقم ٨٨٩) هذا النقد باسم (زر محبوب) من ضرب السلطان سليم المذكور ، وكان له أيضا نقد آخر بهذا الاسم ضرب فى مصر (اسماعيل غالب ص ٣٥٣ رقم ٩١٥) . وأما (المحبوب المصطفى) ، فهو كما سلف منسوب الى السلطان مصطفى ، وهو المضروب فى القسطنطينية ، أو الآخر المضروب فى مصر (اسماعيل غالب ٣٦٢ رقم ٩٣٤ وص ٣٦٥ رقم ٩٤٤) ، وفى سالنامه ثروت فنون (٢) ٣٢٦ رومية = ١٩١٠م) ان (زر محبوب السلطان مصطفى الثالث) باق فى الاستعمال لزينة النساء ، وقيمته ٣٦ قرشا (صاغا) . وفى « رسمى وخريطه لى تاريخ عثمانى » لأحمد راسم (ص ٤١٣ الفائدة ١٢١) ان ماسى (زر محبوب) هو النقد الأشرفى ذو الطغراء الذى ضرب فى زمن السلطان مصطفى الثانى (١٥/١١٠٦ = ٧٠٣/١٦٩٤) وكان يقال له (طغرى آلون) ، وهو نقد ذهب . وكان يقال له فى مصر (زر محبوب) ، وقد صورته فى ص ٤١٥ . وفى اسماعيل غالب (ص ٢٥٣) بيان لهذه التسمية ، وهى تزينته بالطغراء السلطانية والنقوش الجميلة ، وعياده الموافق للمطلوب ، وقال : بحق (سمى زر محبوب) . وخلاصة الكلام ان محبوبا العلم لا صلة له بمحبوب الصفة . وكان (الزر محبوب) من النقود المستعملة فى العراق ، فقد ذكره ايفس (Ives) فى رحلته (ص ٢٣٦) مساويا لـ ٢٤ مرمودة (Marmooda) و ٧٥ فلسا فى البصرة و ٢٤ فى بغداد ، كما أن رفيق السر اركوت (Eyre Coote) ذكره فى مروره بالعراق سنة ١٧٧١ فى كلامه على قيمة الدينار فقال : « ان اجمل قيمته عشرون (زر محبوب) وكل عشرين من هذا النقد يساوى نحو سبعة باونات وعشرة ثلثات من النقود الانكليزية . وعندى نسخة مخطوطة غنيقة من هذه الرحلة . وهى مطبوعة فى مجلة الجغرافية الملكية ٣٠ (١٨٩٠) ص ١٩٩ . وجاء فى دوحه الوزراء (ص ٣٧/١٣٦) أن الملتجى الى بغداد حسين مرزا من أولاد الشاهات الصفويين أعطى بأمر السلطان صلة قدرها أربعة آلاف (زر محبوب) ، وسفر الى حيث أتى فى سنة ١١٦٤هـ (١٧٥٠/٥١) على وفق للأمر . ومن النقد المضروب المسمى (زر محبوب) ما هو من ضرب السلطان محمود الأول (٧٨/١١٤٣ = ٥٤/١٧٣٠) . وقد ذكر وصفه اسماعيل غالب (ص ٢٨٦ رقم ٦٧٢ ٦٧٣ و ٦٧٤) . وفى سالنامه ثروت فنون (٢) ٣٢٦ رومية = ١٦٩٠ « ٨١ » أنه باق فى الاستعمال ، تزين به النساء . وكان ذلك فى سنة صدور سالنامه ، وهو يساوى ٣٧ قرشا (صاغا) و ٣٠ باره . وقد أطلق هذا الاسم (زر محبوب) على كثير من النقود العثمانية (راجع اسماعيل غالب) .

زلطة وظلط

قال : « زلطة . محرقة قطعة من النحاس ، أو من معدن ، تساوى ثلاثين باره ، وهى

من التركية ، وهذه من الصقلية (أو السلافية كما يقول اليوم المعاصرون) ، وتكتب زولنة Zolata او Zoloto او Zlot وكانت تساوى فى أول ظهورها ثمانين باره ، ثم هوت الى ثلاثة أرباع القرش الصحيح (الصاغ) وكانت شائعة فى سورية ولبنان ، وعرفت قليلا فى العراق ، وذلك قبل نحو أكثر من قرن . ومنهم من كتبها بالعربية زولوطة أو زولاطا أو زلوط . أما المصريون ، فلم يذكروها فى كتبهم ، ولم نسمعها من المعاصرين منهم ، فالظاهر أنهم لم يعرفوها . وهذا عجيب ، وقد عرفوا أسماء كثيرة من الورق . وأهل اليمن حرقوا الكلمة وقالوا (ظلط) للدراهم عامة من باب التعميم أو زلط . وقد شاعت عندهم منذ عهد السلطان عبدالعزيز . وقال أيضا :

« ظلط . اسم الدراهم عامة عند اليمنيين ، وهى تصحيف « زلطة » التى جمعها زلط . راجع زلطة . وقد شاعت عند اليمنيين منذ عهد السلطان عبدالعزيز . » وقال :
ظلط تفخيم كلمة زلط . راجع هذه الكلمة . »

قلت : الزولنة نقد فضة كما فى معجم لاروس الحديث المصور ، واسماعيل غالب . ولم تكن يوما من الأيام من نحاس . وفى هذا الكتاب الثانى (ص ٢٥٤) : أن هذه اللفظة كانت تطلق فى عهد السلطان مصطفى الثانى (١١٠٦/١٥ = ١٦٩٤/٧٠٣) على نقد أجنبى هو طانر (تالير) ماتياس ، ثم حولت الزلطة الأجنبية بالضرب عليها نفسها الى نقد عثمانى ، وبقي فيها أثر من الحروف الافرتجية فى أطرافها ، وجاء فى حاشيته (صفحة ٢٥٦) : أن الكلمة السلاوية (الصقلية) « زولنة » أصبحت علما للقروش الفضية . أما فى اللغة الروسية ، فكلمة زولوتو Zoloto معناها الذهب . وقد ضرب من (الزولطة) فى القسطنطينية فى عهد السلطان أحمد (١١٥/٤٢ = ١٧٠٣/٢٩) (راجع اسماعيل غالب ص ٣٦١ رقم ٦٢١ و٦٢٠ وص ٢٦٢ رقم ٦٢٣) . ومن الزولنات ونصفها ما ضرب فى عهد السلطان مصطفى الثالث (١١٧١/٨٧ = ١٧٥٧/٧٢) (اسماعيل غالب ص ٣١٥ رقم ٧٧٠ و ٧٧١ وص ٣١٦ رقم ٧٧٢ وفيه أيضا (ص ٢٥٦) : أن قيمة الزولنة ، وان تبدلت بمرور الزمن تبدلات كثيرة الا أنها دامت الى عصر السلطان عبد الحميد الأول (١١٨٧/٢٠٣ = ١٧٧٣/٨٨) ، وتركت . ثم ضرب منها ذات وحدتين (زولتين) ، وبقيت رائجة بعدئذ بدلالة ما ذكر فى سالنامه سنة ١٢٦٣ ، وهو قيمة كل درهم من دراهم الزولنة . ومن الزولنات ما ضرب فى عهد السلطان عبد الحميد الأول (اسماعيل غالب ص ٣٣٦ رقم ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥) ، وما ضرب فى عهد السلطان محمود الثانى (١٢٢٣/٥٥ = ١٨٠٨/٣٩) وهو نقد ذو زولتين (أتمشلق = ذو ستين) وزولنة واحدة (أوتوزلق = ذو ثلاثين) (اسماعيل غالب ص ٣٧٧ رقم ٩٩٥ وص ٣٧٨ رقم ٣٩٦ و ٣٩٧) ، وضربت

الزروته و نصفها في بغداد في عهد هذا السلطان (اسماعيل غائب ص ٣٨٧ رقم ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ص ٣٨٨ رقم ١٠٥٠) ، وقد صور هذا النقود في اللوح السابع الملحق بالكتاب ، و تجد صورته أيضا في أحمد راسم (ص ٤١٧ في القائمة ١٢١) نقلا عن اسماعيل غائب .

شامی

فال : « نقد تركي عراقي من فضة قيمته ٣٢ قرشا رائجا » قال . . . يعقوب نعوم سرکيس : هو الذي كان يسمى أيضا العرش الرومي . قلنا : والظاهر أنه سمي باسم الشام التي هي دمشق ، لأنه ضرب فيها لأول مرة . وراجع عرش . . .

قلت : تعيين قيمة الشامي منقول عن جونس ، والمعروف عن قيمته بعد ذلك أنها عشرة قروش صاغ أو ما يقل عنها بكسر من العرش ، باعتبار الليرة العثمانية مئة عرش ، أي قيمته أربعون قرشا رائجا باعتبار هذه الليرة أربع مئة عرش رائج . وسعره هذا بالقروش الصاغ ، وجدته في وثيقة حكومية (هي عندي) تأريخها في أول أيلول ١٢٨٢ (رومي) أي ١٢ أيلول ١٨٦٦ م . وقد نشرتها في (مجلة غرفة تجارة بغداد : ٥ : ١٩٤٣ ، ٦٠١) وهكذا كان التعامل في البصرة باسمه ، لأعينا ، في بيع التمور وشرائها باعتباره عشرة قروش صاغ حتى الحرب العالمية الأولى ، أو قبيل ذلك . ان ما نقل عنى صحيح لولا قوله ، ان هذا النقود هو الذي يسمى أيضا العرش . فان الذي كنت قلته وأقوله الآن : هو أن النقود صار يسمى (شاميا) بعد أن كان يقال له (عرش رومي) . وكان آخر اطلاعي على تسمية هذا النقود بالقروش الرومي في ما وجدته في أربع وثائق : الأولى كتبت في البصرة سنة ١٢٢٧/٢٩ = ١٨١٢ ، وقد نشرتها في (مجلة لغة العرب ٣ : ٩١٢/٩١٣ « ٥٦٣ ») ، ثم في مجموعتي (مباحث عراقية) . والثانية كتابتها كذلك في البصرة من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٤ (٢٩ : ١٢٣٥) ، وقد نشرتها في (مجلة غرفة تجارة بغداد : ٧ : ١٩٤٤ « ٣٧٩ ») . والثالثة في دفتر مصروفات لأحد التجار في بغداد تأريخها سنة ١٢٣٦ (١٨٢٠) . والرابعة في تدوين في أموال الموصل لأحد الناس من أهلها أو من سكانها في خبر من أخبار سنة ١٢٣٢ هـ ، ولم أجد اسم (قرش رومي) في جونس في سنة ١٨٥٤ (١٢٧١) . فتغير الاسم كان في هذه الحقبة من السنين ، وقدرها خمس وثلاثون سنة ، وليس في وسعي تعيين تاريخ التغير بالسنة ، ولا بيان السبب الذي حمل الناس على هذا التغير للاسم . ثم اني لم أجد في اسماعيل غائب ضرب نقد في الشام في أية مدينة كانت من ذلك القطر بعد ضرب السلطان محمد الرابع (١٠٥٨/١٠٩٩ = ١٦٤٧/٨٧) لنقد من الفضة ضرب في دمشق (اسماعيل غائب ص ٢١٥) . وأزيد على ذلك أن القرش الذي قلت انه هو الذي سمي (شاميا) بعدئذ ، هو من ضرب السلطان عبد الحميد الأول ، وهو المسمى في اسماعيل

غالب (ص ٣٣٦ رقم ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥) (زولته) ، وبجانبه : (أوتوزلق) = ذو ثلاثين المضروب في السنة الرابعة عشرة لتولية للسلطنة . وعندى من هذا النقد كما أنه عندى من غيره من نوعه أيضاً ، ضرب في السنة الخامسة عشرة لجلوس هذا السلطان على العرش . وفي جونس : أن التعامل بالشاهى مرغوب فيه عند الأعراب حتى أعراب جنوب البصرة ، فأنهم يفضلونه على غيره من النقود . أما التجار من الأهلين في بغداد ، فإن حساباتهم بـ (البشك القمرى) .

شاهى او شاهية

قال : « هى نقد نحاسى ايرانى يشبه البارة التركية ، أو الفليس العراقى العصرى . وقد اختلفت أيضاً قيمته باختلاف الوقت وابلد . والشاهية معروفة الى عهدنا هذا . والكلمة منسوبة الى انشاء ، ومؤداها باللغة الفارسية : الملك ، فيكون معناها القطعة الملكية أو النقد الملكى . »

قلت : ليست كلمة (شاهى) بالتذكير منسوبة الى شاه ايران ، فأنها كانت من النقود العثمانية . وقد جاء في اسماعيل غالب (ص ٨٠) عن مصادر ذكرها : أن تسميته هذه انما كانت لوجود كلمة شاه على نقود من الذهب للسلطان سليم الأول (١٥١٨/٢٦) = ١٥١٨/١٩ الذى استولى على مصر ، فكان من الطبعى أن يسمى ذلك النقد شاهى ، وهكذا سميت الأقحاجات التى ضربت الى نحو سنة الألف للهجرة شاهى أيضاً . هذا ايجاز ما قاله . وفي كتاب (اونجى عصر هجرىده استانبول حياتى) : استانبول ١٣٣٣ (ص ٩٩) فرمان للسلطان (سليم الثانى) موجه في تاريخ سنة ٩٨٠ الى بكربكى ديار بكر ودفتردارها ، مضمونه جواب الاستئذان بضرب (الشاهى) و (البارة) بعمار بغداد ، وهو أنه أمر بأن يضرب نقد بعمار شاهى بغداد ، على أن يزداد عليه قيراط ، وترفع عنه لفظة شاهى ويسمى : (سليمى) . وجاء في هذا الكتاب (ص ١٠٣) فرمان آخر تاريخه في سنة ٩٩١ يقضى بقبض ما يرد من أرضروم وآمد وبغداد وحلب من الشاهى الناقص الوزن والعمار . وكذلك جاء في تاريخ نعيم (٣ : ٣٦٨) في أخبار سنة ١٠٣٥ (١٦٢٥) في زحف السردار حافظ احمد باشا الى بغداد قوله : « وكان ضيق بسبب قلة النقود ففتحت دار الضرب في قلعة الامام الأعظم (أبى حنيفة) ، وشرع في ضرب شاهى بغداد . » وجاء في براءة تضمين الكمرك للمدعو سفر من الأرمن على أثر فتح السلطان مراد لهذه المدينة في سنة ١٠٤٨ (١٦٣٨/٣٩) : أنه يؤذن له فيها بضرب الباد شاهى (قلت : انقردت هذه البراة بهذه التسمية) ^(١) والبارة في بغداد . وقد نقلت ترجمة هذه الوثيقة الى لغتنا في (١) كنت قلت في (مجلة غرفة تجارة بغداد) : ٤ « ١٩٤١ » ٢٩٧ : « ان كلمة شاهى مقطوعة من بادشاهى . » أما الآن ، فقد بان لى سبب التسمية وهو اطلاق كلمة شاه على السلطان سليم الأول كما جاء هنا .

(مجلة غرفة تجارة بغداد : ٥ « ١٩٤٤ » ١٦٧) ، وكنت أتوقع الاطلاع على كلام في ضرب هذا الشاهي للسردار حافظ أحمد باشا في بغداد في كتاب اسماعيل غالب ، ولكني لم أجد شيئا من ذلك . وكان (الشاهي) مستعملا في بغداد في سنة ١٦٦٤ م (١٠٧٥ هـ) ، وهو من ضربها . فقد جاء في رحلة تيفنو Thevenot (٣ : ٢١٢ و ٢١٣) : « والشاهي يسمى (بغداديا) ، لأنه يضرب في بغداد ، ووزنه درهم » . وفي (مجلة المشرق : ١٣ (١٩١٠) ٦٥٩) في رحلة القس خدر الكلداني من الموصل الى رومة في سنة ١٧١٩ ، في كلامه على هذه المدينة ، وكان فيها في سنة ١٧٢٧ (١١٤٠) : « أن الجولية هي البغدادية (كذا بالتأنيث) السالكة في الموصل ، هو يرى أن قيمة كل منهما تساوي الأخرى . وفي اسماعيل غالب أن تقدين من الفضة ضربا في بغداد في عهد السلطان ابراهيم (١٠٤٩/٥٨ = ١٦٣٩/٤٨) ، وقد سماهما درهما (ص ٢٠٦ رقم ٥٢٧ و ٥٢٨) ، وفيه أيضا (ص ٢١٦ رقم ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١) ذكره ثلاثة نقود فضية مضروبة كذلك في بغداد على عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥٨/٩٩ = ١٦٤٨/٨٨) ، وقد سماها دراهم كالسابق . ويلوح لي أن النقد الذي أراده تيفنو ، هو من هذا النوع من النقود المضروبة في عهد هذا السلطان ؛ فإن وزن كل منها مساو للآخر ، وهو ١٤ ط (قيراط) ، ولا يختلف أحدهما عن الآخر في القطر الا قليلا . وفي اسماعيل غالب ص يه من المقدمة : « أن كل ١٦ ط يساوي درهما » . فالفرق قليل بين كلام تيفنو واسماعيل غالب ، ولعل سبب ذلك عدم عناية تيفنو بضبط الوزن . وسنرى في ملحق أضيفه الى هذه النبة كلاما لهذا الرحالة تيفنو على النقود التي رأى التعامل بها في بغداد ، وقيمة كل منها .

هذا ما كان من أمر الشاهي العثماني . أما (الشاهية) بالتأنيث ، فهي - كما جاء في المتن - نقد نحاسي ايراني . وما شبهها للبارة العثمانية من ضرب القرن الماضي الا في الحجم تقريبا ، وقيمتها كما هو مكتوب عليها ٥٠ دينار (خمسون دينارا !) لكنها لا تشبه الفلوس العراقي العصري في وجه من الوجوه ، الا أنها من النحاس مثله حسب . وراجع في شأن (الشاهية الايرانية) ما أوردته في (مجلة غرفة تجارة بغداد : ٤ « ١٩٤١ » ٣٩٥) ، وهذه الشاهية ليست معروفة الى عهدنا هذا .

أجل كانت في عهدنا دارجة في بغداد ، ولكن استعمالها بطل قبل الحرب العالمية الأولى ، أو في الاحتلال البريطاني .

الشرك والجورك (الجرك)

قال : « بضمين من القروش ما ليست بصاغ ، وعشرة من الشرك يساوي قرشا

صاغا . والكلمة من التركيبة جورك ، أو جرك . والعراقيون يلفظونها جرك ومعناها الرث . *

قلت : رأينا فيما سبق كلاما على الفرش الرائج والصاغ ، وسيأتي الكلام بتفصيل على الفرش . وهنا وردت كلمة (جرك) عند العراقيين ، والذي كنت عرفته في زمني القديم أن لا فرق بين الفرش الرائج والفرش الجرك ، وهو جزء من « أربع مئة ونحومن ثلاثين جزءا من الليرة العثمانية » في تعامل الأهليين ؛ وأن كل أربعة من هذه القروش كانت تساوي قرشا صاغا . وكلمة (جرك) كانت قليلة الاستعمال ، وقد وجدت في تدوين لأحد التجار في سنة ١٨٧٠ أن خمس مئة قرش جرك تساوي ليرة عثمانية ذهبا ، ومن المعلوم أن ما يساوي الليرة من القروش كان غير مستقر على حال واحدة لأسباب . ولم تكن عشرة قروش تساوي يوما من الأيام قرشا صاغا . وكنت قرأت في جريدة الزوراء في العدد المؤرخ في ١٢ شهر ربيع الأول ١٢٨٧ = ١٠ حزيران ١٢٨٥ الرومية المالية (٢٢ حزيران ١٨٦٩) ما أمر به في بغداد بشأن الفرش الصاغ الرائج والجوروك والأوزان والمقاييس . وكان الوالي إذ ذاك مدحت باشا . وكنت قرأت أيضا بحثا ثانيا في هذا الموضوع كذلك في هذه الجريدة في ٤٢ المؤرخ في ١١ المحرم ١٢٨٧ = ٣١ مارت ١٢٨٦ ر (١١ نيسان ١٨٧٠) . وكانت قرائتي لهذين البحثين في مجموعة لهذه الجريدة محفوظة في خزانة الكتب للآباء الكرمليين . ويقصد بالجوروك هذه النقود المغشوشة ، وهي النقود الفضة التي كان ضربها قبل أحداث (المجدي) وأقسامه (اسماعيل غالب ص ٤٥٨) . وسبب التسمية قلة الفضة في تلك النقود . وكان يقال لها (متاليك) . *

شـلن

قال : « بكسرتين هو الدرهم الأنكليزي ، ويساوي خمسة قروش مصرية ، أي خمسين فلسا عراقيا ، وهو من فضة . وربما قال بعض العوام (شنن) بنونين وبكسرتين ، وبعضهم يقول (شلم) بميم في الآخر ويجمعونها على (شلومة) . * قلت : لم أسمع من قال (شنن) و (شلم) و (شلومة) . *

شوشى

قال : « نقد تركي عراقي من فضة قيمته ٥٦ قرشا رائجا ، وهو الذي كان يسميه أهل الشام (أبو شوشة) الذي قال عنه صاحب محيط المحيط : « نوع من المعاملات الافرنجية فيه نقش كالشوشة » . وفسر الشوشة بشعر الرأس ، ويطلق على كل شعر

طويل في البدن • قال الأب انتاس ماري الكرملی : « الشوشة كلمة عامية شامية معناها الجملة ، وهي من أصل ارمي هو شاشا أى كبة القطن » •
 قلت : ان ما نقله الأب بشأن قيمة (شوشى) فى بغداد هو عن جونز ، وفيه أنه نقد تركى ؛ فلا يمكن التوفيق بين هذه النسبة وعده (أبو شوشة) ذلك النقد الذى ذكره محيط المحيط وعده نقدا افرنجيا ، فيظهر أن أحدهما قد غلط فى النسبة • أقول هذا من باب الاحتياط •

شيشى مجيدى

قال : « الشيشى هو الذى يسميه العراقيون (شوشى) ، وأهل الشام (أبو شوشة) راجع شوشى قبل هذا • »

قلت : لم يسم العراقيون الشيشى (شوشى مجيدى) ؛ فان ما كان يقال له (شوشى) ليس من أقسام (المجيدى) الذى بدأ بضربه السلطان عبدالمجيد • والدليل على أن هذا (الشوشى) ليس من أقسام (المجيدى) أن جونز ذكر هذه الأقسام ، ثم ذكر (الشوشى) ، فهو من النقود التى كان ضربها قبل احداث (المجيدى) وأقسامه •

الصاغ

قال : « القرش الصحيح منها ، وهو يساوى أربعين (باره) ، والكلمة تركية معناها (صحيح) • »

قلت : هذه الكلمة من الاصطلاح الذى كان جاريا فى بغداد عند الأهلىين للتفريق بين ما يراد بجزء من الليرة العثمانية وجزء آخر هو القرش الرائج • والقرش الصاغ كما فى أعلاه قيمته أربعون باره من بارات الحكومة العثمانية بعد ضربها لليرة • ويساوى القرش الصاغ أربعة قروش رائجة • ولم تقل الحكومة (قرشا رائجا) ، بل كانت تقول (قرشا) من غير وصف ، وهى تعنى به جزءا من مئة جزء من الليرة المذكورة •

عادلى صايغ وعادلى مكر

قال : « عادلى صايغ • نقد تركى عرافى من ذهب قيمته ٧٠ قرشا رائجا ، وتلفظ « صايغ » بالياء على ما ينطق به العوام ، ونظن أن (عادلى) منسوب الى أحد كبارالباشوات (عادلى) ، وقد سمي بهذا الاسم كثيرون • »

عادلى مكر : جاء فى جونز ذكر هذين التقدين مع بيان قيمة كل منهما • وليست كلمة (عادلى) اسما لكثيرين من الباشوات ؛ اذ ليس فى (سجل عثمانى) الذى مر ذكره الا واحد منهم اسمه (عادلى اسماعيل باشا) وقد توفى سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥) ،

وما عادلى الاتحريف كلمة عدلى . وهى مخلص للسلطان محمود الثانى منقوش على عدد من نقوده . (راجع اسماعيل غالب ص ٣٧١ وما بعدها .) . أما اضافة أحد هذين التقدين الى (صايغ) ، فلا أدري سببها . والعدلى الثانى فى جونس موصوف بمقره (بقاف عوضا عن الكاف وبهاء فى الاخر) وبازائها بالانكليزية (Adelli Makerer) (مكرر) ولعل الصحيح ما جاء مكتوبا بالحروف الافرنجية فلا أعرف ما يراد بهذا الوصف . وقد يكون المقصود « ثانيا » . وفى (سالنامه تروت فنون) (ص ٨١) : أن (عتيق عدلى) قيمته ١٩ قرشا و ٢٦ باره .

عدلية

قال : « العدلية عدليتان : قديمة وجديدة ، وكلتاهما مصرية من الذهب . وقد اختلفت قيمتهما باختلاف المكان والزمان . وكانت العدلية الجديدة تساوى فى سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ستة عشر قرشا . والعدلية يسميها العراقيون عادلى . وعندهم صايغ وعادلى مكرر راجعهما . وكان عند المصريين (عدلية قديمة مجيدة) ، وكل منهما بسعر يختلف عن سعر الثانية » .

قلت : أجل ، فى النقود عدليتان ، وهما من ضرب السلطان محمود فى القسطنطينية . وقد ذكر الأولى اسماعيل غالب فى كتابه (ص ٣٧١ برقم ٩٦٣) ولها أنصاف ، والثانية (ص ٣٧٣ برقم ٩٧٣) باسم « جديد عدليه آلتونى » ولها نصف وربع . وما قول الأب : « ان هناك عدلية قديمة مجيدة » الانقل عن الذهبى (راجع جدولته فى ص ٨٣ من كتاب الأب) ولا بد أن فى نسبة عدلية القديمة الى السلطان عبدالمجيد غلطا ، فان عهده من سنة ١٢٥٥ الى سنة ١٢٧٧ (١٨٣٩/٦٠) فهو متأخر عن زمن السلطان محمود (من سنة ١٢٢٣ الى سنة ١٢٥٥ = ١٨٠٨/٣٩) فيكون الذهبى قد أراد نسبة عدلية القديمة الى السلطان محمود ، فنسبها الى عبدالمجيد غلطا ، فلهذا السلطان عدليتان وصفت احدهما بالجديدة ، وفى سالنامه تروت فنون : أن (جديد عدليه آلتونى) قيمتها ١٧ قرشا و ٢٧ باره ، ولعل الثانية هى التى ذكرتها أيضا السالنامه باسم (عتيق عدلى) ، مع بيان أن قيمتها ١٩ قرشا و ٢٦ باره كما مر بنا فى مادة (عادلى) .

غرش

قال : « والبعض يقول قرش بالقاف ، وكله جائز ، لأن الأصل ألسانى ، وهو Groshen . فمن الناس من ينقل الحرف g الى قاف ، ومنهم الى الفين ، وأهل

مصر المعاصرون ينقلونه الى جرش * ومثل هذا الاختلاف وقع عند العرب أنفسهم ، اذ اختلفوا برسم الكاف المثلثة على الوجه المتقدم بسطه .

والقرش غرشان : قرش صاغ ، وقرش رائج * فالقرش الصاغ يساوى أربعين باره ، والقرش الراجح يساوى أربعة ، أى عشر بارات * ويجمع القرش أو القرش على قروش وغروش .

وكان أهل البصرة يسمون الشامى (القرش العين) ، ثم قالوا (القرش) ، وذلك منذ المثة التاسعة عشرة للميلاد * وكان يساوى هذا القرش العين أو القرش الشامى عشرة قروش صاغ * قال ... يعقوب نعوم سر كيسى : « وكان القرش الشامى يسمى فى بعض أنحاء العراق بالقرش الرومى » .

قلت : راجع اسماعيل غالب (ص ٢٣٣) ومعلمة الاسلام فى مادة غروش تجد أصل هذه الكلمة اللخيلة الافرنجية وتطورها حتى أصبحت كلمة Groshen (١) . وقد جاء فى أعلاده ما يفيد أن نقدا بهذا الاسم لم يعرف الا فى العهد الذى أطلت عليه كلمة شامى * وكان هذا فى نحو منتصف القرن التاسع عشر مع أن هذا الاسم فى المملكة العثمانية كان معروفا قبل ذلك ، وكان يطلق على نقد دخیل كما جاء عن اسماعيل غالب (ص ٢٣٣) وفى معلمة الاسلام * وجاء ذكر القرش فى مجموعة (أوتنجى عصر هجريده استانبول حياتى : ص ١٠١/١٠٠) فى فرماتين ، تاريخ أحدهما سنة ٩٨٩ (١٥٨١) وفيه يخاطب السلطان قاضى استانبول ويأمره ألا تكون قيمة القرش أكثر من أربعين (آقجه) ، والآخر تاريخه سنة ٩٩٠ (١٥٨٢) وفيه يأمر أن تكون قيمة القرش أربعين (آقجه) * وعندى نسخة لبراءة سلطانية أعطيت على أثر فتح السلطان مراد لبغداد فى سنة ١٠٤٨ هـ ملتزم الكمرك سفر الأرمنى ، وفيها ذكر ما هو مكلف بتأديته من القروش عن بدل ضمان الكمرك ، وقد نشرت هذه الوثيقة فى (مجلة غرفة تجارة بغداد) منقولة الى العربية (٥ « ١٩٤٢ » ١٦٧) * ثم كان الابتداء بضرب نقد بهذا الاسم فى الحكومة العثمانية فى عهد السلطان سليمان الثانى (١٠٢/١٠٩٩ = ١٧٨٧/٩٠) كما فى اسماعيل غالب (ص ٢٢٧) والمعلمة الاسلامية * ويظهر لى أننا قلنا - نحن العرب - قرش أو قرش عوضا عن غروش ، لاعتبارنا هذه اللفظة جمعا ، فرأينا أن

(١) ما أغرب ما قاله الأستاذ نعوم جرجس طاماز فى مجلة « الرسالة المخلصية » التى تصدر فى صيدا (٧١٤ من جزئها المؤرخ فى تشرين الثانى ١٩٤٩) ! وقوله هو أن كلمة قروش تحريف « قورش » التى اسمت قرية تعرف بالقرشية الواقعة بقرب اللاذقية بينها وبين حلب مرحلتان .

يكون مفردا بطى الواو ، وهكذا تصرفنا فيها . وراجع مادة (شامى) تجد صحة ما قلته قبل وأقوله الآن فى شأن هذا النقد الذى كان يسمى قرشا . وإذا ما أريد وصفه أضيفت اليه كلمة (رومى) تميزا له عن الفروش الدخيلة القديمة على ما يبين لى . ومن المعلوم أن العرب كانوا يطلقون أحيانا كلمة الروم على الاتراك . وفى المتفق اذا ما أراد الناس أن يخيفوا أولادهم الصغار يقولون لهم : « جاءك الرومى » وهم يقصدون به الجندى من جنود الحكومة العثمانية . ويظهر لى أن هؤلاء العرب كانوا يقولون (جرش) قبل تسمية هذا النقد بشامى بدلالة أنهم يقولون : « ان فلانا أدى الجرش للعشيرة الفلانية » أى أنه انتسب اليها وصار منها ، فصدنا يؤدى ما يترتب عليه : من دية قتيل ، أو غضب عضو (وهذا يسمى فى اصطلاحهم فصلا) أو غرامة ، وأمثال ذلك .

فرنسا أو فرنسة

قال : « أو الريال الفرنسى » .

قلت : راجع مادة (تالير) و (ريال) مع اعترافى بأننى وجدت فى كتاب تصدير العقود السنية بتمهيد الدولة الحسينية للسيد محمد حيدر الحسينى المتوفى سنة ١١٦٣ (١٧٤٩) ، وهو مخطوط عندى ، فى أخبار سنة ١١٤٠ (١٧٢٧) : أن (الفرنسية) بقرشين وثمن بالديوانية ، و (الريال) المسمى بـ (سكة المرأة) بقرشين . ولا أعرف أى امرأة أراد ، لأنها ليست مارى تيريز صاحبة التالير المعروف بالريال ، ولأن ولادتها كانت فى سنة ١٧١٧ ، وإن ضرب ريالها بدىء به فى سنة ١٧٥١ (كما فى موريس فيشل (ص ٢٠٠) ، وصورتها التى فيه تدل على أنها ليست فى أول شبابه .

فرنك

قال : « بفتح الفاء والراء واسكان النون وفى الآخر كاف ، هو النقد الفرنسى المشهور ، وكان سعره عشرين قرشا رائجا فى الشرق فى أول ظهوره ، ثم تغير بوقوع الحرب العظمى » .

قلت : أما نحن ، اليفدادين ، فنلفظ الكلمة باسكان الفاء كالفرنسيين ، ونلفظ الكاف كافا فارسية ، ولم نره عندنا فى التداول .

الفلس

قال : « بفتح الفاء ، وبكسرهما غلط . راجع كلاما طويلا عليه فى ص ٦٨ و ٦٧ » . قلت : قد يذهب القارىء الى أن التلفظ بهذين الوجهين مغلوط فيه ، والأحسن أن يكون قول الأب بفتح الفاء ، وأما بكسرهما فغلط . وهو جزء من ألف جزء من

دينارنا العراقي الحالي .

الفورينى

قال : « من الايطالية فيورينو Fiorino ، وهو نقد أجنبي الأصل ، وكان مستعملا فى مصر قبل نحو أكثر من مئة سنة ، واحتلف سعره باختلاف المكان والزمان وكان سعره فى سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) أربعة قروش وثمانية أنصاف ، ويقال أيضا فلورين . »

قلت : يظهر أن كلمة « الأصل » فى غير محلها ؛ لأن النقد الذى ذكره أجنبي كما سنرى ، وقد أبان الأب أن قيمته كانت أربعة قروش وثمانية أنصاف فى سنة ١٢٨٠ ، وهذه القيمة تدلنا على أنه من الفضة ؛ لأن القروش التى ذكرها من القروش المتأخرة عن ضرب الليرة العثمانية التى تساوى مئة غرش . وكلمة (فيورينو) الايطالية كانت قد حُرِفَت فى الممالك العثمانية ، فكانت (فيلورى) ، ومنهم من كان يقول (فلورن) Florin اللفظة الفرنسية . وكان هذا النقد ذهبا فى القديم ، والشواهد على ذلك كثيرة لا محل لسردها ، وإنما أكتفى بالرجوع الى اسماعيل غاب (من ٥٤ ح) وقد قال هناك : « ان هاتين اللفظتين (فيلورى) و (فلورن) نطلقان فى هذا الزمان على نقد لاؤستريا (أى زمان طبع كتابه فى سنة ١٣٠٧ = ١٨٨٩/٩٠ م) . وفى المعجم التركى لشمس الدين سامى والمعجم الفرنسى التركى لديران كلبيان : « أن هذا النقد ذهب . » وكان عليهما أن ينصا أن ذلك كان فى القديم .

قران

قال : « وزان كتاب ، نقد فضى ايرانى دخل العراق منذ عهد قديم لقرب البلد الواحد من الآخر . وقد اختلف سعره بين فرنك وبين ما يزيد عليه أو ينقص عنه ، وذلك باختلاف البلاد والزمان . والكلمة مسماة بلفظ من اصطلاح المنجمين ، وهو (القران) الذى هو اجتماع الكوكبين غير الشمس والقمر فى جزء واحد من أجزاء فلك البروج من باب التفاؤل . »

قلت : صحيح أن القران كان يساوى نحو فرنك قبل ظهور غيره مما عرف أيضا باسم قران . والأوفق لنا أن نقيسه بالنقود التى كانت متداولة فى بلادنا كما قيس غيره ، ولا سيما أن الفرنك لم يكن فى أيدينا فى العراق فى وقت من الأوقات ، ولا أعرف هل كان متداولاً فى غيره من بلادنا العربية . وهذا جونس يقول : ان القران قيمته واحد وعشرون قرشا ، وقد سماه قران محمد شاه (وفاته فى سنة ١٢٦٤ = ١٨٤٧ م) ، وهو

خلف جده فتح على شاه (وفاته في سنة ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤) وكان لفتح على شاه هذا قران مرغوب قيمته تزيد على قران حفيده محمد شاه قرشا رائجا أو قرشين ، على ما كنت سمعته منذ زمن بعيد من رجل كان شابا في منتصف القرن الماضي للميلاد . ولم يكن هذان متداوين في زماننا ، وانما كان أيام كنت نسابا (قران) ضربه غير منتظم ، ثم ضرب غيره ، وكانت دائرته منتظمة ، وكنا نسميه (قران جرخ) ، وكان من جنسه ذو قرانين سمينا (مكنه) بكاف فارسية ، وهي من الايطالية تحريف لماكنة . ويراد بمكنة الآلة التي يضبط بها كما في المعجم التركي لشمس الدين سامي . وكان في المنطق للقران اسم آخر هو (قته) بفتح الفاء وتشديد التاء ، مخففا لفتح على . والمراد بذلك بادىء ذى بدء القران الذى ضربه فتح على شاه المذكور ، ثم أطلقت الكلمة على كل قران من أى نوع كان الا أنه كان يقال اذا أريد تعيين القران غير المنتظم الضرب في ذلك اللواء (أبو ديلة) ، ومن معاني الديلة في اللغة : اللقمة الكبيرة ، والكنلة من كل شيء كما هو معلوم ، فقد أرادوا تشبيه هذا القران بذلك لعدم انتظام ضربه . وكانت تطلق لفظة (بناد) بفتح الـا حـرف الثلاثة على نقد صغير هو نصف قران ، وهذه الكلمة تخفيف (بناء آباد) الفارسية ، ومعنى (بناء) الملجأ ، (وآباد) المعمورة ، الحاضرة ، كقولك (حيدر آباد) و(سلطان آباد) . وكان في العراق نقد إيراني فضة صغير جدا ورقيق كالكاغد يسمى (بيجوة) بياء فارسية وتشديد الواو وجيم فارسية ، ولا أعرف معنى الكلمة . وكانت قيمة هذا النقد غرشا رائجا ونصف غرش باعتبار الليرة العثمانية ٤٣٢ قرشا رائجا . ولـ (بناء آباد) ذكر في كتاب بورغومالى المار الذكر في (الجدول ٣) وفي هذا الكتاب (ص ١٦ ح ٢) نقلا عن مكداول (Me Doual) القصل البريطاني في المحمرة أنه يقال للقران غير منتظم الضرب « بودويله » . والذي أظنه أن هناك غلطا إما في سمعه ، وإما في طبع الكلمة ، وأن الصحيح هو « أبو ديلة » كما مر بنا .

قرش

قال : راجع (عرش) . والقرش المصرى يختلف سعره عن سائر القروش المسماة بهذا الاسم . وكثيرون من أهل مصر حاضرة المملكة يلقطون القرش همزة فيقولون (الارش) وهم يريدون القرش .

قلت : لا يختلف القرش المصرى عن سائر القروش ، فقد كانوا يطلقون هذه الكلمة على النقد التركي القديم الكبير الحجم ، ثم غدوا يطلقونها على الجزء الواحد من مئة جزء من جنسهم الذهب ، كما كنا نقول (غرش صاغ) لجزء واحد من مئة جزء من

الليرة العثمانية • والفرق بين القرش (الصاغ) باعتبار الليرة العثمانية مئة قرش وجنيهم نحو ثلاثة عشر من المئة ، فان جنيهم يساوي نحواً من مئة وثلاثة عشر قرشاً من هذه القروش العثمانية •

قمری

قال : « نقد تركي عراقي من فضة • فان قلت (قمری بشلغ) فقيمته ٢٠ قرشاً رائجاً • وان قلت (قمری) بدون اضافة فهو يساوي قرشين رائجين • وسمى هذا النقد بالقمری لأنه كان منقوشاً عليه صورة الهلال او القمر الذي هو شعار الترك • »
قلت : قيمة (قمری بشلغ) منقول عن جونس ، وكان هذا النقد في التداول اذ ذاك • أما في عهدنا العثماني ، فلم يكن في التداول نقد نسميه (قمری بشلغ) ، بل كنا نطلق كلمة (قمری) على نقد قيمته قرشان رائجان كما قال أعلاه لصورة هلال فيه ، فرأت الناس أن تنسبه الى القمر ، لأن منا من يقول اذا هل الهلال : « طلع القمر • »

ليرة

قال : « نقد تركي عراقي من ذهب كان يساوي ٤٠٠ قرش رائج ، والكلمة من الايطالية (Lira) ، والايطالية من اللاتينية (Litra) • وقد اختلفت قيمتها في كل بلد وفي كل زمن • والليرة (أبو خمس غازيات) نقد تركي عراقي ذهب يساوي ٤٣٠ قرشاً رائجاً ••••• »

قلت : كانت قيمة هذا النقد عند الحكومة مئة قرش (صاغ) ، ثم جعلت قيمته بعد اعلان المشروطية (أي الدستور) مئة قرش واربعاً وعشرين بارة باعتبار القرش أربعين بارة كما هو معروف عند الحكومة • وقد اختلف سعر هذا النقد عند الناس بين نحو من ١٠٨ قروش صاغاً ، وهي تساوي ٤٣٢ قرشاً رائجاً وما فوق ذلك أحياناً حتى كان سعره في وقت من الأوقات نحواً من ٥٥٠ قرشاً عندنا في بغداد • أما ما ورد أعلاه في شأن الليرة (أبو خمس غازيات) فهو منقول عن جونس ، ولكنه لم يقل (غازيات) بل قال (أبو خمس نمازياد) ، وكتب بالفرنسية Lira or Mejeedi ، فهو يريد الليرة نفسها ويكون قد ذهب الأب الى أن في الطبع غلطاً فقرأ الكلمة قراءة صحيحة • واذ ذكر جونس أن قيمة (الغازي) العتيق خمسة وتسعون غرشاً (رائجاً) ، وقيمة (الغازي الخيري) أربعة وثمانون غرشاً (رائجاً كذلك) كما مر بنا ، لزم أن تكون خمسة غازيات بخيرية تساوي ٤٢٠ ، فلم يكن الفرق بين هذا المبلغ وما يساوي الليرة في زمنه الا عشرة قروش ، وكان للناس أن يسألوا فيقولوا ليرة أبو خمس غازيات ، وهو اسم لم أسمع في زمانى • وأقول في

الآخر : ان الليرة وما ذكره جونسن باسم ليرة أبو خمس نمازياد (غازيات) ، هو نقد واحد . وكان البدء بضرب الليرة في سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) (راجع اسماعيل غالب ص ٤٢٦) . وكلان يوصف هذا النقد العثماني بادىء ذى بدء بمجيدية نسبة الى السلطان عبدالمجيد . وقد ضرب في عهده ، ثم ضرب منه في عهد خلفه السلطان عبدالعزيز ، فعند المناس يقولون لكل منها (عثمانية) وصفا لهذا النقد (راجع اسماعيل غالب ص ٤٥٦) . أما في عهدنا العثماني في العراق فكان الناس اذا أرادوا وصف هذا النقد ، قال بعضهم (ليرة مجيدية) وبعضهم (ليرة عثمانية) لا لفرق بينهما ، بل لما قيل لها أولا (مجيدية) ثم (عثمانية) . وأما اليوم وقد غدت الليرة كسلعة فائنانس ولاسيما الصيارفة يفرقون بين الليرة المضروبة في زمن السلطان الفلاني والسلطان الفلاني فيصفون كلا من الليرات باسم السلطان الذي ضربت في عهده لنقص طاريء على بعضها من كثرة لمس اليد لها ، فيقولون (ليرة مجيدية) و (ليرة حميدية) و (ليرة رشادية) .

متليک

قال : « تعريب (Metallique) أى تقيد معدنى ، ويلفظونه بفتح الميم وكسر اللام . وهو عند أهل سورية وفلسطين والعراق يساوى عشرة بارات . وهو نوعان : متليک نحاس ، ومتليک نیکل . وبعضهم يقول : نقل ، بكسرتين في نكل . »
قلت : ما أعرف شيئا عن هذا النقد عند أهل سورية وفلسطين . أما في العراق ، فليست الكلمة مستعملة الا في البصرة ، وأهلها يريدون به النقد المسمى في بغداد (القرش الرائج) الذى يساوى عشر (بارات) كما تقدم . ولكن يجب تعريف هذه (البارات) ، فأقول : انه يراد بها (بارات) الحكومة التى كل أربعين منها يساوى (قرشا صاعا) . وهذا النقد الذى كان في الأيدى في القرن الماضى هو نقد صغير ضرب في عهد السلطان محمود وهو من الفضة ، وكذلك في عهد السلطان عبدالمجيد (اسماعيل غالب ص ٣٧٦ رقم ٩٨٧) . ولكن الفضة قليلة فيه ، ولونه ضارب الى السواد . ثم ضرب نقد يعادل قيمته من النحاس (اسماعيل غالب ص ٤٥٨) ، وبعد ذلك كان من النحاس أيضا في الأيام الأخيرة للسلطان عبدالحميد . ثم ضرب بعد اعلان المشروطية (الدستور) من النكل . ولم أسمع من يقول « نقل » بقاء . وكان يقال (وركة) بكاف فارسية أى « ورقة » لهذا النقد الصغير في لواء المتفق . وقيل لى انه كان يسمى كذلك (وركة) في لواء الديوانية . ومن المعلوم أن الورق : الدراهم المضروبة . وللاطب في كتابه (ص ١٦٣ و ص ٢٣٤) بحث عن أصل الكلمة . ومثل ذلك النقد القديم المضروب في عهد السلطان محمود ما هو مضروب في

بغداد (اسماعيل غالب ص ٣٨٧ رقم ١٠٤٦ ورقم ١٠٤٧) .

مجر

قال : « بالتحريك نقد ذهبى مصرى ضرب لأول مرة فى بلاد المجر ، ومنه اسمه . وبعض العراقيين يقولون (مجار) بألف قبل الآخر . لكن المشهور بلا ألف . وهو اللفظ الصحيح الفصحح . وقد اختلفت قيمته واسمه بالافرنجية (Maggar) . والأصل فى (المجر) أنه جبل من الناس من نجار تركى وهم الهنغار يون . والمجر عند أهل شرقى الأردن وفلسطين نقد نحاسى يساوى نحو خمس بارات . »

قلت : لا أعرف عن هذا النقد شيئا فى شرقى الأردن وفلسطين ، وانما ذكره جونس وعده نقدا من الذهب متداولاً فى بغداد مينا أن قيمته مثنا قرش واثنا عشر قرشا (رائجا) وقال بازاء ذلك بالافرنجية : انه (بلجكى) . فهل هو واهم فى نسبته هذه ؟ بل جاء فى تعريفه النقود الواردة فى سالتام استانبول لسنة ١٢٩٦ (١٨٧٠م) (ص ٤٥٩) : « أن النقد المسمى « مجار » هو دوكة فلنك (هولاندة) . »

مجيدى (راجع ربع مجيدى)

محبوب (راجع زر محبوب)

محمودى

قال : « فى قولهم قطعة محمودى من النقود المصرية الفضية الصغيرة نسبة الى السلطان محمود . ولا مناسبة فى القيمة بين المحمودى والمحمودية ، وان كانت المجانسة اللفظية ظاهرة . فالمحمودية قطعة من ذهب ، وهذه قطعة فضة . وكذلك لا صلة لها بـ (بندقى محمودى) سوى مشابهة اللفظ . »

قلت : قد يكون هذا النقد أحد النقود الفضة التى ضربت فى مصر فى عهد السلطان محمود . (راجع اسماعيل غالب ص ٣٩١ وما بعدها) .

محمودية

قال : « هو نقد ذهبى من نقود مصر ، وقد اختلفت قيمته . وهو منسوب الى أحد سلاطين الترك كان اسمه محمودا . راجع (بندقى محمودى) . وكان فى مصر قبل مئة سنة محمودية جديدة ومحمودية قديمة . »

قلت : ذكر اسماعيل غالب (ص ٣٧٥) ضرب نقد اسمه (جديد محموديه آلتوى) للسلطان محمود الثانى فى القسطنطينية فى السنة السادسة والعشرين لتوليهِ السلطنة (وكان تولاه فى سنة ١٢٢٣ هـ) . ووزن هذا النقد ٨ قاربط . وذكر نصفاً لهذا النقد

مضروبا في مصر ، وزنه ثلاثة قراريط ونصف قيراط (ص ٣٩٠ رقم ١٠٦٣) . قلت :
فالمحمودية الجديدة هي أحد هذين التقدين ، ولعلها التي ضربت في القسطنطينية .
فان الذي ضرب في مصر هو نصفها ، ولا بد من أن تكون (المحمودية القديمة) من النقود
التي سبق ضربها في أيام هذا السلطان ، وهي كثيرة الأنواع (راجع اسماعيل غالب
ص ٢٦٨ وما بعدها) .

مصر

قال : « مصر . مصران : مصر سليمي ، ومصر مصطفى . فالمر السليمي نقا تركي .
عراقي ذهب قيمته ١٠٥ قروش رائجة . والمصر مصطفى نقد ذهبي مثله ، لكنه يساوي
١٢٠ قرشاً رائجا . ولعل الاسم الأصلي (مصري) ؛ لانه كان يؤتى به من مصر ، أو كان
ضرب في مصر ، ثم حذفت ياء النسبة للخفة . »

قلت : هذا نقل عن جونس ، والنقدان من ضرب مصر من غير شك ، لما في اسميهما
من التعريف ولا سيما لما جاء في اسماعيل غالب (ص ٣٥٣ رقم ٩١٥) . وهو ضرب نقد
ذهب في مصر باسم السلطان سليم الثالث (١٢٠٣/٢٢ = ١٧٨٨/٨٠٧) ، وقد سماه زر
محبوب (جفته = مزدوج) ، وزنه ١١ و ٩ قراريط وله نصف وزنه ٦ قراريط وربع ، وزر
محبوب آخر مضروب في مصر كذلك (وهو جفته أيضا باسم السلطان مصطفى
(١٢٢٢/٢٣ = ١٧٨٨/٨٠٨) ، وزنه ١١ و ٧ قراريط وربع ، وله نصف وزنه ٨ قراريط
وربع (اسماعيل غالب ص ٣٦٥ رقم ٩٤٤ و ٩٤٥) . فيبين أن التقدين اللذين ذكرهما جونس
هما أنصاف التقدين بدلالة أن (الجفته) التي للسلطان سليم يزيد وزنها على التي
للسلطان مصطفى ، وكان وزن النصف الذي للسلطان مصطفى زائدا وزنه على وزن النصف
الذي للسلطان سليم . وهكذا رأينا قيمة النقد الذي ذكره جونس للسلطان مصطفى يزيد
وزنه على الذي للسلطان سليم .

ملييم

قال : « بكر الميم الأولى وتشديد اللام المكسورة أيضا يليها ياء مثناة ساكنة فيم
ثانية ، هو من النقود المصرية المصرية ، والكلمة من الفرنسية *Millieme*
بمعنى جزء من ألف من أجزاء الدينار المصري أو الجنيه المصري . ويحسن بنا أن نسميه
(الألف) وزان أقل حرصا على سلامة لغتنا من تدفق الأعجمية اليها وتمكنها فيها . راجع
ما كتبناه في (سننيم) . وأهل فلسطين وشرقي الأردن يقولون (مل) بكر فتشديد .
وهو كالفلس عند العراقيين . »

قلت : لاجابة الى أن يقال انه من Millième ، فان كلمة Millime نفسها موجودة في الفرنسية ، والفلس الذي ذكره هو فلسنا العراقي في يومنا هذا ، فان دينارنا يساوي ألف فلس .

ممدوحى (راجع مادة ربع ممدوحى)

نصف جهادى

قال : « نقد تركى عراقى ذهب قيمته ١٢٠ قرشا رائجا . راجع (جهادى) » .
قلت : أجل هكذا قال جونس ، ولكنه قال أيضا : « الجهادى قيمته ٣٤٠ قرشا » .
فكيف يتفق أن تكون قيمة النصف ١٢٠ قرشا ؟

نصف غازى

قال : « نصف غازى . نقد تركى عراقى قيمته ٤٢ قرشا رائجا . راجع (غازى) »
و (خبرى) .
قلت : يظهر أن قوله نصف غازى قيمته ٤٢ قرشا ، يريد به نصف الغازى الحبرى الذى ذكره جونس مع بيان قيمته هذه .

نصف مجيدى (راجع مادة ربع مجيدى)

نقشلى

قال : « نقد تركى عراقى من فضة يساوى أحد عشر قرشا رائجا ونصفا . وسمى كذلك لنقش فيه ، وبعضهم يكتبه (ناقشلى) وهو غير صحيح » .
قلت : هذا منقول عن جونس ، ولعل هذا (النقشلى) أحد نقود السلطان محمود الثانى المضروبة في بغداد . فقد ورد في اسماعيل غالب (ص ١٧/٣٨٦) : أن « هذه النقود كان فيها نقوش » .

النيرة

قال : « هي الليرة عند بدو شرقى الأردن وبادية الشام والعراق ، بل عند جميع البدو على اختلاف بلادهم ، فأنهم يذهبون الى أنها تخفيف النيرة (بالتشديد) ، لأن الذهب ينير بعض العقول ، كما أن الفقر يزيد بعض الأحلام . ونيرة الحصان هي الليرة الانكليزية أو الاسترلينية عند جميع البوادرى » .
قلت : لا أظن أن (النيرة) تخفيف النيرة (بالتشديد) . أقول هذا مع اعترافى بأنى أجهل سبب ابدال فريق من الاعراب التون من لام هذه الكلمة .

يرملق سليمى

قال : « والبعض يكتبها يارملق • وهى من التركية (يارم) أى نصف ، فيكون معناها : ذا النصف ، أو ذا نصف القرش ، أو نحو ذلك • وهو نقد مصرى فضى كان شائعا قبل قرن فى العهد التركى • »

قلت : جرت عادة الترك أن يقولوا نصفية لنصف الوحدة من النقود • راجع اسماعيل غالب ص ٣٥٤ رقم ٩١٦ وغيرها ، تره كثيرا ما ذكر نصفية ، ولم يقل قط يارملق • ان هذه الكلمة الملتحقة بها أداة (لق) هى يكرمى (أى عشرون) ، والترك يقولون (يكرميك) ؛ لأن (يكرمى) خفيفة اللفظة ، وقد سبق لى بيان ذلك فى مادة (بشلغ) • واذا ما رجعا الى اسماعيل غالب (ص ٣٥١ رقم ٩٠٠ و ٩٠١) وجدنا فيه أن مما ضرب فى عهد السلطان سليم الثالث نقدين مضروبين فى استانبول اسمهما (يكرميك) ، ونقدا ثالثا بهذا الاسم مضروبا فى مصر (ص ٣٥٤ رقم ٩١٩) ، (فيرملق سليمى) هو أحد هذه النقود الثلاثة بلا شك • وأزيد على ذلك أنه قد جاء للأب ذكره (للنصفية) وقال : انها نقد مصرى •

يوزلك

قال : « كلمة تركية الأصل من (يوز) أى مئة (وئلك) أداة النسبة ، فيكون معناها المثوية ، أو ذات المئة (القرش) • وهو نقد مصرى فضى يساوى سعره مئة قرش ، أو نحو ذلك • »

قلت : كان فى القرن الماضى نقود يقال لها (يوزلك) مضروبة فى استانبول ، منها خمسة ضربت فى عهد سليم الثالث (اسماعيل غالب ص ٣٤٩ رقم ٨٩٠ / ٩٤) ، وواحد فى عهد السلطان مصطفى (اسماعيل غالب ص ٣٦٣ رقم ٩٣٥) ، واثنان فى عهد السلطان محمود (اسماعيل غالب ص ٣٧٨ رقم ١٠٠٠ وص ٣٨١ رقم ١٠١٦) • فالذى عناه الأب هو أحد هذه النقود •

مستدركات للأب

قال : « فانا كثير من مصطلحات النقود ، من ذلك (الفكّة) ، فهى عند عوام المصريين النقود الصغيرة التى يتعامل بها • وسميت كذلك لأنهم ينظرون الى (الجنيه) نظرهم الى عقدة محكمة الشد ، ولا يمكن أن يتصرف فيها الا بفكها بالنقود الصغيرة • ويسمونها أهل سورية (الفراطة) وأصلها (الافرائة) من فرث الجلة للقوم اذا نثر فيها من الثمن • قالليرة كالجلة • ويسمونها العراقيون (الحردة) من الفارسية (خرده) أى قطع أو أجزاء صغيرة • وكان العرب الاقدمون يسمونها (الورق) ، وهناك غير هذه الأوضاع • »

قلت : فى تعليله لكلمة فكة وفراطة نظر *

اضافة

قال الأب فى هذه المستدركات : « انه فاته كثير من مصطلحات النقود * » فأقول : بل فاته كثير من أسماء النقود وما يساويها ، فان من يتصفح كتب التاريخ والرحلات وغيرها يجد أسماء نقود غير التى ذكرها أحدثت بعد العصر العباسى فى بلادنا الشرقية ومصر والبلاد التى فى غربها * وكذلك يجد هناك نقودا أدخلت هذه البلاد من أوربة ، واستعملت عندنا فى العصر العثمانى ، ولكنه لم يذكرها * واخراج هذه الأسماء من تلك المؤلفات يطول أمره فأتى به الآن * ولعل من المفيد أن أنقل هنا مثالا لذلك عن أصحاب رحلاتهم : بالي وتيفنو وايفس * فقد جاء فى كتبهم أسماء نقود كانت متداولة فى بلادنا مع ذكر النسب بينها * ومن هذه النقود التى لم يذكرها الأب : مدين^(١) ، ودوكا أو سلطاني وبوكل وسكن ومرمودة ودينيم (قلت : صحيحها دهنيم من الفارسية ، أى من العشرة واحد) وعباسى ونادري * وهذه الرحلات قديمة ، فقد كانت الأولى فى القرن السادس عشر ، والثانية فى السابع عشر ، والثالثة فى الثامن عشر ، وهذا ما ورد فى كل منها :

بالى الايطالى (Balbi)

جاء فى رحلته أنه غادر حلب فى ١٣ كانون الأول ١٥٧٩ (٩٨٧هـ) قاصدا بغداد بطريق البصرة ، فركب الفرات فوصل إليها فى أواخر كانون الثانى ١٥٨٠م * وقد قال بشأن النقود المستعملة فيها ما تفضل بنقله لى عارف بالايطالية ، وهو :

« أن نقود بغداد هى (شاهيات) ، وكل شاهى يساوى خمس مدينات ، و (المدين) من ضرب بغداد ، وكل أربعين منها تساوى سبعة وأربعين مدينا^(٢) * و (الياستر) يساوى ثلاثة وثلاثين مدينا من النقود البندقية وريال اسبانية قيمته مئة درهم (Dramme) وليس له سعر ثابت » اهـ *

وبعد أن أقام صاحب الرحلة نحوا من شهر فى بغداد غادرها فى ١٣ آذار قاصدا البصرة ، فوصل إليها ، وتكلم على النقود المستعملة فيها ، وبنى قد أهملت كلامه هذا :

(١) فى اسماعيل غالب (ص ١٢٨) أن المدينى نقد قضى مضروب فى مصر ، وهو من نقود السلطان سليم الثانى (وفاته فى ٩٨٢/١٥٧٤م) .

(٢) جاء اسمه فى اسماعيل غالب (ص ١٢٨ و ١٣٠) بصورة « مدينى » وأنه نقد قضى من ضرب مصر فى عهد السلطان سليم الثانى ، وان هذه اللفظة كانت مستعملة هناك بمعنى بارة ابتداء من عصر السلطان مصطفى الثالث وبقي استعمالها جاريا بعد ظهور البارة *

لأن فيما نقل لي غموضا على ما بين لي .

(راجع ما أعادت الفاضلة أولغا بيتو طبعه من هذه الرحلة ، وهو القسم الخاص بحلب والعراق مع تعليقات وحواش كثيرة لها ، وذلك في مجلة الأكاديمية الأهلية في لينس في إيطاليا في سنة ١٩١٢ م ، وقد استخرجت مما نشرته نسخا على حدة .)

تيفنو (Thévenot)

قال صاحب هذه الرحلة ، وكان في بغداد في آب ١٦٦٤ (١٠٧٥ هـ) : « قيمة (العباسي) شاهيان ونصف شاهي ، وقيمة (القرش الريال) ثمانية شاهيات ، وكل شاهي يساوي خمس بارات . و (البارة) قيمتها أربعة آسرات (يريد آفجات) . وهذه النقود جميعها من فضة . و (بوكل) (Boquelle) قيمته سبعة شاهيات ، وقيمة (سكن) ^(١) (Sequin) التركي ثمانية عشر شاهيا ، وسكن الـ Venitien (أي البندقية) نسبة الى مدينة البندقية) تسعة عشر شاهيا . ثم قال : وهو في قرانلق قبو (معناها باب الظلام ، أو الباب المظلم ، وهو ما سميته بالباب الشرقي ^(٢)) يريد بذلك (باب الجنوبي) أدى كل منا شاهيا . وهذا الشاهي يسمى أيضا (بغداديا) لأنه مضروب في بغداد ، وثقله درهم (Dragme) (راجع الرحلة المطبوعة في أمستردام في سنة ١٧٢٧ المجلد رقم ٣ ص ٢١٢/١٣) .

ايفس البريطاني (Ives)

كان صاحب الرحلة هذه في البصرة في نيسان ١٧٥٨ م (١١٧١ هـ) ، وأورد

الجدول الآتي :

فلس	مرمودة	
-	١٠٠	تومان
-	٥	روية ايرانية
-	٢٨	سكن (أي بندقية نسبة الى البندقية)
-	٥	روية يومية
١٠٠	-	مرمودة

(١) يقول معجم لاروس الحديث المصور ان كلمة سكن هي تحريف « سكة » العربية وانه من ذهب وهكذا قال اسماعيل غالب (ص ٥٤ ح) مع قوله ان راتياوز يذكر تحريف سكن Sequin من « جيقين » (التركية) ومعناها صرة ، بدرة .
(٢) بدأت بهدمه امانة العاصمة في اليوم الثالث عشر من أيار ١٩٣٧ وكان ذلك بعد الغروب في نحو الساعة الثامنة وتم الهدم خلال بضعة أيام ، وكنت دونت ذلك في يوم الابتداء بالهدم بعد رؤيتي اياه بعيني في الساعة التاسعة .

فلس	مرمودة	
١٠	-	دينيم (دهنيم) ^(١)
٥٠	٤	القروش فى البصرة (يريد قرش المعاملة) ^(٢)
١٠	٧	القرش الرومى فى البصرة (يريد القرش الرومى العين) ^(٣)
٥٠	٨	البياستر فى معاملة بغداد
-	٦	البياستر فى معاملة حلب
٢٠	٢	العباسى
٣٠	٣	التادري
-	٢٧	الفندقى فى معاملة البصرة
٥٠	٢٢	الفندقى فى معاملة حلب
٧٥	١٩	زر محبوب فى معاملة البصرة
-	٢٤	زر محبوب فى معاملة بغداد

(راجع ص ٢٣٦ من رحلته وهى مطبوعة فى لندن فى سنة ١٧٧٣) •

بل فات الأب - ما عدا ذلك - أسماء نقود كانت مستعملة فى أيام جوش ، وقد ذكرها فى جدول • وهى نقود دخيلة كان قسم منها لا يزال مستعملا فى بغداد فى زمن الأب ، ولم يذكرها • ومن هذه النقود ما هو من ذهب ، ومنها ما هو من فضة • وهاك النقود الذهب : (ليرة انكرىزى) كذا براء عوضا عن اللام ، (همه بادروس) وبازائها بالافرنجية (Roussian Imperial) ، (يلديز سورتى) • أما النقود الفضة ، فهى : (أبو طوب ، أبو لطخة ، مناط ، ونصفه وربعه وخمسه ، طنكير) •

وكان آخر ضرب النقود فى بغداد فى سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥/٣٦ م) راجع ما كتبه فى (مجلة غرفة تجارة بغداد ٤ « ١٩٤١ » ٨٦٩) ، والله الهادى الى الصواب •

بعقرب سر كيسى

(١) وراجع مباحث عراقية (ص ٤٢ رقم ١٩٧) •

(٢ و ٣) اذا ما قيل قرش فى تلك الايام يراد به القرش الرومى (أى العثمانى) واذا ما وصف هذا القرش بقرش عين يراد به هذا القرش نفسه ولكن اذا ما قيل قرش حسب ولا سيما اذا قيل قرش معاملة يكون المراد به هذا القرش مضافا اليه نسبة مئوية كبيرة فيحسب القرش العين بنحو من قرش ونصف قرش معاملة بين زيادة ونقصان كما هو واضح من تعيين صاحب الرحلة لقيمة « القرش فى البصرة » وقيمة « القرش الرومى فى البصرة » • ان الفرق بين قيمتهما ظاهر (ويراجع ما نقلته من تقويم لتاجر مقيم فى البصرة من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨١٤ • وذلك فى (مجلة غرفة تجارة بغداد : ٧ (١٩٤٤) ٣٧٩ وما بعدها) •

دراسة الشريعة الإسلامية في إنجلترا

والإتجاهات الفقهية الحديثة^(١)

حضرات المستمعين الكرام

أقدم لكم اعتذارى قبل كل شيء ، لعدم تمكنى من أن أستعد الاستعداد الكافى لكى ألقى على مسامعكم فى هذا المساء محاضرة تليق بهذا المجمع النبيل ، ذلك أنى لم أكن متوقعا لهذه الدعوة التى وجهها الى حضرة الرئيس الكريم ، وقد كنت على وشك السفر الى كربلاء والنجف ، كما كنت مرتبطا بمواعيد أخرى . غير أنى رأيت من المستحيل ألا ألبى هذه الدعوة ، ولا سيما أنها قد أتاحت لى فرصة أعبر فيها عن شكرى وامتنانى لحضرة الرئيس الجليل ولحضرات أعضاء المجمع الأجلاء على ما بذلوه من جهد فى مساعدتى وعلى تكريمهم وتقديرهم لى تكريما وتقديرا لا أستحقهما . ولكنى أعترف بهذا الجميل ، وأقدر هذا الشعور النبيل . وانى أرجو من حضراتكم أن تغضوا الطرف عن الخطأ الذى قد يصدر منى فى هذه الكلمة الارتجالية ، وعما يقع منى من خلل فى بعض الجمل مما لا يوافق الأسلوب العربى النصيح .

موضوع محاضرتى هو الفقه الإسلامى ، غير أن هذا الموضوع واسع الأطراف . ولن أستطيع أن أعالجه بوجه عام فى هذه المحاضرة الوجيزة ، ولا أظن أن أحدا يقدر على الإلمام به على هذا النحو . ومهما يكن من الأمر فلست أنا بذلك الرجل ، وعلى الأخص لأننى أعرف جيدا أن بين ظهرانينا فى هذا المساء من هم أعلم منى بهذا الموضوع « وإذا حضر الماء بطل التيمم » . ولكنى سأحاول معالجة أمرين يتعلقان بهذا الموضوع ربما يهمنكم ، وقد أقتراح على حضرة الرئيس الجليل معالجتهما : أولهما (دراسة الشريعة الإسلامية وتدريسها فى إنجلترا) ، وثانيهما (التطورات والاتجاهات الفقهية الحديثة) التى لاحتلتها فى أثناء تجولى فى الشهور الأخيرة بالبلاد العربية .

دراسة الفقه الإسلامى بإنجلترا

ان دراسة الفقه الإسلامى فى بلادنا تقوم على نظامين مختلفين بعض الاختلاف .

(١) محاضرة الأستاذ ج . د . أندرسن مدرس الفقه الإسلامى بجامعة لندن ، فى دار المجمع العلمى العراقى .

ففى كثير من جامعاتنا قسم خاص بالعلم الشرقيّة تدرس فيه اللغات الشرقيّة وآدابها وتأريخها من نواح متعددة . وفيما يختص باللغة العربيّة فلا يخفى عليكم أنّ الفقه الإسلامى ينال قسما وافرا من آدابها وعلموها - الأمر الذى قد يجذب الطلاب الى التخصص فى هذا الفرع بنوع خاص . ومن أبرز الشخصيات عندنا فى الفقه الإسلامى (يوسف شاخت) من (جامعة أكسفورد) ، الذى يؤلف الآن سلسلة من الكتب فى هذا الموضوع ، ومنها كتاب على وشك الظهور خاص بـ (نمو الفقه الإسلامى فى فجر الإسلام ونشأة المذاهب الفقهية) .

أما النظام الآخر الذى تدرس فيه الشريعة الإسلامية فى بلادنا ، فهو نظام خاص بجامعة لندن وجامعة كامبردج ، حيث تقرر جعل الفقه الإسلامى مادة اختيارية فى قسم الحقوق فى شهادة البكالوريوس وشهادة الماجستير فى الحقوق . وقد سئلت عن الطلاب الذين يختارون هذه المادة ، فبعضهم من الإنجليز ، وبعضهم من غير الإنجليز . وبعض الذين يدرسون الفقه من الإنجليز هم من موظفى الحكومة فى المستعمرات والبلدان التى يقطعها مسلمون ، ومنهم إنجليز يريدون الإقامة فى البلاد الشرقيّة . وأما غير الإنجليز ، فينبههم عدد من أبناء الناطقين بالضاد من البلاد العربيّة ، وهناك عدد آخر ممن لا يعرف من العربيّة شيئا . ومن أجل هذا كانت لغة الدراسة هى اللغة الإنجليزيتيّة ، والمراجع التى يرجع إليها باللغات الأوروبية . والذين يعرفون العربيّة يرجعون - بطبيعة الحال - الى الأصول العربيّة .

أما فيما يختص بالمناهج المقررة ، فإن منهج البكالوريوس هو أصول الفقه وتأريخ التشريع الإسلامى مع نشأة الفرق والمذاهب الفقهية (باختصار) ثم الأحوال الشخصية بوجه عام والتبرعات (من الهبة والصدقة والوقف) والشفعة ، وذلك بحسب المذهبين الحنفى والشافعى مع الإشارة الى المذاهب الأخرى . وقد اختيرت هذه الفروع دون غيرها لأنها تشمل بوجه عام القسم المعمول به من الشريعة فى البلاد الإسلامية فى الوقت الحاضر . أما فيما يختص بشهادة الماجستير فى الحقوق ، فإنها تنال اما بامتحان عام فى المواد المذكورة نفسها مع شيء من التفصيل الواسع فيها ، واما بتقديم بحث فى موضوع فقهيّ متفق عليه ، مع الامتحان فى الموضوعات التى تتعلق به . وهناك من يتخصص فى الفقه الإسلامى لئيل شهادة الدكتوراه ، وعلى الطالب فى هذه الحالة أن يقدم رسالة فى موضوع فقهيّ متفق عليه . واذا ما قدرت لجنة الممتحنين قيمة البحث من الناحية العلمية ومقدار قدرة الطالب على معالجة البحث والتفكير ، يمتحن الطالب شفويا فى تفصيلاتها ، وينبش شهادة الدكتوراه .

التطورات الحديثة في الشريعة

كنت في الشهور الماضية أطوف بعض البلاد العربية لأدرس بنوع خاص التطورات الحديثة الخاصة بتقنين أحكام الشريعة الإسلامية وما يتصل بذلك . ولقد لاحظت في مصر مثلا تطورات واسعة النطاق جديدة ، كما وجدت في غيرها أيضا تطورات أخرى ومشروعات ما تزال تدرس .

وحركة الإصلاح الخاصة بالشريعة الإسلامية قد بدأت - كما هو معروف - في الدولة العثمانية ، ثم امتدت الى البلدان العربية ، ويظهر لي أن المصلحين يرمون في الإصلاح الى ثلاثة مقاصد :

المقصد الأول - اصلاح نظام المحاكم الشرعية واجراءاتها (أعنى أصول المرافعات وما يتعلق بذلك) .

المقصد الثاني - تدوين الأحكام المعمول بها وتقنينها في مواد على طراز القوانين الحديثة .

المقصد الثالث - عدم التقيد بمذهب خاص في هذا التقنين ، ولكن اتخاذ أحكامه من جميع المذاهب الفقهية وغيرها من آراء الفقهاء بوجه عام .

كما يظهر لي أن المبدأ الأساسي الذي قامت عليه هذه الحركة ، هو القاعدة التي نقول ان لولي الأمر أن يخصص القضاء بالمكان والزمان وبالحوادث التي يسمعها القاضي ، وأن يأخذ بأي قول كان من الأقوال في مسائل المختلف فيها بين الفقهاء ويطبق ذلك في قضايا معينة . ولا يخفى على حضراتكم ما كان حول هذه القاعدة من جدل بين العلماء ، بيد أنه أصبح الآن مقبولا عند جمهور الفقهاء في معظم البلاد العربية .

وانه يكفينا في هذا الصدد أن نشير الى بعض الأمور البارزة فقط :

١ - نظام المحاكم واجراءاتها

لا تنس أن المحاكم الشرعية الآن في كل البلاد تقوم على نظام من الطراز الحديث . فنجد في مصر مثلا محاكم شرعية ، جزئية وكلية ، وكذلك ابتدائية وعليا ، كما أن فيها أيضا نظاما للاستئناف والتمييز . وفي بلادكم العزيزة تنقسم المحاكم الشرعية الى محاكم سنية ومحاكم جعفرية ومحكمة تمييز سنية وجعفرية . وينص القانون على أن القاضي الذي يسمع قضية ممن ليس من طائفته ، عليه أن يستفتي عالما من هذه الطائفة . وهناك محاكم من هذا الطراز - مع بعض الاختلاف - في البلاد العربية الأخرى ، كما يتجلى أن مثل هذا الترتيب كله من باب تخصيص القضاء .

وأهم ما يلفت نظرنا أكثر من هذا ، هو ما صدر في هذه البلاد من قوانين ولوائح خاصة بأصول المحاكمات والمرافعات في هذه المحاكم ، مثل لائحة الاجراءات التي صدرت في مصر سنة ١٩٣١م ، وقانون البينات الذي صدر في سورية سنة ١٩٤٨م ، وما الى ذلك . فوجد في هذه القوانين أن الأدلة الخطية معتبرة حق الاعتبار في كل هذه البلاد ، بل توجد مسائل لا تكاد تقبل فيها بينة غير خطية في بعض هذه الدول ، بالرغم مما في كتب الفقه من الاختلاف في هذا الموضوع . وقد بطلت في مصر والسودان وسورية مسألة تزكية الشهود وتعديلهم ، وحل محل هذا تحليفهم واستجوابهم . كما أن شهادة النفي أصبحت مسموعة الآن حيث يترك الى فطنة القاضي تقدير قيمة الشهادات المتناقضة . غير أنه لا يزال الجدل يثار حول مسألة نصاب الشهادة المطلوبة للحكم بمقتضاها في المحاكم الشرعية ، فالقرينة القاطعة مثلا مقبولة كطريقة من طرق الابات الشرعية في مصر ، كما أن قانون البينات الجديد في سورية نص على قبولها ، وعلى قبول شهادة الواحد أيضا اذا اطمأن اليها قلب القاضي (وهذا بخلاف الوضع في مصر كما يظهر) . غير أن هاتين المسألتين قد أثارنا من رجال الشرع ضجة شديدة حسلت الحكومة السورية على اصدار تعديل استت في المحاكم الشرعية من العمل بهما ، ونص فيه على أن القاضي الشرعي لا يزال مقيدا بنصاب الشهادة الشرعي . أما من جهة السند الفقهي ، فلا يخفى عليكم ما جاء في بعض كتب الحنفية خاصا بالقرينة القاطعة وما احتج به العلامة (ابن القيم) مثلا على حكمة النصوص الواردة في نصاب الشهادة الشرعي وعدم تقييد القضاء به .

ويجدر بنا ، بهذه المناسبة ، أن نتوء أيضا بوسيلة مهمة التجأ اليها المصلحون كثيرا للوصول الى ما يرمون اليه ، ونعني بذلك اصدار الأمر بعدم سماع بعض القضايا المعينة عند المحاكم الشرعية . ونجد مثلا لهذه الوسيلة في لوائح الاجراءات وفي مواد تقنين الأحكام المعمول بها على السواء ، مثل تحديد أقصى مدة جائزة لرفع الدعاوى من أى نوع كان - وهذا مستعمل في كل البلاد - فمنعت المحاكم من سماع الدعاوى بعد هذه المدة المعينة ، كما منعت المحاكم أيضا من سماع دعاوى الوصية والوقف مثلا عند الانكار - وأحيانا مطلقا - الا اذا وجد سند خطي من طراز معين نظرا الى ما في شهادة الشهود من احتمال الكذب . وفضلا عن هذا فقد التجأ المصلحون في مصر الى هذه الوسيلة من أجل اصلاح مهم لا يزال يثير جدلا مرا من أجل سنده الفقهي ، وأعني بذلك تقييد سن الزواج ، فلا تسمع دعوى في مصر الآن بناء على عقد نكاح غير مسجل عند الموظفين المختصين - ما عدا مسألة اثبات النسب - كما أن هؤلاء الموظفين قد منعوا من تسجيل

أى عقد كان لم يبلغ فيه الزوج ثمانى عشرة سنة ، أو الزوجة ست عشرة سنة ، ولا تسمع هذه الدعاوى أيضا حتى عند الاقرار اذا لم يصل الطرفان الى هذه السن المعينة عند رفع الامر الى المحكمة . وهناك غير ذلك أمثلة أخرى لاستعمال هذه الوسيلة فى بلاد أخرى ، والمجال لا يسمح بالتوسع فى بيان ما أثارته هذه الوسيلة من اعتراضات من جانب بعض العلماء فى البلدان المختلفة .

٢ - الرغبة فى التقنين

والاتجاه الثانى الذى ظهر فى معظم هذه البلاد ، هو الرغبة فى تدوين أحكام الشريعة الاسلامية المعمول بها وتقييدها فى شكل القوانين المدنية . وكان الحال قبل ذلك - منذ صدور الامر من السلطان العثمانى - أن القاضى الشرعى عليه أن يحكم بأرجح الأقوال فى مذهب (أبى حنيفة) . ولا يخفى أن أرحح الأقوال فى المذهب مشور فى بطون كتب فقهية عديدة مختلفة ، كما أن المؤلفين لم يجمعوا على أرجحية الكثير منها ، ولكنهم اختلفوا الى درجة كبيرة فيما رجحوه واختاروه للفتوى . فكان القضاة من أجل هذا فى بحر خضم من التخریجات والاختيارات من العسير عليهم تفضيل بعض دون بعض ، وعلى الاخص فى هذه الأيام التى طغت فيها الثقافة الحديثة وقل فيها التعمق فى الثقافة الفقهية القديمة . وإذا كان من العسير على القاضى الشرعى نفسه معرفة الراجح فى المذهب ، فانه يكاد يكون من المستحيل على غير المتقنين بهذه الثقافة معرفة ذلك . فكان من الأفضل ، من غير شك ، أن يكون فى متناول المتعلمين كلهم أن يعرفوا هذه الأحكام التى تطبق عليهم خاصة فى الأمور التى لها خطورة كالنكاح والطلاق والميراث . فالدافع الأساسى الى تقنين هذه الأحكام وتدوينها رسميا ، أمر واضح ، وهو مساعدة القضاة وإنارة الشعب .

وقد لقي هذا الاتجاه شيئا من المعارضة فى جميع البلاد . والذى دفع الناس الى المعارضة هو اعتقادهم تارة أن ليس لولى الامر أن يخصص القضاء هذا التخصص ، والحواف تارة أخرى - على ما يظهر - من أن يؤدى هذا التدوين الى اهمال كنوز الفقه الاسلامى ، وما يتبع هذا من اهمال رجال الفقه والتقليل من شأنهم . ولعلمهم يخشون أيضا من هذا التقنين ما قد يمهّد اليه الطريق من وحدة المحاكم ، بحيث يمكن القاضى المدني من الحكم فى الأحوال الشخصية أيضا بمجرد الرجوع الى نص القانون المدون . ومهما يكن من شئ ، فالظاهر أن هذا الاتجاه لا تجدى مقاومته نفعا ، وأن معا لا شك فيه أن تقنين الأحكام الفقهية المعمول بها سيتم أمره قريبا فى جميع البلاد العربية .

٣ - عدم التقيد بمذهب خاص

والحق أنه مما دفع المصلحين إلى الاتجاه إلى هذا التقنين كان الرغبة في عدم التقيد بمذهب خاص في اختيار الأحكام التي تناسب مع مقتضى الظروف من كنوز الشريعة الإسلامية عامة . فقد كشفت لهم التجربة أن العمل بالمذهب الحنفى وحده في بعض المسائل مما لا يتفق مع مقتضيات العصر ، في الوقت الذي يستطيعون فيه ، بالرجوع إلى المذاهب الأخرى ، أن يجدوا ما يسد الحاجة .

ولا يخفى عليكم ما قام به الفقهاء في الأيام الحالية من بحث ومناقشة في مسألة التقيد بأرجح الأقوال في مذهب خاص ، حتى فيما يختص بالشخص نفسه . فإن هناك من الأخاف المتأخرين من ذهب إلى أن من ولد حنفيا يجب عليه أن يبقى حنفيا طول عمره ويعزر إذا خرج على أحكام مذهبه . وهناك أناس آخرون جوزوا للشخص تغيير مذهبه بمذهب آخر مرة واحدة ، وليس له تقليد امام في مسألة وامام آخر في مسألة أخرى . كما أن هناك غيرهم أباحوا مثل هذا الاختيار بشرط أن يقتنع المقلد في كل مسألة بأن أدلة المجتهد الذي يقلده أقوى من غيرها . واشترط بعض الفقهاء ألا يتصد المقلد بذلك اتباع الرخص في المذاهب المختلفة ، أو أن يلفق بين الأقوال في مسألة واحدة بحيث يصل إلى قول جديد . وهناك غيرهم لم يشترطوا شيئا من هذه الشروط ، وجوزوا حرية الاختيار على ألا يكون القصد من ذلك مجرد التشبهى أو اللهو . أما المفتى والقاضى فيما لا يتعلق بحياتهما الخاصة ، بل فيما يتعلق بالحياة العامة من افتاء أو قضاء ، فإن الفقهاء المتأخرين قد اتفقوا تقريبا على أنهما مجبران على اتباع أرجح الأقوال من مذهب امامهما ، غير أن بعضهم استثنى من ذلك ما إذا أمر ولى الأمر بخلاف هذا القول الراجح لمصلحة عامة أو ضرورة ملحة . ومهما يكن من الأمر ، فإن التطورات الحديثة في سائر البلاد العربية في إصدارها قوانين ومراسيم طبقت فيها أحكام مرجوحة في (مذهب أبى حنيفة) في حوادث معينة - إنما بنيت على هذا الرأي القائل بأن لولى الأمر أن يختص القضاء إلى هذا المدى .

وكان أول ما حمل المصلحين على هذا الاتجاه في عدم التقيد بالمختار من (مذهب أبى حنيفة) ، خرج بعض الزوجات اللاتي حملتهن ظروف قاسية ودفعتهن إلى طلب التطلق ، أو فسخ عقد النكاح عند القاضى ، ولم يجدن سبيلا إلى هذا في (مذهب الامام الأعظم) . وبناء على ذلك صدرت في سنة ١٩١٥م ارادتان سلطانيتان من قبل السلطان العثماني : احدهما خاصة بتطبيق آراء (محمد بن الحسن الشيباني) في فسخ عقد النكاح عند طلب الزوجة إذا وجدت زوجها مصابا بالبرص أو الجدام أو الجنون وما في

درجتها ، والأخرى خاصة بالعمل بمذهب (أحمد بن حنبل) فى تطبيق الزوجة اذا تنيب عنها زوجها وتعذر تحصيل النفقة . وهاتان الارادتان مطبقتان الآن فى بلادكم . ثم صدر فى ترقية فى سنة ١٩١٧م قانون يشمل معظم أحكام النكاح والطلاق والعدة عنوانه (قانون حقوق العائلة العثمانى) يحوى بين مواده السبع والحسين والمئة جواز تطبيق الزوجة أيضا لبعض الأسباب الأخرى ، وعدم وقوع طلاق السكران أو المكره ، مع مواد أخرى لا تقل أهمية عن ذلك كتحديد سن الزواج بعض التحديد ، وما الى ذلك . وهذا القانون غير مطبق فى بلادكم مع أنه معمول به فى لبنان وسورية .

ومما تجدر ملاحظته أنه فى سنة ١٩١٦م صدر فى السودان منشور شرعى يشمل تطبيق زوجة المصاب بالبرص أو الجذام أو الجنون أو ما يماثلها ، وتطبيقها أيضا لعدم الحصول على النفقة أو عند الشقاق أو غيبة الزوج عنها بحيث تخفى الفتنة على نفسها . ومهما يكن من شيء ، فالذى يظهر لى أن الخطوات الانتالية التى تابعتها المصلحون المصريون هى أوضح مثلا وأبعد مدى فى هذه السبيل .

والنفصل الأعظم فى حركة الإصلاح فى المحاكم الشرعية وما تطبقه من أحكام فى مصر ، وربما فى البلاد الإسلامية الأخرى ، يرجع على ما أظن الى شخصية ممتازة ظهرت فى أواخر القرن الماضى ، أعنى بها (الامام الشيخ محمد عبده) ، غير أن اقتراحاته الخاصة بالأخذ بغير المذهب الحنفى فى بعض الحوادث لم يعمل بها فى مصر حتى سنة ١٩٢٠م . فقد صدر فى هذه السنة مرسوم يحتوى على ثلاث عشرة مادة أهمها أن نفقة الزوجة تبقى دينا ثابتا فى ذمة زوجها من وقت امتناعه عن الاتفاق عليها من غير توقف على قضاء أو تراض ، وجواز تطبيق الزوجة ممن لا ينطق عليها - حاضرا أم غائبا - بعد الاجراءات المذكورة ، وتطبيق الزوجة من زوجها المصاب بمرض يمنعا من الإقامة معه الا بضرر ، وتحديد مدة عدة المطلقة (أو المتوفى عنها زوجها) التى يجوز لها طلب النفقة فيها . وتلاحظ أن هذه المواد - التى نجد ما يوافقها فى بلاد أخرى - مأخوذة كلها من الأقوال الراجحة فى مذهب ما من المذاهب السنية الأربعة المشهورة . وبعد اصدار المرسوم الخاص بتحديد سن الزواج فى سنة ١٩٢٣م ، الذى أشرنا

اليه فى مسألة الأمر بعدم سماع بعض الدعاوى ، تكونت لجنة فى سنة ١٩٢٦م لدرس ما لا يزال يحتاج الى اصلاح ، فقدمت هذه اللجنة اقتراحاتها فى تلك السنة نفسها ، ونفذت معظم هذه الاقتراحات فى سنة ١٩٢٩م . وقد اشتمل المرسوم الذى صدر فى هذا التاريخ على خمسة وعشرين مادة ، أهمها المواد الخاصة بتطبيق الزوجة للضرر أو لتنب زوجها عنها مع ضررها من غيبته ، وعدم سماع بعض دعاوى النسب ، ونفقة

العدة التي يخشى فيها الحدة ، وعدم وقوع طلاق السكران والمكره والطلاق غير المنجز الذي لا يقصد به الا الحمل على فعل شيء أو تركه ، وأن الطلاق المقترن بعدد لفظاً أو اشارة لا يقع الا واحدة ، وأن كنايات الطلاق لا يقع بها الطلاق البتة الا بالينة .
وهذه الأحكام بالرغم من أن أكثرها مأخوذ من الراجح في مذهب ما من المذاهب الأربعة أو من قول معتمد فيها ، الا أن بعضها يخرج عن هذه القاعدة خروجاً واضحاً مثل كون الطلاق المقترن بعدد لا يقع الا واحدة ، ومثل كون الطلاق غير المنجز المقصود به مجرد اليمين أو التهديد لا يقع على الاطلاق . وتشير المذكرة التفسيرية بالنسبة الى هاتين المسألتين الى الآراء المنسوبة الى بعض الفقهاء القدامى ، والى أقوال شاذة في المذهب الحنبلي صرح بها (ابن تيمية) و (ابن القيم) ، كما يلاحظ أيضاً أن المواد الخاصة بعدم سماع بعض دعاوى النسب أو الارث بسبب الزوجية ونحوها قد بنيت في الحقيقة على على الآراء الطلية الحديثة في أقصى مدة الحمل ، مع أنها تخالف المختار في جميع المذاهب الأربعة كل المخالفة .

أما الاقتراحات التي قدمتها لجنة سنة ١٩٢٦م ولم يعمل بها الى الان ، فقد كانت خاصة بتقييد تعدد الزوجات وصحة بعض الشروط التي قد تشترطها الزوجات في عقود الزواج والتي لم تكن معتبرة من قبل ، غير أنها كانت صحيحة في (مذهب أحمد) ، وقد نص على اعتبارها أيضاً (قانون حق العائلة العثماني) . مع أن اقتراح تقييد تعدد الزوجات يرجع في الحقيقة الى اجتهاد (الامام الشيخ محمد عبده) على أساس تفسيره لآية التعدد في القرآن واعتبار الشرطين الواردين فيها مما يمكن تنفيذه قضاء .

وفي سنة ١٩٣٦م كونت لجنة أخرى لوضع تقنين شامل للأحوال الشخصية كلها يستمد أحكامه من المذاهب الإسلامية المعند بها جميعاً . فمن ثمار بحوث هذه اللجنة (قانون الموارث) الذي صدر في سنة ١٩٤٣م ، و (قانون أحكام الوقف في سنة ١٩٤٦) ، و (قانون الوصية) في هذه السنة نفسها . ولا يسعنا هنا الا أن نذكر بعض المسائل البارزة في هذه القوانين التي أخذ بما يماثلها في بعض البلاد العربية الأخرى ، أو يقترح في بعض آخر الأخذ بها .

فمن ذلك مواد (قانون الموارث) الخاصة بآرث الجد الصحيح مع الأخوة الأشقاء أو لأب بحيث لا يحجبهم عن الارث الآن كما كان من قبل ، وبالرد على أحد الزوجين وباشتراك الأشقاء مع الأخوة لأم في المسألة المشتركة . أما ما ورد في القانون المصري عن المسألة الأولى ، فهي مما قد يعتبر تلفيقاً حسناً بين آراء (علي بن أبي طالب) وآراء (زيد بن ثابت) ، مع أن حكم الرد على أحد الزوجين ، عند عدم وجود عصبة من

النسب أو أصحاب الفروض النسبية أو ذوى الأرحام ، مأخوذ من رأى بعض الصحابة القائل بالرد عليهما كما يرد على غيرهما من أصحاب الفروض فى بعض الأحوال ، ومن مذهب جمهور الفقهاء القائل بعدم الرد عليهما مطلقا فى أحوال أخرى . غير أن مسألة المشتركة مأخوذة من القول الراجح فى (مذهب الشافعى) .

وأبرز الأحكام فى (قانون الوصية) وأهمها فقهيا ، هو لزوم الوصية لو ارث بلا توقف على اجازة الورثة الآخرين ، ومسألة الوصية الواجبة لذرية الوالد الذى مات فى حياة أبيه . أما الحكم الأول ، فسنده الفقهى المذكور فى المذكرة التفسيرية هو أقوال بعض المفسرين لآية الوصية القرآنية ومذهب فريق من الفقهاء غير المشار اليهم بالذات والمقصود بهم علماء الشيعة الإمامية وبعض علماء الشيعة الزيدية ، كما أن مسألة الوصية الواجبة مبنية أيضا على بعض أقوال بضعة من المفسرين لآية الوصية بصفة عامة وعلى مذهب (ابن حزم الظاهرى) وبعض آراء الإباضية بصفة خاصة . وعلى العموم فهذان الحكمان يخالفان ما أجمعت عليه المذاهب السنية الأربعة .

كما أن أهم شيء فى قانون الوقف ربما كان اقرار صحة الوقف المؤقت خيريا كان أم أهليا ما عدا وقف المسجد ، وكذلك اقراره أن الوقف الأهلى لا يجوز فيما بعد الا مؤقتا بطبقتين أو بستين سنة بعد وفاة الواقف . وهذا الحكم مأخوذ من رأى (مالك) بصحة الوقف المؤقت من جهة ، ومن جهة أخرى فإن تحديد المدة وبعض التصرفات الأخرى التى رأتها اللجنة يتفق مع المصلحة العامة أساسه الفقهى القاعدة الفقهية بأن لولى الأمر أن يأمر بالمباح .

أما البلاد العربية الأخرى ، فنجد فيها ما يتماشى مع هذه التطورات المصرية الى حد بعيد . فقد ذكرنا لكم (قانون حق العائلة العثمانى) فيما يختص بأحكام النكاح والتفريق والعدة ، ثم فيما يتعلق بمسائل الارث المذكورة سابقا ، فإن هذه الأحكام يعمل بها الآن فى السودان ، وقد نص عليها فى (مشروع قانون الارث والوصية) فى لبنان ، حتى ان مسألة لزوم الوصية لو ارث فيما لا يتجاوز الثلث من غير توقف على اجازة الورثة الآخرين مقررة أيضا فى السودان وفى المشروع اللبنانى . أما مسألة الوصية الواجبة ، فلم تتقرر بعد فى السودان . وقد تجاوز المشروع اللبنانى ، ونص على مبدأ الخلفية فى الارث فى تلك الأحوال . ثم ان الأوقاف على الذرية بطلت الآن فى سورية كلية ، كما أنها وقت فى لبنان على ترتيب يشبه النظام المصرى الى درجة كبيرة .

ملاحظات ختامية

من هذه الأمثلة ، نرى المدى البعيد الذى وصل اليه الآن مبدأ تخصيص القضاء

في هذه البلاد . وليس من شك في أن بعض الأحكام التي قررت في هذه القوانين المذكورة تخالف مخالفة واضحة ما ادعى انعقاد الإجماع عليه . وينكر المصلحون في الواقع رأي الاختلاف في الإجماع إنكاراً كلياً ، مستدين في ذلك إلى قول (أحمد) في إحدى الروايتين عنه أن « ما يدعى فيه الرجل الإجماع هو الكذب ، من ادعى الإجماع فهو كاذب ، لعل الناس قد اختلفوا ولم يتبه إليه » - كما أنهم يحتجون بعدم إمكان التحقق من وجود الإجماع بعد تشتت الفقهاء المجتهدين من الصحابة في عصر الحليفة (عمر بن الخطاب) .

ولعله يخطر بالباحث في مواد هذه القوانين أن بينها ما لا مفر من اعتباره ضرباً من الاجتهاد الجديد ، مع أن واضعها ينكرون هذا الاعتبار ويدعون أنهم لم يتجاوزوا في ذلك مبدأ التخيير بين آراء المجتهدين القدماء . وفوق هذا ، فإنهم ينكرون أيضاً أنهم في معظم الأحيان قد لفقوا بين الآراء المختلفة بدعوى أن أخذهم بهذه الآراء المختلفة هو في الواقع في مسائل فردية . ولكن الباحث لا يسعه إلا أن يشك في هذا الادعاء وهل هو من صميم اعتقادهم الشخصي أو أنه مجرد ارضاء للرأي العام . وأخيراً ، يتضح للمتأمل في هذه الاتجاهات التماثلة في البلاد العربية المختلفة أنها تكشف عن شيء من التقارب بين أفكار السنية وآراء الشيعة الجعفرية . ونسوق بعض أمثلة على هذا التقارب باختصار :

١ - لا يقع الآن في مصر السنية بعض أنواع الطلاق غير المنجز وكتابات الطلاق التي لا يقصد بها في الحقيقة وقوع الطلاق ، كما أن تأثير بعض ضروب الطلاق قد حدد إلى درجة ما ، ويوجد مصلحون من أهل السنة يطلبون إصدار قانون بعدم وقوع الطلاق البدعي البتة . ولا يخفى أن هذا كله من قبيل التقارب بينه وبين المذهب الجعفري .

٢ - يجوز للزوجة الآن في كل هذه البلاد أن تطلب الطلاق أو فسخ عقد نكاحها بسبب إصابة زوجها بالبرص أو الجنون أو ما في درجتهم (فيما أصابه قبل العقد على الأقل) ، ويتفق هذا مع المذهب الجعفري . كما أن بعض المجتهدين الموجودين الآن بين علماء هذا المذهب يسمحون بالتطبيق في بعض الظروف الأخرى التي تقررت بالقوانين الحديثة في البلاد السنية .

٣ - قد رأينا أن بعض المواد في هذه القوانين قد بنيت على اعتبار أقصى مدة الحمل سنة شمسية بدلاً من سنتين أو أربع سنوات ، بل إن بعضها الآخر قد بنى على اعتبار مدة الحمل العادية تسعة أشهر ، والجعفريون مذهبهم معروف بأن مدة الحمل العادية تسعة أشهر وأن أقصاها عشرة أشهر .

- ٤ - لا يجب الجد الصحيح ، بحسب هذه القوانين ، الأخوة الأشقاء أو الأخوة لأب ، وإنما يشاركونهم في الارث ، كما عند الجعفرين في نظامهم الخاص .
- ٥ - تصح وتلزم الآن بين المصريين الوصية لوارث بدون توقف على اجازة الورثة الآخرين ، كما أن المشروع اللبناني أيضا ينص على هذا الحكم ، الذي يرجع في الحقيقة الى المذهب الجعفرى .
- ٦ - تسمح القوانين الحديثة في مصر ولبنان بانشاء الاوقاف المؤقتة ، ويمثل هذا النظام ما يسميه الجعفريون بالحبس .
- ٧ - قد رأينا السنين في هذه البلاد يكادون يفتحون الآن باب الاجتهاد مرة ثانية ، ولا يخفى أن المذهب الجعفرى لم يوافق البتة على سد باب الاجتهاد وفيه مجتهدون في كل عصر من العصور .

ج . د . أندرسن

مقدمة للرياضيات *

الفصل الأول : الطبيعة المجردة للرياضيات

يتوق المبتدئ بدراسة الرياضيات الى الشروع السريع فى الاعمال الطريفة التى يعالجها هذا العلم ؛ فقد سمع أنه بمساعدته توزن النجوم ، وتحصى بلايين الذرات فى قطرات الماء . وان المتعة النظرية بأفكاره ، والسلامة المنطقية فى أساليه ، لتقوى هذا الأمل فى نفس المبتدئ ، كما تقويه التطبيقات العملية المهمة له . لكنه سرعان ما يتعرض للشعور بالخيبة حين يجد أن هذا العلم العظيم يملص أحيانا من تشبثات قوانا الفكرية أن تمسك به ، فهو أشبه بشبح والد هملت الذى قد تصوره هنا وهناك ، واذا هو يختفى من بين يديك اختفاء السراب ؛ على أنه اذا كان الشبح الموهوم أدق من أن نقبض عليه بطرائقنا مهما بلغت من العنف ، فإن ما نراه من الرياضيات لا يوحى امكان الوهم أو انخداع الحواس . واذا ما جاز فيها استعمال العنف ، فيجب أن يكون تجاه النتائج النافهة التى تحتل صفحات الأبحاث الأولية فى الرياضيات .

ان سبب خيبة هذا العلم أن يحافظ على شهرته ، هو أن الأفكار الأساسية فيه لا توضح للطالب وحدها ، بل هى متعلقة بالطريقة الفنية التى ابتدعت لتيسير عرض تلك الآراء فى أمثلة معينة ، وعلى ذلك يجد المتعلم المسكين نفسه كيما يحرز بعض المعلومات يتخبط فى جملة من التفاصيل لا تربط بين أجزائها فكرة ما عامة . لاشك أن الاحاطة بالمواد الفنية الأساسية شرط أولى للفعاليات الفكرية القيمة ؛ اذ كيف تذوق مثلا نعمات (ملتون) الشعرية ، أو وجد (شلى) اذا كان علينا أن تهجى الكلمات ، ولسنا واثقين بمعرفة أشكال الحروف على الانفراد ؟ وبهذا المعنى لا يوجد طريق معبد فى كيفية تحصيل العلم ، الا أن قصر الانتباه من جهة ثانية على الطرق الفنية ، وصرف النظر عن الاهتمام بالآراء العامة ، لا يقل خطأ عما سبق ، وهو شأن المتحذلقين .

ليس الغرض من الفصول الآتية تعليم الرياضيات ، بل جعل المتعلم قادرا - منذ البدء - على معرفة ماهية هذا العلم ، وافهامه لماذا يعد بحكم الضرورة أساس التفكير الصحيح

في دراسة الظواهر الطبيعية . وكل اشارة تالية الى استنتاجات تفصيلية في كل ناحية من نواحي هذا العلم ، ستذكر على سبيل المثال ، وسيعنى بتوضيح الفكرة العامة للموضوع على ما قد يفترض بين حين وآخر من عمليات فنية أو رموز لا يفهمها القارئ .

يعترف الكثير من الناس بالرياضيات أول مرة بدراسة الحساب بالأمثلة الحسابية لقضية رياضية بسيطة يعرفها كل واحد ، وهي أن $2 + 2 = 4$ ، فالحساب اذن موضوع صالح لتحرى اكتشاف أبرز ميزة لهذا العلم .

وأول حقيقة ملحوظة عن الحساب ، هي استخدامه في كل شيء : في الاثذواق والاصوات والتفاح ، وفي الزوايا ، وفي خواطر العقل وعظام الجسم ؛ لأن طبيعة الأشياء لا دخل لها في الأمر بتاتا ، فإن $2 + 2 = 4$ تصح في كل الأشياء ، لذلك نسجل أن الميزة البارزة للرياضيات هي أنها تتعامل بصفات وآراء تطبق على الأشياء لمجرد أنها أشياء ، أي بصرف النظر عن كل المشاعر الخاصة أو العواطف أو الاحساسات المترتبة بها بأي شكل كان . وهذا هو المقصود بالقول : « ان الرياضيات علم مجرد » .

والنتيجة التي توصلنا اليها جديرة بالتأمل ، فمن الطبيعي أن نظن أن العلم المجرد لا يمكن أن يكون ذا أهمية كبيرة في أعمال الحياة البشرية ؛ لأن أبحاثه لا تنصرف الى ما له فائدة حقيقية .

ومما يذكر هنا أن للكاتب (سويت) رأيين في هذا الأمر ذكرهما في سياق قصته عن رحلة (كلفر) الى جزيرة (ليوتا) ، فهو يصف رياضيين ذلك البلد بأنهم قوم سخفاء العقول وخيالون لا خير فيهم ، وأن الرجل منهم لا يفيق من تأملاته الا اذا لطم وجهه ، ولهم خدم مختصون بذلك . ويصف خياطا رياضيا قاس له طوله (أى طول كلفر) بالربعة (Quadrant) - وهي آلة تستعمل في وجدان المسافات والارتفاعات ، تشبه السكستانت - السدسية ، الا أن تقسيماتها تقع على ربع دائرة ، لا على سدسها - ثم استنتج له بقية قياساته مستعينا بالسطرة والفرجال ، وكانت النتيجة أن خاط له ثوبا لا يصلح له . ومن ناحية ثانية حكم رياضيو (ليوتا) في البلاد ، واستطاعوا أن يحفظوا سيطرتهم على رعاياهم باختراعاتهم العجيبة لجزيرة « مغنطة » تقوم في الهواء ، الا أن (سويت) في الحقيقة عاش في وقت غير ملائم للسخرية من الرياضيين المعاصرين ، اذ كان قد ظهر توا كتاب (نيوتن) : « أصول الرياضيات » ، وهو احدى القوى العظيمة التي غيرت العالم الحديث ، فكان (سويت) كمن يسخر من الزلزال .

ان مجرد تدوين قائمة بما أنجزته الرياضيات من أعمال باهرة ، ليس بالطريقة الوافية لاعطائنا فكرة عن أهميتها ، ونحن جديرون أن نفكر قليلا في الوصول الى السبب

الأصيل الذى يجعل الرياضيات تبقى خالدة ، بسبب كونها علما مجردا محضا ، من أهم موضوعات الفكر . ولنحاول أن نوضح لأنفسنا بجلاء لماذا يجب أن ننحو فى تعليقاتنا لنظام الحوادث وترتيبها بالضرورة نحو رياضيا .

نأمل كيف تلازم جميع الحوادث ، فنحن حين نرى البرق نصفى لسماع الرعد ، وحين نسمع هزيم الرياح نستشرف الى أمواج البحر . وفى برد الحريف تتساقط الأوراق ، وحيثما نظرنا نجد نظاما سائدا وأمورا مترابطة بحيث اذا وقعت بعض الحوادث استطعنا أن تكهن بما سيجرى بعدها .

وتقدم العلم انما يستند الى اكتشاف هذه الصلات والى العمل بحذق وصبر لبيان أن حوادث هذا العالم الدائم التغير ان هى الا أمثلة من ارتباطات أو علاقات عامة قليلة ندعوها بالقوانين .

وهدف التفكير العلمى أن يستتج العالم من الخاص ، والدائم من العارض ، ويعد سقوط تفاحة ودوران كوكب حول الشمس وتعلق الهواء بالأرض - فى نظر العلم - أمثلة لقانون الجذب العام ، ومظاهر مختلفة لمفعوله ؟ وامكانية تحليل أشد الحوادث المرضية تعقدا الى عناصرها لبيان أنها مظاهر مختلفة لقانون ثابت ، هى النزعة المهيمنة على التفكير الحديث .

لنفكر الآن فى نوع القوانين التى نريدها لتحقيق تحقيقا تاما هذا المثل العلمى الأعلى ، انا نتعرف الحقائق الخاصة بالعالم المحيط بنا بواسطة حواسنا ، فيها نسمع ونذوق ونرى ونشم ونشعر بالحر والبرد وتدفع ونلمس وتأنم ونشعر . وكل هذه احساسات شخصية بحتة ، فان ألم سنى لا يمكن أن يكون ألم سنك ، وبصرى لا يمكن أن يكون بصرك ، بيد أننا نغزو أصل هذه الاحساسات الى العلاقات بين الأشياء التى تؤلف العالم الخارجى ، وعليه لا يقتلع طبيب الأسنان ألم السن ولكنه يقتلع السن . وليس ذلك حسب ، بل نحن نحاول أيضا أن نتصور العالم مجموعة واحدة من الأشياء المترابطة التى تؤثر فى احساسات الناس كافة ، فلا يوجد عالم من الأشياء خاص بحواسي ، وعالم آخر خاص بحواسك ، ولكنه عالم واحد توجد فيه معا . انها السن نفسها للطبيب والمريض كليهما ، وكلنا نسمع ونلمس العالم الذى نراه نفسه ، فمن السهل اذن أن نفهم أن المطلوب هو وصف العلاقات بين هذه الأشياء الخارجية وصفا لا يعتمد على حاسة مخصوصة ، ولا على مجموعة الحواس لانسان بعينه ، وأنه يجب أن تصف القوانين التى تؤيدها سير الحوادث فى عالم الأشياء الخارجية وصفا حياديا جامعا - ان أمكن -

بحيث تكون هي هي للعنى والصم ، أو لمخلوقات أرقى منا فهما ، كما هي للرجل
الاعتيادي .

ونحن اذا ما تركنا احساساتنا الانية جانباً ، فالقسم الاكثر فائدة فيما يتبقى من
نداركنا - لوضوحه واحاطته - يتألف من الفكر العامة عن الخواص المجردة الأساسية
للأشياء ، أعنى الأفكار الرياضية المجردة المذكورة سالفاً . وهكذا حدث ، فإن البشرية
أخذت تسير خطوة خطوة فى البحث عن وصف رياضى لخواص الكون دون أن تدرك مغزى
ما تقوم به ، وبهذه الوسيلة وحدها يمكن تكوين فكرة عامة عن سير الحوادث طليقة من
قيود أناس بأعينهم ، أو احساسات بعينها ، مثال ذلك أننا اذا سئلنا ، ونحن على مائدة ،
وفى يد أحدنا تفاحة يأكلها : ما الشيء الذى كان فى متناول حاسة بصرى ، وحاسة
لمسك ، وحاستى ذوقه وشمه ؟ كان جوابنا جميعاً : تفاحة . الا أن العلم فى تحليلاته
النهائية يرمى الى وصف التفاحة ، بدلالة أوضاع ذراتها وحركاتها ، ذلك الوصف الذى
يتجاهلنا جميعاً : أنا وأنت وهو ، كما يتجاهل البصر واللمس والذوق والشم . وهكذا
تزدنا الآراء الرياضية ما يستلزمه الوصف العلمى لسير الحوادث ، لأنها أعداد مجردة .
ويساء فهم هذا الأمر أحياناً بسبب التفكير فيها فى نطاق ضيق ، فقد كان لدى
(فيثاغورس) لمحة عنها حين قال : « ان العدد هو أصل جميع الأشياء » كما أن الاعتقاد
فى العصور الأخيرة أن التفسير التهاى لكل الأشياء يوجد فى ميكانيك (نيوتن) ليس
هو فى الواقع الا تلميحاً عن الحقيقة القائلة : ان العلم كلما تقدم نحو الكمال كان رياضياً
بآرائه .

الفصل الثانى : المتغيرات

بدأت نشأة الرياضيات (علماً) حين برهن أحد الناس - ويرجح أنه كان يونانياً -
على قضايا لا تنقيد بأشياء معينة خاصة ، بل تنطبق على (أى) الأشياء ، أو على أشياء
(ما) . وكان اليونانيون أول من أحدثوا القضايا الهندسية ، بل ان علم الهندسة هو أعظم
ما تتجه اليونان فى الرياضيات . أما الجبر ، فانه مع التمهيدات اليسيرة التى خلفها
المتأخرون من رياضى اليونان ، مرت عليه عصور قبل أن تنهأ له بداية موفقة .

وقد ساعد استعمال الحروف بدل الأرقام الحسابية المعينة على تكوين آراء عامة فى
الجبر تبحث عن (أى) مقدار ، أو عن مقدار (ما) دون تحديده . مثال ذلك ، أننا
اذا قلنا فى الحساب : ان $2 + 3 = 3 + 2$ ، تكون تلك حالة خاصة . أما فى الجبر ، فأننا

نضع ذلك بصورة عامة ، فنقول : اذا مثلت s ، ص (أى) عددين كانا ، فان $s + ص = ص + س$ كذلك بدلا من قولنا $٣ < ٢$ نقول على وجه التعميم : اذا كانت s (أى) عدد ، فلا بد من وجود عدد (ما) ، أو أعداد ، مثل $ص$ بحيث تكون $(ص < س)$. ولا بأس من الإشارة عرضا الى أن الفرض الأخير - ويتجلى كونه فرضا حين يوضع بصيغته النهائية الدقيقة - ذو أهمية كبيرة لكل من الفلسفة والرياضيات ، فمنها تنبثق فكرة اللانهاية .

وربما كان تقدم الجبر - ونقول (ربما) لأن ما سنذكره هو من باب الحدس - متوقفا على معرفة الأرقام العربية التى تم بادخالها اعمال استعمال الحروف الهجائية اهمالا نهائيا فى الرياضيات كأعداد معينة ، ذلك الأمر الذى نبه الرياضيين على الاستفادة من هذه الحروف ، لما فى ذلك من تيسير فنى للدلالة على كميات غير معينة ، كما نقصد بقولنا (أى) عدد أو عدد (ما) . فالرومانيون مثلاً كانوا يعبرون عن سنة ١٩١٠ بالحروف Mccccx ، مع أننا نعتبر عنها بالأرقام ١٩١٠ ، وبذلك انفتح المجال أمامنا لاستعمال الحروف فى الرياضيات لأغراض أخرى .

وبعد ظهور الجبر اخترع (نيوتن) و (ليبنز) حساب التفاضل ، وعقب ذلك ركود فى تقدم فلسفة العلوم الرياضية فيما يخص بالآراء التى سردناها آنفا ، ولم يدرك الرياضيون أهمية الفكرتين (أى) و (ما) وكونهما أساسيتين فى طبيعة الرياضيات الا قبل سنوات قليلة حيث نجم عن ذلك أبواب جديدة فى العلوم الرياضية ليتوغل فيها من شاء من الباحثين .

ولنذكر الآن بعض النصوص الجبرية البسيطة لنعرف معرفة تدقيق كيف تتولد الأفكار الأساسية :

١ - (أيا) كانت قيمة s العددية فان $٢ + ٢ = ٢ + س$.

٢ - لقيمة (ما) من قيم s العددية يكون $٢ + ٣ = ٣$.

٣ - لقيمة (ما) أو قيم (ما) من قيم s العددية يكون $٢ = ٣ < ٣$.

وأول مسألة جديرة بالملاحظة هى معرفة المعانى التى يمكن أن تنطوى عليها كلمة (ما) كما استعملت هنا . ففى المثال الأول نقول : لما كانت $٢ + ٢ = ٢ + س$ صحيحة مهما ، أو (أيا) كانت قيمة s ، فهى اذن صحيحة لكل قيمة (ما) من قيم s ، وهكذا فان (أيا) بهذا النوع من الاستعمال تعنى (ما) ، وان (ما) تتضمن فى معناها (أيا) . أما فى المثال الثانى ، فلا توجد الا قيمة واحدة لـ s تجعل $٢ + ٣ = ٣$ ، وهذه القيمة هى العدد ١ . فتدل (ما) فى هذه الحالة على قيمة واحدة ، أى العدد ١ .

وأما في المثال الثالث فإن كل قيمة لـ س ، أو أية قيمة لـ س (أكبر) من الواحد تجعل س $2 < 3$ ولذلك تدل (ما) في هذا المثال على كل مقدار أو عدد يقع بين الواحد و (أى) ، وتدخل في ذلك الحالتان النهائيان (الواحد و أى) .

وانه لأمر طبيعي أن نستعيض عن النصين (٢) و (٣) بالسؤالين الآتيين :

٢ . ما قيمة س التي تجعل س $2 + 3 = 3$ ؟

٣ . ما قيم س التي تجعل س $2 + 3 < 3$ ؟

وإذا نظرنا في (٢) وجدنا أن س $2 + 3 = 3$ هي معادلة، ومن السهل أن نرى أن حلها هو س $3 - 2 = 1$ ، وإذا ألقينا مثل هذا السؤال ووضعنا معادلة تتضمن معناه كالمعادلة س $2 + 3 = 3$ سمينا س بالمجهول ، وغاية حل المعادلة هو وجدان هذا المجهول . ولا ريب في أن للمعادلات أهمية كبيرة في الرياضيات ، بل قد بلوح أول وهلة كأن النص (٢) يعرب عن حقيقة أدق وأعمق مما ينطوى عليه النص (٢) ، غير أن ذلك خطأ واضح ، لأن فكرة (المتغير) الذي لاقية محدودة له وذلك الذي نعبّر عنه بقولنا (أى) أو (ما) انساغور في الحقيقة الفكرة المهمة في الرياضيات . أما فكرة المجهول واستخراج قيمته بحل المعادلة بأقصر الطرق ، فهي على أهميتها تعد ثانوية ، ومن الأسباب التي تجعل الكثير من بحوث الجبر الأولية تافهة ، هو شغل الكتب الدراسية بحل المعادلات . وهذه الملاحظات بأعيانها تنطبق على المتبينة (٣-١) إذا ما قوبلت بالنص الوارد في (٣) .

إن معظم الدساتير الرياضية المهمة وخصوصا ما يتضمن الفكرة (ما) ، يحتوى على أكثر من متغير واحد ، فإن البحث مثلا عن أزواج الأعداد س ، ص التي تحقق العلاقة س $1 + ص = ١$ (سواء أكانت هذه الأعداد صحيحة أم كسرية) ينطوى على فكرة متغيرين مترابطين هما س ، ص . وفي الحالات التي يوجد فيها متغيران تخطر على البال الفكرتان الواردتان في النوعين الأساسيين من النصوص السابقة ، فنقول مثلا : (١) مهما كان زوج الأعداد س ، ص ، أو (أيا) كانت القيمة العددية لكل من س ، ص ، فإن س $ص + ص = ص + س$ و (٢) لبعض الأزواج من العددين س ، ص أو لأزواج (ما) من القيم العددية لـ س ، ص يكون س $ص + ١ = ١$.

والدساتير التي تشملها الفكرة الواردة في النص (٢) تدعونا إلى النظر في مجموعة أزواج الأعداد التي تترابط فيما بينها بعلاقة ثابتة كالعلاقة بين س ، ص حين يكون س $ص + ١ = ١$ ، واحدى فوائد الدساتير التي تدخل في الفكرة الواردة في النص (١) أى التي تصح في أى زوج كان من الأعداد أنها تساعد على وضع الدساتير من النوع (٢)

بأشكال مترادفة لا يحصر لها ، مثال ذلك : أن العلاقة $S + V = 1$ يمكن أن توضع
 بأشكال مترادفة شتى ، مثل : $S + V = 1$ ، $(S - V) + 2V = 1$ ، $6S + 6V = 6$ ،
 الخ . وهي على اختلافها في الشكل تنص على العلاقة نفسها بين S ، V ،
 وبذلك يتاح للرياضي الماهر أن يستخدم الشكل الذي يراه أكثر صلاحا للوصول إلى
 مقصده النهائي .

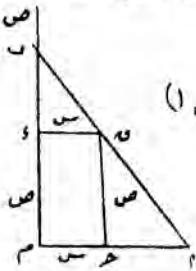
إذا ارتبط حدان بعلاقة ثابتة وفرضت قيمة ما لأحدهما ، فليس من الصواب في الأعم الأغلب القول : أن ذلك يؤدي حتما الى وجدان قيمة معينة للثاني . مثال ذلك :
 أن s ، v إذا ارتبطتا بالعلاقة $v = s$ وفرضنا أن $s = 4$ فإن $v = 4$ ، ومعنى ذلك أن كل قيمة موجبة لـ s تقابلها قيمتان لـ v . أما في العلاقة $s + v = 1$ إذا فرضت قيمة ما لأحد الحدين s أو v ، فإن الحد الآخر يمكن أن يأخذ قيمة مقابلة لا حصر لها تحقق هذه العلاقة .

وفي الموضوع مسألة مهمة أخرى تستدعي الانتباه ، وتبين عند دراستنا للعلاقة
 $S + V = 1$ ففي هذه العلاقة اذا اقتصرنا على التعامل بالأعداد الموجبة فقط (سواء
 أكانت صحيحة أم كسرية) وجب أن لا تزيد قيمة كل من V أو S على الواحد
 الصحيح ، فإذا تجاوزت قيمة أحدهما لهذا المقدار فلا يمكن أن تكون قيمة الثاني
 موجبة ، وعلى ذلك تحصر هذه العلاقة مجال اختيار قيم للمتغير S بالأعداد التي
 لا تزيد على الواحد الصحيح ، وكذلك الحال في V . ولنلق نظرة الآن على العلاقة
ص ٢ = S فان اقتصرنا - عند اعطائنا أزواج القيم للمتغيرين S ، V التي تحقق هذه
 العلاقة - على الأعداد الصحيحة فقط موجبة كانت أو سالبة ، وجدنا أن مقابل كل عدد
 صحيح نعدده قيمة لـ V يوجد عدد صحيح لـ S ، ووجدنا أيضا أن مجال اختيار القيم
 للمتغير V من بين الأعداد الصحيحة الموجبة أو السالبة غير محدودة بتاتا ، بخلاف قيم
 S التي يحد من مجالها قيدان: الأول أن هذه القيم لا بد أن تكون موجبة دائما ، والآخر
 أنه يجب أن يكون كل منها مربعا كاملا كيما تكون V عددا صحيحا ، وعلى ذلك يكون
 مجال فرض قيم لـ S محصورا في المجموعة العددية $1^2, 2^2, 3^2, 4^2, \dots$ الخ ،
 أي من بين $1, 4, 9, 16, \dots$ الخ .

وإذا ارتبط أزواج من الأعداد s ، v بعلاقة ما، فإن دراسة إخصائص العامة لهذه العلاقة تيسر كثيرا باستعمال الرسم البياني، وهاك التفصيل :

أرسم المستقيمين المتعامدين s ، v ، ثم خذ على امتداد s ، s من الواحدة (بأى مقياس كان) واحسب ذلك مثلاً للعدد s ، وكذلك خذ على امتداد

م ص ، ص من الوحدات . يأتي مقياس كان ، وعد ذلك ممثلا للعدد ص ، وبذلك يكون طول م ح (راجع الشكل ١) الواقع على م س يساوي س من الوحدات وطول م د الواقع على م ص يساوي ص من الوحدات . فإذا أكملنا متوازي الأضلاع م ح د تحدد لدينا نقطة ق ، وهي تقابل العددين س ، ص ، وهكذا فإن كل نقطة واحدة يقابلها زوج من الأعداد ، وكل زوج من الأعداد تقابله نقطة واحدة ، ويطلق على زوج الأعداد اسم (الاحداثيين) . ويمكن تبيان النقاط التي تحقق احداثياتها علاقة ثابتة بين متغيرين بوضوح ، وذلك بإمرار خط بها ان كانت تقع جميعا على خط ، أو بتظليل مساحة ان كانت تقع جميعا على تلك المساحة .

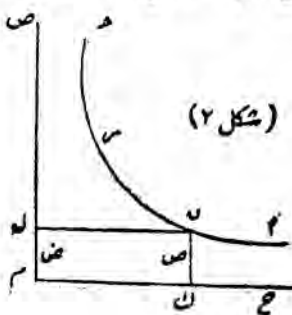


(شكل ١)

وفي الأحوال التي يمكن تمثيل العلاقة بين المتغيرين بمعادلة ما مثل $ص + ١ = ص$ أو $ص = ٢$ تقع النقاط التي تحقق احداثياتها العلاقة المينة بالمعادلة الأولى جميعا على خط مستقيم . أما المينة في المعادلة الثانية ، فنقع على خط منحني . وإذا أخذنا بنظر الاعتبار

الأعداد الموجبة فقط ، فالنقاط التي تحقق احداثياتها $ص + ١ = ص$ تقع على الخط المستقيم ا ب شكل ١ « أي أن احداثي كل نقطة واقعة على المستقيم ا ب هما عددان موجبان يساوي مجموعهما ١ » . وفيه $١ = ا$ ، $١ = ب$. وعلى ذلك يمثل هذا الجزء المعين من المستقيم غير المحدود بشكل تصويري خواص العلاقة بين المتغيرين س ، ص ضمن حدود الأرقام الموجبة .

ان دراستنا للعلاقة بين الضغط والحجم في درجة حرارة ثابتة لكتلة معلومة من مادة « غازية » كالهواء أو غاز الفحم أو البخار ، تمدنا بمثال آخر للعلاقة بين متغيرين . فان قرصنا أن ح هي حجم الغاز بالأقدام المكعبة ، وان ض هي مقدار الضغط بالباوندات ، كمية ثابتة بشرط أن لا تبدل درجة الحرارة خلال فترة التغير . ولنفرض مثلا أن كمية الغاز في الأحوال المحيطة بها تجعل من الممكن أن يكون ح ض = ١ (مع علمنا أن مقدار



(شكل ٢)

العدد على الجهة اليسرى من المعادلة لا أهمية رئيسة له) فلاجل وضع صورة بيانية لما سبق نرسم الخططين المتعامدين م ح ، م ض ، وتأخذ على أولهما البعد م ك ليمثل العدد ح من الوحدات الحجمية (أي عدد الاقدام المكعبة) ، وتأخذ على الثاني البعد م ل ليمثل العدد ض من وحدات

الضغط (أى عدد باوندات الضغط على الانج المربع الواحد) ، ثم تكمل المتوازي الأضلاع m ك n ل ، فنجد نقطة n . وهى تمثل حالة الغاز الذى يكون حجمه h اذا كان الضغط الواقع عليه $ض$. واذا كانت أحوال هذا الجزء من الغاز بحيث أن $ض = 1$ فان النقاط جمعاء التى تناظر أية حالة كانت من حالات الغاز تقع على الخط المنحنى ab ، وهو يتضمن جميع النقاط التى تكون فيها كل من $ض$ ، $ض$ موجبة ، ويكون $ض = 1$ ، وعلى ذلك يصور هذا المنحنى صورة بيانية للعلاقة بين الحجم والضغط . فحين يكون الضغط كبيرا جدا تكون نقطة n المناظرة لهذه الحالة واقعة بالقرب من $ض$ ، أو وراءها على الجزء غير المرسوم من المنحنى ، ويكون الحجم اذ ذاك صغيرا جدا . أما اذا كان الحجم كبيرا ، فان نقطة n تقع بالقرب من $ا$ ، أو أبعد منها ، ويكون الضغط قليلا ، وربما احتاج المهندس أو الفيزيائى الى معرفة الضغط الذى يولد حجما معينا . وبهذا ندخل فى قضية البحث عن المجهول $ض$ اذا كان $ض$ عددا معينا الا أن ذلك يقع فى الأحوال الخاصة فقط . ولكننا اذا أردنا الوقوف على الخصائص العامة للغاز وتصرفاته ، وجب أن نأخذ بنظر الاعتبار الشكل العام لجميع المنحنى ab ، وكذلك خواصه العامة ، ونقول بتعبير آخر : ان الفكرة الأساسية حقيقة هى فكرة زوج المتغيرين اللذين يحققان العلاقة $ض = 1$ ، وهذا المثال يوضح لنا لماذا نحسب فكرة المتغيرات أساسية فى الرياضيات النظرية والتطبيقية .

الفصل الثالث : اساليب التطبيق

ان الكيفية التى ظهرت بها فكرة المتغيرات المتصلة بعضها بعض ، بعلاقة ما ، فى التطبيقات الرياضية ، جديرة بالتفكير . واذا ما خصصنا لها شيئا من الوقت ، فستجلى أفكارنا فى الموضوع بأجمعه .

لنبداً بأيسر الأمثلة ، ولنفرض أن القدم المكعبة الواحدة من البناء تكلف من المال درهما واحداً ، وأن الدينار كما هو معلوم يساوى ٢٠ درهماً ، فيترتب على ذلك - فى جميع الأحوال المعقدة التى تلازم انشاء بيت جديد وفى وسط تيار الاحساسات والعواطف المتنوعة التى تتنازع المالك والمعمار والبناء والعامل والمفرج ، وترافق عادة نماء البيت وتكامله - أن العلاقة بين سعة القدم المكعبة وكلفة المالك تبقى ثابتة بموجب الدستور المفروض ، أى اذا كانت $س$ عدد الأقدام المكعبة فى البناء ، وكانت $ص$ كلفته مقدرة بالدينار ، فإن $ص = ٢٠س$. ومع أن المفروض أن هذه العلاقة بين $س$ ، $ص$ تصح عند انشاء أى بيت كان لا يملك كان ، لا يمكن أن يزعم أن الاحساس بحجم البيت

وتکالیفه وادراکهما حدث بتأثیر حاسة خاصة ، أو قوة معينة من قوى العقل ، أو أى انسان معین کان • فهما (أى الحجم والكلفة) يذكران ذکرا عاما مجردا ، من غیر اکثر اثار حالة المالك الفكرية حينما يطلب منه دفع التكاليف •

ولنفکر أبعد من ذلك قليلا لئلا نرى ماذا يعنى كل هذا • ان انشاء بيت هو مجموعة معقدة من الأعمال ، وانه ليستحيل البدء بتطبيق القانون ، أو تحقق صحته الا اذا استطعنا أن نميز خلال السير العام للحوادث أن مجموعة أعمال معينة تؤلف حالة خاصة هي بناء بيت ، ونقول بإيجاز : يجب أن نعرف أن هذا بيت عند مشاهدته ، ونعرف أدوار انشائه ، وفى أثناء هذه الأدوار التى عزلناها بالفکر عن سائر الطبيعة يجب أن يكون عنصر الكلفة والسعة التكميية قابلين للتحديد • وإذا ما تم تعيين مقدار كل منهما ، وكان القانون صحيحا ، وجب أن تحقق هذه المقادير الدستور : ٢٠ ص = س •

فهل هذا القانون صحيح ؟ ان كل ذى خبرة بالمباني يعلم أننا قدرنا السعر عاليا بعض الشيء ، وأن البيت الفخم وحده هو الذى يتطلب مثل هذا السعر • وهذا يثير أمرا آخر يجب إيضاحه ، وهو أننا عند اجرائنا الحسابات المتعلقة بالدستور ٢٠ ص = س لا يهمننا أن يكون القانون صحيحا أو مغلوطا فيه ، ونقول أكثر من ذلك : لا يهمننا شئ حتى المعانى التى أعطيناها لـ س ، ص ، وهى أن تمثل أولاها الأقدام المكعبة والآخرى الدنانير • وذلك أننا فى خلال البحث الرياضى لا نتناول فى الحقيقة سوى دراسة خواص العلاقة بين زوجى العددين س ، ص • أما النتائج التى نتوصل اليها ، فتصلح أن تطبق بالدقة نفسها كما لو كانت ص عدد السماكين وس عدد الأسماك بحيث يكون القانون المفروض أن معدل ما يصطاده السمك الواحد هو ٢٠ سمكة • ان الحقيقة الرياضية الموثوق بها فى هذا البحث تتعلق بالنتائج التى تبين خواص العلاقة ٢٠ ص = س حسب ، أى بين زوجى العددين المتغيرين س ، ص مع أنه لا توجد حقائق رياضية موثوق بها بأى شكل كان لما يكلفه البناء الفعلى لأشئ بيت كان ، وعلى ذلك لا يكون القانون تام الصحة ، ولا تكون النتائج التى ينتجها مضبوطة حق الضبط ، ولعلها كانت مغلوطا فيها الى حد كبير • لاشك فى أن كل ذلك يبدو واضحا جدا الا أنه فى الحالات التى هى أشد تعقيدا لا يوجد فى الحقيقة خطأ أكثر شيوعا من ادعاء أن الحسابات الرياضية اذا كانت طويلة ومدققة فان انطباقها على قسم من حقائق الطبيعة يجب أن يكون حتميا ، ذلك أنه لا يمكن أن تكون نتيجة قضية ما أكثر صحة من مقدماتها المفروضة • ولما كانت جميع الحسابات الرياضية عن سير الطبيعة تبدأ بقانون طبيعى مفروض كالقانون الذى فرضناه آنفا لكلفة البناء ، فان حساباتنا فى وجوب وقوع

حادثة ما مهما كانت مدققة يبقى انك يخامرنا في صحة القانون ، ويكاد يكون من المبحق أن النتيجة الدقيقة التي يقرها القانون لا تكون مضبوطة كما ينبغي . وعلى ذلك لا تنطبق النتيجة الواقعية على النتيجة المحسوبة انطباقا تاما حتى في أفضل الأحوال . ولما كنا لا نملك قوة قادرة على الملاحظة بتدقيق مثلى ، نرى أن قوانيننا غير المضبوطة تكفى في بلوغ أغراضنا .

لنوجه الآن أنظارنا الى قضية واقعية ، وهى قانون الجذب ل (نيوتن) فإن هذا القانون ينص على أن قوة الجذب بين كل جسمين تتناسب طردا مع حاصل ضرب كتليهما ، وعكسا مع مربع البعد بينهما . فإذا رمزنا ب (م ١ و م ٢) لكتلتى الجسمين محسوبة بالباوندات و ب (ل) للبعد بينهما بالأقدام ، فإن القوة المسلطة على أحد الجسمين الناشئة عن جذب الآخر له ينتج عنه ذاته تتناسب مع $\frac{m_1 m_2}{l^2}$ ، وعلى ذلك

يكون في الأمكان أن يدون أن هذه القوى تساوى $\frac{m_1 m_2}{l^2}$ حيث تكون ب

عددا معينا يتوقف مقداره على القيمة المطلقة لهذا التجاذب ، وعلى المقياس الذى تختاره لذرع القوى ، وإن رغبتا فى أن نجري حسابنا بدلالة قوى كوزن كتلة مقدارها باوند واحد ، فمن السهل أن نرى أن العدد الذى تسله ب يكون فى غاية الصغر . فحينما نفرض أن كلا من ك ١ ، ك ٢ ، ل تساوى واحدا ، يصبح المقدار $\frac{m_1 m_2}{l^2}$

دالا على قوة التجاذب بين كتلتين متساويتين ، مقدار كل منهما باوند واحد ، والبعد بينهما ميل واحد ؛ ويكون قدر التجاذب فى هذه الحالة لا أهمية له . ومهما كان الأمر فقد توصلنا الى دستور لقوة التجاذب . فإذا سمينا هذه القوة ق ،

يكون ق = $\frac{m_1 m_2}{l^2}$. وهذا الدستور يعطينا صلة الترابط بين المتغيرات

ق ، ك ١ ، ك ٢ ، ل .

وجاء فى قصة (نيوتن) التى نعرفها جميعا فى الكشف عن قوة الجاذبية أن (نيوتن) كان جالسا فى بستان ، وشاهد تفاحة تسقط من شجرة ، فلمعت فى ذهنه فورا فكرة الجاذبية العامة . وليس من المهم أن تكون الصيغة النهائية للقانون قد خطرت بباله حين كان فى بستان ، أو فى مكان آخر ، فلا شك أنه اذ ذاك فى مكان ما ، ولكن بالنسبة

لا غراضا يكون من الأفضل تثقيفا أن نتم النظر في الكمية الكبيرة من الآراء التمهيدية التي تمخضت عنها عقول كثيرة خلال عصور عدة كانت ضرورية لامكان صوغ هذا القانون المضبوط . فقد لزم أولا تكوين عادة التفكير الرياضي ، وابتكار أساليب البحث الرياضية مما سبق أن أوضحناه في الفصلين السابقين ، ولولا ذلك لاستحال على (نيوتن) أن يفكر في دستور يعبر عن القوة بين أي كتلتين كانتا لأي بعد كان بينهما . ان المصطلحات المستعملة كقوة وكتلة ومسافة كانت هي أنفسها محتاجة الى تعريف . ولناخذ أيسرها وهي (المسافة) ، فقد يبدو من الواضح بمكان أن تصور أن الأشياء المادية تؤلف كلا هندسيا معينا بحيث تتكون الأبعاد بين أجزائه المختلفة قابلة للقياس بأحدى وحدات الطول كالليل أو اليارد ، ويكاد يكون ذلك أول ما يلوح للخطر عند دراسة مظاهر البنيان المادي ، وهو الثمرة التدريجية لدراسة الهندسة ونظرية القياسات . ومع ذلك ففي قسم من الحالات ، بل حتى الآن ، يستعمل نوع آخر من التفكير لقياس الأبعاد ففي الأرضين الجبلية تقاس المسافات بالساعات . فإن تركنا المسافة جانبا فإن القوة والكتلة أسد غموضا منها . والحقيقة أن التضميم التام للتأثير الذي أراد (نيوتن) أن يعبر عنها بهذه الكلمات نرى ببطء ، وإن (نيوتن) نفسه كان أول من أحاط علما بالقواعد العامة للديناميكا .

أخطأ الناس فهم العلم طوال العصور الوسطى بتأثير (أرسطو) وكان من حسن حظ (نيوتن) أنه جاء بعد سلسلة من عظماء الرجال الذين أعادوا تشييد العلم ومهدوا الطريقة الصحيحة للتفكير به ، وخصوصا (غاليلو) في ايطالية ، وكان ذلك خلال القرنين السابقين له ، فجاء هو فأكمل عملهم بعد أن أصبحت لديه فكرة واضحة ومعينة عن القوة والكتلة والمسافة مع ادراك أهميتها وامكان تطبيق ذلك على سقوط التفاحة وحركات الكواكب . وهكذا عثر على قانون الجذب ، وبرهن على أنه الدستور الذي يصح دائما عند تطبيقه على هذه الأنواع المختلفة من الحركة .

ان الأمر الحيوى في استخدام الدساتير الرياضية هو أن تكون لديك فكرة واضحة وتقدير صحيح لامكان انطباقها على الظاهرات التي تكون في قيد الملاحظة . ولم يكن أجدادنا الاقدمون أقل منا تأثرا بأهمية الظاهرات الطبيعية ولا بالرغبة في اتخاذ الوسائل الفعالة لضبط تنالى الحوادث ، فقد كانوا - بحكم الآراء الخاطئة التي يقولون بها - يقومون بالاحتفالات الدينية الفخمة لتسهيل ميلاد القمر الجديد ، كما أنهم كانوا يضحون القرابين لانقاذ الشمس في أثناء أزمة الكسوف . وليس في الأمر ما يدعو الى اعتقاد أنهم كانوا أكثر بلادة منا ، الا أنه في تلك الحقبة من الزمن لم يتيسر المجال

للتجمع البطيء. للآراء الواضحة الصائبة .

ويتضح الأسلوب الذى نمت به العلوم الطبيعية حتى اتخذت شكلا قابلا للمعالجة بالطرق الرياضية ، من دراسة تأريخ انماء التدريجى لعلم الكهرمغناطيسية . ان عواصف البرق والرعد تحدث كثيرا فترعب الانسان وتروعه ، وكذلك الحيوان ؛ ولذلك كانت منذ أقدم الأزمنة مبعث نظريات وهمية خرق ، غير أن الكشوف العلمية الحديثة المتعلقة بالكهرباء ربما كانت أكثر غرابة من كل تحليل سحرى تصوره المتوحشون . ثم جاء اليونانيون فعلموا أن الكهرمان « ويدعى باليونانية الألكترون » اذا ذلك يجذب الأجسام اليابسة الخفيفة ، وفى عام ١٦٠٠ م نشر (الدكتور كلبرت) من أهل (كولجستر) أول كتاب فى الموضوع اتبع فيه الطريقة العلمية بعض الشيء ، فقد نسق قائمة بالمواد التى تشابه الكهرمان فى خصائصها ، كما يعود اليه أيضا فضل وجدان علاقة بين الظاهرتين الكهربية والمغناطيسية وان كانت غامضة . وازداد تقدم المعرفة فى أواخر القرن السابع عشر وطوال القرن الثامن عشر ، فصنعت مكائن قليلة للحصول على الشرارات الكهربية ، كما اخترعت جرة ليدن التى أمكن بواسطتها تقوية نتائج هذه المؤثرات . وهكذا تم الحصول على شئ من المعلومات المنظمة ، الا أنه لم تكن قد وجدت بعد آراء رياضية تطبق على هذا الموضوع . وفى سنة ١٧٥٢ أرسل (فرنكلين) طائرة بين الفيوم ، وأثبت أن البروق كهربية .

وفى تلك الأثناء كان الصينيون ينتفعون بخاصية البوصلة المعروفة منذ أقدم العصور « ٢٦٣٢ ق . م » ، ولكنهم - كما يبدو - لم يربطوا ذلك بفكرة نظرية كائنة ما كانت . بالرغم من مرور آلاف من السنين على معرفتهم هذه الخاصة .

ان التطورات التى تعد بحق عظيمة فى حياة البشر تعود بأصولها الى البحث عن المعرفة لأجل المعرفة ، فان البوصلة لم تعرف فى أوروبا الا فى أواخر القرن الثانى عشر بعد الميلاد ، أى بعد مرور أكثر من ٣٠٠٠ عام على بدء استعمالها فى الصين ، ولكن الأهمية التى اكتسبها علم الكهرمغناطيسية منذ ذلك الحين فى كل ناحية من الحياة البشرية لم تنشأ عن الميل العملى الفائق للأوروبيين ، بل نجمت عن حقيقة أن الظواهر الكهربية والمغناطيسية قام على دراستها فى الغرب رجال سيطر عليهم الميل النظرى المجرد .

ثم ظهر التيار الكهربى ، ويعود الفضل فى الكشف عنه الى اثنين من الايطاليين ، وهما (كالفانى) عام ١٧٨٠ م ، و (فولتا) عام ١٧٩٢ م . وقد أدى هذا الاختراع الى احداث سلسلة جديدة من الظواهرات تتطلب البحث والتقيب . وبهذا أصبح لدى العالم العلمى اذ ذاك ثلاث مجموعات من الحوادث منفصلة بعضها عن بعض ، متجانسة فى

فى نوعها ، وهى : تأثيرات الكهرباء الساكنة التى تولد من مكائن الكهرباء الاحتكاكية والظواهر المغناطيسية وتأثيرات التيارات الكهربائية . ومنذ ختام القرن الثامن عشر فصاعدا أخذت خطوط الأبحاث الثلاثة هذه تتشابك وتتصل حتى تألف منها علم الكهرمغناطيسية الحديث الذى يندر حياة البشر بالانقلاب .

ثم بدأت الآراء الرياضية بالظهور ، وفى العشر السنوات من ١٧٨٠ الى ١٧٨٩ م برهن (كولبس الفرنسى) أن الأقطاب المغناطيسية تتجاذب أو تدافع بنسبة عكسية لمربع المسافة بينها ، وأن القانون نفسه ينطبق على الشحن الكهربائية . ومما يلفت النظر التماثل العجيب بين هذين القانونين وقانون الجاذبية . وفى سنة ١٨٢٠ اكتشف (أورستد الدينماركى) أن التيارات الكهربائية تبتدى قوة تؤثر فى المغناطيس . وتلا ذلك على الفور تقريبا أن وضع (أمبير الفرنسى) دستور هذه القوة بشكل صحيح ، وبرهن أيضا أن التيارات الكهربائية تؤثر بعضها فى بعض ، وهاك نبذة مما قاله (كلارك ماكسويل) فى الفصل الثالث من الجزء الثانى من كتابه (الكهرباء والمغناطيس) فى ذلك قال : ان العمل التجريبى الذى أثبت به (أمبير) قانون العمل الميكانيكى بين التيارات الكهربائية ، يعد من أعظم الانجازات العلمية الالامعة . ويظهر أن كلا من النظرية والتجربة بزغت من فكر (نيوتن) الكهرباء (أى كولومب) تامة النماء بالنسبة أشدها بحيث كانتا كاملتى الشكلين ، ولا يمكن الطعن فى كمالهما ، وقد استخلصنا بدستور جامع يمكن به أن نستج جميع الظواهر الكهربائية (وهو الذى سيقى أبدا الدستور الرئيس لعلم الألكتروديناميكا) .

أما القوانين الخطيرة للبحث الكهربى بين التيارات ، أو بين التيارات والمغناطيس ، فقد تم الكشف عنها على يد (مايكل فردى) فى عام ١٨٣١ - ١٨٣٢ م . فلما سئل : « ما فائدة هذا الكشف ؟ » أجاب « وما فائدة الطفل ؟ انه يكبر ليكون رجلا » . وقد كبر طفل (فردى) وصار رجلا ، وهو الآن أساس جميع المستحدثات الكهربائية . وقام (فردى) كذلك باعادة تنظيم الوجهة النظرية لهذا العلم . أما آراؤه التى لم تفهم على حقيقتها بالضبط فى عالم العلم اذ ذاك ، فقد وسعها (كلارك ماكسويل) فى سنة ١٨٧٣م ، ووضعها فى قالب رياضى . وبالبحوث الرياضية التى قام بها (ماكسويل) تبين له أنه تحت أحوال خاصة يجب أن تتولد اهتزازات أو موجات كهربية ، ثم ارتأى قورا أن الموجات التى تولد النور هى كهربية ، وأصبح رأيه هذا موضع الفحص لتحقيق صحته ، فبين أن نظرية النور بكمالها ليست الا فرعا من علم الكهرباء الواسع . ثم تلاه (هرز الألمانى) فاقفى خطوات (ماكسويل) ونجح عام ١٨٨٨ م فى احداث الموجات الكهربائية بطرق

كهزبية بحة، وصارت تجاربه أساس التعرف الاسلكي ، وفي السنوات الأخيرة جرت كشوف أساسية مهمة ، ولا يزال هذا العلم مستمرا على النماء والتقدم من حيث الأهمية النظرية والفائدة العملية .

ان هذه النظرية الحاطفة التي ألقيناها على تطور هذا العلم وتقدمه تصور لنا كيف أمكن - بالتجارب التي أوحى شيئا فشيئا بالآراء العلمية السديدة ، وأوحى الآراء العلمية بتجارب جديدة - أن تصهر مجموعة من الظواهر المتفرقة ، بل التافهة ، ليتكون منها علم واجد متماسك ، نرى فيه أن نتائج الاستدلالات الرياضية المجردة المستندة الى عدد قليل من القوانين البسيطة المفروضة تزودنا تفسيراً لسير الحوادث المتسلسلة المتراكمة انعقد . وأخيراً فلنخط الى ما وراء العلوم الخاصة بالكهرمغناطيسية والضوء ، لنعمم وجهة نظرنا الى أبعد من ذلك ، فنوجه انتباهنا الى نماء الفيزياء الرياضية التي تعد فصلاً عظيماً من فصول التفكير العلمي ، ولنسأل أولاً : ما محمل قصة نمائها بأيسر حالاتها ؟ انها لم تبدأ علماً واحداً ، ولم تكن ثمرة زمرة معينة من الناس ؛ فقد كان الرعاة البابليون يرقبون السماء ، كما كان عمال الحكومة فيما بين النهرين ومصر يمسحون الأرضين . أما رجال الدين والفلاسفة ، فكانوا يظفون التفكير في الطبائع العامة للأشياء ، فكانت المجموعة الواسعة من أعمال الطبيعة تسب الى قوى خفية لا يسبر غورها ، والمثل السائر « تهب الريح حيث تشاء » يعبر تعبيراً دقيقاً عن جهلهم المطبق اذ ذاك بوجود قواعد ثابتة تتالى على حسب تفاصيلها الظواهر الطبيعية ، ولكنهم في الأعم كانوا يعلمون ، كما هو معلوم الآن ، انتظام وقوع هذه الحوادث ، غير أنه لم يكن في الامكان تقصى اتصالها بعضها ببعض ، بل لم تكن لديهم معلومات عن كيفية البدء بتأليف مثل هذا العلم . ومعظم ما أمكن نتجه كان مبنيّاً على القليل من الجزر والتخمين المبصر عن طبائع الأشياء ، ومثلهم في ذلك كمن يرمى في الظلام ، فيصيب حيناً ويخطئ حيناً آخر .

وفي الوقت عينه نتج مسح الأرض علم الهندسة ، كما كشفت مراقبة السماء عن النظام الشمسي ودقة انتظامه . ثم جاء جماعة من اليونانيين المتأخرين ، مثل (أرشميدس) ممن كانت لهم نظرات صائبة في أوليات قضايا الموائع والبصريات . وفي الحق كان (أرشميدس) الذي جمع العبقرية الرياضية الى اصالة الرأي الفيزيائي خليقاً أن يوضع في صف (نيوتن) الذي جاء بعده بألفي عام فبعد من مؤسسي الفيزياء الرياضية . وكان (أرشميدس) يعيش في (سيركوز) المدينة اليونانية العظيمة في (صقلية) ، ويقال : انه أحرق سفن اليونان الذين كانوا يحاصرون هذه المدينة « ٢١٠-٢١٢ ق م » بأن ركز عليها أشعة الشمس بواسطة المرايا . ومع أن هذه القصة بعيدة الاحتمال جداً ،

فاتها شهادة حسنة على ما كان يتمتع به بين معاصريه من شهرة في البصريات والمناظر .
 على أنه قتل في ختام هذا الحصار ، وجاء في إحدى الروايات المقولة عن (بلوتارخ) عند
 سرده سيرة (مارسيلس) أن أحد الجنود الرومان وجده غارقا في دراسته لشكل
 هندسي كان قد رسمه على أرض الحجر التربة ، فأراد أسره ، فلم يقطع أمره بسرعة ، فقتله .
 ومن الحق أن يقال لصيانة سمعة القادة الرومان أنهم كانوا قد أصدروا أوامره للجنود
 بأن لا يعتدى عليه . وفي الأخبار قصة أخرى مشهورة تحتوى على شهادة ضمنية قوية
 جدا بعقريته ، فالكشف الذي يعزى إليه يليق ، عن جدارة ، بمثل نبوغه في التنقيب
 الرياضي الفيزيائي . ومن حسن الحظ أنه يسير بحيث يمكن إيضاحه هنا بالتفصيل ؛
 لأنه من أحسن الأمثلة السهلة للإبانة عن طريقة استخدام الآراء الرياضية في الفيزياء .
 يقال : ان (هيرو) ملك (سيراكوز) أرسل إلى أحد الصاغة بمقدار من الذهب
 ليصنع منه له تاجا ، ثم ظن أن الصانع قد اختلس قسما من الذهب ووضع في التاج فلزا
 رخيصا سكه مع سائر الذهب ، فأرسل بالتاج إلى (أرشميدس) وطلب إليه أن يفحصه .
 ولو حدث ذلك في هذا الزمان لا يمكن إجراء عدد غير محدود من الفحوص الكيميائية
 ولكن كان في ذلك الزمان على (أرشميدس) أن يفكر فيه من حيث هو أمر لم يسبقه من قبل ،
 ثم خطر له الحل وهو يستحم في الحمام فما كان منه إلا أن ففز وأخذ يجري في
 الشوارع نحو القصر صارخا « يوريكا ، يوريكا » أي وجدتها وجدتها . ولو عرفنا اليوم
 الذي وقعت فيه هذه الحادثة لوجب علينا أن نحتفل به بأنه يوم ميلاد الفيزياء الرياضية .
 ولما كان (نيوتن) جالسا في بستانه كان العلم قد بلغ أشده . ولقد كان كشف
 (أرشميدس) هذا عظيما حقا ، إذ رأى أن الجسم حين يغمر بالماء يدفعه الماء المحيط به
 إلى أعلى بقوة تساوى محصولها وزن الماء الذي أزاحه . ويمكن إثبات هذا القانون
 نظريا بالاستناد إلى القواعد الرياضية لعلم الموائع كما يمكن تحقيق صحته بالتجربة . وعلى
 ذلك فإذا كان وزن التاج في الهواء « و » من الباوندات ووزن الماء المزاح « و » من
 الباوندات فإن القوة الإضافية إلى أعلى اللازمة لموازنة التاج ليبقى معلقا في الماء تكون « و »

من الباوندات . ويمكن استخراج مقدار

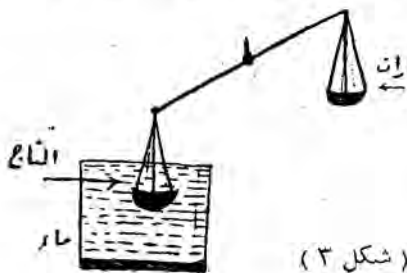
هذه القوة بوزن الجسم وهو معلق داخل

الماء كما ترى في الشكل الد ٣ .

فإذا كان مقدار « العيارات » في

الكفة ق من الباوندات يكون الوزن

الظاهري للتاج وهو مغمور بالماء ق من



الباوندات ، ويصبح بذلك لدينا :

$$ق = و - و$$

$$أى و = و - ق$$

$$و = \frac{و}{و} = \frac{و}{و - ق} \dots\dots\dots (١) \text{ التى يمكن فيها وجدان كل من } و ، و$$

بدقة مرضية بطريقة الوزن السهلة . وهكذا يعرف المقدار $\frac{و}{و}$ من المعادلة (١) . ولكن

$\frac{و}{و}$ هذه هي نسبة وزن التاج الى وزن ما يساوى حجمه من الماء ، وهى نسبة تبقى ثابتة

لكل كتلة من المديئات اذا كانت من المادة نفسها ، ويطلق عليها الآن اسم الوزن النوعى للمادة ، وتتوقف على طبيعة المادة الجهرية لا على شكلها ولا على مقدارها . ولذلك ما كان على (أرشميدس) ليحصن ذهب التاج الا أن يأخذ سبيكة من الذهب الخالص الذى لا شك فى نقائه ويجد وزنها النوعى بالاسلوب عينه فان اتفق الوزنان كان التاج من الذهب الخالص ، وان اختلفا بان الغش فيه .

لقد عاجنا هذه القضية بإسهاب ؛ لأنها مثال رائع ساذج لما يجب أن تكون عليه الطريقة والروح العلميان فى الأزمان كلها ، لا لأنها أول مثال مضبوط لاستخدام الآراء الرياضية فى الفيزياء .

ان قتل جندي روماني لـ (أرشميدس) يرمز الى تطور عالمي هو من الدرجة الأولى فى خطورته ، وهو انتقال سيادة العالم الأوربي من اليونانيين المعروفين بولعهم بالعلوم المجردة الى اليونان الواقعيين . ولقد عرف اللورد (بيكونسفيلد) فى إحدى رواياته الرجل الواقعي بأنه الرجل الذى يمارس غلط أجداده . ومع أن الرومانيين كانوا شعبا عظيما أصيب بلعنة العقم الفكرى التى تلازم الواقعية فى العادة ، فلم يحسنوا شيئا من المعلومات التى ورثوها من أجدادهم ، واقتصر تقدمهم على قسم من التفاصيل الفنية الساذجة فى المنشآت الهندسية ، ولم يكونوا من الخالمين أصحاب الخيال الذين يطيلون التأمل حتى يصلوا الى وجوه نظر جديدة تمنحهم سلطانا على قوى الطبيعة أساسيا واسعا ، فلم نسمع أن رومانيا فقد حياته لاغراقه التام فى تأمل الأشكال الهندسية .

الفصل الرابع : الديناميكا أى علم الحركة

كان علي العالم أن ينتظر ١٨٠٠ سنة حتى يجد خلفاء للفيزيائيين الرياضيين

اليونان • ففي القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد قام ايطاليون عظماء وخاصة (ليونارد) و (دافنس) المقتن (١٤٥٢-١٥١٩) و (غاليليو) (١٥٦٤-١٦٤٢) باعادة الكشف عن السر الذي كان معروفًا لدى (أرشميدس) ، وهو ربط الافكار الرياضية المجردة بالتحريات التجريبية عند دراسة الظواهر الطبيعية ، وفي الوقت نفسه كان تقدم الرياضيات البطيء ، وتجمع المعلومات الفلكية المضبوطة ، قد جعل الفلاسفة الطبيعيين في وضع أقوى على البحث والتقيب ، كما أن حب الظهور والاعتزاز بالنفس والتنافس الذي كان مستفحلًا بين مفكرى ذلك العصر حملهم على القيام بالتجارب قياما شخصيا ليشاهدوا الحوادث بأنفسهم حتى كشفوا بالتعليل الاستقرائي عن سر العلاقة بين النظرية الرياضية والتجارب العملية • ولقد كان قيام (غاليليو) الفيلسوف برمى عدة أنقال من قمة برج بيزا المائل عملا باهرا يميز ذلك العصر • ومع أنه لا يخلو زمن من رجال للفكر ورجال للعمل ، فقد كانت الفيزياء الرياضية ثمرة عصر تميز رجاله بأن جمعوا بين القدرة الفكرية والرغبة في العمل •

ان اسقاط أنقال من قمة برج يعد صورة رائعة لعمل أساسى فى المعرفة لا يقل قيمة عن أول ادراك للأراء الصحيحة فى علم الحركة (الديناميكا) ، وهو العلم الأساسى للموضوع برمته • ولقد كانت نقطة الجدل الخاصة بدور حول الأجسام المختلفة الأوزان هل تسقط من ارتفاع واحد فى أوان واحد ؟ ذلك أن (أرسطو) ، وكان يعد قوله بالاجماع ، القول الفصل فى ذلك العصر ، قد رأى أن سقوط الأجسام الثقيلة أسرع من سقوط غيرها • ولكن (غاليليو) أصر على أنها تسقط فى الزمن نفسه ، وبرهن على صحة قوله باسقاط أنقال مختلفة من أعلى البرج المائل • أما الخروج عن هذه القاعدة الذى يشاهد أحيانا ، فله أسباب : كخفة الوزن القصوى ، أو السرعة الكبيرة ، وذلك لما لمقاومة الهواء من تأثير لولاء لظهر القانون مضبوطا •

لم يكن نجاح تجربة (غاليليو) نتيجة حدس موفق ، بل كان ثمرة آرائه الصحيحة فى القوة الاستمرارية والكتلة • ولذكر الآن نص القانون الأول للحركة كما وضعه (نيوتن) ، وهو : كل جسم ، يستمر على حالة السكون ، أو الحركة المنتظمة على خط مستقيم ، ما لم تجبره قوة مؤثرة على تغيير حالته ؟ فقد كان هذا القانون نشيد الانتصار على المكابرين المغلوبين أكثر من أن يكون دستورًا جامدا • ولفهم القضية التى هى قيد البحث نحذف جملة : « أو الحركة المنتظمة على خط مستقيم » لنحصل على ما يمكن عده قانون (أرسطو) المضاد ، وهو : « كل جسم ، يستمر على حالة السكون ، ما لم تجبره قوة مؤثرة على تغيير حالته » •

... إن هذا الدستور الأخير المطلوب فيه يزعم أنه في حالة انعدام القوة يستمر الجسم على حالة السكون ، وعلى ذلك يتطلب الجسم إذا كان في حالة الحركة قوة لاستمرار تلك الحركة ، فإذا توقفت هذه القوة عن العمل توقف الجسم عن الحركة . أما وجهة نظر القانون النيوتوني الصحيح ، فهي معاكسة لذلك كل العكاس ، فانها تنص على أن حالة الجسم الذي لا تعمل فيه قوة ما هي الحركة المنتظمة على خط مستقيم . ولا حاجة الى البحث عن قوة ولا عن تأثير خارجي مسبب لذلك . وبعبارة أخرى : ان الحركة المنتظمة على خط مستقيم هي التي تلازم الجسم دائما ، وان حالة السكون هي حالة خاصة بهذا النوع من الحركة ، وذلك حين تكون السرعة صفرا ، وتبقى كذلك . وعليه نحن لا نبحث عن مؤثر خارج حين يكون الجسم في حركة الا لتعليل التغيرات التي تطرأ على معدل السرعة أو على وجهتها . وما دامت حركة الجسم بمعدل السرعة وبالوجهة أنفسهما ، فلا حاجة الى الاستعانة بقوى أخرى لتعليل حركته .

ان الفرق بين وجهتي النظر يتجلى بالرجوع الى نظرية حركة الكواكب السيارة ، فقد قال (كوبرنيكوس البولندي) المولود في مدينة (ثورن) من بروسية الغربية (١٤٧٣-١٥٤٣) . ما أيسر الأمر لو تصورنا أن الكواكب السيارة ، وفيها الأرض ، هي التي تدور حول الشمس في أفلاك تقرب من شكل الدائرة ! ثم جاء بعد ذلك (كبلر) الرياضي الألماني فبرهن في سنة ١٦٠٩م على أن أفلاك السيارات هي ، في الحقيقة والفعل ، قطوع ناقصة ، وهي نوع خاص من المنحنيات البيضية الشكل . وسنعرض لها بتفصيل أكثر : وفي أثر ذلك ورد السؤال عن ماهية القوى التي تحفظ الكواكب في هذه الحركة ، فعلى حسب النظرية الخاطئة القديمة التي كان يتمسك بها (كبلر) يجب أن يتطلب دوام السرعة الفعلية نفسها قوة ، ولذلك أخذ يتطلع الى القوى المماسية كما



(الشكل - ٤)

يظهر من الشكل الـ (٤) . ولكن على حسب نظرية (نيوتن) ينتج أنه في حالة عدم وجود قوة ما يجب أن تسير الكواكب السيارة الى الأبد بسرعتها الحالية وعلى خط مستقيم ، فترحل نهائيا عن الشمس . ولذلك كان على (نيوتن) أن يفش

عن قوة تحني مسير الحركة ليأخذ شكل القطع الناقص ، وقد رأى أن هذه القوة يجب



(الشكل - ٥)

أن تكون موجهة نحو الشمس ، كما يظهر في الشكل الـ (٥) . والحقيقة أن هذه القوة هي قوة جذب الشمس تعمل على حسب قانون التناسيل العكسي لمربع المسافة الذي مر ذكره .

ظهر علم الآلة (الميكانيكا) عند اليونان من ملاحظة نظرية الكفاءة الآلية (الميكانيكية) الحاصلة من استعمال العتلات ، ومن النظر في المسائل المختلفة ذات العلاقة بأوزان الأجسام ، ولكنه وضع أخيراً على أسسه الصحيحة في أواخر القرن السادس عشر ، وفي أثناء القرن السابع عشر كما سبق أن بيناه ، ولم يكن لوجدان تعليل لسقوط الأجسام حجب ، بل لوجدان نظرية علمية لحركات الكواكب وهذا في الأغلب . ومنذ تلك الأيام أخذ علم الحركة (الديناميكا) على عتقه واجباً أكثر طموحاً حتى ليتمكن الادعاء الآن بأنه المرجع الأخير للعلوم الطبيعية الأخرى ، وإن هذه العلوم ليست إلا فروعاً له . ويلخص السبب لهذا الادعاء بما يأتي : إن الصفات المختلفة للأشياء التي ندركها بحواسنا ليست إلا أسلوبنا الخاص بنا لأدراك ما يطرأ من تغير على مواقع الأشياء في الفراغ . مثال ذلك : نفرض أننا ننظر إلى (كيسة رستمستر) ، فقد كانت قائمة في محلها كالطود بلونها الرمادي عصوراً خلت ، إلا أن هذا اللون الرمادي يضي على البناء ما يقوى شعورنا برسوخه ليس هو على حسب النظرية العلمية الحديثة إلا أسلوبنا في تعريف الحركات السريعة للذرات النشطة المتحركة لوجه البناء ، التي تنقل اهتزازاتها مادة تسمى الأثير . ثم اتنا لو وضعنا أيدينا على حجارته للأحفلنا برودتها ، وانتظام درجة حرارتها ، وذلك مما يسبغ على المكان روح الطمأنينة والهدوء . ولكن هذا الشعور بدرجة الحرارة ، لا يدل إلا على انتقال الحرارة من اليد إلى الحجر أو العكس .

ولست الحرارة على حسب العلم الحديث إلا تهيج ذرات الجسم وحركتها ، وأخيراً يبدأ الأثر بالعرف فسمع الصوت ، وهو نتيجة تموج الهواء وضربه طبلة الأذن . إن محاولة تفسير الظواهر الطبيعية تفسيراً حركياً (ديناميكياً) هو العمل على شرحها ببيانات ذات طابع عام تبين أن المادة كذا ، أو الجسم كذا ، كان في المحل كذا ، وهو الآن في محل آخر ، وهكذا نصل إلى الفكرة الأساسية العظيمة للعلم الحديث ، وهي أن احساساتنا كافة هي نتيجة الموازنات بين الهيئات المتغيرة للأشياء في الفراغ بأوقات مختلفة . ويترتب على ذلك أن قوانين الحركة ، أي قوانين التغير في هيئات الأشياء ، هي القوانين النهائية في علم الطبيعة .

واستخدام الرياضيات في بحوث الفلسفة الطبيعية يجعل العلم يعمل بترتيب وانتظام ما يعمل التفكير المعتاد ، بطريقة النبه والاتفاق أي المصادفة . فحين نتحدث عن كرسى نقصد شيئاً نراه ، أو نحس به بطريقة ما ، مع أن معظم حديثنا يتضمن افتراض وجود ذلك الشيء مستقلاً عن بصرنا أو احساسنا . أما في الفيزياء الرياضية ، فتتخذ طريقاً معاكساً لذلك ، إذ يجرى تصور الكرسى دون الرجوع إلى أحد بالذات ومن غير سلوك طريقة

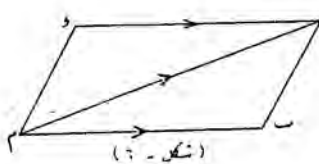
خاصة بالاحساس . وتكون النتيجة أن الكرسي يصبح فى الذهن طائفة من الذرات فى الفراغ ، أو مجموعة من الالكترونات ، أو جزءا من الاثير فى حالة الحركة ، أو على ما تصفه الآراء العلمية الشائعة ، أعنى أن العلم يحيلها الى أشياء متحركة فى الفراغ يؤثر بعضها فى حركات بعض . والعناصر أو العوامل المختلفة التى تدخل فى حسابات مجموعة من الحالات المتصورة ما هى الا الأشياء التى بها يتم تعيين مواقع الأشياء فى الفراغ : كأطوال الخطوط ، وسعة الزوايا والمساحات والحجوم . ومن البديهي أن حقيقة الحركة والتغير تتطلب - الى العناصر الهندسية المذكورة - ضرورة ادخال معدلات التغير لهذه العناصر ، ونعنى بذلك السرعة ، والسرعة الزاوية والعجلة وما شاكلهما . وعلى هذا تتعامل الفيزياء الرياضية بالعلاقات التى بين الأعداد المتغيرة التى يفترض أنها تمثل العلاقات التى فى الطبيعة بين قياسات هذه العناصر الهندسية ومعدل تغيرها ، والقوانين الرياضية تتعامل دائما بالتغيرات ؛ ولا يعوز عن هذه المتغيرات بالأرقام الا اذا اقتضى الحال بين وقت وآخر تحقق صحة القانون بالرجوع الى التجربة ، أو اذا أريد تطبيقه للوصول الى نتائج خاصة .

ان الشيء الممتع عن العالم حين تتصوره على هذا الشكل المجرد وأنت تدرس الفيزياء الرياضية - التى تقصر عنايتها على مواقع الأشياء وأشكالها ، وما يطرأ عليها من تغير - هو أن حوادث هذا العالم المجرد كافية فى تفسير احساسنا . مثال ذلك أن سماع الصوت ناشئ عن اضطراب ذرات الهواء بطريقة خاصة ، فعند حدوث مثل هذا الاضطراب ، أو الموجات الهوائية كما يسمونها ، يسمع الناس الاعتياديو السمع صوتا ، وبمثل ذلك أو بما يوازيه - على حسب وجهات النظر المختلفة باختلاف الناس - تحدث احساسنا الأخرى لأسباب أو بواعث طبيعية . ويبدو أن أفكارنا ذاتها تتغير بالتأثر مع حياة المخ وحركته . فإذا أصاب المخ ضرر فإن الأفكار يلحق بها الضرر أيضا . أضف الى ذلك أن حوادث هذا العالم المادى تتعاقب على حسب قوانين رياضية لا تعبأ باحساسنا وعواطفنا وتفكيرنا .

ومما لا ريب فيه أن هذا هو المنظر العام لعلاقة الفيزياء الرياضية بعواطفنا واحساسنا وتفكيرنا . وكفى أثار هذا البحث من جدل ومقالات طويلة ! وليست بنا حاجة الآن الى أكثر من ملاحظة واحدة هى أن هذه الحالة بأسرها نشأت كما رأينا فى محاولتنا لوصف العالم الخارجى بشكل (تفسيرى) لعواطفنا واحساسنا ، ذلك العالم الذى هو أيضا لا يتوقف على حواس معينة ولا على شخص معين . فهل هذا العالم يا ترى قصة خرافية فحمة ليس غير ؟ ان القصص الخرافية تكون فى العادة خيالية وكيفية . ولو

وجدنا حقا مثل هذا العالم ، لوجب أن يخضع لوصف متقن يحدد بالضبط أجزائه المختلفة وربطها المتبادل . ومع أن العالم العلمي هذا يخضع لمثل هذا الفحص خضوعا عظيما ، بحيث يمكن استقصاء حوادثه والتكهن فيها باستعمال أداة الأفكار الرياضية المجردة ، يبدو بكل تأكيد أن علينا أن نتثبت في الطرائق الاستقرائية من فرضيتنا الأساسية ، وأن نمتعرف بأن البرهان الاستقرائي لا يمكن أن يكون حاسما . وإذا كانت الفكرة عن عالم ذي وجود مستقل عن حواسنا بأسرها خاطئة ، وجب أن نفسر بعناية الأسباب التي تجعل محاولتنا لوصفها ، بدلالة ما توصلنا اليه من الآراء الرياضية التي تنطبق عليها ، تنتج مثل هذا النجاح الباهر .

وستضرب تأملين في يدها . واسعة إذا نحن دخلنا في الشروح التفصيلية للقوانين الأخرى للحركة ، ولذلك سنحذر بقية هذا الفصل لشرح عدة من الآراء القيمة التي تعد أساسية لكل من الفيزياء الرياضية والرياضيات البحتة ، وهي فكرة الكميات المتجهة وكيفية جمعها بقانون متوازي الاضلاع . لقد سبق أن علمنا أن قوام الحركة هو أن جسما ما كان في (آ) ثم صار في (ح) ، ولتحدد حركة الانتقال هذه من (آ) الى (ح) انتقالا كاملا يقتضي البت في أمرين : هما مقدار الحركة (أي طول آ ح) ، ووجهتها . وأن كل شيء كهذا الانتقال ، يتعين بالضبط كما تعين هو ، أي بمجرد معرفة مقدار واتجاه يسمى بالمتجه (Vector) . مثال ذلك : أن تعريف السرعة يتطلب تحديد



مقدار واتجاه ، اذ يجب أن يقال : انها كذا ميلا في الساعة ، وفي الوجة كذا . وخير مثال يوضح ضرورة وجود هذين العاملين وتمايزهما لتحديد السرعة هو عمل ربان السفينة حين يتصل

بمروؤوسه الكثيرين لتعيين هذين العاملين . فيخبر رئيس المهندسين بعدد العقد البحرية في الساعة التي يجب أن تمر السفينة بموجها ، ويخبر مدير السكان بوجهة السير الذي يجب أن يستمر فيه على حسب البوصلة . ومعدل تغير السرعة ، أي ازديادها في وحدة زمنية ، هو كمية متجهة أيضا . ومثل ذلك يقال في القوة بمعناها الحركي (الديناميكي) ، أعني أنها كمية متجهة . والحقيقة أن الطبيعة الاتجاهية في القوة تنشأ من الفور - على حسب القواعد الحركية (الديناميكية) - عن مماثلاتها في الحركة والعجلة . ولكن هذه قضية ليست بنا حاجة الى بحثها ، بل يكفي أن نقول هنا : ان القوة تعمل على الجسم بمقدار معلوم ووجهة خاصة .

ان جميع المتجهات (Vectors) يمكن تمثيلها تمثيلا بيانيا بخطوط مستقيمة ،

وكل ما يطلب عمله للوصول الى ذلك هو أن ينظم (أولا) المقياس الذى ستمثل بموجبه وحدات المقدار بوحدة من الطول ، كأن يقال مثلا فى حالة السرعة ان الانج الواحد يمثل سرعة ١٠ أميال فى الساعة ، أو فى حالة القوى انه يمثل ما وزنه ١٠ أطنان ، و (ثانيا) أن تكون وجهة المستقيم فى الشكل مطابقة لاستقامة المتجه (Vector) ، وبعد ذلك ترسم مستقيما بهذه الوجهة بحيث يكون طوله المقدار المطلوب من الانجات ، فيكون هذا المستقيم هو الذى يمثل المتجه بالمقياس الذى وقع الاختيار عليه . وهذا التمثيل التصويرى للمتجهات يأتى فى المرتبة الاولى من الأهمية ، فبالاعتماد عليه تتمكن من الاعراب عن قانون متوازي الأضلاع الشهير الذى به تجمع المتجهات اذا كانت من جنس واحد وبوجهات مختلفة .

لنعد الآن المتجه (Vector) $\vec{A}$ فى الشكل الـ (٦) يمثل انتقال جسم من A الى B ، ونسمه متجه الانتقال (Vector of Transposition) ، فمما يدعو الى الملاحظة أنه اذا صح امكان اختزال الظاهرات الطبيعية الى مجرد تعبير فى المواقع ، كما ينشأ آنفا ، فإن أنواع المتجهات الطبيعية كافة يمكن فى الحقيقة اختزالها - بشكل من الاشكال - الى هذا النوع الواحد ، ويمكن الوصول الى النتيجة عنها للانتقال النهائى من A الى B ، وذلك بأن يجرى النقل من A الى B ، ثم من B الى C ، أو باكمال متوازي الأضلاع AB C D يمكن اجراء الانتقال نفسه ، وذلك بأن يبدأ من A الى D ، ثم من D الى C ، ويقال لمثل هذه التقلات المتتالية : انها جمعت . وهذا هو مجرد تعريف لما نعنيه بقولنا : (جمع التقلات) . ولنلاحظ أكثر من ذلك أننا اذا عدنا الخطوط المستقيمة المتوازية خطوطا مرسومة بالوجهة عينها ، فيمكننا أن نعد الانتقالين من B الى C أو من A الى D كانتقال واحد حدث لجسمين كان موقعاهما البدائيان B ، A ، وبهذه النظرة يجوز لنا القول بأن الانتقال من A الى D أجرى على جسم ، أيا كان موقعه ، وليكن B ، وعلى ذلك يكون فى وسعنا القول بأن الانتقال من A الى C يمكن تصويره كمجموع انتقالين من A الى B ، ومن A الى D ، حدثا بأى ترتيب كان . وهكذا نحصل على قانون متوازي الأضلاع لجميع التقلات ، وهو اذا حدث النقل من A الى B ، ومن A الى D ، فما علينا الا أن نكمل المتوازي الأضلاع AB C D فيكون المجموع $\vec{A}$.

ويلوح كل ذلك بديا كأنه أمر مصطنع ، مع أننا يجب أن نلاحظ أن الطبيعة نفسها هى التى تقدم لنا هذه الفكرة ، مثال ذلك : أن باخرة تسير فى وجهة A D (الشكل ٦) وفيها رجل يقطع ظهرها عرضا ، فلو أن الباخرة كانت واقفة لبلغ نقطة B فى دقيقة واحدة . ولكن فى تلك الدقيقة تكون نقطة البداية على ظهر الباخرة قد وصلت

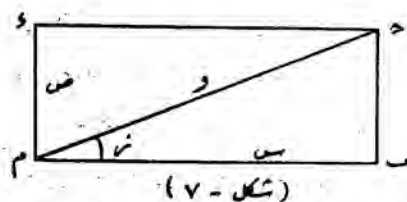
الى د ، وتحول طريقه من آ ب الى د ح بحيث أصبح هذا الانتقال بالواقع من آ الى ح على سطح البحر . على أن هذا المجموع ظهر لنا محلا الى انتقالين : الأول من آ الى ب بالنسبة للباخرة ، والآخر من آ الى د وهو انتقال الباخرة .

وإذا نظرنا الى عنصر الزمن ، وهودقيقة واحدة ، فإن آ ح في الشكل يمثل حينئذ سرعة الرجل ، وذلك أنه اذا كانت آ ح تمثل عددا من أقدام الانتقال فإنها تمثل العدد نفسه من الأقدام في الدقيقة الواحدة ، أى سرعة الرجل ، وعلى ذلك يمثل آ ب ، آ د سرعتين ، هنا سرعة الرجل بالنسبة لسطح الباخرة ، وسرعة الباخرة نفسها . ومن مجموعهما تتألف سرعة الرجل النهائية . وينضح من ذلك أن الأشكال والتعريفات المتعلقة بهذه التقلات يمكن تحويلها الى أشكال وتعريفات تتعلق بالسرع ، وذلك بأن تكون التقلات حدث في وحدة زمنية . كذلك يمكن تحويل الأشكال والتعريفات ذات العلاقة بالسرع الى أشكال وتعريفات عن العجلة ، وذلك بأن تصور هذه الأشكال تمثل السرعة الإضافية في وحدة الزمن .

يتضح مما سبق ما نعينه بجمع السرع المتجهة أو العجلات المتجهة ، هو جمعها بقانون متوازي الأضلاع .

ولما كانت القوة - بحسب قوانين الحركة - تمثل بالعجلة المتجهة التي تحدثها في جسم له كتلة معينة ، كان جمع قوتين لمعرفة أثرهما المشترك ، على حسب قانون متوازي الأضلاع .

ونلخص ما تقدم بأن جمع كل متجهين من جنس واحد من المتجهات العلمية الأساسية كالانتقالات والسرع والقوى يتم بوجودان محصلة متجهة على حسب قانون متوازي الأضلاع .



بعد المستطيل من أبسط أنواع متوازيات الأضلاع ، وهو في الرياضيات البحتة يدل على علاقة كثيرة الوقوع بين المتجه الواحد آ ح والمتجهين المركبين

المتعامدين آ ب ، آ د (الشكل الـ ٧) . فإذا فرضنا أن س ، ص ، و ، تمثل عدد وحدات الطول في كل من آ ب و آ ح و آ د ، وأن ز تمثل عدد وحدات الزاوية ب آ ح ، فإن العلاقة بين س ، ص ، و ، ز ، بأشكالها الكثيرة هي من الموضوعات الدائمة في الرياضيات البحتة وتائجها تستخدم في حساب المتجهات الأساسية في الفيزياء الرياضية . وهذا الشكل هو الجسر الرئيس الذي يجب أن تجتازه نتائج الرياضيات البحتة كيما يمكن استخدامها في حقائق الطبيعة .

باب الكتب

تاريخ ابن الديني

في خزانة الكتب الكبريحية بانكلترا مجلد (١) من تاريخ بغداد في (١٨١) ورقة ، مخروم الاول ، قد ذهب اسم مؤلفه في الحرم ، ورقمه العام ٢٩٢٤ والخاص ١٦٩ . وجاء نعته في الصفحة ٢٦ من فهرست المخطوطات العربية والفارسية ، تصنيف الأستاذ المستشرق أدوارد براون قال :

« مجلد مخروم الاول ، حاو لقسم العين من تاريخ بغداد ، أي رجالها المشهورين ، وقد كتب في أوله بالانكليزية انه جزء من التاريخ المشهور للخطيب البغدادي . وأدل من هذا القول وأقرب الى الايضاح ما ذكره الأستاذ سمويلى من أنه الجزء الثالث من « ذيل تاريخ بغداد للخطيب » ، مع أن كون الخطيب المتوفى سنة « ٤٦٣ هـ » غير مؤلف له من الأمور المحققة ، يدل على ذلك أن كثيرا من تعاليق التراجم في المجلد هذا تختص برجال ماتوا في أوائل القرن السابع للهجرة ، وتاريخ سنة ٦١٧ هـ هو آخر تاريخ استطعت استنباطه في الكتاب ، وبالإضافة الى المقياس الكبير الذى ألف عليه التاريخ لا يمكن أن يكون هذا كل المجلد الثالث ؛ لانه يتبدى بالعين وبالبذى أضيف اليه « عبد » من الأسماء ، يلى ذلك « عمر » و « عثمان » و « على » و « عباس » و « عيسى » و « عمارة » ، ولكن هذه الأسماء لم ترتب ترتيبا هجائيا تاما (٢) .

« لقد كتبت ذيل لتاريخ الخطيب الجليل في أزمنة مختلفة ، منها اثنان ذكرهما حاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، وقد كانا ألفا في القرن السابع للهجرة وهما تاريخ ابن الديني المتوفى سنة « ٦٣٧ هـ » وتاريخ ابن النجار

(١) صور المجمع العلمى العراقى نسخة منه لخزانته وهى محفوظة فيها برقم « ٤٤ » مخطوطات .

(٢) خفى على المستر براون سر هذا الترتيب . فهو مثل تاريخ الخطيب ، ابتدا باسمى الرسول (صلى الله عليه وسلم) : محمد وأحمد ، لشرقيهما على سائر الأسماء . ولما بلغ « العين » ، وهى أول أسماء ثلاثة من الخلفاء الراشدين ، أتى بما أشبهها على حسب ترتيبهم في خلافتهم .

المتوفى سنة ١٦٤٣ هـ . وكان حاجي خليفة رأى المجلد السادس عشر منه ، لحاوى
- كهذا المجلد - حرف العين ، فذلك نسترجع أن يكون اياه ووصف بعد
ذلك أحوال الكتاب الأخرى .

ونحن نرى استرجاج العلامة براون غير مستند الى سند قوى ؛ لأن كل ذيل
تأريخ الخطيب قد احتوت على حرف العين من التراجم ، ولأن ذيل ابن التجار وذيل
ابن الدينى فى ذلك على السواء .

وكتب الى صديقى العلامة فريس كرنكو المستشرق الشهير أيام كنت فى باريس
كتابا تأريخه ٦ أيار من سنة ١٩٣٦ م يقول فيه :

« قد وجدت فى خزانة الجامعة (جامعة كبريج) نسخة جيدة عتيقة من ذيل
تأريخ بغداد لمؤلف مجهول ، اذ ليس للنسخة عنوان لسقوط كراسة أو أكثر من أولها ،
الا أن كاتبها قال فى آخرها : انه قد كمل حرف العين وسبأى حرف الغين فى المجلد
الرابع . والترجمة الأولى عبدالله بن عبدالله الطوسى أبو محمد الصوفى ، ولا تأريخ
لوفاته وتليها ترجمة عبدالله بن عبدالرحمن بن أيوب بن على البستيان أبو أحمد المتوفى
سنة ٦٠١ هـ ، فيظهر من هذا أنه سقط من اسمه عبدالله واسم أبيه عبدالله أيضا
الترجمة واحدة . ثم رأيت أنه فى موضع يقول فى حق ابن الجوزى « شيخى » ،
ويسبق على الظن أن هذه النسخة آخر المجلد الثالث من تأريخ ابن التجار ، وأما ترتيب
التراجم فعلى اسلوب تأريخ الخطيب : ذكر التراجم مرتبة على الأسماء ثم على السنين ،
وأكثر التراجم لرجال ماتوا فى النصف الثانى من القرن السادس والنصف الأول من
القرن السابع . وأحسب أن النسخة كتبت حول سنة ١٧٠٠ هـ . وقد ضبط الكتاب
الأسماء المشككة بالخط حتى لم يبق شك فى صحتها . ولم أجد الفرصة الى الآن لأتخذ
فهرسا للتراجم . ولكن بعد عبدالله يأتى من اسمه عبيدالله ، ثم عباد وعمر وعثمان وعلى
وفى آخرها أسماء مختلفة » ١ هـ .

فكتبت اليه أرجو منه أن ينقل لى شيئا من تراجم التاريخ المذكور لعل أستطيع
أن أقف على حقيقة مؤلفه ، أما ما ذكره من الاسترجاج فهو من بابة قول المستر براون ،
وكان كلاهما فى غنى عنه بعد أن قرأ فى كشف الظنون أن حاجي خليفة رأى المجلد
السابع عشر محتويا على حرف العين ، من التجزئة الأصلية ، مع أن هذا هو المجلد
الثالث فى آخره ما هذا نصه « آخر حرف العين ، يتلو فى المجلد الرابع حرف الغين
المعجمة ، ذكر من اسمه غالب وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

ثم كتب الى العلامة الصديق كتابا تأريخه ٢ خزيران من سنة ١٩٣٦ يقول فيه

« وكنت أحب نقل بعض التراجم عن النسخة المحفوظة في خزانة جامعتنا لعلك تقع على اسم المؤلف ولا شك أنه رتب كتابه ترتيب تاريخ الخطيب وأيضاً أنه من تلاميذ ابن الجوزي . ولو كانت لي الفرصة اللازمة لأطالع الكتاب من أوله إلى آخره لا يمكن أن يوجد شيء يدلنا على حقيقة حال المؤلف . وقد نقلت أسماء الرجال من العشر الأول تجدها في ضمن هذا الكتاب وكنت سئ وفياتهم بعد علامة « ت » وكلما لم أذكر تاريخاً تعرف أنه لا وجود له في الأصل ، بل رتب الترجمة تخميناً . ورجائي أن هذه البذرة تساعدك في كشف اسم المؤلف » .

ولم يتبادر إلى ذهن الأستاذ المحقق أن ينسب الجزء إلى ابن الديبشي ، فقد كنت ذكرت له أن في دار الكتب الوطنية بباريس ثلاثة مجلدات منه ، فكتب إلى في ١٥ نيسان سنة ١٩٣٦ يقول : « أما كتاب الديبشي فليس في هذه البلاد نسخة منه البتة ولكن في خزانة جامعة كامبرج نسخة قديمة من تاريخ ابن النجار تشتمل على أسماء تتبدى بالعين وهي ناقصة الأول والآخر » يعني أنها غير كاملة .

ولقد قابلت بين ما ذكره لي العلامة (فريسن كرنكو) وما في تاريخ ابن الديبشي المحفوظ بدار الكتب الوطنية بباريس ، فإذا هما متشابهان حقاً ، ثم أعلسته بنتيجة المقابلة ، فأيقن أن مجلد كسريج قسم من « ذيل تاريخ ابن الديبشي » على ذيل السمعي الذي هو ذيل لتاريخ الخطيب البغدادي ، فكان إذا نقل منه شيئاً سماه « تاريخ ابن الديبشي » على حقيقته وذاته . قال في نقده طبعة الجزء الأول من كتاب « الدارس في تاريخ المدارس » :

« ابن الطلاية بالمتأني ، كثر ذكره في الدرر وفي نسخة جيدة من ذيل ابن الديبشي ^(١) » . فقد عني نسخة كسريج .

وهذا المجلد الذي بسطنا القول في تاريخ تحقيقه ، مكتوب بخط نسخي ، من خطوط القرن السابع ، فيقدر تاريخه بما بين سنة « ٦١٧ » وسنة « ٧٠٠ » ، ومعنى ذلك أنه يجوز أن يكون مكتوباً في أيام المؤلف . ويظهر من الصورة الفطغرافية أن الصفحة الأولى منه قد ألصقت عليها ورقة ، فذهب قسم من ترجمة « عبدالله بن عبدالله الرومي المكنى بأبي الخير » وبقي منها ما أوله « وسمع أبا القاسم بن الحصين وغيره » رأيت أنه ولم آخذ عنه شيئاً » .

(١) مجلة المجمع العلمي العربي « المجلد ٢٤ » ، الجزء الثاني ص ٣١٢ ، وقال في ص ٣١٥ « شرف الدين علي بن محمد بن المسلم ، أرخ ابن الديبشي (نسخة كامبرج) وفاته سنة ٦٠١ وسماه ابن الشهرزوري » .

وهذا أول الترجمة وهو معظمها منقولاً من نسخة باريس : «عبدالله بن عبدالله الرومي أبو الخير الجوهري ، عتيق جعفر بن سليمان الطيبي التاجر ، كان يسكن درب حبيب وكنى خيراً جافظاً لكسب الله العزيز ، قرأ على أبي العز محمد بن الحسين القلاسي الواسطي ببغداد لما قدمها في سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وروى عنه حرف أبي عمرو بن العلاء وأقرأ الناس به ، وسمع أبا القاسم بن الحصين وغيره ، رأيته ولم آخذ عنه شيئاً » .
 وآخر ترجمة فيه هي ترجمة « أبي نزار عدنان بن المعمر بن المختار العلوي الحسيني » قال : « عدنان^(١) بن المعمر بن عدنان بن عبدالله بن المختار أبو نزار بن أبي القائم بن أبي نزار العلوي الحسيني ، من أهل الكوفة ، قدم بغداد وسكنها مدة ، وتولى بها نقابة العلويين بمشهد الامام موسى بن جعفر ، وقرى عهده بذلك المشهد المذكور يوم الخميس حادي عشرين شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة ، ولاء ذلك ابن عمه النقيب انطاهر أبو الحسين محمد بن محمد بن عدنان ابن المختار ، فكان على ذلك الى أن عزل في شعبان سنة سبع وستمائة » . قرأت بخط انشريف عبد الحميد بن أسامة العلوي النسابية :
 مولد عدنان بن المعمر يوم الثلاثاء ثالث عشرين شعبان سنة سبعين وخمسمائة » .

وترجمة ابن الديني مأثورة في وفيات الأعيان لابن خلكان والحوادث الجامعة وتذكرة الحفاظ وطبقات الشافعية والبداية والنهاية لابن كثير وغيرها ، فلا نذكر منها الا ما ورد في الكتب الخطية رغبة في التكرار والاستطراف ، فقد قال هو في ترجمة أبيه من تاريخه^(٢) :

« سعيد بن يحيى بن علي بن الحجاج بن محمد بن الحجاج أبو المعالي بن أبي طالب بن أبي الحسين المعروف بابن الديني ، والذي من أهل واسط منسوب الى قرية تعرف بديتها قرية من باكسيا منها كان جده علي ، ثم قدم واسطاً واستوطنها ، وبها ولد وأولاده يحيى وأخوته » .

(١) قال ابن الفوطي في « معجم الألقاب » : « عز الدين أبو نزار عدنان بن أبي عبدالله المعمر بن عدنان بن المختار العلوي الكوفي النقيب ، ذكره شيخنا تاج الدين ابن أنجب في تاريخه وقال : رتب عز الدين نقيب مشهد موسى بن جعفر وعزل في شهر ربيع الأول سنة ست وستمائة ، وكان سيدياً جليلاً عالماً » . ومولده سنة سبعين وخمسمائة ، وتوفي يوم السبت رابع شعبان من سنة خمس وعشرين وستمائة ، ودفن في داره بالقرب من باب المراتب على شاطئ دجلة » . وكانت محلة باب المراتب تحتوى على محلة السيد سلطان علي وما اليها وهناك يجب أن يكون قبره » .

(٢) تاريخ ابن الديني ، ذو الرقم « ٥٩٢٢ » من دار الكتب الوطنية ببغداد ، الورقة « ٦٥ ظ » و « ٦٦ و » وأصول التاريخ والأدب مج ٢٠ ص ١٨٣ - ٤ وهذه الأصول من مجموعاتها الخطية في أكثر من « ٣٥ » مجلداً ، منها أجزاء كاملة ، مثل تاريخ ابن الديني هذا » .

ولد والدي بواسط وقدم بغداد وهو صغير مع أبيه وأقام بها مدة وسكن دار الخلافة المعظمة بباب النوبي في الدرب الجديد الى أن توفي والده بها وسمع بها الحديث من أبي الحسن سعد الخير بن محمد الانصاري ، وغيره ، وكتب بها عن جماعة حكايات وأنشيد رأيتها في مجموع بخطه ، وعاد الى واسط ونزلها الى حين وفاته . وقد أجاز له القاضي أبو علي الحسن بن ابراهيم الفارقي وغيره . كتب عنه أناشيد وغيرها ولم أنظر بسماعه الا بعد وفاته رحمه الله قرأت في الكتاب الذي سمعته والدي أبو المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج ومنه نقلت (وأسند حديثا الى سمره بن جندب) قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفضل الكلام أربع سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر ، ولا عليك بأيتها بدأت » . . . أنشدنا والدي أبو المعالي سعيد بن يحيى بن علي بن حفظة بواسط قال : أنشدنا سعد الدين أبو عبد الله الحسين بن علي بن شيب ببغداد لنفسه :

وأعبد لم تسبح لنا بوصاله يد الدهر حتى دب في عاجه النمل
تمنيت لما اخطت فقدان ناظري ولم أر انسانا تمنى العمى قبل
ليبقى على مر الزمان خياله حيالى وفي عيني لمنظره شكل

سمعت والدي يقول : مولدى في سنة سبع وعشرين وخمسمائة . . . وقرأت بخطه عن أبي القاسم ابن علي : ولد ابن أخي أبو المعالي سعيد بن أبي طالب يوم السبت سابع عشرى صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة . . . وتوفي ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى من سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وصليت عليه يوم الجمعة بين الأذان والاقامة بجامع واسط واجمع واقبر ، وكنت اماما ، ومضينا مع جنازته الى مقبرة داوردان وهى مقبرة بينها وبين البلد فرسخ ، فدفن هناك عصر اليوم المذكور والله يرحمه وإيانا اذا صرنا مصيره انه رؤوف رحيم ، آمين ، ا هـ .

وقال زكى الدين المنذرى في ترجمة ابن الديني في وفيات سنة « ٦٣٧ » من كتابه « التكملة لوفيات الثقلة » ^(١) قال :

« وفي الثالث من شهر ربيع الآخر توفي الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي سعيد بن أبي طالب يحيى بن أبي الحسن علي بن الحجاج بن محمد بن الحجاج الواسطي الديني ^(٢) الشافعي العدل ، ببغداد ودفن بالوردية من الغد . سمع

(١) نسخة دار الكتب البلدية المعروفة بمكتبة البلدية بالاسكندرية ، ذات الزقم ١٩٨٢ فى الورقة « ٢٥٠ » ، وأصول الأدب والتاريخ ، مج ٢٧ ص ٤١٠ .

(٢) قال فى آخر الترجمة : « ودينا : بضم الدال المهيمة وفتح الباء الموحدة وسكون الباء آخر الحروف وقبل الألف ثاء مثلثة ، قرية بنواحي واسط العراق » . والصحيح فتح الدال كما فى معجم البلدان ، ونقل ابن خلكان قول شيخه المنذرى فأخطأ أيضا .

بواسطة من القاضي أبي طالب محمد بن علي الكتاني وأبي البقاء هبة الله بن الحسن ابن حباش ، وأبي الفضل هبة الله بن علي بن قسام ، وأبي المكارم علي بن المبارك بن الأمدى ، وأبي العباس هبة الله بن نصر الله بن محمد بن مخلد الأزدي ، وجماعة سواهم . وسمع ببغداد من أبي الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل وأبي العلاء محمد بن جعفر ابن عقيل وأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن السراج المعروف بابن حميش وأبي السعادات نصر الله بن عبد الرحمن القزاز وخلق كثير من طبقتهم بعدهم ، وسمع بالحجاز من أبي المالح عبد المنعم بن عبد الله الفراوى ، وسمع بالموصل وغيرها من جماعة وحدث ، وصنف تاريخا كبيرا لواء وسط وذيل على تاج الاسلام أبي سعد بن السمعماني في تاريخ بغداد ، وصنف غير ذلك . وكان أحد الحفاظ المشهورين والنبلاء المذكورين عزيز الفضل ، وكتب كثيرا . وله نظم حسن ، ولنا منه اجازة كتب بها الينا غير مرة . ودينا . . قرية بنواحي واسط العراق وجده على من دينا وذكر بعضهم أنهم نزلوا الموضع وأن أصلهم من كنجة . ا ه . والمقبرة الوردية هي التي دفن فيها بعد ذلك شهاب الدين عمر السهروردي المعروف بالشيخ عمر .

وقال الذهبي في طبقات القراء الموسوم بسمرة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (١) :

« محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج الامام أبو عبد الله ابن الديلمي الواسطي المقرئ المحدث الفقيه الشافعي الحافظ العدل ، ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقرأ القراءات الكثيرة على أبي الحسن علي بن المظفر الخطيب وأبي الفتح نصر ابن الكيال وعوض بن ابراهيم المراتبي وأبي بكر الباقلائي ، وجماعة . وسمع من أبي طالب الكتاني ، وهبة الله بن قسام ، وعبيد الله بن شاتيل ، ونصر الله القزاز ، وأبي العلاء ابن عقيل ، وعبد المنعم الفراوى ، وخلق كثير في القراءات والحديث . وصنف تاريخ بغداد وتاريخ واسط . وله خبرة تامة بالعربية والشعر وأيام الناس . تصدر للأقراء والتحدث ، روى عنه زكي الدين البرزالي وأبو الحسن علي بن محمد الكازروني وعزالدين الفاروقى وجمال الدين الشريشى وتاج الدين علي الغرافي وآخرون وأضر بأخرة وتوفي ببغداد في ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستمئة وقرأ عليه بالمشعر عبد الصمد (ابن ابي الجيش) . ا ه .

وقد ولي ابن الديلمي النظر في أوقاف المدرسة النظامية ببغداد ، ذكر ذلك هو

(١) نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ذات الرقم « ٢٠٨٤ » في الورقة ١٩٢

نفسه في ترجمة أبي البركات محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسن ابن أبي الحديد المذائني^(١) قال : « وأبو البركات هذا كان كاتباً ذكياً فهما ، تولى عدة أشغال تتعلق بخدمة المخزن المعمور ، وكان معنا بالمدرسة النظامية أيام نظرنا في أوقافها ، وذكر أنه درس على مجير الدين الواسطي الشافعي .

وذكر المذدري له ابناً اسمه « أبو المعالي شعبة » توفي سنة ٦٤٠ هـ ، ذكره زكي الدين المذدري في وفيات هذه السنة قال : « وفي السادس عشر من جمادى الأولى توفي الشيخ أبو المعالي شعبة ابن الحافظ أبي عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى بن الديبشي الواسطي الأصل البغدادي الدار ، سمع بإفادة أبيه من أبي القاسم يحيى بن أسعد ابن بوش وأبي الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن كليب وغيرهما ببغداد وواسط . ولكن ابن الديبشي نفسه ذكر في ترجمة ابن كليب أن اسم ابنه سعيد ، فلعل الذي جاء في التكملة من غلط الناسخ .

واشتهر في زمانه ابن عمه « عميد الدين أبو العباس أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمد ابن الديبشي الواسطي الأديب البيع » ذكره ابن الفوطي^(٢) قال « ذكره محب الدين أبو عبدالله ابن النجار في تأريخه وقال : كان من أعيان أهل بلده حشمة وتمولا ، وله معرفة بالأدب ، وهو ابن عم الحافظ جمال الدين أبي عبدالله محمد بن سعيد بن الديبشي ، قدم بغداد مرات وروى بها شيئاً من شعره ، وكان قد ضمن البيع بواسط ، وظلم الناس ، وصودر ، ومقتله الناس .

ومن شعره :

يروم صبرا وفرط الوجد يمنعه وسلوة ودواعي الشوق تردعه
وهي قصيدة طويلة . وتوفي في واسط في جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين
وستمائة ، وذكر أن مولده بها سنة « ٥٥٨ » ، وله ذكر في كتب أخرى .

مصطفى جواد

(١) نسخة دار الكتب الوطنية ببائيس ذات الرقم ٥٩٢١ ، والورقة ٥٧ ظ و ١٥٨ و .

(٢) مجمع الألقاب « م ٤ ص ١٣٦ » من نسختنا . وذكره ابن شاکر الكتبي في فوات الوفيات « ١ : ٣٤ » ومؤلف شذرات الذهب « ٤ : ١٨٢ » ولكنه غلط في تاريخ وفاته غلطاً فظيحاً بأن جعل تاريخ ميلاده تاريخاً لموته ، أي سنة ٥٥٨ هـ ، وهجاء على ابن مقرب العيوني هجواً أقذع فيه كما ورد في ديوانه ، وترجمه ابن كثير في البداية والنهاية . والظاهر أنه الذي ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « ج ٣ ص ٤٠ » .

جمهرة النسب لابن الكلبي

بين المؤلفات المئة والواحد والأربعين المنسوبة الى هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة^(١) ، مؤلف مهم في علم النسب يقال له « جمهرة النسب » أو « جمهرة الانساب » أو « الجمهرة في النسب » أو « النسب الكبير »^(٢) ، هو على ما يعلم أول كتاب وضع بهذا الاسم^(٣) . وقد اعتمد عليه النسابون ، فأخذوا منه ، واقتبس منه من جاء بعد مؤلفه . ومع ذلك فقد عدا الدهر عليه ، وحجب نسخه الاصلية عن أعين المشوقين بلهفة شديدة اليه ، وظل رهن الغيب حتى الآن . وقد بذل المستشرقون مجهودا يقدر للبحث عنه ، وما زالوا يجدون في الحصول على الرواية الاصلية للكتاب ، لشرة واتحاف القراء به . وما كان أشد فرح العلماء حين أعلن بعض العلماء بآ العثور على نسخة منه ، غير أنه تبين بعد ذلك أن الاعلان بذلك كان سابقا لأوانه ، وأن نسخة ابن الكلبي لا تزال في طي الخفاء .

وفي المتحف البريطاني مخطوطة في النسب يقال لها « جمهرة النسب » رقمها في سجلها « Add. 23297 » ظن أنها جمهرة ابن الكلبي ، كتبت بخط جميل واضح شبيه بخط ياقوت المستعصمي ، ونسخ أخرى وصفها « بروكلمن » في دائرة المعارف الاسلامية بأنها سقيمة لا أهمية كبيرة لها ، ويعتقد أنها منقولة عن مخطوطة باريس^(٤) ، وأنها الجزء الثاني ، ولكنها ناقصة لا تفي بالحاجة ، وإن كان لابد من الاستعانة بها عند الشروع في نشر الكتاب . وفي خزانة كتب الاسكوريال بمدريد نسخة ثالثة رقمها في سجلها « AZ, 698 » ، جاء في مطلعها : « قال هشام بن محمد الكلبي : ولد ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان أسدا ... » وفي آخرها : « وهو آخر كتاب نسب معد واليمن الكبير » . وتاريخ الكتابة سنة ٦٢٦ هـ « ١٢٢٩ م » ، وهي أقدم من مخطوطة المتحف البريطاني ذات

(١) ترجمته وأسماء كتبه في كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » للمستشرق « بروكلمن » ١/ ١٣٩ ، وفي ملحقه ١/ ٢١١ وما يليها ، وفي دائرة المعارف الاسلامية في مادة « ابن الكلبي » .

(٢) Brockelmann, Suppl. Vol, 1 P, 211

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم مع مقدمة المستشرق « ليفي بروفنسال » ص ٥ ، طبعة دار المعارف بالقاهرة .

(٤) Codd. MSS. Brit. Pars. II. No. 915

الرقم « Add. 23247 » بربع قرن تقريبا ، وتقع في ٢٦٥ ورقة ، وفي كل صفحة ١٧ سطرا^(١) . وهي كما يرى من مطالعها جزء متمم لمخطوطة المتحف البريطاني ، ولذلك كانت لها أهمية خاصة ؛ لأنها الجزء الثاني المنقود من الكتاب .

فأما مخطوطة باريس التي أشرنا إليها ، فهي من رقوق ، طول الرق الواحد منها ٢٢ سنتيمترا وعرضه ٢٩ سنتيمترا ونصف ، وفي كل رق منها ١٣ الى ١٥ سطرا ، وتألف من ١٣ ورقة محفوظة في دار الكتب الأهلية بمدينة باريس بخط كوفي مشابه لما كان شائعا في أواخر القرن الثاني من الهجرة^(٢) . ورقم هذه القطعة هو « ٢٠٤٧ » كما جاء في الجزء الثاني من فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في دار الكتب الأهلية ، تنظيم البارون دي سلان « Baron de Slane » .

وليس في استطاعتي أن أتحدث عن نسخة باريس ، لايجاز « البارون دي سلان » الكلام عليها ، ولأنها ليس لها صورة فوتغرافية عندي ، حتى أتمكن من دراستها والبت في أمرها ، فلعلمها جزء من نسخة ابن الكلبي الأصلية ، أو من نسخة السكري ، أو جزء من كتاب « الجبهة في النسب » لأبي الفرج الأصبهاني^(٣) صاحب كتاب الأغاني . فأما ما ذهب إليه « بروكلمن » في « دائرة المعارف الإسلامية »^(٤) من أن نسخة باريس نسخة مركزة يعود تاريخها الى سنة ٤٦٥ ، وأنها رواية السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي غير أن فيها زيادات أخذت من كتب ابن الأعرابي ومن مصادر أخرى^(٥) ، فهو رأي لا أستطيع أن أثبت ، ولا أن أنفيه ؛ لما تقدم من أسباب . ولكن يظهر من إشارة « بروكلمن » الى الرقم ٢٠٤٧ وهو رقم الأوراق التي تحدثت عنها ، أنه أياها

(١) راجع الوصف في ٢١٥/٣ من فهرس المخطوطات العربية بالأسكوريال

سنة ١٩٢٩ رقم ١٦٩٨

Cassiri, Bibl. arabico-hispana, No. 193.

(٢) كتاب الأصنام ، مقدمة أحمد زكي باشا « ص ٢٠ » .

(٣) راجع ارشاد الأريب ٦٠/١ ، و ١٥٢/٥ ، والذريعة الى تصانيف الشيعة

١٤٧/٥ .

Fnev. of Islam Vol, 2 P. 689 (٤)

(٥) ابن الأعرابي : أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي . كان له مجلس يحضره زهاء مئة انسان ، ويقرأ عليه فيه فيجيب من غير كتاب . لازمه ثعلب . ومات بسر من رأى سنة ٢٣١ . أمل على الناس ما يحمل على جمال . الفهرست ص ١٠٢ ، تاريخ بغداد للخطيب ٢٨٢/٥-٢٨٥ . ارشاد الأريب ٥/٧ وما يليها . مرآة الجنان للياقعي ١٠٦/٢ البغية للسيوطي ص ٤٢ . وتجد عناوين الكتب المضمومة اليه في كتاب « تاريخ آداب اللغة العربية » لبروكلمن ١٩/١ ، ٤١ ، ٥٦ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، وملحقه ١٧٩/١ .

عنى • ولما كان البارون المذكور قد أن ظهورها كان فى أواخر القرن الثانى للهجرة ، مستدلا بشكل الخط الذى يعود الى هذا العهد ، وجب أن تكون هذه النسخة قد كتبت فى حياة ابن الكلبي مؤلف « جهرة النسب » ، وهذا يخالف رأى « بروكلمن » ، اللهم الا اذا كان قد عنى مخطوطة أخرى فى دار الكتب الأهلية بباريس ، لها غير هذا الرقم ، أو كان البارون قد أساء التقدير ، فان « بروكلمن » قد وجد عليها أو فى أثنائها تاريخ الكتابة ، وهو سنة ١٤٦٥هـ وقرأها بانعام نظر ، وتبع أمرها فوجد أنها رواية السكرى مع زيادات قليلة • وكنت أمل أن يتطرق « ليفى بروفنسال » ، أستاذ اللغة والحضارة العربية فى السربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية فى جامعة باريس ، الى هذه النسخة فى مقدمته لكتاب « جهرة أنساب العرب » لابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦هـ ، الذى نشره فى العام الماضى بالقاهرة بغاية « دار المعارف » بالقاهرة ، وذلك لولعه بجمهرة ابن الكلبي ، ولقربه منه ، ولحنه العلماء على طبع تلك الجمهرة ؛ ولأن فى أقdamه على طبع « جهرة » ابن حزم ما يحفز به الى البحث فى مخطوطة بباريس وتعيين حقيقتها ، ولكنه خيب - يا أسفا ! - أملى • والذى يقرأ قوله : « وقد وصلنا مخطوطان من جهرة ابن الكلبي ، أحدهما حسن محفوظ بالمتحف البريطانى تحت عدد « Add. 23297 » ، والثانى دون المتوسط محفوظ بمكتبة الأسكوريال بإسبانيا » عدد Az. 1698 ^(١) » ، يفهم منه أن الأستاذ لم يطلع على مخطوطة بباريس ذات الرقم « ٢٠٤٧ » ، والأشار إليها ، ونعل العجلة قد أنسته تلك المخطوطة فلم يشر إليها • وأيا كان الأمر ، فالهم فى نظرى تعيين حقيقتها والكتابة فى وصفها ، اذ لم يتيسر لى الحصول على نسخة فوتغرافية منها •

وقد طلب (المجمع العلمى العراقى) من ادارة دار الكتب الأهلية بباريس أن تصور له نسخة منها فوتغرافية ، فلم تحقق له هذه الرغبة • فقد وضع جماعة من رجال الادارة فيها عوائق كبيرة دون تصوير المخطوطات العربية ، لأسباب لانعرفها ، ويعرفها أولئك الرجال ، ولكنها لا تتفق على كل حال مع الواجب العلمى الذى أنشئت من أجله دار الكتب هذه وأمثالها • وذلك يدعوننا فى هذا الموقف الى الموازنة بين هذه المعاملة والتسهيلات الكبيرة ، والخدمات العلمية الجليلة التى تقوم بها ادارة المتحف البريطانى بلندن عند تقديم مثل هذه الطلبات إليها •

وقد اهتم الميثشرقون بأمر كتاب « جهرة النسب » لابن الكلبي ، فلما طرق سمع المشرق « بيكر » C.H. Becker وجود نسخة منه بإسبانيا يخزانة الأسكوريال ،

ذهب الى هناك ، ليتوفر بنفسه على نسخها ، وليهتم بطبعها بما تستحقه من العناية ، ولكنه تحقق ، بعد دراسة عميقة ، أن الكتاب ليس لابن الكلبي ، وانما هو خلاصة وجيزة له ، وأنه فوق ذلك مبثوث ومشحون بالغلط الذي يرتكبه النساخون ، وأنه لا يصلح للطبع على هذا الشكل^(١) .

وكتب المستشرق « فريتس كرنكو » « F. Krenkow » في المجلة الآسيوية تعليقا على ما نشره « بولس ساباط » في جريدة المقطم عن الجمهرة ، ذهب فيه الى أن الكتاب ليس بالنسخة الأصلية للجمهرة . وانما هو من رواية محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥ وعمله^(٢) . وكان زاوية ابن الكلبي والمقرب اليه ، الا أنه استند الى جمهرة ابن الكلبي - كما هو معروف .

وفي سنة ١٩٣١ م أوضح المستشرق الايطالي « ليفي دلافيدا » لأعضاء مؤتمر الشرقين الأسمى الثامن عشر رغبته في نشر « جمهرة الانساب » لابن الكلبي ، وأعلن أنه بعد انعام النظر وجد أن نسخة لندن ونسخة الاسكوريال تكمل احدهما الأخرى ، وأنها ليست رواية موجزة للأصل كما يظن ، بل هما تنقلان الرواية التامة المعزوة الى الأديب الشهير محمد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥^(٣) ، وذهب الى هذا الرأي نفسه « ليفي بروفسال » في مقدمته التي وضعها لكتاب « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم .

ويخيل الى أن المستشرقين لم يقرأوا هذه المخطوطات بتدقيق نظر ، ولم يتصفحوها ولا تأثروا سطرها سطرًا . وقد قرأت الصورة الفوتغرافية لمخطوطة المتحف البريطاني التي استجلبها (المجمع العلمي العراقي) ، وتقع في « ٢٦٠ » ورقة ، في كل ورقة منها صفحتان متقابلتان ، فوجدت مخطوطة المتحف البريطاني ليست بالنسخة الأصلية لرواية محمد بن حبيب ، وانما هي رواية راويته وتلميذه أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة . وكان من مشاهير علماء اللغة والنحو والأخبار والأدب ، ومن الجامعين للكتب الحريصين على استنساخها . وهذه الصفحات هي الجزء الأول من الكتاب . فاما الأجزاء الأخرى ، فناقصة ، ولم يستطع المتحف

(١) كتاب الأصنام ، المقدمة « ص ٢٠ - ٢١ » .

Becker. ZDMG. 1902. P, 796-799.

(٢) المقطم تأريخ ٧-٤-١٩٢٥م .

Krenkow. JRAS. 1925, P, 507. Brockelmann Suppl. 1. P, 212.

(٣) مقدمة ليفي بروفسال على جمهرة ابن حزم « ص ٦ » .

البريطاني الثور عليها حتى الآن^(١) .

واستهل الصفحة الأولى من مخطوطة المتحف البريطاني بهذه المقدمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه التوفيق »

أخبرنا محمد بن حبيب ، عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انتهى في النسب إلى معد بن عدنان أمسك ، ثم قال : كذب النسابون . قال الله جل ثناؤه (وقريونا بين ذلك كثيرا) . قال ابن عباس : ولو شاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يعلمه لعلمه . وقال : « بين معد بن عدنان واسماعيل ثلاثون أباً^(٢) » .

وكانت خاتمة الصفحة الأخيرة هذه الجمل :

آخر الجزء الأول من الجمهرة في

النسب ، ويتلوه في أول الجزء الثاني بعون الله : وولد الخزرج بن حارثة .

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا النبي وآله الطيبين الطاهرين وسلم ، فرغ منه على بن حسن بن معالي المعروف والده بابن الباقلاوي^(٣) الخلى التحوى في رجب من سنة ثلاث وخمسين وست مئة » .

فالمخطوطة من خط « على بن حسن بن معالي الباقلاوي » فرغ منها كاتبها في شهر رجب من سنة ٦٥٣ هـ ، والكاتب عالم أديب ، ابن عالم أديب . ولد سنة ٦٠٦ هـ ، وتوفي سنة ٦٨٢ هـ أو ٦٨٣ للهجرة . وكان كاتبه من علماء النحو واللغة ، ومن الشعراء المعروفين ، وله شعر كثير ، وكان أيضاً من المولعين بنسخ الكتب ، فاستنسخ بخط يده كثيراً من المخطوطات . ذكره ابن الفوطي في كتابه « معجم الألقاب »^(٤) . وقد قام بتحقيق الجزء الرابع منه صديقي الفاضل الدكتور مصطفى جواد ، وهياها للطبع ، وكان قد نشر الجزء الخامس منه الفاضل « مولوى عبدالقدوس » في مجلة « اورينتال كوليج مكرين » = « مجلة الكلية الشرقية » التي تصدر في جامعة عليكرة بلاهور . وأثنى عليه ابن الفوطي ، وقال : « انه رآه » ، وكتب له من أشعاره كراسة ، وأنه كتب شعره في كتابه « نظم الدرر الناصعة » في شعراء المئة السابعة . « ونوه به شمس

(١) راجع الصفحة الأخيرة من المخطوطة .

(٢) مخطوطة لندن ، الورقة الأولى .

(٣) وورد « ابن الباقلاوي » .

(٤) الجزء الرابع بحسب تقسيم المؤلف . « تلخيص مجمع الآداب » المرتب على

معجم الأسماء والألقاب » وقد قرر المجمع العلمي العراقي طبع تحقيق الدكتور مصطفى جواد بنفقته .

الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة في كتابه « تاريخ الاسلام » ، في حوادث سنة ٦٨٣ • وقد أعطاني ماورد في « حسن بن علي البافلاني » في « مجمع الاقلام » و « تاريخ الاسلام » صديقي الدكتور المذكور • أما والده ، فهو الحسن بن معالي بن مسعود بن الحسين البافلاني الحلبي المولود سنة ٥٦٨ المتوفى سنة ٦٣٧ للهجرة • وكان من علماء زمانه بالنحو واللغة • قال عنه السيوطي : انه كان « شيخ العربية في وقته ببغداد »^(١) ، قرأ النحو على كبار العلماء في وقته ، مثل : أبي البقاء العكبري^(٢) ، ومصطفى النواصي^(٣) ، وأبي الحسن بابويه^(٤) • وأخذ اللغة من أبي محمد بن المأمون^(٥) ، والفقه عن يوسف بن اسماعيل الدامغاني ، وقرأ الحكمة والفلسفة على نصير الدين الطوسي الحنفي^(٦) ، والحديث على أبي الفرج بن كليب ، حتى صار من كبار علماء بغداد في النحو وعلم الكلام ، وكان حريصا على استنساخ المخطوطات ، فخط يده عددا كبيرا منها ، وقد لقيه ياقوت الحموي سنة ٦٠٣ ببغداد^(٧) ، وعز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد المتوفى سنة ٦٥٦ للهجرة في دار صفى الدين محمد بن معد العلوي ببغداد^(٨) • وترجمه القفطي^(٩) •

فالمخطوطة اذن مخطوطة ثمينة كتبها رجل عالم بما يكتب ومتخصص بعلم الانساب ،

(١) بغية انواعة ص ٢٣٠ •

(٢) محب الدين أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري • ولد سنة ٥٣٨ ، وتوفى سنة ٦١٦ للهجرة (راجع نكت الهميان ١٧٨ • والبغية ص ٢٨١ ، والشذرات ٦٧/٥ ، والملاحق لبروكلمن ٤٩٦/١) •

(٣) مصدق بن شبيب ولد سنة ٥٣٥ وتوفى سنة ٦٠٥ « البغية ٣٩١ » •

(٤) « البغية ٢٣٠ » •

(٥) أحمد بن علي بن هبة الله بن الحسن المعروف بابن المأمون ، ولد سنة ٥٠٩

وتوفى سنة ٥٨٠ « البغية ١٥١ ، ٢٣٠ » •

(٦) « البغية ٢٣٠ » •

(٧) البغية ٢٣٠ ، ارشاد الاريب ٣/٤ ، أعطاني الدكتور ترجمته من كتاب

« الحوادث الجامعة » لابن الفوطي ، ولم يكن لدى ، جاء ذكره في ص ١٣٧ من حوادث سنة ٦٣٧ هـ • وذكر لي أنه مترجم في طبقات الحنفية لموسوم بالجواهر المضية لمحيي الدين القرشي « ج ١ ص ٢٠٥ » وذلك يدل على أنه كان حنفيا • وأشار القرشي الى أنه نقل ترجمته من تاريخ بغداد لابن النجار البغدادي •

(٨) شرح نهج البلاغة ١٩٢/٣ ، أشار الى ذلك الدكتور مصطفى جواد محقق

« الجواهر الجامعة » ، وكذلك السيد مجسن الأمين في كتابه « أعيان الشيعة » ٣٠٤/٢٣ •

(٩) أعيان الشيعة ٣٠٤/٣٢ •

كان من الهوين لكتابة الكتب ، كتبها عن نسخة أخرى بعد وفاة والده بستين . ولهذه الاعتبارات أهمية كبيرة كما هو بين .

لقد تبين لى من مطالعة مخطوطة المتحف البريطانى أنها ليست جمهرة ابن الكلبي رواية محمد بن حبيب كما ذهب الى ذلك المستشرقان « ليفى ديلافيدا » و « ليفى بروفنسال » ، بل هي جمهرة ابن الكلبي مضافا اليها أشياء لم ترد في الجمهرة ، وقد ذكر ذلك جامع المخطوطة في مواضع متعددة منها ، جاء في الورقة ٧٥ ب « الربائع من غير كتاب الكلبي » ، وجاء في السطر الأول من الورقة ٩٣ ب « هكذا قال الكلبي » ، وجاء في آخر هذه الورقة : « ليس هذا عن الكلبي » ، ثم عاد في الورقة التالية لتلك أى ورقة ٩٤ فقال : « رجع الى الكلبي » وجاء في السطر السادس من الورقة ٢١٨ « لم يعرفهما ابن الكلبي » قال أبو جعفر : وقال مرة أخرى وقد صح « ، وورد في الورقة ٢٥٢ ب « فدخل فيهم ابن أحيحة في قول ابن الكلبي . وأما ولده ، فقالوا » . وتدل كل هذه المواضع ومواضع أخرى على أن هذه المخطوطة ليست النسخة الأصلية للجمهرة ، وإنما هي الجمهرة مضافا اليها شروح وزيادات لم ترد في الجمهرة وأن الجامع لها رجل آخر غير ابن الكلبي .

أما راوى الكتاب ، فهو أحد رواة محمد بن حبيب ، لا محمد بن حبيب نفسه كما ذهب اليه المستشرقون « كرنكو » ، و « ليفى ديلافيدا » ، و « ليفى بروفنسال » . وقد نص على ذلك بوضوح في مواضع كثيرة من الكتاب : جاء في الورقة الأولى « أخبرنا محمد بن حبيب ، عن هشام بن محمد » ، وجاء في الورقة « ١٩٣ » : « حدثنا محمد بن حبيب ، قال : أخبرنا هشام بن الكلبي » ، وقد تكرر ورود هاتين الجملتين في مواضع كثيرة من الكتاب . ولو كان الكتاب رواية محمد بن حبيب ما استعملت صيغة « أخبرنا » و « حدثنا » التي تنبئ أن المتحدث رجل آخر روى عن ابن حبيب . وجاء في الورقة ١١٨ ب بالسطر ١١ : « هؤلاء المقتربات من بنات هاشم » من كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي « وفي الورقة ١١٩ ب سطر ١٤ : « جمهرة نسب قيس عيلان بن مضر » عن ابن الكلبي ، عن كتاب ابن حبيب . ويفهم من هذين الموضعين أيضا أن راوى الكتاب هو رجل آخر أخذ من كتاب ابن حبيب . فمن يكون هذا الرجل الذى روى عن محمد بن حبيب ؟

هذا الرجل هو أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري المتوفى سنة ٢٧٥ للهجرة^(١) . كان من مشاهير علماء اللغة والنحو والأدب والانساب ، كما كان من

(١) ولد سنة ٢١٢ للهجرة . وقيل : توفي سنة ٢٩٠ للهجرة . راجع تاريخ بغداد للخطيب ٤/ ٢٩٦ ، والادب شيعة : لياقوت ٦٢/ ٣ ، والبغية ٢٠٨ ، والفهرست ١١٧ ، والامدى : المؤلف ١٤٨ ، بروكلمن : الملحق ١٦٨/١ .

المشهورين بجمع الكتب ، ومن النساخين المعدودين ، وقد مدحه السيوطي فقال فيه انه « كان ثقة صدوقا يقرأ القرآن وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظائره ، وكان اذا جمع جمعا فهو الغاية في الاستيعاب والكرة ، وصنف :

- ١ - النقاظ ٢ - النبات ٣ - المناهل والقرى ٤ - الوحوش ٥ - الاثبات السائرة
- ٦ - السيرة ٧ - كتاب الشعراء المعروفين بأسمائهم . وقد أشار اليه أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدي المتوفى سنة ٣٩٠ في كتابه المؤلف والمختلف ^(١) ٨ - جامع شعر النعمان بن بشير ٩ - كتاب من قال بيتا فلقب به ١٠ - كتاب اللصوص ١١ - كتاب أشعار هذيل .

وجمع شعر جماعة من الشعراء منهم امرؤ القيس ، والناقة الذيباني ، والقطامي ، والجدى ، وزهير ، وليد . وعمل من أشعار القبائل شعر بني هذيل ، وبني شيان ، وبني يربوع ، وبني ضبة والأزد ، وبني نهشل وتغلب ، وغيرهم ^(٢) .

كان السكري من مشاهير رجال المدرسة البصرية ، وكان من رواة محمد بن حبيب ، روى عنه أكثر كتبه ، ومنها هذا الكتاب الذى تتحدث عنه ، وروى عن المؤرخ البصرى الشهير عمر بن شبة النميرى المتوفى سنة ٢٦٢ للهجرة ^(٣) من علماء البصرة بالنحو والأخبار والأدب ، وهو صاحب مؤلفات كثيرة ، وكان من مشايخ الطبرى ، وقد استعان بمؤلفاته فى تأريخه ولا سيما فى أخبار مدينة البصرة ، أخذها من كتابه « أخبار البصرة » . وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التآريخي كما سمع نفرا آخرين من العلماء ، منهم : يحيى بن معين ، وأبو حاتم السجستاني ، وأبو الفضل العباس بن فرج الرياشي المتوفى سنة ٢٥٧ للهجرة .

وقد ورد اسم السكري صراحة فى مواضع من الكتاب ، جاء فى حاشية الورقة ٢٤٢ : « قال السكري : قال ابن حبيب : حفظى حصان » ، وهو تعليق على أبيات ورد فيها اسم « بنو حمضان » . وجاء فى السطر السابع من الورقة (٢٤٦) : « هؤلاء بنو أياد بن نزار بن معد . كان فى النسخة التى نقلت منها آخر الجزء الخامس من أجزاء أبي سعيد السكري التى بخطه وتصحيحه » ، وذكر اسمه فى الورقة (٢٤٧) جاء فيها : « آخر المجلد الخامس وبخطه على ظهر السادس من المجلدات أعنى أبا سعيد السكري ،

(١) المؤلف والمختلف طبع بتحقيق « كرنكو » القاهرة سنة ١٣٥٤ راجع ص ١٤٨ ، ١٤٩ ومواضيع أخرى .

(٢) ياقوت : الارشاد ٦٤/٣ ، الفهرست ١١٧ .

(٣) وقيل : ٢٦٤ للهجرة . راجع : البنية ٣٦١ ، ابن حجر : التهذيب ٤٦٠/٧ ، ياقوت : الارشاد ٤٨١/٦ .

توفى محمد بن حبيب يوم الخميس لسبع بقين من ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومثني
بسر من رأى . توفى يعقوب بن السكيت يوم الأحد في رجب سنة ثلاث وأربعين
ومايتين ، توفى المازني سنة ثمان وأربعين ومثني ، توفى الزبادي سنة تسع
وأربعين ومثني . وبخطه على بن نصر بن علي بن نصر بن صهبان بن

يظهر من هذه المواضع ومن أماكن أخرى أن راوي الجمهرة هو أبو سعيد
السكري ، وأن النسخة التي تحدث عنها قد نقلت اما عن هذه النسخة نفسها واما عن
نسخة أخرى مستسخة عن نسخة السكري ، ويظهر أيضا أن الكتاب يتألف من عدة
أجزاء ، وأن السكري كان قد علق عليها تعليقات مختلفة لا علاقة لها بالثن ، غير أن
الناسخ أدخلها في الأصل فأصبحت غريبة نائية يمكن استخراجها من الأصل ، مثل
ما جاء في السطر السابع من الورقة (٢٤٦) : « هؤلاء بنو أياد بن نزار بن معد » ، فحن
بازاء تعليقات مختلفة يظهر أنها خطرت على بال السكري فدونها في آخر الجزء الخامس
وعلى ظهير الجزء السادس فأدخلت في متن الجمهرة . اتنا نجد نسب أحمد بن أبي د.اد ،
ويليه أسماء مساجد أولها مسجد بني غبر بن غنم ، ثم تنتقل فجأة في الورقة ٢٤٦ ب الى
التحدث عن حروف المسند وأشكنا منقولة من كتاب ابن خرداذبه . ظهرت هذه
التعليقات في القسم الأخير من الكتاب . فأما القسم الأعظم منه ، وهو الصفحات
المقدمة على الورقة ٢٤٠ ، فانه مستقيم ، وللتعليقات والشروح مكان فيه ، كما أنه لم
يُطرق فيه الى ذكر الاقسام ، كأن يقال « آخر الجزء الأول » ، أو « آخر الجزء الثاني »
وهكذا ، بل تذكر فيه الأنساب جمهرة جمهرة بانتظام ، وأظن أن هذه التعليقات التي
أدخلت على آخر الكتاب انما أضيفت على سبيل الاستدكار فأصبحت كأنها من الأصل .
واذ كانت الصفحة الأخيرة من الكتاب قد أشارت الى أن هذا القسم هو الجزء
الأول منه ، ثم يليه الجزء الثاني ، نرى أن الكتاب كان يتألف من عدة أجزاء ، وقد
أخبرتني ادارة المتحف البريطاني أنه كان يتألف من خمسة أجزاء . والظاهر أنه كان
يتألف من ستة أجزاء كما أشير اليه في تضايف الكتاب .

وتقابل نهاية هذا الجزء الذي تحدث عنه ، وقلنا : ان راويه هو السكري ،
لا محمد بن حبيب ، الصفحة « ٦٧ » من مخطوطة ذات أهمية كبيرة بالنسبة لكتائنا ،
وهي في الأنساب كذلك ، أعنى بها « المقنضب من كتاب جمهرة النسب » لياقوت
الحموي ، فهي اختصار لأصل « جمهرة النسب لابن الكلبي » . وتوجد للمقنضب

نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية^(١) وقد أخذنا عنها صورة فوتوغرافية (للمجمع العلمي العراقي) فحفظت في خزانته برقم ٦٣/م ، وهي النسخة التي اعتمدت عليها في مقال هذا ، وتقع في « ١١٧ » ورقة . وعلى هذا تكون عدة الأوراق البالغة « ٢٦٠ » ورقة التي تؤولف مخطوطة المتحف البريطاني نصف مادة النسب الواردة في « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » . وأما النصف الباقي ، وهو في نسب القحطانيين ولم يعثر على نسخ أخرى منه حتى الآن ، فهو غير النسخة المحفوظة بالأسكوريال التي يظن أنها الجزء الثاني من الكتاب ، وإنما يجب أن يكون أوسع حجما من الجزء الأول ، لكونه خاصا بالقحطانيين الذين ينتمي اليهم ابن الكلبي ، ولما عرف عنه من التوسع في أخبارهم والافاضة في ذكر حوادثهم ولو أدا ذلك الى الاقتمال والوضع وتهويل الحوادث عصبية منه لليمانيين .

وتألف مخطوطة « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » من جزئين ينتهي الجزء الأول منهما بالورقة « ٤٥ » ، وآخره « ولد كليب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » . ويبدأ الجزء الثاني منه بولد هلال بن عامر بن صعصعة ، وينتهي بنسب « الهان بن مالك أخي همدان » . وبهذا النسب ينهي ياقوت نسب آل قحطان .

وذكر أحمد زكي باشا ، رحمه الله ، في مقدمته لكتاب الاصلنام أن المستشرق الألماني « بكر » Becker المعروف ، صاحب كتاب « دراسات اسلامية »^(٢) ، يظن أن مخطوطة « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » لياقوت الحموي ليست هي المقتضب ؛ لأن الترتيب فيها مخالف للذي في كتاب الفهرست وللوارد في النسخة التي رآها في الاندلس وشرح أحوالها^(٣) . ولست في وضع أستطيع معه ابداء رأى فيما كتبه المستشرق ؛ لأن المجلة التي نشر فيها رأيد ، وهي « مجلة الجمعية الألمانية الشرقية » ZDMG ، لا توجد في العراق في الوقت الحاضر ، غير أنني أستطيع أن أقول : انه ان كان هذا الرأى هو رأى المستشرق بيكر فهو رأى لا يستند الى أساس أبدا بالنسبة لمخطوطة المتحف البريطاني ، فقد أخذت المخطوطتين : مخطوطة المتحف البريطاني ، ومخطوطة « المقتضب » لياقوت ، وقابلت بينهما من أول صفحة الى آخر صفحة ، فوجدت اتفاقا تاما في الترتيب والتبويب وزيادات وتعليقات في المخطوطة البريطانية

(١) وهي محفوظة تحت رقم ٧٥٣٥ عمومية ، وتحت رقم ١٠٥ تاريخ . فهرست الكتب العربية التي بدار الكتب المصرية ص ٣٥٥ > ٥ رقم ٢٧٨٥ . ١٠٥ م .

Islam Studien. 2 Vol. (٢)

(٣) مقدمة أحمد زكي باشا لكتاب الاصلنام ص ٢١ حاشية ٢ .

ليست من صلب المتن ، أدخلها السكري من كتب ابن حبيب ومن كتب أخرى ، وحواشي تعرف بسرعة أن صاحبها السكري نفسه ، وذلك مما يدل على أن «المقتضب» هو اقتضاب في الواقع للمتن الأصلي « لجمهرة النسب » لابن الكلبي ، وليست فيه مخالفة في الترتيب والتبويب لجمهرة ابن الكلبي . وقد سبق أن قلت : أن مخطوطة المتحف البريطاني هي متن مخطوطة « جمهرة النسب » لابن الكلبي مضافا إليها زيادات وحواش ليست كثيرة دون إحداث تغيير في المتن .

و «المقتضب في جمهرة النسب» هو اذن جمهرة ابن الكلبي بصورة موجزة ، وقد اقتصر ياقوت على أصول الأنساب ، وترك الفروع والتفاصيل والشروح ، ولذلك لا نجد بدا من الاستعانة بهذا النموذج على احياء كتاب « جمهرة ابن الكلبي » الذي أصبح من الممكن احيائه في زماننا بانقابلة بين النسخ المختلفة ومقتضب ياقوت وكتب الأنساب والأخبار التي نقلت كثيرا من جمهرة ابن الكلبي .

ولا بد لاحياء جمهرة ابن الكلبي من الاستعانة بكتب أخرى نقلت من النسخة الأصلية للجمهرة ، مثل : « كتاب الاشتقاق » لابن دريد المتوفى ٣٢١ للهجرة ، وهو في الأنساب وقد طبعه المستشرق « وستفلد^(١) » ، و « كتاب الاصابة في تمييز الصحابة » لابن حجر العسقلاني ، و « شرح نهج البلاغة » لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد^(٢) ، ومؤلفات أخرى .

ومن المفيد الاستعانة بكتب الأنساب المعروفة ، مثل كتاب « جمهرة أنساب قريش » أو « الجمهرة في نسب قريش » أو « كتاب نسب قريش » لأبي عبدالله مصعب بن عبدالله بن ثابت بن عبدالله بن الزبير الزبيري المتوفى سنة ٢٣٣ للهجرة ، ومنه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني رقمها « Or. 11336 » ، حصل (المجمع العلمي العراقي) على صورة فوتوغرافية منها حفظت في خزائنه برقم ٦٨/م . وقد اعتمد عليه ابن أبي الحديد كثيرا في شرحه لنهج البلاغة ، وهو يتألف من « ١٢ » جزءا تضمنت نسب قريش ؛ وكتاب « جمهرة أنساب العرب » لأبي محمد علي ابن سعيد بن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ وقد طبعه المستشرق « ليفي بروفنسال » بعناية « دار المعارف بالقاهرة » ، ولقد وجدت في الطبعة غلطات لا تقتصر ، مثل قوله في ص « ٤١٠ » « آخر ملوك بني جعفر » ، والصواب أن هذه الدولة هي دولة « آل يعفر » ويقال لها الدولة اليعفرية لا الدولة الجعفرية ، فيجب أن يقال « آخر ملوك بني

(١) بمدينة كوتنكن (Göttingen) سنة ١٨٥٤ م .

(٢) ٢٦٤/١ ، ٥٢٩/٢ ، ٤٦٢/٣ ، ٤٧٠ .

يعفر « . وقال : « محمد بن علي الصلحي » ، وكان عليه أن يكتبه الصليحي ، وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات^(١) . وجاء في ص ٤٤٥ : « قتيلا همدان : حاشد وبكيل ابنا جشم بن خيوان بن نوفل بن همدان » ، وهذا خطأ وصوابه « ابن نوف » ، ومواضع أخرى ربما أذكرها في جزء آخر من المجلة .

وتد ذكر لي الأستاذ الفاضل السيد حمد الجاسر مفتش معارف الظهران بالملكة العربية السعودية أنه تتبع الكتاب فوجد فيه غلطات نقصانا بن مخطوطة لقاهرة ، وأراني نموذجا من ذلك كان لديه ، فقد ورد في مخطوطة القاهرة أسواق العرب في الجاهلية في الورقة ١٩٩ ولم يذكره « ليفي بروفسال » في طبعة لابن حزم ، وذلك مما يدل واضح الالة على أن المستشرق لم يكن دقيق النظر في الشر ، وأنه لم يقبل النسخ متبلة تامة^(٢) .

ونجد نماذج من كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي وردت في أثناء « ديوان الفضليات » لأبي العباس الفضل بن محمد الضبي ، شرح أبي محمد انقاسم بن محمد ابن بشر الانباري اندي اقبس كثيرا من كتب هشام بن الكلبي^(٣) في الأنساب وفي الأئمة مثل « يوم الرقم » فقد أخذ رواية هشام^(٤) . ويوم انكلاّب الأول^(٥) ، وفي تشعب القبائل وأخبارها^(٦) ، وغير ذلك . ويمكن أن نقول : ان قسما من كتاب ابن الكلبي قد نشر في شرح الفضليات . ونجد في هذا الكتاب زيادة على ذلك نماذج من رواية ابن حبيب في النسب تساعد من يريد تحقيق جمهرة ابن الكلبي واخراجها .

ميرزا علي

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/٤٦٥ .

(٢) نشر الفاضل السيد حمد الجاسر نقدا لتحقيق الأستاذ ليفي بروفسال « جمهرة أنساب العرب » بعنوان « نظرة في كتاب جمهرة أنساب العرب » في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الخامس والعشرين ، الجزء الثاني ، نيسان ١٩٥٠ ، ص ٢٤٧ فما بعدها .

(٣) ديوان الفضليات ، طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٠ ، بعناية « كارلوس لايل » . ص ١ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥ .

(٤) ص ٣٠-٣٤ .

(٥) ص ٤٢٧ فما بعدها .

(٦) ص ١١٤ .

المذكرات

تأليف الأستاذ العلامة محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق .
قوامها ٣ أجزاء عدد صفحاتها ٩٩٢ ، طبعت بمطبعة الترقى في دمشق ، الأول
والثاني منها في سنة ١٣٦٧ = ١٩٤٨ ، والثالث في سنة ١٣٦٨ = ١٩٤٩

مؤلف هذه المذكرات آرى عبقرى كسبت به العربية والاسلام فى هذا العصر خيرا
كثيرا : أخرس لسان الشعوبية ، وحسم باطل المضللين ، وحى حوزة الحق . ولد فى دمشق
حيث العروبة نابضة العرق والاسلام خفاق اللواء ، من أب كردى من مدينة السليمانية
وأُم تركية من قفقاسيا ، فاستهوت عقله بلاغة العربية ، واستولى على لبه جمال
الاسلام ، حتى فنى فى حبهما فناء انعاش فى معشوقه ، وخدمتهما بما تنوء به العصبية
أولو القوة . تعجب به راحلة العمر الآن نحو الثمانين ، وهو فى دؤوبه على خدمتهما
والتضح عنهما واعلاء شأنهما كما كان فى عفتوان شبابه : تدر عروقة نشاطا ، ويتوب
ذهنه قوة ، ويزكو عمله الدائب خصبا ونماء .

وقد أنفق بواكير حياته فى الدرس والتحصيل ومثاقفة العلماء والأدباء ، وكان من
أساتذته الشيخ طاهر الجزائري ، ومنزلته فى بلاد الشام كمنزلة الشيخ محمد عبده فى
الديار المصرية ومنزلة استاذنا العلامة السيد محمود شكرى الألوسى فى العراق . وصرف
كهولته وشيوخوته فى كل عمل مفيد لدينه ولغته ووطنه ، فعانى الصحافة مدة طويلة ،
والصحافة مختبر يعين على فهم الناس ومعرفة ألوان الحياة . وغامر فى ميادين السياسة
فأدركه التوفيق والحيلة وذاق الحلو والمر ، وأوقعته جرائته فى مآزق كثيرة نجا منها
بالهزائم الى مصر والحجاز ، ولكنها أسلمته الى ركوب المخاطر فى الصحارى ، ومعاشرة
أهل المدر والوبر ، وأكل جريش الخطئة وخبز الملة ، وشرب الماء الرنق والأسن ،
والنوم بالعراء . وتقلب فى مناصب كبيرة ، وكان أحد القلائل الذين أوصلهم فضلمهم
وبلاغتهم الى الوزارة ، وندر من وصل اليها بهاتين الوسيلتين فى بلاد العرب كافة فى
هذا العصر . ثم انصرف عن السياسة انصرافا تاما ، وآثر التفرغ للعلم والتأليف وهما
فى بلاده ، كما فى كل بيئة ضيقة ، حين شأنهما ، محصورة أجنحتهما ، فرفع بجهاده
لهما من شأنهما ، وطار بهما كل مطار . وقد رحل أربع رحلات الى بلاد الغرب يبحث

فى خزائن كتبها العظيمة عن الأصول التى تجلو حضارة العرب والاسلام فى معارضها الفاتنة ، ويدرس أحوال الشعوب الغربية وطبائعها وشؤون العمران والادارة ونظام الدولة عندها ليكسب بذلك علما ينقله الى وطنه فى طوره الجديد ، طور الانتقال والتجديد . وعمل على تنظيم دار الكتب بدمشق لتكون مرجعا ميسورا للباحثين ، وحث الناشئين على التعلم ، وشجهم ، وامتد تشجيعه الى كل من توسم فيه نبوغا من الشاميين وغيرهم ، وافتتح بكتبه (« خطط الشام » و « الاسلام والحضارة العربية » و « أمراء البيان » و « القديم والحديث » و « أقوالنا وأفعالنا » و « المذكرات » وغيرها) عهدا جديدا فى سورية للتأليف المبكر الذى انقطعت الصلة بمثله منذ عصور . وأسس (المجمع العلمى العربى) وهو أعظم صرح للعلم قام فى ديار العرب فى أيامنا بمجهود رجل ، وقد لقى فى سبيله الألقى ، فلم تنه عن بناءه وتشيته وتبنيه ولقت أنظار الناس اليه ، رفع به اسم بلاده ، وخدم به العلم والتاريخ ولغة العرب ، وجعله مثابة كبار العلماء والأدباء من العرب والمستعربين من علماء المشرقيات ، وكان من نتاجه الطيب خمسة وعشرون مجلدا من مجلته التى حفلت بالروائع من آيات العلم والبحث والتحقيق ، وطائفة حسنة من الكتب النادرة أحيائها بالنشر . وما برج يواصل جهاده فى احياء التليد وإبتكار الطريف فى العلم والأدب بهمة لا يعرفونها القصور ورغبة لا يدركها النام ، وكذلك شأن المطبوعين على حب المعرفة واذاعة الخير .

وهذه (المذكرات) من آخر ما قدمه العلامة الجليل الى الأئمة العربية من مؤلفاته ، وهى مرآة حياته ومستودع أفكاره وآرائه وسجل العصر الذى عاشه والرجال الذين عاشهم وخالطهم فى الشام ومصر وأوربة ، حفلت بصنوف من صور الحياة وخفايا الناس وألوان من التجارب والاختبارات والأحوال والنزعات والآراء والنسل والعبر فى السياسة والاجتماع ، وفى الدين والثقافة ، وفى الاخلاق والعادات . عرض فيها للدول والجماعات كما عرض للأفراد ، وعنى بالشؤون الكبار والصغار ، ونظر فى كل ذلك الى القيم والأقدار من حيث آثارها ، فلم يقومها بالجاه والمنصب والمال والشهرة ، بل قومها بالفضل والأدب والجهاد ونبل النفس ، فبى وأمثالها المعايير التى وزن بها الرجال والأعمال ، وأصدر عنها أحكامه ، فربما أعلى من شأن حوذى لاحسانه وطيبة نفسه ، وحط من قدر زعيم من زعماء المال أو الجاه أو المنصب لأن سيرته مؤذية أو لأنه لا خير عنده ولا نفع للأئمة من حياته . وهكذا خاض فى شؤون وأحوال شتى ، ودون ارتساماته وآراءه فى صراحة وصدق ، فسمى الأشياء بأسمائها ، وجلا كثيرا من

الحقائق الخفية عواري ليس عليها ثياب ولا من دونها ستر أو حجاب • وهذا هو الذي يجدى تدوينه في باب التجديد والاصلاح •

لست أزعم أن المؤلف قد سلم له كل ما دونه من ارتساماته وآرائه ، ولا سيما في السياسة والرجال ، فانه هو نفسه يعترف في آخر هذه المذكرات (٩٩١) بأنه « ربما وقعت له هنات كان الأجدر أن يسلم منها كتابه » ، ثم يذكر السبب في وقوع هذه الهنات له فيقول : « وما كان السبب فيها الا بعض من أدلوا لنا بمعلومات وهموا فيها » • وليته أشار الى هذه الهنات ، وبين وجه الخطأ الذي لم يعصم منه ، لتمييز مرويانه عن انطباعاته وآرائه ، وليعرف الناس - ومن حقهم أن يعرفوا - هذه الهنات التي وقعت له ، و « من فيك أحلى » •

وقد مرت في كتابه بأشياء لا أحسبها من هذه الهنات التي عذاها ، بل هي من باب آخر مما يتصل بالسياسة وبالرجال ، وعلى بعضها طابع العجلة والارتجال ، وعلى بعضها أثر الحدة و « الانفعال » ، وما يدرينا اذا أخذنا في سردها ، وهي ليست بالكثيرة ، أنه سيقول في ردنا ما قاله في تلك الهنات (٩٩١) : « من ذا الذي عصم من الخطأ ؟ والاجتهاد يختلف في الحكم على من اشتركوا في معاناة المصالح العامة اختلافه في انصافهم على ما يوجب الحق ، ويكفي المؤلف وهو يفيض في مسائل متشعبة أن يحصل الى قرائه ما خبره بنفسه » ، فيسد بوجهنا الطريق الى مجاذبته أطراف الحوار !

وهو يقدم هذه (المذكرات) فيقول : « ليس الموضوع الذي أعاجله الان ذا مكانة كبرى اذا نظر اليه أنه مذكرات شخصية كتبها رجل ما كان في مقام تشخص اليه أبصار العالم ، ولا هو من أمة كان له التقديم والتأخير في مجرى سياستها • أنا أعرف ما كان لبلادي الى عهد قريب كيان تعرف به في العرف الدولي ، ولا هي من احكام الأمر بحيث يرهب بأسها ويسمع صوتها ، ولا هي من العلم والفن بحيث يمكن لها في مجالس العلماء ، ولا هي رابحة الصفقة في أسواق الحضارة ، فيتنافس العارفون في اقتناء بدائعها وأعلامها • وأعلم أن من الأشياء ما يكبر بكبر مصدره ، ومن الرجال من يعظم في العيون بقدر ما لا مته من عظمت » •

ونقول على سبيل تقرير الواقع ، وهي غير سبيل المؤلف في هذا التواضع : ان موضوع مذكراته انما يتمتع عندنا في جملة بمكانة ملحوظة من ناحيتين : شخصية المؤلف الذي يتميز بطول الخبرة ، وصدق الليهجة ، وصراحة الأداء • وبحسبه أنه في مقام تشخص اليه أبصار قومه ان لم يكن في المقام الذي تشخص اليه أبصار العالم ، وهو

انما يكتب لقومه لا للعالم ، وللعالم بعد - اذا شاء - أن يستفيد مما كتب، ففي خبرته ثروة انسانية لا غنى عنها للمستفيد من أى أمة كان .

هذه ناحية ، والناحية الأخرى هى مزية الكتاب من حيث أنه حفلت صفحاته الـ ٩٩٢ بمسائل متشعبة مما اضطربت به الحياة فى مصر والشام وغيرهما من أقطار العرب ، وخبرها المؤلف بنفسه فى مدى ستين عاما ، أى منذ وعيه ومعاناته الصحافة والسياسة وهو شاب يافع ، وقد عاصر ظهور اليقظة وسائر ما لا يسها من أحداث وتطورات وانشابات وكان له فى معظمها رأى ومقال ، وتلك مزية جليلة منظور اليها من حيث انها تستمتع بفضيلة الاختيار الشخصى ، وهى ليست بالميسورة لكل أحد فى معظم الأحوال . وليست هذه اليقظة التى يدون المؤلف ارتساماته عنها وآراءه فيها ، وقد جاءت بعد سبات طويل غط فيه العرب والمسلمون غطيًا أحقابا ، بهينة الثمن أو قليلة الحبر أو ضعيفة الأثر فى الحياة العربية كما يظن الظان لأول وهلة ، حين يجدها لم تؤت بعد أكلها ، ومن عادة الناس أن يقرنوا أحكامهم بالنتائج لا المقدمات ، واذ كانت النتائج لم تظهر بعد ، وقد تلوح للانظار بعيدا بلوغها ، فهم لا يحسون حيا قويا آثار هذا التطور فى كل ناحية من نواحي الحياة ، ولذلك هم لا يكبرون شيئا من أسيانه ، بل لعالم لا يرون فى الغالب الا نقائصه ، وتظل أذهانهم عالققة بصور الماضى وأطرافه وغافلة عما يخلق دونهم من نوازع التقدم والحياة .

فان لم يكبر السواد مصدر هذه المذكرات ، كما يريد المؤلف أن يظن ، فالخواص الذين يقدرون قيم الأشياء حق قدرها جد عليمين بقيمة هذا المصدر ، واذ كان « من الرجال من يعظم فى العيون بقدر ما لاأته من عظمة » فالعلماء بالحقائق لا تغيب عن بالهم عظمة الأمة الاسلامية التى منها المؤلف فى ابان مجدها وفيما تركته من تراث يسعى المؤلف ونظراؤه فى احيائه . واذ قل مشاركونا فى الشعور بعظمة أمتنا فى التأريخ ، فيحبسنا - نحن العرب - شعورنا بها ، ذلك الشعور البالغ الذى يحفزنا الى البناء كما بنى أوائلنا ، ويجعل كل بناء منا عظيم انقدر فى عيوننا بقدر ما فى نفوسنا من شعور بعظمة أمتنا وايمان بمجدها .

كتب المؤلف كتابا كثيرة « كان الجد سداها ولحمتها ، وما جوز لنفسه الحياذ عن قوانين المؤلفين ، ولا الصدود عن آيين المتقدمين والمتأخرين » و « أراد هنا - فى المذكرات - أن ينزع قيودا أثقلته وهو يراعيها ، وأن يبعد عن ذلك الطراز المقيسد ، ويخرج الى الأسلوب المطلق » ، وقال :

« أحاول اليوم ، وقد رأيت الدنيا مهزلة ، وذقت حلوها ومرها ، وكرعت خمرها وخلفها ، أن أهزل أحيانا ، وأسخر أحيانا ، وأضحك أحيانا ، وأبكي أحيانا ؛ لأن نفسى شغيت التزام الجد ، وتبرمت من الاضطراب فيه زما طويلا ، وطيعتى تعصى على انشىء الرتيب » .

وكذلك قال زهير بن أبى سلمى من قبل :

سئمت تكليف الحياة ، ومن يعيش ثمانين حولا - لا أبأ لك - يسأم !
وبدهى أن من يكتب بهذا الأسلوب المطلق عن أهل عصر يعيش بين ظهرانيهم ، ويعطى كل انسان كتابه بشماله ، انما يعرض نفسه لغضب الناس وسوء قائلهم فى حقه كالذى حدث له من بعض أصحابه وأحبائه بمصر حين نقد سلوكهم معه ثاروا عليه يناوشونه المطاعن وقوارص الكلام ، وليس بمثل هذه السهولة تتسوخ المودات بين الاصدقاء وتسى اليهود بين العلماء .

ولكن المؤلف الذى أراد أن ينزع قيود الجد هنا ، قد غلبه الجد فى أحيان كثيرة ، وعقد العزم على ألا يحفل غضب انسان كثرا من كان مذق : « ربما يتألم بعض من عرضت لذكركم بما يسخطهم ، فانا لا أخجل غضبهم ، ولا أسعى الى رضاهم » . ولعلى تعددت أحيانا تلك سترهم ، لأنهم يبتكون بأعمالهم ستر هذه الأمة لا يبالون . وهو يعنى بهؤلاء غير من عنيتهم من رجال العلم والأدب ، وهم من أجل اصدقائه ، وما أحد منهم هناك ستر هذه الأمة بحمد الله . ثم يمضى فى حديثه بل فى ثورته فيقول : « واذا كنت لم أستخذ أمام من كان فى أيديهم النفع والضرر ، نانا لا أصانع من لا يرضيهم الا سكوتى عن مساوئهم » . دأبت على قتال الأورداء ، والثياب غض ، والرغبة فى اطلالة جبل الأجل عظيمة ، فحرى بى ألا أكف عنهم ، وأنا أطوى آخر مراحل العمر ، وأنفض اليد من بهرج الحياة . قصدت بما دوت التحذير من دجل الدجالين ، والتبئية على أحابيل المبطلين ، والعمل على مكافحة الظالمين ، ليعرف أن كل جيل لا يخلو من دعاة يحاول لهم الجهر بالحق منهما جسمهم ، ومن أفضل الطرق اليه ضرب السفهاء فى وجوههم بعبويهم . جربت السكوت عنمن لم يأتوا ببرهان واحد على حبهم الخير ، وما جنيت من الاعضاء الا البلاء . الجهر بالحق ، ومقاومة الظلم ، من أول مراتب انهوض ، والساكت عن الحق شيطان أخرس .

هذا هو روح المذكرات ، أردت النص عليه من كلام المؤلف ، لأنه يحدد ما أراد من كتابتها تحديدا دقيقا فى ايجاز ووضوح . وهو روح قوى خاليج معظم صفحاتها ، وكان فى بعضها - كما تحسه فى هذا التقديم من كلام المؤلف - كالسيل الهدل يدوى

صوته ويخرب أثيره ، ولكنه ينشأ مما يسبح من غريزه على الأرضين الصالحة نفع كبير .
والحق أن المجتمعات لا يمكن أن تحيا بالمق والمصانعة والرياء ، بل لعلها لا يقتلها
شيء كما يقتلها هذه العيوب التي يتصف بها كثير ممن يتصدون لقيادة الرأي العام فيتملقونه
ويصرفونه بهذه الأساليب ، وهم في الواقع لا يتقودونه الى الرشاد كما يظنون ، بل
يتقودونه الى الضلال والهلاك وما يشعرون ، و « صديقك من صدقك لا من صدقك » .
لقد نفّض لنا مؤلف المذكرات الحر بهذا الأسلوب الجريء خوالج نفسه وآلامها
وآمالها ، يريد اصلاح المجتمع الذي عاش فيه وتطهره من لوثاته ، و « كان يحرص فيها
ألا يتكلم على نفسه ، وألا يقول قلت وفعلت ، فتعذر ذلك ؛ لأن أكثر ما فيها مما سمعته
أذناه ، ورأته عيناه ، وورعته نفسه ، فمن الصعب ذكره مجردا من سامعيه ورائيه
ورواعيه . وهون عليه هذا الأسلوب أن رأى نفسه لم يأت بدعا ، وتابع طريقة من سبقوه
من الغربيين في تدوين مثل هذه الارتسامات » .

وأنت في كتاب المؤلف هذا ، ان كنت جالسه ، كذلك تسمعه يتحدث ، فتجسم
لك معانيه بما يرن في أذنك من صوته الأجنس وتخيّله من صورة أدائه للكلام أداء
يتفرد به في صراحته وطلاوته وحلاوته .

فأسلوبه كتابيا ، أسلوبه متحدئا ، وهو أسلوب متمتع يختلط بأجزاء النفس
ويأخذ بمجموع القلب ؛ لأنه فيض التريحة ، ووحى الطبيعة ، وقل في الكتاب من يكتب
لك كما يحاورك ويخاطبك ليؤثر فيك . وسدى كلامه ولحمته الفصاحة والسلاسة ،
يبد أن تلقيه مترخضا في لفظة أو تعبير .

ومن أروع مشآئته في هذه المذكرات ، فصل عنوانه « في عشر الثمانين » ، جود
فيه غاية التجويد ، أنقل لك ذروا منه ، لأنه يلخص منازعه ويقف قارئه على بلاغته .
قل :

« يا نفس ! هو ذا الحادى يبيب بك لاجتياز المرحلة الأخيرة دراك ، وخفى في
خف من أمثالك للحاق بمن تقدموك من الأهل والعشير ، فلو توت ضائق وأنت على
أرفأز ، والمنزل منزل قلعة .

« يا نفس ! لا تنضبى ولا تعبى ، فقد عمرت طويلا ومعت كثيرا ، وفنت بجمال
الوجود ، وجلال الطبيعة ، زهت بصنع الخالق والمخلوق ، واستكثرت من احلان
وانعاراف ، وسعدت اذ كنت أقرب الى الفأول من التساؤل ، والى الرجاء أدنى من
القبوط ، والى السرور أكثر من النهم ، وعشت في سلطان الرضى طيبة الطعمة لا يد

لا أحد عندك •

« أكثر ما آذاك في طويل أيامك أن كنت تشهدين قوى ضائعة ، وطريق الإصلاح مهبطاً أمام أصحاب السلطان وهم لا يملكونه ، فطابت طغاة الاستبداد بالقيام بواجبهم ، فسأتهم جرأتك عليهم ، وتربصوا بك الدوائر • وقالت الشعوبيين أعداء العرب من الترك والصهيونيين والافرنج فشق عليهم سماع صوت الحق ، وما استطاعوا أن ينالوا منك على ما حشروا من أبالستهم ، وافترخوا من أفكهم ، وأنت عزلى لا سلاح لك الا الحق انذى أخذ من قلبك والا انفرام باستعادة عظمة الأئمة وائمة •

« يأنفس ! الحق مر والصادع به معذب ، وصاحبه أبداً حرق لطعن الطاعنين ، ومن يحاول اصلاحاً وتجديداً فهو عرضة للمصفتين والمصغرين ، ولا يكرثك هذا فالتعنون ما اعتادوا أن يستحيوا لأول صارخ يحزل زحزحهم عن عقائدهم ، ومنى هنس أرباب الأرواح الجمدة ان يحازل ادخل روح جديد عليهم ؟ والناس ما ختموا كلهم عقلاء وحكماء •

« وكيف تطمعين يأنفس في رضى انظام والجاهل ، وأنت ما حلالك غير مكافئة المستبدين والسارقين ، ومباينة المخترقين والضللين ، ومكنت معوم بين علملين : اما اقرارهم على فسادهم فعددين من المنافقين ، أو الانكار عليهم وتحمل أذاهم فنقومين بواجب وتؤيددين دينا •

« عاشرت أجيالا ثلاثة كان في الأول معلوك ومؤدبوك ، وفي الثانى اخوانك ومعارفك ، وفي الثالث المستحسنون والمستهجون لعمالك • وكان جيلك الأول خير أجيالك لما تخلله من آمال وأحلام ، وبشارات بما كنت ترتجين في دنياك من استفاضة الصيت واردة النفع •

« جهدت كان الموت لا يلاقيك وكنت كل يوم تتوقعينه ، فما تصر حسابك له من أجلك ولا زاد فيه ، وتعرضت للهلاك غير مرة فنجوت لا بحسن حياتك بل بقضاء وقدر • وأدركت بأخرة أن ليس في العالم أمس واليوم وغدا غير التكرار ، وأن البشر في بلاء ومحنة ، فإذا خرجت من هذه الدنيا وحسناتك عدل سيئتك ، أو شالت الحسنات قليلا في ميزانك ، فقد فزت فوزا عظيما ، وأنت اذا لم يحق الزمن أغراضك كدنيا ، فليست أول من أعوزته القوة وخانه التوفيق ، ولا أول من برد فدفن في انراب ، فلا تسأل خالقك بعد الذى جرى لك الا العفو والعافية •

وللى ، بعد هذا ، لن أجد وصفا لهذه المذكرات خيرا مما وصف به الأستاذ ابن

العميد كتب أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، قول : اننا « تعلم العقل أولا ،
والأدب ثانيا » . وكذلك هذه المذكرات .

وذكرت منزهات الدنيا بين يدي أبي بكر محمد بن الحسن بن يزيد ، فقيال :
« هذه منزهات العيون ، فأين أنتم من منزهات القلوب ؟ » ، قلوا : « وما هي ؟ » ، قال :
« كتب الجاحظ ، وأشعار المحدثين ، ونوادر أبي العناء » . وأنا أضيف إليها رابعا : كتاب
(المذكرات) ، فهو بدع في كتب هذا العصر ، وما يرجي من نفعه أمتع وأفضل وأغزر .

محمد بن عبد الله الطوسي

اليزيدية

تأليف الباحث الفاضل صديق اندملوجي ، قوامه « ٥١٨ » ص من النسخ المتوسطة ،
وقد طبع بمساعدة مالية من المجمع العلمي العراقي ، في مطبعة الاتحاد بالموصل
سنة ١٣٦٨ = ١٩٤٩

اليزيدية سفر حافل بذكر عترة اليزيدية وطبقاتهم الروحية ورسومهم وعاداتهم
وشعائرهم ومناسكهم وكتبهم الدينية ، ومرافد أئمتهم وقبائلهم وشعائرهم ورؤسائهم
وقراهم ، ورحلات المؤلف إليهم ونصه لجماعة منهم ، وأاريخهم القديم والحديث ،
والاستناد على من كتبوا في أحوالهم من شرقيين وغربيين وغير ذلك .
ولقد استوعب هذا الكتاب أحوال اليزيدية الدينية وأحوالهم الاجتماعية واستوفاهما
بأسلوب واضح مستتب لم نجد فيه عيبا غير الغفطات النحوية المبثوثة هنا وهناك ^(١) ،
والظاهر أن المؤلف نساها في اعتبار النحو في كتابه لبعض الأسباب ، ومن
هنا سرى اللحن إليه ، فعسى أن يستدرك ذلك في الطبعة الثانية ، ليكون كتابه المرجع
الاعظم في أحوال اليزيدية مع سلامة تعبير وحسن تصوير .

وقد زين الكتاب بصورة المؤلف وصور أخرى موضوعية ، زادته حسنا الى حسنه ،
ووضوحا الى وضوحه ، وباقتراحات اقترحها المؤلف لاصلاح حال اليزيدية وضمها
مستقبلهم الاجتماعي والنفسي فانه خاطبهم وصادق « كدرف » عدة رجال منهم

(١) فني ص ١ « الجملات الأربعة » وفي ص ٢١ « وترجع أن الشيخ أبي بكر »
وفي ص ٥٦ « لظهور هكنا دجائين » وفي ص ٦٣ « سوف لا تتم على يده » وفي ص ٨٠
« ان صخر الاول » وفي ص ٩١ « وعما هذين » وفي ص ١٠٠ « من أربعة وأربعين سنة »
وفي ص ١٠٥ « ما لم يلاقيه أصحاب دتوة » ، ازاد « الأربع وأبا بكر ودجائين كهؤلاء »
ولئن تتم وصخر الاول وهما هذان وأربع وأربعين سنة وما لم يلاقيه » .

فأصبحوا منه بذل النصيحة لهم والعطف عليهم والدعوة الى حفظهم ورفقهم .
 وكثرة مجالس هذا الكتاب الجليل لا تمنعنا الاشارة الى ضعف فيه من الوجهة
 التاريخية يعز علينا أن نذكره ولعل الاخلاص في النقد يشفع لنا عند المؤلف الفاضل في
 ذكرنا اياه . ومن ذلك قوله في ص « ل » :

« الشيخ عدى بن مسافر الأموى الذى يتصل بالآب الرابع بمروان بن الحكم
 رابع الخلفاء الأمويين » .

وهذا محال لأن مروان المذكور من أهل القرن الأول للهجرة وعديا من أهل
 القرن السادس ، فاربعة القرون التى بين أزمانهما تقضى أكثر من عشرة أجداد فى أقل
 تقدير ، ولعل الصحيح ما ذكره ابن خلكان فى الوفيات ونقله المؤلف فى ص ٧٤ وهو
 أن مروان بن الحكم هو الجد الحادى عشر لعدى بن مسافر ، فهو قد كان حريا أن يشير
 الى هذه الاحالة .

وذكر فى حاشية ص ٤٤ الشيخ قضيبة البان الموصلى أنه أبو عبدالله الحسين بن
 عيسى بن يحيى العلوى الحنسى وأنه توفى سنة « ٥٧٠ » ، وقد اختلف فى تسميته قضيبة
 البان ، فالشيخ أبو الحسن على بن أبى بكر المعروف بالسائح الهروى قل فى مزارات
 الموصل : « وبها قبر الشيخ حسين المعروف بقضيبة البان ^(١) » ولم يذكر أنه كان علويا ،
 وقال الشيخ أمين العمري : « الشيخ حسين قضيبة البان ابن عيسى بن يحيى . . . وأمه
 أمة أحر زهرة بنت يحيى بن محمد بن موسى المنبرقع بن محمد الجواد بن على الرضا
 وإنما سعى قضيبة البان لجميل صورته وحسن هيئته وهو أحد الأبدال ، له كرامات
 وقبره غربى الموصل خارج السور نحو رمية سهم ، توفى سنة ٥٧٠ ^(٢) » . وترجمه
 الشطنوفى ولم يذكر الا لقبه « قضيبة البان » ولم يقل انه كان علويا ، قل : « سكن
 رضى الله عنه الموصل واستوطنها الى أن مات بها قريبا من سنة سبعين وخسمائة وبها
 دفن ^(٣) » .

وذكره ابن الفوطى بما فيه كفاية للباحث قال : « قضيبة البان أبو على
 عمر بن محمد الكردي الموصلى الزاهد ، كان من العارفين المجذوبين الذين
 يتكلمون على الخواطر ، روى عنه الخطيب شهاب الدين عمر بن أبى القاسم

(١) كتاب الزيارات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٧٥ ، بورقة ٩٤ » .

(٢) عنوان الشرف « نسخة الدار المذكورة ، ٥١٣٨ ، الورقة ٩٠ » .

(٣) بهجة الاسرار ومعادن الانوار فى بعض مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلانى

ابن المفرج بالموصل سنة ستمائة ، قال : كنت ذات يوم بالموصل جالسا في سوق الصوافين إذ أقبل قضيب البني ، وكان ذا شكل عجيب : طوالا من الرجال على هيئة الأكراد ، مكشوف الرأس مقزح^(١) الشعر ، لا يستقيم على جهة ، عريض اللحية قبلا ، مطرق (كذا) كأنه أعمى وليس بأعمى ، يمشى في الأسواق ولا يتكلم ، حاف عليه جبة صوف ، مشدود الأذيل والأكمام . فلما قرب مني - وكان هناك شخص قد وقف ووعظ وخوف بالله تعالى ثم انصرف - قال لي ، وهو تجاهي : كم من مذكر بالله ناس لله ، وكم من مخوف بالله ينسلخ من آيات الله ، وذكر كلمات أنسيتها^(٢) .

فهذا هو القول الذي نراه صحيحا في اسمه وجيله وزمنه ، ونزويده بما ذكره أبو المظفر سبط ابن الجوزي في ترجمته عماد الدين محمد بن يونس بن منعة الفقيه الشافعي الموصل المتوفى سنة ٦٠٨ ، قال : « والتقاء قضيب الباني الموله يوما قتل له العماد : سلام عليك يا أخي كيف أنت ؟ فقال : أما أنا فبخير وقد بلغني عنك أنك تغسل أعضائك كل يوم ، تسطف اللقمة التي تأكلها^(٣) ؟ فقوله : « يا أخي » يدل على تقارب العمرين . وذكر المؤلف الفاضل في ص ٧٣ « الأسرة العدوية ومكائنتهم في التاريخ » وبدأ بذكر الشيخ عدي بن مسافر الأموي فأحسن انتاء عليه وبجله وعظمه ثم بحث عن السبب الذي حمله على الهجرة من الشام إلى جبال الأكراد ، قال : « يقال أنه بعد سقوط الدولة الأموية هاجر البعض من رجال البيت الأموي مع مواليتهم الأكراد إلى هذه الجبال وانزروا فيها خوفا من العباسيين الذين كثروا يتقربونهم ويكثرون القتل فيهم ، وقد عرف عدي هذه الجبال وجاءها واختار السكنى فيها . والحقيقة أن الأمويين لم يسبق لهم هجرة إلى هذه الجبال لا قبل عدي ولا بعده ، ولهذا الكلام موضع آخر غير هذا » . قلنا : بل التاريخ يشير إلى قول من قال بانتقال بعض الأمويين إلى تلك البلاد ، قال المسعودي في أخبار مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين « وقد كان سليمان بن هشام ابن عبد الملك اتصل بالحوارج بالجزيرة خوفا من مروان^(٤) » . ومن العلوم أن أمهات مدن الجزيرة الموصل وميافارقين وآمد وماردين والخابور وسنجار ونصيبين ورأس عين

(١) أي ليس بأفزع وإنما حصى شعر رأسه وبتيت منه بقايا في فواحيه .

(٢) تلخيص مجمع الآداب على معجم الأسماء في معجم اللباب « ج ٤ ص ٣٠٦ » .

من نسختي .

(٣) امرأة الزمان « ج ٨ ص ٣٦٥ » قال المؤرخ في العماد المذكور « وكان به وسواس في الطهارة يبعث كل يوم غلامه إلى البحر فيقتل في وسط الشط يملأ الأباريق فيحوضها بها » قال : ففهم قول قضيب الباني فرجع عن ذلك .

(٤) مروج الذهب طبعة المطبعة البهية ج ٢ ص ٢٠٣ .

والرقة وحران والرها ، فاقصا سليمان بالخوارج في مواضعهم لا يكون الا بعد
القصد اليهم .

وعزا المؤلف هجرة الشيخ عدى الى حبه السياحة كمادة المتصوفين السياح ولم يلتفت
الى أن الدولة الفاطمية في زمن انتقال عدى من الشَّيْم كانت تحكم في كثير من تلك
البلاد ، ومذهبها وعقيدتها معلومان ، وهي ذات الكلمة والسلطان ، فلعل الشيخ عديا
هرب من حكم تلك الدولة التي كانت لا تخرج من ارتكاب ما يؤذى العباسيين ، فضلا عن
الأمويين ، والهجرة سبيل معروف الى النجاة من الاضطهاد قديما وحديثا .

وقد في ص ٧٧ : « ظهر لنا مما تقدم أن الشيخ عديا هو الرجل الفذ الذي ظهر
في عصره وفق أقرانه في زهده وورعه الذي جمع اليه وفور العرفان والعلم . »
والتحقيق أنه لم يكن فذا فقد أجمع المؤرخون على أن الشيخ عبدالقادر الجيل كان أعظم
منه وأجل وأرسخ قدما في المجاهدة والزهد ، وعدوا عديا ممن أقر لعبدالقادر بالقطبية
أى التقية^(١) .

وتكلم المؤلف في ص ٨٤ على شمس الدين تاج العارفين أبي محمد الحسن بن
أبي المنأخر عدى الأصغر ، قال : « وقد احتل ست سنوات صنف فيها كتب » جلوة
لأهل الخلوة « أودع فيها عقيدته التي خالف فيها مبادئ الاسلام وقد نقد الكتاب ولم
يعلم شيء عنه . ونرجح أنه اتصل بالشيخ ابن عربي ومنه أثر من غيره انتقلت اليه
عقيدة وحدة الوجود فادت الى القول بالرجعة والحلول وبنى عليه مذهبه الذي عرف
به ان قيام الشيخ حسن بهذه الدغوى مما أيدته المؤرخون الذين تكلموا عنه حتى
نزه أحدهم بالمأثله »

وحقيقة الأمر أن الباحث الفاضل لم يفهم معنى كلمة « المأله » التي هي من صفات
المدح للزهاد العباد ، فعدّها قدحا ونبرا . فالمأثله في العربية الشدائد التعب ، قال الجوهري
في الصحاح : « والمأثله : التعب وانتسك » وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « فلان
بأله : يتعب . وهو عابد مثله » . وفي المصباح المنير « أنه يأله من باب تعب الاله بمعنى
عبادة وتأله تعب » . ومن الحق أن لكل كلمة قيمتين : قيمة معجمية وقيمة استعمالية
وعليها المتحول اذا تطرق انشك على معناها ، ولكن « المأثله وأصله التأله » واضح معناه كما
رأيت ، ومع ذلك نود أن نذكر القيمة الاستعمالية للأله ، ففي الشعر والشعراء قول ابن
تيمية « وكان زهير يتأله ويتعفف في شعره » ، وفي مروج الذهب^(٢) « وذلك عند تنسك

ابن الزبير وتآليه وإظهاره الدعوة لنفسه . • وقول رؤية :

لله در الغائبات المسد سجن واسترجن من تأليه
وجاء في رسائل الرازي (١) . ومن قبله سقراط استخلى المأله (٢) . • وهذا
الوصف مستفيض في كتب التاريخ والتراجم إلا أن الناقد ملزم التمثيل والاستهاد .
وبذلك أخذنا .

وبعد أن ظهر أن الشيخ تاج العارفين « حسنا » كان مثأله أي متعبدا متسككا ،
بشهادة المؤلف الفاضل كتابة نسأله كيف صدق بما نسب إليه ؟ فابن شاكر الكبي الذي
اعتمد عليه قل فيه : « رحمه الله ورضي عنه » (٣) . • وقال شمس الذهبي : « سنة
أربع وأربعين وستمائة » (٤) الحسن بن عدى بن أبي البركات صخر بن مسافر
ابن اسماعيل الملقب بتاج العارفين شمس الدين أبو محمد ، وجده أبو البركات هو أخو
الشيخ عدى ، وكان الشيخ حسن هذا من رجال العالم رأيا ودهاءا وله فضل وأدب
وشعر جيد وتصانيف في التصوف وله أتباع ومريدون بالنون فيه ، وبينه وبين الشيخ
عدى من الفرق كما بين القدم والفرق ، وبلغ من تعظيم العدوية له ما حدثت به أبو محمد
الحسن بن أحمد الأربلي قال : قدم واعظ على الشيخ حسن هذا ، فوعظ حتى رق حسن
وبكى وغشي عليه ، فوبى بعض الأكراد على الواعظ فذبحه . ثم أفاق الشيخ حسن
فرأى الواعظ مذبوحا . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : وألا إيش هذا من الكلام بكى سيدنا
الشيخ (٥) ! فسكت الشيخ حفظا لدسته وحرمة . • وكان الملك بدر الدين لؤلؤ صاحب
الموصل قد خاف منه فعزل عليه حتى قبضه ثم خنقه بوتر بقلعة الموصل خوفا من الأكراد
لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده فخشى (٥) لا يأمرهم بأدنى إثارة فيخربون بلاد
الموصل لشدة طاعتهم له . • وفي الأكراد طوائف يعتقدون إلى الآن أن الشيخ حسنا
لا بد أن يرجع ، وقد تجمعت عندهم زكوات ونذور ، ينتظرون خروجه وما يعتقدون
أنه قتل . ورأيت له كتابا فيه عشرة أبواب أحد الأبواب اثبات رؤية الله عيانا وأن غير واحد
من الأولياء رأى الله تعالى عيانا ، واستدل على ذلك - نعوذ بالله من الخذلان والضلال - .

(١) طبع المشرق بول كراوس « ص ٣٦ » .

(٢) معجمنا اللغوي وقد جمعناه في ربع قرن ولا يزال في التعميد والزيادة .

(٣) فوات الوفيات « ج ٢ ص ١٢٣ » .

(٤) يعنى « مات » و « توفي » وحر من اصطلاح المؤرخين كقولهم « وفريها » أى

في هذه النسبة من دون ذكر « توفي » ، وعن أناس من لا يعلم هذا ويظنه نقصانا في

التواريخ ، فليعلمه .

(٥) كلامهم بالعافية في ذلك الزمان .

ومن تصانيف الشيخ حسن « محك الايمان » وكتاب « الجلوة لأهل الخلوة » وكتاب « هداية الأصحاب » وله ديوان شعر فيه أشياء من الاتحاد ، فمن ذلك :

وقد عصيت اللواحي في مجتسما وقت : كفواء ، فهتك الستر ألقبي^(١) .
وأشد ما رأينا من الطعن عليه ، وهو من خصومه في المذهب والحكم والسياسة ، ما نقله الخزرجي في تاريخه في وفيات سنة « ٦٤٤ » قال : « ومات الشيخ الكبير تاج العارفين شمس الدين أبو محمد الحسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن مسافر العدوي وكان من رجال العالم عقلا ورأيا ودهاءا وله نظم وأدب وتصانيف في التصوف منها كتاب « محك الايمان » وكتاب « الجلوة لأرباب الخلوة » وكتاب « هداية الأصحاب » وفيه انحراف ظاهر لكل مسلم عن الخلق (كذا ولعلها الحق) وعظام لا تحتمل ، وله كتاب آخر فيه مصائب لا يمكن التعلق بها ، وكان صاحب الموصل يخاف منه فتحيل عليه حتى ظفر به وجسه ثم خنقه بوتر هذه السنة المذكورة وله ثلاث وخمسون سنة^(٢) » .

وفذلكة القول أن سيرة هذا الشيخ ما زالت غامضة قليلة المراجع التاريخية ولم نر من الآراء فيها الا رأى أعدائه والمخالفين له في العقيدة ، وربما كان تاريخه هذا منقولا عن رجل أو رجلين وذلك لا يكفي في استبانة حالة ، ولهذا نقف موقف الشاكرين من قول المؤلف « وبعد أن وجد نفسه بهذه المنزلة وفي جانبه جماعات كبيرة من المريدين ، يدينون به رأى أن ينفذ منوياته التي ظالما تختلج في صدره وهي ايجاد انقلاب واسع في الدين والعقيدة والسياسة وفي كل شيء » ، أليست الغاية من وضعه هذا الدين (كذا) هي تهيئة الأسباب التي تمكن من ايجاد هذا الانقلاب ؟ » فأكثر ما يصح أن يقال فيه انه كان غالبا من الغلاة .

ومما استدركناه على المؤلف الفاضل في ترجمة الشيخ حسن بن عدي الأصغر المذكور أبيات ذكرها بدر الدين بن حبيب في ترجمة حفيده الشيخ زين الدين أبي المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن عدي المتوفى سنة « ٦٩٧ » قال :

« وفيها توفي الشيخ زين الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن الشيخ عدي ، رجل مطاع ، حسن الخلق والطباع ، مقابل بالتبجيل والاكرام ، محترم عند

(١) ابن قاضي شبهة في « أسماء الأعيان من تاريخ الذهبى » ، نسخة دار الكتب

الوطنية بباريس ٢٠٧٦ الورقة ١٨٣ .

(٢) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٢ ص ١٦٥ » نقلا من تاريخ أبي الحسن

الخزرجي وهو ينقل من تاريخ ابن الساعي الشافعي :

أكابر مصر والشام ، جواد حليم ، سخي النفس كريم ، لا يبقى على درهم ولا دينار ، مع وجود الاقطاع والفتوح والادرار ، له زاوية مفوقة الايراد ، يفد عليها كثير من مريديه الاكراد ، يمد بها السباط للوارد وانقيم ، ويهب على اللاندين برحابها للقبول نسيم وأى نسيم . وكانت وفاته بمصر عن . . . سنة ، تغمد الله برحمته . ومن نظم جده الشيخ حسن بن عدى المشار اليه :

بداية نشوتي من خمر فيكا فكيف على الغرام الام فيكا ؟
وكان القلب لى وحدى قاضى هواك اليوم لى فيه شريكا
ملك الحسن قد جثاك تشكو تعرض ناظريك لناظريكا
ملكتم قلوبنا فعدت رعايا ولا ترضى سواك لها مليكا
وله :

تجاوز حسن أحمد كل حد فقولى فيه منقطع الجواب
لقد غلطوا بما قد لقبوه وهل بدر يلقب بالشهاب (١) »

ولقد نقل المؤلف فى أخبار بدرالدين لؤلؤ الاتابكى صاحب الموصل شيئا من كلامنا فيه ولم يستب له ، حتى الذى نقله بالنص . قلنا : « على أن بدرالدين لم يكن محمود السيرة ولا سالما من الجريرة (٢) » . وقال هو : « ويروى أنه لم يكن محمود السيرة ولا سالما من الجريرة » ص ٨٥ - . ومن البديهي أن هذا القول ليس برواية وانما هو اجتهاد فى الزرابة ، فالعمدة فيه على قائله ، ومعنى « يروى أنه لم يكن . . . » أن راويا من الرواة أثر بالاسناد أن بدرالدين لم يكن كذلك ، وهذا لا يوافق المقام . ونقل فى ص ٦٨ ما ذكره مؤلف الكتاب الذى ظنناه « الحوادث الجامعة » ص ٤٧١ من محاربة بدرالدين لؤلؤ المذكور للبيت العدوى وطافتهم سنة ٦٥٢ ونشه قبر الشيخ عدى واحرقه عظامه ، وفيه بعض النصوص والربك - أعنى المذكور فى الحوادث - والصحيح الواضح ما ذكره الخرجي فى حوادث تلك السنة قال :

« وكان زعيم الموصل بدرالدين لؤلؤ قد أخذ من أولاد الشيخ عدى الكردي (كذا) ألوفاً من العين على وجه الاكراد ، فعظم ذلك عليهم ، فأطلقوا ألسنتهم فى سيه ، فبلغه ذلك فأمر بنش الشيخ عدى من قبره واحرق عظامه ، فأنكى ذلك فى قلوب الاكراد واجتمع بعضهم الى بعض واتفقوا على نهب أعمال الموصل فنهبوها ، فطلب

(١) درة الأسلاك فى دولة الاتراك (نسخة دار الكتب الوطنية ببغداد)
١٧١٩ عربيات ، الورقة ٩٩ .
(٢) العراق بين احتلالين « ج ٢ » فى الملحق الثانى - ص ١٤ - .

بدرالدين أكراد الجبل فأتاه منهم ألف فارس فضم اليهم عسكريا وبغتهم لمحاربة الأكراد وأصحاب عدى فحاربوهم وكسروهم وغنموا أموالهم وأسروا منهم خلقا كثيرا وحملوهم الى الموصل ، فسلم بدرالدين تجاه القلعة منهم مائة وذبح مائة ، وأخذ شخصا معروفا وجعله عدة قطع . وكان ذلك في شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة (١) .

ومنه يظهر أن نش قبر الشيخ عدى واحرق عظامه سبقا حرب بدرالدين لهم ويظهر أيضا أنهم نهبوا أعمال الموصل قبل أن يسير الجيش اليهم ، وفي ذلك اتساق للحوادث التي جرت هناك .

ونقل في ص ١٠٣ ترجمة عزالدين أميران الكردي ابن بنت الشيخ عدى من كتاب الدرر الكامنة (٢) وفيها « قدم الموصل فولى بها الامرة » . والأصل « قدم دمشق » وهو الصحيح .

وتكلم المؤلف في ص ١٦١ وما يليها على وجه التسمية باليزيدية وتعيين الزمن الذي سماها به ، فقال : « وأول من وجدناه ذكرهم بهذا الاسم أبو فراس عبدالله بن شبل ابن أبي فراس بن جميل فانه ألف كتابا عام ٧٢٥ للهجرة (١٣٢٤م) سماه « في الرد على الرافضة واليزيدية » ، ولم يذكر ما احتوى عليه هذا الكتاب من الأبواب ، وقال : « يجوز أن هذا الاسم أطلق عليهم قبل هذا » . قلنا : إن الاعتماد على اسم الكتاب المذكور في معرفة تاريخ التسمية ليس بكاف في مثل هذا الأمر ، لأن الزيدية ، في أكثر كتب الفرق فرع من الرافضة ، فلعن اسم الكتاب الصحيح « في الرد على الرافضة الزيدية » أو « الرافضة والزيدية » ، ولكن الناسخ غلط في النسخ . إذن لا تثبت التسمية المدعاة حتى يؤيد ما في الكتاب عنوانه . وعطف الزيدية على الرافضة من بابه قوله تعالى : « فأكهه ورمأن » .

وانتقل المؤلف الفاضل الى ما نقله مؤلف « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » في تسمية « اليزيدية » من كتاب الأنساب للسمعاني المتوفى سنة « ٥٦٢ » فأنكر اتصال أولئك اليزيدية بهؤلاء في الدين والأنساب ، ونحن لا نرى موضعا لانكاره ، فقد تصافت الأخبار على أن كثيرا منهم أصلهم أكراد ، وقول المؤلف « يرجعون الى أصل مجوسى » لا ينفي كرديتهم ؛ لأن المجوسية دين لاجيل ، فالرد بين الضعف ظاهرة ، الا أنه يستطيع أن يقول ان التسمية باليزيدية لم تعم في ذلك العصر حتى ان المقرئ حين ذكر خبر احراق قبر الشيخ عدى سنة « ٨١٧ » من سلوكه سماهم أولا « العدوية » ثم

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ٢٢ ب ص ١٦ » نقلنا من تاريخ أبي الحسن الحزرى وهو ينقل من تاريخ ابن الساعى . (٢) ج ١ ص ٤١٤ .

قال : « وصاروا في هذا الوقت يعرفون بين الاكراد بالصحبية » كما في الجزء المحفوظ
بباريس ذي الرقم ١٧٢٧ في الورقة ٢٨٥ .

وقال في ص ٤٢٢ في ذكر الشيخ ابن تيمية « يعدم مؤلفو الاسلام مجدد القرن
السادس الهجري » والصواب « القرن الثامن » لانه أدرك هذا القرن .

وأشار في ص ٤٣٣ الى فتوى الشيخ عبدالله الربتكي المدرس « ١٠٦٠-١١٥٩ هـ »
في اليزيدية وعده اياهم مرتدين ، ثم قال : « ونشك أيضا في نسبة هذه الفتوى اليه
ونرجح أن يكون واضعها غيره وعرفت باسمه » . قلنا : ان كان الشك في الأمور
والتأريخ يمثل هذه السهولة وهذا اليسر ، فاننا نستطيع أن نجحد أمورا كثيرة ، والتأريخ
لا ينقص بمثل هذا الأسلوب التحكيمي ، قال ياسين بن خيرة في حوادث سنة ١١٥٩ هـ :
« وفيها توفي الامام العالم العلامة ملا عبدالله المدرس ابن أحمد بن حسن الكردي
الموصلي ، له تأليف منها « مختصر الزواجر » و « شرح المنهاج » و « رسالة في جواز
استرقاق الرقصة وعبد الشيطان » وله تعليقات في جميع أنواع العلوم وله أرجوزة في
نظم الاشكال . وكان رفيع الجاه عند الملوك مجاب الدعوة ، وكان اذا حضر عند الملوك
لقضاء مصالح الناس يكون صائما لا يأكل أو يشرب عندهم ، وله كرامات ظاهرة ولا أهل
الموصل فيه اعتقاد ، وقبره في جامع نبي الله جرجيس رضى الله عنه ، وذكر لى ولده
الفاضل ملا ياسين أن لهم نسبة الى العباس رضى الله عنه وكان عندهم نسب فاحترقت
قربة ربك واحترق النسب في أيام جدهم المترجم (١) » .

وذكر في ص ٤٥٣ الحرب التي أنشبت على الاكراد العدوية الصحبية اليزيدية
وسبها جلال الدين بن عز الدين يوسف الحلواني الشافعي بعد أن حرض أمراء الجزيرة
عليهم ، وقال : « ثم من منا يعلم ما كان هذا الفقيه يحمله من عقيدة زائفة وقد خدع
الناس بها ؟ » . وقد كان قال في ص ٧٦ في ترجمة الشيخ عدى الكبير : « أليس مما
يدل على بؤسه تصدى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل أولا والمجتهد الحلواني ثانيا لحفر
قبره واخراج عظامه واحراقها ؟ » ، وقال في ص ٧٧ « لاختراصات (كذا) سياسية
ومذهبية كانت تحيى في صدر الملوك الاتابكي والمجتهد الايراني ولم يخجل أن يعلا
عملهما هذا بالجهاد في سبيل الدين ، وهل ان الدين تصدع وهدمت أركانه لسبب
ما أصاب هذه الطائفة من الضلال ؟ . . . » .

(١) أصول التاريخ والأدب « مج ١٠ ص ١٣٠ » نقلا من الدر المكنون لياسين
العمري . وترجمته في كتاب « مشاهير الكرد وكردستان » ج ٢ ص ٤١ ، « ليست
بتحاوية لاسم تلك الرسالة ولا وافية » .

فلنا : جرت عادة العلماء من أمثال جلال (جمال) الدين محمد أن يفعلوا مثل هذا ، قال تقي الدين المقرئ في حوادث سنة ٧٠٤ هـ : « وفيها توجه شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في ذي الحجة ومعه الأمير قراقوش المنصوري الى أهل جبل كسروان يدعوهم الى الطاعة فلم يجيبوا فجمعت العساكر لقتالهم ^(١) » وقال الذهبي في حوادث سنة ٧٠٥ هـ : « فيها نازل نائب دمشق بعساكره جبل الجرد ، وقهر الكسروانيين وفرقهم وأذلهم ، وهم روافض جهلة ، فتكوا بالجيش وقت الهزيمة وعملوا أجل قبيح (كذا) ^(٢) » .

والحلواني المذكور لم يكن يتهم بالزيف في عقيدته ولا بخديعة الناس ، وانما كان من أجلاء الشافعية ، قال شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني في ترجمة والده عز الدين يوسف بن الحسن بن محمود السرائي الأصل التبريزي الحلواني - يفتح أوله وسكون اللام مهموز - « الفقيه الشافعي ، ولد سنة ثلاثين وسبعائة ... واجتمع ببغداد بالشيخ شمس الدين الكرمانى ... فلما دخل الدعاعة وهم أتباع طقتمش خان تبريز وضربوها تحول الشيخ عز الدين الى ماردین ... وشرح الأربعين للنواوى ... وكان قد حج ثم زار المدينة فجاور بها سنة ... وكانت وفاته في سنة أربع وثمانمائة بالجزيرة فانه رجع اليها لما كثر الظلم في تبريز ففطنها الى أن مات وخلف ولدين بدر الدين محمدا وجمال الدين محمدا ، وحج بدر الدين سنة تسع وعشرين وأقام بحصن كيفا فشغل الناس بالعلم ، وحج جمال الدين سنة ثلاث وثلاثين وقدم القاهرة سنة أربع وثلاثين وأقام بها مدة وتوجه . وقد تقدم ذكره ^(٣) في سنة اثنين وثمانمائة ^(٤) » .

وقد كان ترجمه في وفيات سنة « ٨٠٢ » من الانباء نقلا من تاريخ حلب الذي للقاضي علاء الدين علي بن خطيب الناصرية المشهور ، قال القاضي : « قدم علينا ولده جمال الدين فذكر أن والده مات سنة أربع وثمانمائة والله أعلم » . ومن هذا نعلم أن جمال الدين محمدا الحلواني كان كسائر الشافعية صحيح العقيدة معروفا بالفضل والسيرة الحسنة ، والظاهر أن ورود لقبه « جلال الدين » في السلوك تصحيف « جمال الدين » .

ونحن نوافق المؤلف الفاضل في أن نبش قبور الموتى من غريب الأفعال عند العقلاء ، ولكنه كان مألوفاً في ذلك الزمان وغيره .

(١) السلوك « مج ٢ ص ١٢ » . (٢) دول الاسلام « ج ٢ ص ١٦٤ » .

(٣) يعنى ذكر عز الدين يوسف . (٤) أنباء الغمر بأبناء العمر . نسخة دار

الكتب الوطنية ببازيس ١٦٠١ الورقة ١٩٥ . (٥) المرجع المذكور الورقة ١٧٠ .

وتكلم في ص ٤٥٤ على سلطة اليزيدية قال : « وفي الموصل ضربوا الرقم القياسي في الاستئثار بالقوة حيث تقلد أحد رجالهم وهو مرزا باشا الداسنى البعشيقى منصب ولاية الموصل (١٠٦٠-١٠٦١) وتولى يزيدى بعشيقى الحكم فى الموصل يدل على ما كان لهذه الطائفة من النفوذ والقوة فى ذلك العهد » . وقال فى الحاشية - يعنى ولاية مرزا باشا الداسنى - « هذا ما أيدته التقاويم الرسمية لولاية الموصل ، وفى الآثار الجلية لياسين العمري ما يخالف هذا »

قلنا : وذكر العمري أيضا فى الدر المكنون مثل ما ذكر فى الآثار الجلية ، الا أنه قال بعد ذلك فى حوادث سنة « ١٠٦٠ » ما هذا نصه : « وفيها ولى الموصل ميرزا باشا المعروف بالداسنى على خلاف ما تقدم » . فلم يفت الرجل التنبيه الى هذا الخلاف ، كما يفهم من هذا الاستدراك .

ثم نقل فى ص ٤٥٨ من كتاب « غرائب الاثر » فى حوادث سنة (١٢٠٥) نزول اسماعيل باشا من قلعة العمادية وتطوافه فى مملكته وبلوغه قرى الشيخان ونزوله قصر نمر آغا واستدعاءه جولو بك بن بداغ بك وأمره بقتله ونصبه أميراً على الشيخان اسمه خنجر بك . وقال بعد ذلك : « وصاحب غرائب الاثر لم يدلنا على أسباب هذا القتل الذى أخذنا الآن نلصق درجة خطورته والاثار الذى أحسنه فى المجتمع اليزيدى وكيف رضى نمر آغا بقتل زعيمه الدينى فى داره »

قلنا : ينبغى أن تلمس الأسباب فيما تقدم من الحوادث ، فإن مؤلف غرائب الاثر قال فى حوادث سنة « ١٢٠١ » : « وفيها حدثت بين والى العمادية اسماعيل باشا بن بهرام باشا واخوته فتن فطردهم وساروا الى زاخو وملكوها فبعث لحربهم أخاه الآخر على بك فطردهم من زاخو وجرت لهم أمور يطول شرحها ولا فائدة لنا بذكرها » . فهو اذن قد طوى من الخبر شيئا ، نجدد فى الدر المكنون ، قال فيه : « وفيها حصلت فتنه بين والى العمادية اسماعيل باشا بن بهرام باشا وبين اخوته ^(١) فطردهم من العمادية فساروا الى زاخو وملكوها واجتمعت عليهم خلائق من الاكراد اليزيدية ، فاستولوا على أموال فتح آغا ضابط زاخو ، فأرسل اسماعيل أخاه على خان بك لحربهم وأمدّه بالعساكر والى الجزيرة محمد بك فهرب لطف الله بك وحاصر على خان بك باقى اخوته ثم قبض منهم اثنين وأرسلهم الى العمادية ثم سار على خان بك الى حرب اليزيدية فهرب أميرهم جولو ابن بداغ بك وقتل من اليزيدية جماعة » . فهذا هو السبب فى قتل اسماعيل باشا جولو

(١) هم طيفور بك وحسن بك وبيك وبيك وحاجى بيك .

اليزيدى • وقد استجاز المؤلف أن ينقل من التواريخ بالواسطة دون اشارة اليها ، وليس ذلك بالطريق العلمى فى التاريخ ، من ذلك ما ذكره فى ص ٤٩٠ نقلا من الدر المكنون فى حوادث سنة ١١٦٧ ، قال : « وهذا ما قاله مؤلف الدر المكنون عنها : ان والى بغداد سليمان باشا غزا جبل سنجار وحاصره واستولى على قراهم ثم نزلوا يطلبون منه الامان وأقاموا هناك فأمر العسكر فحملوا عليهم من كل مكان وقتلوه عن آخرهم وكانوا أكثر من ألف رجل ومعهم بعض النساء ، وقتل من العسكر مائتان » • ففى أى نسخة من الدر المكنون قرأ هذا ومن أيهن نقل ؟ ان الذى ورد فى الدر المكنون فى حوادث سنة ١١٦٦ لا سنة ١١٦٧ هذا نصه :

« وفيها خرج من بغداد واليها الوزير سليمان باشا وجمع العساكر وقدم الى الموصل فقابله بالاكرام والاقامات أمين بك بن الوزير حسين باشا الجليلي ثم توجه سليمان باشا الى جبل سنجار وحاصره ونهب بعض القرى ونزل اليه نحو ألف رجل وامرأة فقتلهم عن آخرهم وأبسر النساء والأطفال حتى بيعت الجارية بعشرين قرشا ، والغلام مثلها ، وعاد الى بغداد منصورا ^(١) » •

ولا يعني فى مثل هذا أن يكون الكتابان من تأليف رجل واحد •

ونختم نقدنا لهذا الكتاب النفيس فى موضوعه ومادته بأن مؤلفه ذكر أسماء مواضع بصورها العامة وان كانت تلك الصور قديمة بعض القدم ، كما جاء فى الصفحة الأولى « ثم جاء لالش فاهتزت به الأرض » • والصحيح « ليلش » بالياء بعد اللام ، قال عبدالحق البغدادي : « ليلش : قرية فى اللحف من أعمال الموصل شرقيها بها الشيخ عدى بن مسافر ^(٢) » ، وقد نقل هذا من معجم البلدان وترك قول ياقوت « الشافعى شيخ الاكراد وامامهم وولده » - يعنى الشيخ عدى بن مسافر ، ومن هذا نعلم أن عديا كان شافيا ، والشافعية مذهب عام للاكراد اذ ذاك • وجاء فى ص ٢١٥ حصن زائد والصحيح « حصن زياد » وهو حصن خربت أى خربوط • وكل ما ذكرناه لا يعدو - فى الحقيقة - أن يكون من الامور الطفيفة بالاضافة الى هذا التأليف الجسيم •

مصطفى جواد

(١) نسخة باريس فى الورقة « ٣٠٠ » •

(٢) مراد الاطلاع على الامكنة والبقاع •

الاختيار والجبر في صدر الاسلام

Free will and Predestination in Early Islam

تأليف : « مونتجومري وات » W. Montgomery Watt

من مطبوعات مكتبة « لوزاك » للمشرقيات بلندن سنة ١٩٤٨ . وهو كتاب قدمه « مونتجومري وات » سنة ١٩٤٤ م الى جامعة أدنبرة ليلفطر « بالدكتوراه » ، فمحتة الجامعة هذا اللقب ، ثم جعل محاضرا في العلوم العربية في الجامعة نفسها . وشاء المؤلف فشر كتابه سنة ١٩٤٨ م في (١٨١) صفحة متوسطة الحجم ، منها (٥) صفحات للفهرست و (٣) صفحات للمراجع .

وقد حصر المؤلف بحثه في المدة الواقعة بين سنة ٨٠ وسنة ٣٣٠ للهجرة (١) ، فتكلم على الرجال الذين كان لهم رأى خاص في الاختيار أو الجبر ، وعلى المذاهب التي بحثت في القضاء والقدر ، فابتدأ بالحوارج ، وعنى من آرائهم برأى ميمون وشعيب ، ثم انتقل الى تطور الفكرة المذهبية عند الحوارج وانتقالها من نزعة سياسية الى عقيدة دينية ، ثم تحدث عن فرق الحوارج التي ظهرت فيما بعد .

ثم انتقل الى غيلان ، فالرجسة ، ثم الى القدرية فبحث في تسميتها ، وشايح « نلينو » في ذلك وتحدث عن قدمائهم . ثم انتقل الى معبد الجهني ، ثم الى المعتزلة وفروعها في بغداد والبصرة ، ثم تحدث عن أشهر رجال المعتزلة ، ثم انتقل الى مثبتة القدر فحدث عن أبي حنيفة ، ثم انتقل الى الجهمية والجبر والمجبرة . ثم المثبتة ، ومنهم ضرار والنجار وبرغوث ، ثم تحدث عن هشام بن الحكم وخشيش والحراز . وأخيرا أداه المطاف الى البحث عن مذهب الأشعرى والأشعرين ، فخاتمة الكتاب .

وقد وضع في نهاية الكتاب ثمتا بالمراجع التي اعتمد عليها في تأليف كتابه ، وقسمها الى قسمين : مراجع عربية ومراجع استشراقية هي من وضع المستشرقين . وقد لاحظت أن المؤلف قد اعتمد على مراجع القسم الثاني أكثر مما اعتمد على مراجع القسم الأول ، ولاحظت أيضا أن المراجع العربية التي اعتمد عليها قليلة ، وقد يذكر المرجع مرتين أو ثلاث مرات : يذكره مرة ، ثم يذكر ترجمته ، ثم يذكر مختصره مثل كتاب « الفرق بين الفرق » للبغدادى و « الملل والنحل » للشهرستانى و « كتاب الابانة عن أصول الديانة » للأشعرى . وتبينت أنه لم يعتمد على المراجع التي ألفها أصحاب

المذاهب أنفستهم أو رجال من أتباعهم ، وهذا نقص في الكتاب كبير ، إذ كيف يمكن تصوير صورة صادقة لمذهب من المذاهب بالاعتماد على كتب المخالفين له وحدها بفض النظر عن الكتب والوثائق التي ألفها رجاله ؟ فلم أجد من الكتب التي ألفها علماء المعتزلة غير كتاب واحد هو « كتاب الانتصار في الرد على ابن الراوندى الماحد » للخياط ، وكنت آمل أن أرى تفسير « الكشف » للزمخشري في جملة المراجع التي يعتمد عليها في بحث آراء المعتزلة .

فأما الحوارج ، فلم أجد لهم مؤلفا بين المؤلفات التي رجع إليها المؤلف ، ومعنى هذا أنه أخذ ما قاله في مذهب الحوارج من كتب المخالفين لهم . وهذا شيء غير صحيح .

وقد لاحظت أنه لم يتعرض لرأي الشيعة في الجبر والاختيار ، وأعتقد أنه لم يعرف من أمرهم شيئا ؛ لأنه لم يذكر لهم مرجعا غير « كتاب فرق الشيعة » للنوبختي ، ولو تعرض لهم لوجد لمشكلة الجبر والاختيار مكانة كبيرة في علم الكلام عندهم ، ولوجد أن المتأخرين منهم قد عالجوا الموضوع معالجة المعتزلة له ، وأن مؤلفاتهم في هذا الباب تكاد تكون صورة طبق الأصل لمؤلفات المعتزلة ، في الاختيار وفي نظرية الأصل واللفظ ، وما إلى ذلك من آراء مدونة في كتب الكلام . ثم إن ما ذكره عن « هشام ابن الحكم » مناقض لما ورد في كتب الشيعة من آرائه وأحاديثه . وهنالك رجال عدة عاشوا في أيام « هشام بن الحكم » وكانوا مثله في الدرجة وفي الجدل مع رجال الفرق الأخرى ، لم يذكرهم المؤلف ولم يشر إليهم ، وقد كانت لهم مجالس في الجبر والاختيار .

وقد رأيت أيضا أن المؤلف اكتفى بسرد الآراء في الجبر والاختيار ، ولم يبحث في الأسباب التي أدت إلى ظهور مشكلة الجبر والاختيار ، وأهمها عوامل سياسية كان لها أثر كبير في ظهور مذهب « القدرية » ، ولم يشر إلى موقف حكومة المؤمنين الرسمي من « القدر » ، ولا إلى مقاومة رجال الحكومة للقدرية من حيث أن هذه الفكرة كانت لا تلائم نظرية الدولة التي أعلنت مرارا أن حكم « أمير المؤمنين » حكم أراد الله لحير الأمة فلا يجوز اعتراض الناس عليه . ولما كان الكتاب قد قدمه مؤلفه إلى جامعة كبيرة للظفر بأكبر درجة علمية وهي « الدكتوراه » ، كنت آمل أن أرى رأي المؤلف واضحا مستقيما فيها ، وأن أقرأ نقده ومحاكمته ، وأطلع على حواراته بين الآراء ، ولكنني لم أجد شيئا من هذا ، بل وجدت في الحقيقة آراء الرجال مترجمة إلى الانكليزية كما جاءت في الكتب الإسلامية ، ومع

ذلك أرى أن المؤلف بذل جهدا كبيرا فى جمع هذه الآراء وعرضها ، لشرح مسألة خطيرة فى سيرة المسلمين الاجتماعية والدينية ، هى مسألة الجبر والاختيار .

بريطانية والدول العربية

Britain and 'The Arab States

تأليف : ستين ويليمس M. W. Seton - Williams

هذا الكتاب هو تذكرة فى الروابط البريطانية العربية منذ سنة ١٩٢٠ حتى ١٩٤٨ م . يقع فى ٣٣٠ صفحة من الحجم الوسط . وقد طبع فى مطابع « Burleigh » بمدينة « بريستول » « Bristol » ، بانكلترا ، بعناية مكتبة « لوزاك » « Luzac » من مكتبات انكلترا المعروفة فى عالم المشرقيات .

ومؤلفة الكتاب سيدة استرالية مثقفة ثقافة تاريخية وسياسية ، درست التاريخ وعلم السياسة ، واشتغلت بالآثار ، وزارت بلاد العرب عدة مرات قبل الحرب العالمية الأخيرة مع البعثات الأثرية التى قامت بالتنقيب عن الحضارات القديمة فى بلاد الشرق الأدنى ، واختلطت بمختلف الطبقات فى البلاد العربية ، ثم اشتغلت فى أثناء الحرب العالمية الأخيرة بوزارة الاستعلامات البريطانية فى قسم الشرق الأوسط منها ، واتصلت ، بحكم وظيفتها ، بكثير من الرجال المسؤولين من الجانبين : العربى والبريطانى ، واطلمت على وثائق مهمة ساعدتها على وضع كتابها « بريطانيا والدول العربية » .

تألف فصول الكتاب من مقدمة عامة هى المدخل الى كل الفصول ، يليها فصل فى ظهور الفكرة القومية عند العرب ، ثم فصول فى العراق ، ومصر والسودان ، وسورية ، ولبنان ، وفلسطين ، وشرقى الأردن ، والمملكة العربية السعودية ، واليمن ، وأمارات الخليج الفارسى ، وختمت هذه الفصول بفصل فى الجامعة العربية .

وفى الكتاب ملحق خصص بالوثائق الرسمية ، والمعاهدات والاتفاقيات التى عقدت بين الدول العربية ، أو بين الحكومات العربية والدول الأجنبية ، وثبت بالمراجع التى اعتمدت عليها المؤلفة فى تأليف الكتاب ، وفهرست أبجدى بالأعلام التى ورد ذكرها فى المتن ، وأربع « خرائط » .

والكتاب مفيد ، ما فى ذلك شك . مفيد ؛ لأنه على صغر حجمه يحاول أن يقدم كل ما يمكن تقديمه للناس عن الروابط العربية الانكليزية ، ولا سيما أولئك الذين

يريدون الحصول على نظرة عامة على هذه العلاقات وموقف الحكومة البريطانية من العالم العربي وسياستها ازاء الامارات العربية والمنحنيات ، وقليل من الناس من يعرف عن هذه الامور شيئا ، وفي هذا المختصر كفاية .

ومع ذلك يمكننا أن نذكر ملاحظات على هذا الكتاب . فمن ذلك أن المقدمة التي وضعت لتكون مدخلا له مقدمة موجزة ، لم تعرض لكثير من الامور المهمة التي كان يجب ذكرها . وقد بدأت بعمل التجار الانكليز في الشرق الأوسط في الاستانة وفي حلب ، وزحف « الشركة الشرقية » نحو الجنوب والجنوب الشرقي متبعة طريق القرات وطريق دجلة الى الخليج ، باحثه عن طريق برى يوصلها الى الهند ، بعد أن أصبح البحر في حكم البرتغال . وقد استطاع أحد التجار ، وهو « رالف فيتج » ، Ralph fitch » ، أن يصل الى « هرمز » ، Ormus ، ثم الى مدينة « كوا » ، Goa ، في الهند سنة « ١٥٨٣ - ١٥٩١ » . واستمرت هذه المقدمة حتى بلغت بالعالم العربي ما بعد الحرب العالمية الأخيرة . وقد كتبت المؤلفه كل هذه الحوادث ، وهي حوادث أربعة قرون في تسع صفحات متوسطة الحجم .

أما القسم الخاص بالمعاهدات والاتفاقيات فقد أهملت فيه وثائق مهمة لم يكن بد من اثباتها ، مثل معاهدة بريطانية والعراق لسنة ١٩٢٢م ، وتقرير اللورد ملر عن مصر لسنة ١٩٢٠م ، واتفاقية النيل ١٩٤٦م ، والكتاب الأبيض للحكومة البريطانية عن فلسطين في مايس سنة ١٩٣٩م ، وقرار التسييم الذي اتخذته هيئة الأمم المتحدة في نوفمبر سنة ١٩٤٧م ، وعلان الجنرال كاترو عهده باستقلال سورية ولبنان سنة ١٩٤١م ، ثم الرسائل التي تبادلها المستر « لتل تن » والجنرال ديفول .

وقد أوجزت في أمور كان لزاما عليها أن تفصل فيها القول ، فمن ذلك ايجازها في الاتجاهات والموجات الفكرية التي تعم الشرق الأدنى في الوقت الحاضر ، أو التي تحاول أن تجد لها مكانا فيه مثل حركة جمعية الاخوان المسلمين ؛ فقد أوجزت فيها كثيرا ، وجاء التعليق المذكور في الحاشية « رقم ٣٠٠ ص ٨٨ » مختصرا جدا ، وكذلك الآراء السياسية في البلاد العربية . وأهملت كثيرا من المسائل الحيوية التي لم يكن بد من التعرض لذكرها ، كالأحزاب السياسية في البلاد العربية بمبادئها وآرائها ووجهة نظرها بالنسبة للحكومة البريطانية السياسية ، ومشروع سورية الكبرى والمشروعات السياسية الأخرى .

وقد اقتصر الكتاب في الواقع على الأحداث السياسية فقط ، فعنى بتغير الوزارات

وتبدل الحكومات ، وبالمعاهدات والاتفاقيات ، ولذلك جاءت صفحاته مكتظة بالأرقام والأسماء . فاما النواحي الفكرية والاتجاهات الروحية والحزبية والمشكلات الاجتماعية والثقافية ، فقلما عنت بها المؤلفة ، حتى المسائل التي لها ميسر بالسياسة البريطانية لا تجد لها موضعا في الكتاب ، كالتشوعية مثلا ؛ فانها لم تتعرض قط لذكرها ، كما أنها لم تذكر الأحزاب أيضا ، فقد تعرضت مرارا عدة لذكر النحاس باشا مثلا ، ولكنها لم تبحث عن الوفد المصري والأحزاب الأخرى مع ما لهذه الأحزاب من أثر في علاقة بريطانيا بالبلاد العربية ، ويصدق هذا القول على الوضع في العراق وفي الاقطار العربية الأخرى .

واحق أننا اذا أردنا نقد الكتاب من هذه الناحية ، فاننا سنجد فيه نواقص كثيرة ، ولكننا اذا نظرنا اليه نظرنا الى كتاب أخبارى موجز ، غايته سرد الحوادث والعلاقات البريطانية العراقية سردا زنيا ، ألفناه كتابا أقرب ما يكون الى كتب المذكرات ، فهو لذلك يفيد متبع الوقائع والمراجع ، كما يفيد القارئ الذي يحب العرض السريع على طريقة « جرائد الأخبار المصورة » التي تعرض للأخبار في دور السينما . ولكننا لا نجد فيه رأيا شخصيا لمؤلفة الكتاب ، ولا نقدا للأوضاع السياسية أو الاجتماعية في بلاد الشرق الأدنى ، ولا أحكاما اجتهدية في السياسة البريطانية وفي أعمال الرجال البريطانيين في بلاد العرب ، ولا نستطيع أن نعرف منه مدى تأثير السياسة البريطانية في أوضاع البلاد العربية وفي المشكلات القائمة . وهو بهذا يختلف عن الكتب التي ألفها مؤلفون بريطانيون أو أمريكيون في هذا الباب . ولا بد من الإشارة أيضا الى أن الأعلام الواردة في الكتاب غير مضبوطة وفيها كثير من التحريف .

سناد الاسلام

The Background of Islam

تأليف المستر فليبي

عدة أوراقه « ١٥٢ » ورقة ، وفهارسه في « ٧ » ورقات . طبع بمطبعة « وايت هيد مورس »
« Whitehead morris » بالاسكندرية بمصر ١٩٤٧ .

يختلف طبيعة هذا الكتاب عن كتب « فليبي » الأخرى ، فهو كتاب تاريخي بحث ، تناول فيه تاريخ العرب قبل الاسلام من حيث هو الاساس الذي قامت عليه دعائم الاسلام ، فلم يضمه شيئا من مخاطراته ورحلاته واستكشافاته ، وهو من أكثر المستعربين خبرة

بهذه الأمور ، وإنما قصره على تاريخ العرب « القحطانيين » ، ولم يتعرض لتاريخ القسم الثاني من العرب الذين ظهر الإسلام في ديارهم ، وهم العرب العدنانيون « إلا بقدر ما لهم من اتصال بالقحطانيين ، مع ما لهؤلاء من أهمية في نشوء الإسلام .
وقد عرض للقحطانيين الذين عاشوا في الأقسام الجنوبية من جزيرة العرب أعني اليمن وحضرموت وعمان ، فبحث في الدول العربية القديمة ، وهي : معين ، وقبان ، وساء ، وحضرموت ، وأوسان ، وفي الخلافات التي كانت بين « حاشد » و « بقيل » ومملكة « ساء وذي ريدان » ، ثم حملة الرومان على اليمن بقيادة « أوليوس غالوس » ، وبحث في غزو الأحباش الأول لليمن ، ثم ظهور مملكة « ذى نواس » التي اتبعت سياسة عدائية للنصارى فنكلت بالجرانيين وبصارى اليمن عامة ، واستشهد في ذلك عدد كبير من مؤمنهم ، حتى أدى الأمر إلى تدخل الأحباش واحتلالهم اليمن مرة ثانية ، ثم اخراجهم منها واحتلال الفرس لليمن إلى ظهور الإسلام الذي طهر بلاد العرب من رجس الأعداء .

ولم يتعرض للحكومات التي تأسست خارج اليمن ، تلك التي رجح السابون نسبها إلى قحطان ، مثل : مملكة الفسياسة ومملكة المناذرة ، ويشرب القاعدة الكبرى للقحطانية في الحجاز التي لها أهمية بالنسبة لظهور الإسلام . وأستطيع أن أقول : انه قصر بحثه على حضرموت وانمن . وقد دفعته إلى ذلك النظرية التي تأثر بها ، وهي أن اليمن وما جاورها الموطن الأصلي للشعوب السامية ، منها خرجت تلك الشعوب وتوجهت إلى الشمال ، وهي عكس النظرية الشائعة بين جماعة المستشرقين المتأثرين بنظرية التوراة .
فهذا الكتاب هو في الواقع تاريخ لليمن من أول مملكة عرفت فجهبا إلى ظهور الإسلام ، ولذلك لا ينطبق عنوان الكتاب على ما جاء فيه . وقد كان على المؤلف أن يدرس بواجب أخرى أهم من هذه لمعرفة الأسس التي قام عليها الإسلام ، وكان حري أن يدعو كتابه بتاريخ اليمن القديم ، أو « تاريخ القحطانيين في اليمن » ، أو ما شاكل ذلك من عناوين لها صلة مباشرة بمادة الكتاب ونظرية المؤلف التي تحاول لفت النظر إلى البلاد العربية الجنوبية على اعتبار أنها الموطن الأصلي للشعوب السامية .

وبدل الكتاب في الحقيقة على أن المؤلف قد بذل مجهودا كبيرا في استقصاء تاريخ اليمن القديم وفي تسيق المعلومات المتناثرة التي لم تنظم تنظيما علميا حتى الآن ، وعلى رجوعه إلى مراجع كثيرة تكونت منها مادة هذا الكتاب . ولكنني كنت أطمح أن أرى هذا المؤلف في صورة أخرى : كنت أضع أن أراه كتابا حيا تجرى في عروقه دماء غزيرة ، ويعرب عن خبرة « فلي » الطويلة التي اكتسبها في بلاد العرب منذ الحرب العالمية الأولى

حتى الآن . كنت أطمح أن أرى تجارب فلبى ونتائج مباحثه وتحقيقاته التاريخية ماثلة في هذا الكتاب ، وأن أقرأ تصحيحاته لغلطات المتقدمين ، وأن أجد شروحا جديدة لما جاء موجزا في كتب الذين سبقوه ممن عنوا بتاريخ اليمن القديم ، فلقد اتسع له من الوقت ونسى له من الأحوال ما لم يتسن لأحد غيره ، وزار أماكن تاريخية ذات قيمة يصعب على غيره من الأوربيين والشرقيين المعينين بتاريخ العرب القديم الوصول إليها . ولكن طمعى هذا لم يتحقق إذ خرجت من الكتاب بخلاصة آراء المتقدمين ، لا بوجهات نظر « فلبى » الذى كنت أود أن أراه مجتهدا في تاريخ العرب القديم ، له رأى خاص وثيق يمثل رأى المؤلف الذى عرف بصلابة رأيه في أثناء اشتغاله فى الوظائف السياسية ، ينقل الى الباحثين الذين لم يسعدهم الحظ بزيارة تلك الأماكن رأى « فلبى » واستكشافاته الخاصة فى تلك الأرضين المجهولة ، فى قالب علمى جدى خارج عن أسلوب كتب السياحات .

وقد وردت فى الكتاب نظريات تكلم فيها المستعربون ، ولكنهم لم يتوصلوا الى نتائج ايجابية حتى الآن مثل نظرية الأبيدية وعلاقة الخط المسند بالأبجدية الفينيقية ، أو بالعكس . وكانت هذه المسألة لا تزال موضع جدل بين العلماء الذين يرون قدم دولة معين وقدم خطها تبعاً لذلك ، ثم ما يترتب على هذا من نظريات . وهناك نظرية أخرى هى نظرية « ابراهيم » وموطن ابراهيم ونظرية العرب القدامى فيه ، وهل كان أهل اليمن يعدونه جدا لهم فى العصور السابقة للإسلام وفى العصور التى سبقت ميلاد المسيح ، وهل كان « ابراهيم » جدا للساميين ، وماذا كان يقال له عندهم ، وهو موضوع وضعت فيه مؤلفات ومباحث ؟

وقد لاحظت أن المؤلف منغم بتحديد أيام الملوك ومدد حكمهم ، فوضع لهم وقتا زعم أنهم حكموا فيه ، وعصرا رأى أنهم عاشوا فيه . وهذا فى نظرى أمر غير ممكن فى الوقت الحاضر ؟ فإن كان المتخصصون لم يتفقوا حتى الآن فى مبدأ قيام هذه الدول وسقوطها ، وفى عمر الكتابات وإن كانت الكتابات أغفالا من التاريخ سوى عدد أرخ بتاريخ لا يزال فى حكم المجهول ، كأن يقال انه كتب فى شهر كذا من حكم الملك الفلانى ، وإن كان الملك نفسه مجهولا عندنا - فكيف نستطيع أن نستخرج من ذلك تاريخا ولو تقريبا للملوك ؟ ذلك فى نظرى أمر غير ممكن فى زماننا ، وقد يسوقنا الى غلطات شتى قد تولد أتعابا كثيرة عند اصلاحها فى المستقبل من الزمان .

ولاحظت أيضا أن المؤلف لم يذكر أرقام الكتابات ولا النصوص والنقوش التى أخذ منها مادته ، مع أن ذكر ذلك من الأمور الضرورية فى الكتب العلمية وللباحث الجاد الذى

يكتب كنهه لأصحاب العلم . ولم يشر أيضا الى المراجع التي أخذ منها ، بل اكتفى بالإشارة الى آراء جماعة من المستشرقين مثل « هومل » وغيره ، ولكن لهؤلاء كتب ومباحث ومقالات في مئات مجلات ، فمن أى كتاب أو بحث أو مقالة نقل (فلبى) هذا الرأى ؟ نضيف الى ذلك أن فى ذكر المصادر فائدة للقارىء . أقلها ارشاده الى مراجع جديدة لم يكن يعرفها فتزيد معلوماته فى ذلك الموضوع .

ولم أجد فى الكتاب « خريطة » ولا صورة للإماكن الأثرية والآثار الفريدة التي لا تزال فى مواضعها ، ولو كان المؤلف انسانا آخر غير « فلبى » لما طالبته بخريطة أو صورة ، أما المؤلف هو الرحالة المعروف الحبير بشؤون بلاد العرب ، وعنده ، ولا شك ، صور ومعرفة بجغرافية بلاد العرب الجنوبية لا توجد عند غيره ، فذلك يحملنا على ابداء هذه الملاحظة . ولعل عذر المؤلف فى ذلك أنه كتب كتابه هذا للخاصة ، وجعله هدية لعدد محدود من الناس ، فقد كتب فى صدر الكتاب أنه طبع بعدد محدود لم يتجاوز « ٥٠٠ » نسخة ، تحمل كل نسخة رقما ، وعليها امضاء المؤلف . ويظهر أنه اتبع فى ذلك خطة « لورنس » وطائفة من المؤلفين فى طبع كتب لهم بنسخ محدودة توزع بين طبقة مختارة من الناس .

ولا بد لى من الإشارة الى كتابة الأعلام فى الكتاب ، فان المؤلف لم يتقيد بالطريقة الاستشرافية فى تدوين الأعلام ، وتلك أمور حساسة بالنسبة للكتب العلمية ، فان تهاونا سيرا قد يقع القارىء فى هفوات من حيث كيفية النطق بأسماء الرجال أو القبائل أو الأماكن ، فلا بد من السير على الطريقة العلمية فى كتابة بعض الحروف مثل : ح وخ وص وط وظ وع وأ ، وكتابة المدة ، وقد تساهل المؤلف فى ذلك ، وسار على الطريقة المألوفة فى كتب السياحات أو الكتب التي لا تحمل الطابع العلمى فى التأليف .

ان هذه الملاحظات اليسيرة لن تؤثر حقا فى قيمة الكتاب ومجهود المؤلف القيم ، وأنعابه التي لا يقدرها الا من اشتغل بهذا القسم من التاريخ الذى لم تكتب فيه الا كتب قليلة . وأعترف بأننى قد استفدت من قراءة هذا الكتاب فوائد كثيرة .

أَنْبَاءٌ وَأَرْاءٌ

ألفاظ مغولية فى اللغة العربية

لا بد للغالين من أن يتركوا فى لغة المغوليين أثرًا إذا طال حكمهم لهم • ونحن نعلم أن المغول حكموا بلادنا مدة غير قليلة ، فلا بد أن أجدادنا اقتبسوا كلمات من لغتهم • لكنى لم أجد من جمع وأظهر ما تركوه عندنا من كلمات ، فأحببت أن أذكر فى مقالتي هذه ما بقى فى لغتنا منها ، وهو ما التقطته من كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطى ورمزت اليه بـ (ح) ، ومن مختصر الدول لابن العبري ورمزت اليه بـ (م) ، ومن حلية الانسان وحلية اللسان للسيد جمال الدين بن المهنا ورمزت اليه بـ (حل) • وقد ذكرت أرقام الصفحات بعد الرموز •

وجدت الكلمات الداخلة الى لساننا من المغولية تنقسم الى قسمين ، قسم ورد فى الكتب التى ألفت فى زمن استيلاء المغول على هذه البلاد ولسنا نستعملها الآن فى كلامنا الدارج ، وقسم لازلنا نستعمله فيه • اذكر كل قسم على حدة مرتبا على حروف الهجاء •

أولا : الكلمات الواردة فى الكتب فحسب

اختاجى (م ٤٣٥) : ركايدار ، ركابى ، خادم يمسك الركاب لسيدة عند ركوبه ونزوله ويمشى بجانبه بعد ركوبه • جـ أختاجية •

أردو (ح ٣٣٨) : مقر الملك عند المغول • وكان يقال لمقر القان (امبراطور المغول) : الأردو المعظم • أما عند الترك الآن فهو الجيش لاغير •

ايلجيكناى (هكذا فى م ٤٤٩ ؛ وفى عام ح ٤٣٦ جنكناى) : أمير الأمراء •

ايلخان (م ٤٦٤) : حاكم على قسم من المملكة ، والى ولاية قطر • يستعملها الترك

أيضا ، ولا غرو فكل القومين تورانيان •

باليش (م ٤٠٠) : جسيها ابن العبري على بواليش • وقيل هناك : باليش من ذهب

وباليش من فضة • فيكون الباليش عند المغول اما وزنا واما عددا معينا •

بتيكجى (م ٤٧٤) : كاتب • جـ بتيكجية •

برس (حل ٢٢٣) : نمرأت كلمة برس فى اعلام مركبة من منكوبرس

وطبرس • ويقال للنمر بالفارسية والتركية يازرس « بالباء الفارسية » •

ترخان (م ٣٩٥) : الحر الذى لا يكلف بشيء من الحقوق السلطانية ويكون ما يغم

من الغزوات له مطلقا لا يؤخذ منه نصيب للملك • وله أن يدخل على الملوك بغير إذن ولا يعاقب على ذنب الى تسعة ذنوب • ج ترخانية • استعملها الترك بلفظة طرخان بالطاء • فقالوا طرخان بك • أى الأمير الممتاز • المطلق اليد •

ترغو (م ٤١١) : غذاء • مأكلا ومشرب •

تليشميشى (م ٤٦٥) : الاكرام والقبول •

تومان (م ٤٢) : الفرقة من العسكر • والتومان أيضا (م ٥٢١) عشرة آلاف

دينار •

جاو (ح ٤٧٧) : أوراق نقدية عليها علامة الملك استعملت عوض السكة •

جنگرخان (م ٣٩٥) : الملك الأعظم • لقب به ملك المغول الأشهر واسمه

تموجين •

جوالكان (ح ٩٤) : الصولجان وهو معربه • جمعه على جوالكين •

دناكش (ح ٤٣٠) : فلوس فضة استعملت فى العراق سنة ٦٨٢ هـ • وجعلت كل

اثنى عشر فلما بدرهم • وأبطلت فى السنة التالية •

سيا (م ٤٧٣) : سور • بدن •

قازن (م ٤٢٨) : الملك العظيم • العاهل • الامبراطور •

قراقجى (م ٤٤٠) : مستحفظ • خفير • ج قراقجية •

قوريلتاى (م ٤٢٦) : مجمع • مؤتمر •

قويجور (م ٤٥٩) : المواشى •

نوين (م ٤٢٦) : أمير • ج نونية • تانى كلمة نوين عندهم بعد الاسم • مثال

ذلك ايلكانوين • ستاى نوين • بايجو نوين • أى الأمير ايلسكا • الأمير ستاى •

الأمير بايجو •

يارغو (ح ٣٥١) : محاكمة • يرغوجى • بلا ألف (حل ٢٠٨) : جاكم •

ياسا (م ٤٩١ • حل ٢٠٨) يسه (م ٣٩٥) : الناموس • القضاء • العدل •

يرليغ (م ٤٦٤) : منشور • عهد • فرمان • واقتبسها الترك • جمعها ابن العبرى

على يرالينغ (م ٤٥٠) •

وجاء فى م كلمة باسقاق (٤٠٨) وبوقتاى أو بوقتاى (٤٥١) وتبت تكرى

(٣٦٥) ولم يفسرها •

ثانيا : الكلمات المستعملة فى لساننا الدارج

أرمط (حل ٢١٩) : الكثرى • وهى أقرب الى تلفظنا (عرموط) من الفارسية

أرمود ومن التركية أرمود وأرمود .

الكة (حل ٢٢١) : التكة ، رباط السراويل . قال الخفاجي في شفاء الغليل

والجواليقي في المغرب : التكة مغرب . قلت لعلها من أكله المغولية هذه .

الجي (م ٤٩١) : رسول ، سفير . وقالوا للنبى : الجى دنغرى (حل ١٩٤)

ومعناها حرفيا رسول الله . والسفير بالتركية أيضا ايلجى . وقد قل استعمالها جدا عندنا ،

لا بل عليم .

بول (حل ٢١٢) : عبد ، ضد الحر . مستعملة خاصة ببغداد في مقام

السب والتحقير .

تيمنه (ح ٣٧٥) : هى فى الأصل عند المنسول الكى والوسم بحديد محمى ثم

استعملوها للعلامة (حل ١٩٨) ، ومنهم أخذها الترك فقالوا تمغا للعلامة . ونحن الآن

نلفظها طمغه بالطاء ج تمغات .

تكور (حل ٢٢٠) : صنجة الميزان أو كفته . عربناها قفلنا طنجير . وهو كل وعاء

نحاس أو حديد مقعر مقلطح شبيه بكفة الميزان أو أكثر تقعيرا . يستعمل الطنجير غالبا

فى عمل الحلوى وخاصة فى سبك المعادن . ومن سبك المعادن فيه نقول فى مقام

التشفي وطلب الشر وعدم المبالاة : بالقير والطنجير . وقديما استعملت دراهم مقعرة

سميت طنجيرا نظرا الى شكلها .

جلاوو (حل ٢١٠) : الشاب - جلو : الصبية . سمعت بعضهم يقول للغلام الحسن

جلو بفتح الجيم الفارسية واللام واسكان الواو . وبعضهم يسميه كلغ وهذه أيضا محرفة

عن جلاوو .

سدلاوغة (حل ٢٢٦) : الشرطة ، البوليس .

سوغات (حل ٢٣٠) الهدية . يقول البغداديون للهدية التى يهديها القادم من سفر

صوغة . توهبوا سوغات جميعا فجعلوا لها مفردا وأبدلوا الصاد بالسين فصارت صوغة .

وهى مستعملة ببغداد وجنوبها خاصة . يستعمل الموصليون عوضها كلمة أرمغان

وهى فارسية .

طاطور (حل ٢٢٢) : العصابة . لعل طرطور منها .

ططرغان (حل ٢١٩) : الأرز . وبالتركية القديمة ترغان . يقال للأرز ببغداد

وجنوب العراق تمن بكسر التاء وتشديد الميم وفتحها . يغلب على الظن أنها مختصرة

ومعربة منها .

طوغ (حل ٢٢٥) : العلم . ومثلها بالتركية .

قاتون (حل ٢٠٩) : السيدة ، الست • اقتبسها الايرانيون فقللوا خاتون • وعند التراك قادين •

قطاسون (حل ٢٢٢) : المداس ، الخف ، اليمنى • يقول الموصلى متوعدا من نازحه راعضبه : اقدسك مئة يعنى • فهنا لايد وأن أصل فعل التقديس هو التقطيس بالطيباء متفقا من القطاسون المغولية هذه ، فيكون معناه الضرب بالمداس • بدلت فيه الدال بالطاء لقرب مخرجهما •

داود المجلبي

(الموصل)

تعريف الغرب بالذكر العربي

حضرات الاصدقاء •

أحسست بالسرور والفيطة حينما طلب الى أن أحضر الى البلاد العربية السمحة ، وأمضى فترة من الزمن فى أقطارها العامرة ، وذلك لأنه يطيب لى أن أتحدث اليكم ، وأسمع منكم ، وأعيش بينكم ، وأبادل الآراء والأفكار معكم •

ويجول بخاطرى ، بهذه المناسبة ، السنة التى سار عليها كثير من خلفاء الدولة الاسلامية المتقدمين : من الارسل بأولادهم الى الصحراء ليعيشوا مع العرب الخالص يسمعون منهم ويحفظون عنهم • كذلك نحن - معاصر الأوربيين الذين كرسنا حياتنا لخدمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم - جديرون أن نرحل من حين الى آخر الى أقطار العرب ؛ لنعيش فى جو العروبة الصافية ، ولنسمع اللغة العربية من أفواه المتحدثين بها لا من بطون الكتب وسطور المخطوطات • واتى أجد صعوبة فى المخاطبة بها لقلة من لقيته من أبناء العرب فى بضع وعشرين سنة •

ان البساط السحرى الذى خلقه الخيال العربى ، أصبح حقيقة واقعة ؛ فقد سافرت من لندن الى القاهرة فى يوم واحد ، ولا بد أن يوجد بينكم من كان يذهب الى الأزهى فيقطع فى الطريق الاشهر الطوال ، ولكنه الآن يقطع المسافة نفسها فى ساعات •

ان التقدم المادى الذى تم أخيرا تمكن مشاهدته مصغرا اذا لاحظ الانسان بظه الجمل وقابله بسرعة القطار أو السيارة أو بما هو أسرع منهما وهو الطائرة • وقد تمكنت بلدان الشرق الأدنى فى نصف القرن الماضى من أن تصل الى درجة من التقدم لم تصل اليها بلدان المغرب الا بعد مرور قرون • وهذه حقيقة ظاهرة قلما تخطر على البال ؛ لأننا نشاهد آثارها كل يوم •

قد ضاعت الغزلة من العالم اجمالا ، فما يحدث من أحداث ، وما ينشأ من آراء
فى بقعة واحدة من الأرض ، يصبح غدا حديث الناس واهتمامهم فى جميع البقاع .
ولكن ما يحدث فى العالم ليس كله جيدا ، بل فيه الخير ، وفيه الشر . فمن انذى فيه
الخير للناس تقدم علوم الطب والكهربائية والتصوير الشمسى (لعمل صور المخطوطات
الشمسية مثلا) . أما الذى فيه الشر ، فمره لا يخفى عليكم ، ولا حاجة لذكره .

منذ ثلاثين سنة حين كنت شابا ، علمنى شيخ بغدادى قولاً كريماً ، وهو « كتبنا
انسان وكلنا اخوان » . وقد حرصت على رغم السياسيين فى كل بلد على العمل بهذه
الحكمة فى معاملتى مع أفراد الامة التى قيل هذا القول فى لغتهم ، وبهذا الروح أرجو
أن أحدثكم عن رأى فيما يمكن الغرب أن يفعلوه لتعريف الغرب بالفكر العربى . وإن
الرابطة العلمية التى تجمعنا قوية ، ولكن العلم بفضايا العرب وروح العروبة فى
بريطانية العظمى - مع جهود المستعربين - لا يعتد بهما .

لا تحتاجون الى من يعرفكم بقوة الدعاية ، فانتم تعلمون ما كان للدعاة الاسماعيلية
من أثر عظيم . أما فى أوربة اليوم ، فالصحف والاذاعات مملأت من الدعاية ، وإذا
استثنينا المستعربين والمستشرقين ، فلا نجد من يعرف الشرق الى الغرب ، ونجد الناس
حتى المتعلمين منهم يجهلون الأدب العربى . وظل « كتاب أنف ليلة وليلة » و « قصص
علاء الدين » و « أخبار هارون الرشيد » أهم مصدر للقراءة العادى . وقليل من الناس
يعرفون أن العرب حفظوا فلسفة أرسطو ونقلوها الى الغرب . وأما فى الوقت الحاضر ،
فانى أنا المستعرب لا أستطيع أن أجادى التقدم الفكرى والتعليمى فى العالم العربى ؛
لصعوبة الحصول على الكتب اللازمة . ولهذا أرجو منكم سماع هذه الاقتراحات .

أرى أول شئ وضع كتاب يبحث عن الخلق العربى ، موضح بالتفصيل المأخوذة من
تأريخ رجال العلم والأدب ، للإبانة عن كرم الحق العربى وحسن ضيافته ورقة طبعه .
وأرى أن يكتب عربى هذا الكتاب بالانكليزية ، فالكتاب الذى يكتبه غير عربى ليست له
القيمة التى تكون لكتاب يكتبه عربى يعرف تأريخ أمته وروحها .

أما اليوم فلا يعرف الا قليل عن نهضة العرب ، وتقدمهم فى طلب العلم ، ورغبتهم
فى اساعدة مكاتبتهم العالية فى الفكر العالمى . ومن الناس من يسعون لتسويد صفحاتهم ،
ويقولون : انهم متأخرون لا يستطيعون التقدم ، ومكبون بسلاسل التقاليد الماضية ،
ويكرهون كل جديد ، ويعادون المدنية . وقد رددت بنفسى هذه التهم فى عدة مناسبات
ولكنى أرى أن أحسن رد لها يجب أن يكتبه عربى .

لا يفهم الناس فى انكلترا ولا فى الغرب الاقصى أن العرب الآن فى عهد يشبه

العصرين الأولين من عهد بنى عباس يوم كانوا يطلبون العلم ولو فى الصين • فالجامعات البريطانية ملائى من الطلاب العرب ، يدرسون فيها مختلف العلوم ، ثم يعودون الى الوطن • والواجب نشر هذه المعلومات وأمثالها فى الغرب من نهضة العرب العلمية والاجتماعية ، فانى وأمثالى من المستعربين لا نعرف شيئا عن مشروعات الزراعة والرعى والصحة والعمران ، ونشر العلوم فى البلدان العربية • وأرى أن يكتب فى هذه الموضوعات بعض الكتب الصغيرة وتباع بأثمان بخسة فى محطات سكة الحديد وفى خزائن الكتب العامة ، كما أرى أن تنشر مجلة بالانكليزية ينولى انشاءها نخبة من العرب ، تعنى بالمباحث الحيوية ، وذلك لاجبار المتقنين والمستشرقين بتقديم الفكر العربى الحديث شهرا شهرا •

أما الجامعات العلمية ، فعملها الاعتماد فى اصدار الكتب الجديدة ، وتطعيم التقديم بنتائج البحث الحديث • وقد ذكر لى صديق فى بيروت خبر مخطوطة فى الرياضيات فيها اصطلاحات لا تعرفها الكتب الحديثة ، فانها تستعمل الالفاظ الأوربية ، أو ترجمها الى العربية ترجمة جديدة • فالجامع العربية يمكنها أن تتلافى ذلك بإحياء تقديم ، وتجنب الجديد الذى لا حاجة اليه •

والطلب موضوع كان العرب قد برزوا فيه ، ولست أدري أكانت الكتب الحديثة تستعمل اصطلاحات الأطباء الأولين والذين كتبوا فى خلق الانسان أم لا ، ولكنى أقول : ان درس هذا الفرع ، وبيان نواحي أهميته ، يفيد العلماء انذين يدرسون الطب العالمى • وقد أصبح من الصعب بعد الحرب أن تطبع الكتب بالعربية فى أوربة • فالتشرقون الآن يعتمدون على ما يصدره اباحثون العرب فى الشرق • وأنه ليسر الواحد أن يقرأ كتابا قام بطبعه ونشره عربى ، فيجد الورق جيدا ، والطباعة مقبلة ، والشرح واثيا • فطبعة حديثة صادرة من القاهرة أو بغداد أو دمشق أو بيروت مبنية على كل المخطوطات الموجودة والمطبوعات السابقة ، تقع الباحث بالقدم العظيم الذى تم فى السنوات الأخيرة • فالتعرب فى الغرب ينتظر بشوق كبير ما يصدره زميله الباحث الشرقى •

ان أوربة مدينة للشرق ، فهو الذى أعطاها فن الكتابة ، ولهذا يتوجه الغرب الى الشرق لدرس تطور المذنية الانسانية • فالتقيب عن آثار المذنية ، كان فى السابق موكولا الى علماء الغرب ، ولكن علماء الآثار من العرب ورؤساء المتاحف العرب ، قد دخلوا الميدان ، ونحن نتنظر بشوق نتائج بحوثهم •

وانا حين درسنا لغات الأمم السامية القديمة كنا نرجع الى اللسان العربى لارشادنا ، فثروة هذه اللغة بالمفردات ، وقواعدها ، واتساع نطاق مادتها ، يساعدنا على

كشف معاني تلك اللغات • مثلاً فن الألواح التي اكتشفت في رأس السمراء ، وجدت حرف اللام يستعمل للمنادى ، مثل (يا لزيد) ، وهي التي يسميها اللغويون (غلام الاستغاثة) ، وهي بحسب معرفتي لا توجد في غير اللغة العربية • ولكننا وجدناها الآن في الآثار الأدبية التي خلفها جماعة من قدماء الساميين في القرن الخامس عشر قبل الميلاد •

وانه ليسرني أن أرى أهل البلدان العربية يدرسون ماضي أجدادهم الثقافي ، وأن الرأي القديم بأن العرب بدو لا يقرأون ولا يكتبون ، لا ينطبق إلا على جزء صغير من الأمة العربية العظيمة ؛ فإن الآثار التي وجدت في جنوب جزيرة العرب وأسطحها ، لم يعرف مضمونها معرفة تامة حتى الآن • والأمل أن يدرس العلماء العرب اللهجات التي كان آباؤهم يتكلمون بها في الجنوب وفي الواحات •

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعددنا إلى الآثار

وإن درس قواعد اللغات السامية بالمقابلة في البلاد العربية لابد أن يؤثر في النظرة إلى قواعد اللغة العربية ، ويساعد على حل كثير من مشكلاتها • وإنا في جميع هذه الميادين نتظر بحوث العلماء العرب بشوق عظيم •

وأخيراً أرى حاجة كبيرة - في بلاد الغرب خاصة - إلى معجم عربي شامل يشبه معجم (أكسفورد) بالانكليزية ، فني مثل هذا المعجم يوضح المعنى الأساسي للكلمة ، ثم أصلها إذا كانت أعجمية ، ثم معناها مستعملاً في جملة مقبسة للتوضيح ، ثم مشتقاتها المختلفة ، ثم معانيها التي تغيرت بتغير الأزمان • فانه لا يسهل استعمال « اللسان » ولا « التاج » ، إذ لم يكن وضعهما بطريقة تسهل الرجوع إليهما • أما « المحيط » الذي يسهل استعماله ، فهو ليس بشامل • ومع أنني مدين لمؤلفه ، أسميه « غير المحيط » •

لا أطمح أن أعيش حتى أرى هذا العمل العظيم يتحقق ، ولكنني على يقين أن ذلك سيتحقق ، وإن المعجم سيضم إشارات إلى اللغات السامية مع التصاريح والشروح المأخوذة من كتب اللغويين القدماء •

ومن هذه الاقتراحات ما يتصد به تسهيل اطلاع البريطانيين على ماضي العرب وحاضرهم بما في ذلك من التفاضل والنضائل ، فيأعددهم ذلك على التفاهم المتبادل مع العرب • والاقتراحات الأخيرة في آرائي الخاصة بشأن تعاون العلماء الشرقيين مع العلماء المستعربين في درس اللغات والمدنيات الشرقية • وسأكلمكم في خطابي التالي على ما هو جار في انكلترا لتشجيع الشبان على الدراسات العربية في الجامعات •

وقبل أن أختم كلامي أود أن أخبركم بشرف عظيم قد جاني به (المنجم العلمي

العربي (بدمشق فقد انتخبني عضوا مراسلا فيه ، واتي أغتتم هذه الفرصة لأظهر
افتخاري بانضمامي اليهم ، وأعد نفسي ابنا للأسرة العربية ؛ ولهذا تروتنى مهتما بأن
ينال العرب مكانهم اللائق بهم بين الأمم المتمدنة في العالم .

وهذا جوابي لمن يعاديبكم في هذا أو في غيره .

لا تخدعن بأن العرب في خطر فالأس والمجد والاقدام للعرب

ألفريد كبرم

(لندن)

عضو المجمع العلمي العراقي

خلاصة أعمال المجمع العلمي العراقي

أُنشأت الحكومة العراقية في عام ١٩٤٥م لجنة بوزارة المعارف دعتها « لجنة التأليف
والترجمة والنشر » لمؤازرة المؤلفين والمترجمين والناشرين ، ثم نظرت الى منزلة العراق
من البلاد العربية قديما وحديثا وما ينبغي من توسيع نطاق النشاط العلمي فيه ومجاراة
الأمم الناهضة في مضامير الارتقاء فألفت تلك اللجنة ، وأنشأت في ١٢ المحرم
١٣٦٧هـ = ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧م (المجمع العلمي العراقي) بدلا منها على نمط آخر
إبعد هدفاً وأوسع عملا وأجدى نفعاً كما نصت على ذلك المادة الثانية من نظامه الاساسي ،
فكان هذا المجمع ثالث الجامعات العلمية التي قامت في ديار العرب في هذا العصر بأمرال
دولها ورعايتها ، وأولها (المجمع العلمي العربي) الذي أسس سنة ١٣٣٧هـ = ١٩١٩م
بدمشق عاصمة البلاد الشامية ، وثانيها (مجمع اللغة العربية الملكى) أو (مجمع فؤاد
الاول للغة العربية)^(١) الذي أنشأته الحكومة المصرية في سنة ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م
بالقاهرة .

ومن يطالع أنظمة هذه الجامعات الثلاثة يجدها متشابهة الأغراض والمقاصد ، تعمل
جميعا على احياء مجد اللغة العربية وتجديد شباب الحضارة العربية الاسلامية ، غير أن
وجوه النسب بين المجمع العلمي العربي والمجمع العلمي العراقي أكثر ، والوجهة التي
يتتبعانها تكاد تكون واحدة ، ذلك أن مجمع فؤاد الاول لغوى بحث ينظر على وجهه

(١) سمي بهذا الاسم بدلا من الاسم الاول في ١١ جمادى الآخرة ١٣٥٧هـ
(٧ آب ١٩٣٨م) بموجب مرسوم خاص باطلاق اسم « فؤاد الاول » ملك مصر علي
مؤسسات عامة نشأت في رعايته ، أصدره ابنه الملك فاروق . (مجلة مجمع فؤاد الاول
لغة العربية ٧٩/٥) .

التخصيص في اللغة والاشتقاق والنحو ، ويتوفر على وضع المصطلحات العلمية والفنية لا يتعداها الى ما سواها ، والمجمعان الآخران ينظران في هذه الأمور وفيما سواها من العلم والأدب واللغة والتأريخ والتأليف والترجمة والنشر تشيا مع حاجة بلاديهما ، اذ كانت النهضة العلمية في الشام والعراق حديثة النشأة لم تكتمل بعد أسبابها ، وطبيعة النهضة العلمية الحديثة تقتضي الرعاية العامة لكل فرع من فروعها ، فلم يكن بد من انشاء المجمع العلمي العراقي على نمط المجمع العلمي العربي مراعى فيه حاجات العراق وما يتطلبه التأليف والترجمة والنشر فيه من مؤازرة وتسديد وتوجيه ، وقد أجملت المادة الثانية من نظامه الاساسي الأغراض التي أنشئ من أجلها ، وأجملت المادة الثالثة الوسائل التي يتوصل بها الى تحقيقها^(١) .

وقد بدأ المجمع العلمي يعمل على تحقيق أغراضه واخراجها من القوة الى الفعل شيئاً فشيئاً على قدر ما تسع له موازنته المالية وتيسحه له الفرص المواتية ، وسيله في ذلك التثبت والاثابة لا التسرع والارتجال ؛ لأن العمل العلمي درس وتأمل وتركيز ، والتسرع والارتجال من أكبر المعاول التي تنال من بنيانه وتنتهي على قواعده . فاذا باين باجتهاده هذا بعض المشارب ، ولكل أحد نصيب من الرأي وحق في الاجتهاد ، فأي أمر في الدنيا تصفق عليه كل الآراء وترضاه جميع الأهواء ؟ لا أقول هذا وأنا أريد العذر للمجمع عن تقصير بدر منه أو ولاء ظهر في نشاطه ، كلا ! فإن ما نظر فيه من الأمور الجلية ، وما نهض به من الأعباء الثقيل ، مع ما أقيم في طريقه من السدود ووضع في يده من القيود ، هو فوق طبيعة الوضع انذى حدد مجهوده في نطاقه .

وهناك خلاصة أعماله :

جلساته = عقد المجمع أولى جلساته في ١٢/١/١٩٤٨^(٢) فانتخب ديوان الرئاسة ونظر في شؤون مهمة تتعلق بوسائله ، والدعوة له ، ومن ذلك قراره بأن ينمى خبر انشاء المجمع في العراق الى المجمع العلمية والجامعات في الشرق والغرب لتكوين صلات ثقافية بينه وبينها ، وقد بلغت جلساته من هذا التاريخ الى ٣٠/١/١٩٥٠ ، ٦٢ جلسة . أما جلسات اللجان العديدة التي ألقها لدرس مطالبه فقد أربت على ١٥٠ جلسة ، والأعضاء ينفقون الساعات في حضورها من غير عوض مادي عنها ، وكذلك ما يحاضرون به أو يكتبونه في هذه المجلة .

أعضاؤه = يتألف المجمع من عشرة أعضاء عاملين تقدمت أسماؤهم في (ص ٢١)

(١) انظر ص ٣ من هذه المجلة .

(٢) حفر هذا التاريخ في ص ٢٠ الى ١٩٤٧ م .

من هذه المجلة ، ومن ديوان رئاسية يكون انتخابه من هؤلاء القشرة وقوامه رئيس ونايبان
 له ، وقد تألف ديوان الرئاسة في السنة الأولى من الأستاذ الشيخ محمد رضا الشيباني
 رئيساً والسيد توفيق وهبي نائباً أول والدكتور هاشم الورتى نائباً ثانياً ، وأعيد انتخابهم
 في ١ تشرين الأول ١٩٤٨م غير أنهم ما لبثوا غير قليل حتى ظهر الى الوجود تفسير
 الفقرة الثالثة من المادة الثلاثين من « القانون الأساسي » وهو يمنع الجمع بين الوزارة أو
 العضوية في المجلس التشريعي وبين عمل آخر من أعمال الدولة ، فتخلى الرئيس في
 ١٦/٢/١٩٤٩ عن المجمع اذ كان عضواً في المجلس النيابي كما تخلى عنه في ١٥/٢/١٩٤٩
 نائبه الأول محافظاً بعضويته في مجلس الأعيان ، وقبله العضو السيد نصره الفارسي للسبب
 نفسه اذ كان عضواً في المجلس النيابي ، واستقال الدكتور هاشم الورتى في ٢/٤/١٩٤٩
 من الرئاسة الثانية مقتصرًا على عضويته في المجمع . وفي ٨/١/١٩٤٩ عقدت جلسة للنظر
 في ملء الشواغر بانتخاب أعضاء جدد ، فانتخب السيد محيي الدين يوسف والدكتور
 مصطفى جواد والسيد شيت نعمان أعضاء عامين . وأجرى انتخاب ديوان الرئاسة الجديد
 في ٢/٤/١٩٤٩ فكان الأستاذ السيد منير القزبي رئيساً ، والدكتور شريف عيسى
 نائباً أول ، والأستاذ السيد محمد بهجة الأتري نائباً ثانياً . ولما حلت السنة الثالثة
 أعيد في ١ تشرين الأول ١٩٤٩م انتخابهم لذلك . واتفق أن غادر العراق الدكتور
 فاضل الجمالي والدكتور متى عقرازي في مهمات رسمية يطول أمدها فقرر في
 ١٥/١٠/١٩٤٩ جعلهما عضوين فخريين وانتخب بدلا منهما الدكتور ناجي الأصل
 والدكتور أحمد سوسة عضوين عاملين .

ونظر المجمع في انتخاب أعضاء فخريين آخرين فاختار العميد السيد طه الهاشمي
 والسيد يعقوب سر كيس ، كما نظر في انتخاب أعضاء مراسلين من الباحثين العراقيين
 وأعلام العلم في مصر والشام ولبنان وبعض العواصم الشرقية والغربية يرسلونه بأرائهم
 ويشاركونه في عمله العلمي فانتخب ٢٨ عضواً مراسلاً ذكرت أسماؤهم في ص ٢٢١ و٢٢٢
 من المجلة الا واحد انتخب بأخرة ، ولم يذكر اسمه هناك ، وهو السيد جميل بيهم
 « بيروت » ، وسواي النظر في انتخاب آخرين ممن يتوسم فيهم مؤازرته في أعماله
 ومعاونته في أداء واجباته للأمة .

بنايته : وجد المجمع نفسه حين أنشئ في دار كراء ضيقة في حي قديم ، فقرر
 أن يملك من العرصات الأميرية أرضاً رحة في حي جديد ينشئ فيها بناءة تليق به
 تكون من جملة مرافقها قاعة للمحاضرات ، وثانية للكتب ، وثالثة للمطالعة ، ورابعة
 للاجتماعات ، وغرف للموظفين وللشعبة الفنية وللمطبعة ، وحديقة . فدرس الأمر ملياً

وتسنى له أن يقنع وزارة المعارف باعطائه ٧٠٠٠٠ متر من الأرض المنوى انشاء المتحف العراقي عليها في الكرخ ، ووافقت وزارة المالية على تملكه اياها بكتابتها المؤرخ بـ ١٩٤٨/٩/٢٣ ، وخطت حدودها ، وكلف المجمع شعبة المياني بوزارة المعارف فوضعت له تصميم البناء ، وانتهت معاملة التسجيل الى دائرة التملك (الطابو) وما كادت تشرع في تسجيلها باسم المجمع حتى اشعرتها بعض الجهات بمخالفتها طالبة ابطال المعاملة ، وخفضت موازنة المجمع وهو في مطلع حياته من ٢٥٠٠٠٠ دينار الى ١٠٠٠٠٠ دينار ، وكان قد أرصد هذا المبلغ للبناء وحده ، فاخذ يتدبر الموقف وهو لا يملك غير المراجعات الرسمية والاعتصام في مساعيه بالصبر . ثم استطاع أن يظفر بالنقلة الى دار نليق به في « الوزيرية » ، ولبت فيها حتى خفضت موازنته في هذا العام الى ٨٠٠٠٠ دينار بحكم الازمة المالية الحاضرة فاضطر أن يسائر الوضع ويبحث عن دار أقل من هذه الدار أجرة كراء ، فانتقل اليها . ثم عاد يفكر فيما ينبغي لمرافق الدولة ، ومنها المجمع ، من جلال الشأن وسمو المكانة ، فكتب الى وزارة المعارف لتقطعه أرضاً ، فنزلت له عن ٢٥٠٠ متر من عرصاتها في محلة الوزيرية ، وكل رجائنا أن تبلغ المعاملة غايتها من التمام .

المطبعة = وقرر المجمع أن تكون له مطبعة حديثة تطبع كتبه ومجلته ، فعمدت درس ذلك الى الأستاذ محمد بهجة الاثري والدكتور متى عقرأوى والدكتور جواد على ، ثم استقر الرأي على مفاوضة احدى الشركات التجارية فوراً ، فما لبث أن فوجيء بخفض موازنته ، فعدل عن عزمه على الشراء ريثما يحسن وضعه المالي . ثم ألبأ تسويق المطابع وابطاؤها الشديد في انجاز مطبوعاته ، ومنها مجلته ، الى التفكير في خطة تسهل أعماله بعض الشيء ، فرأى أحد أعضائه أن يتباع حروفاً يئصدها ويبت بها الى المطابع ، وكتب الى وزارة المالية يطلب موافقتها على ذلك ، فلم توافق !

خزانة كتبه = وكان من أوائل ما قام به المجمع من الأعمال شروعه فوراً في تأسيس خزانة كتب خاصة به ، فاتصل بكبريات دور الكتب في العواصم الشرقية والغربية ، واقتنى منها في زمن قصير زهاء خمسة آلاف كتاب في مختلف العلوم ، واستطاع بعد جهد متواصل أن يحصل على معظم كتب المستشرقين وكثير من فهارس الجرائن العالمية ، ويظفر بـ ٩٣ كتاباً مصوراً من أنفس الكتب صورت له في بغداد والقاهرة وطهران والأستانة ولندن وباريس ، ومنها النسب الكبير للزير بن بكار وجمهرة النسب لابن الكلبي ، ومختصره لياقوت الحموي ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي ، ونزهة الأرواح وروضة الأقران للشهرزوري ، وتأريخ الموصل

لأبي زكريا الأزدى ، وأخبار ملوك العرب الأولين من بنى جرهم وهود للأصمعي ، وتاريخ واسط لبجشل ، ومختصر العين للزبيدي ، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، ومجالس أبي مسلم لمحمد بن أحمد الكاتب ، وتاريخ شمس الدين الجزري ، وخريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الأصبهاني ، وتاريخ ابن الديلمي ، ومختصره للذهبي ، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد لأحمد بن أيك الديماطي الحسامي ، ومنتخب صوان الحكمة لأبي سليمان السجزي ، وما لا يسع الطيب جمهه ليوسف بن الياس الكتبي الشافعي ، ومجلد من شرح ديوان هذيل ، وديوان الصوري وغيرها من النفائس والوارد .

سارت هذه الخزانة في بداية عهدها سيرا حنا أثار الإعجاب في أنفس الواقفين على المنجهد الذي يبذله المجمع في جمعهما وسبقها حتى خيل اليهم أنها ستضاهي أعظم خزائن الكتب في العالم العربي ، غير أن الوضع المالي قام سدا حائلا بينه وبين الخطوة التي وضعها وشرع في تنفيذها ، إذ منعت وزارة المالية بكتابها ذي العدد ٥٨٣٤ المؤرخ ١٩٤٩/٧/٢٤ م ثم مجلس الوزراء بكتابها ذي العدد ٣٣٦٤ المؤرخ بـ ١٩٤٩/٧/٢٤ م شراء الكتب اقتصادا في النفقات ، فوقف عند الحد الذي انتهى إليه إلا ما يرد عليه من الهدايا ، ومعظم ما تلقاه منها كان من الجامعة السورية والمفوضية الإيرانية بغداد ووزارة المعارف ودار المعلمين العالية ، وما تبقى أهدها إليه المجمع العلمي العربي بدمشق ودار كتب الأزهر بالقاهرة وأفراد من فضلاء المؤلفين والناشرين وأرباب المجلات والصحف .

وهي مفتوحة للمطالعين في أوقات الدوام الرسمية ، وفيها قاعة خاصة هيئت فيها كل وسائل الراحة ، ولمن شاء منهم أن يستعير الكتاب الذي يريده .

شعبة التجليد = لاحظ المجمع أن تجليد كتبه على يد المجلدين في الأسواق يكلفه نفقات كثيرة فضلا عن قلة الاتقان ، فقرر تأسيس شعبة للتجليد فيه لاختصار المصروفات وتجويد العمل ، واتصل بالشركات التي تتعاطى بيع آلات التجليد لتجهزه بأحدث الآلات وأتمها ، والمرجو أن تستكمل أسباب العمل في أقرب وقت .

الشعبة الفنية = وقرر تأسيس شعبة فنية فيه ، فجلب من انكلترا الآلات والأجهزة التي يصور بها الكتب النادرة والوثائق ونحوها له ولمن يشاء ذلك من الباحثين . وهي تتألف من « فوتوستات » تنسخ الكتب والرسوم و « الحرائط » وأجهزة للفصل والتجفيف والتكبير ، و « مايكرو فلم » لأخذ التصوير في رقوق صغيرة ، وآلة قراءة أو معيدة تكرار الكتابات التي تصور في الرقوق ، وبانوس سحري للمحاضرات يعكس

الألوان الطبيعية، وجهاز سينمائي ناطق للمحاضرات وعرض الرقوق .
 - وهذه الشعبة يديرها مستخدم فني واحد ، وقد قُمت بعمل دائرة لمديرية الباحثين
 الضمنية ومديرية الامراض المتوطنة ولافراد من الباحثين والمجمع نفسه . وبما
 صوبه له من الكتب مجلد تادير في شرح ديوان هذيل ، وكتاب ما لا يسع الطيب جهله ،
 وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه عن الاصل النادر المطبوع بأوربة ، وانما صورته
 لتعريف الحصول على نسخة منه في الاسواق ، وديوان الصوري وقد اهدى المجمع نسخة
 منه الى المجمع العلمي العربي بدمشق تعزيزا للروابط الثقافية بين المجمعين .
 الجوائز = وقرر المجمع أن ينشئ في كل سنة جوائز لتشجيع التأليف والترجمة
 والنشر في العراق ، فأرصد لسنة ١٩٤٨-١٩٤٩ ألف دينار خمسة موضوعات ، لكل
 موضوع مئة دينار ، وهي : (١) التجديد في الأدب العربي (٢) اصلاح القرية العراقية
 (٣) الحضارات الزراعية في العراق (٤) أجود كتاب مترجم في سنة ١٩٤٨-١٩٤٩
 (٥) أجود كتاب مطبوع في سنة ١٩٤٨-١٩٤٩ ، ونشر الدعوة الى هذه المبادرات فني
 الصحف وأذاعها من دار الاذاعة ، فكلتني في بحر المدة التي حددتها في رسائل في
 اصلاح القرية العراقية ، عولم يقدم اليه في الموضوعين الآخرين أحد شيء ، وأرسل
 اليه آخرون بكتب مترجمة ومؤلفة مطبوعة .
 فأما الكتب المؤلفة في اصلاح القرية العراقية ، فقد أحالها الرئيس على خمسة
 من أعضاء المجمع مغلفة أسماء كاتبها وقد وضع على كل منها رقما لا يعرفه غيره ،
 ودرسها كل منهم على افراد ووضعوا لها الدرجات التي ارتأوها ، ثم عقدت جلسة
 جميع الأعضاء فوجدت الدرجات ثم فض الرئيس الاغلفة التي تضمن أسماء الكتّيبين
 وأرقامها السرية ففاز بجائزة « اصلاح القرية العراقية » كتاب السيد جعفر الحياط ، وفوز
 بجائزة الترجمة « تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري » للدكتور
 عبدالعزيز الديوري ، وبجائزة الكتب المطبوعة « تاريخ العراق السياسي الحديث » للسيد
 عبدالرزاق الحبشي ، وقد راعى المجمع وهو يمنح أولى جوائزه ، جانب التشجيع فلم
 يتشدد في منح الجوائز شيئا يقف في بدء حياته موقفا سلبيا من الكتاب والترجمين
 والناشرين قيد يهدمهم ويؤذي مشاعرهم . وبجسبه أنه أراد إخير ، وأنه أثار في الكتاب
 حريسة للرغبة في البحث والترجمة والنشر .
 - وأرصد لسنة ١٩٥٠-١٩٥١ م ست مئة دينار قسمها هكذا : ١٥٠ دينار لمن يؤلف
 أحسن كتاب في وسائل اصلاح اللغة العربية العامية وتقريبها من اللغة الفصحى ، و
 و٢٠٠ دينار للجائز الاول و١٠٠ دينار للجائز الثاني في نقل أحسن كتاب من لغة غربية

الى اللغة العربية ، على أن تكون الترجمة قد أنجز طبعها في سنة المبارزة ، ١٥٠٠ دينار
لاحسن كتاب مطبوع في سنة ١٩٥٠-١٩٥١ ، و شرط ذلك شروطا تراها في بيانها
المنشور في اخير المجله .

وفد اضطر المجمع في هذا العام أن يخفف عدد جوائزه ومقادير المنح لفائزين
بسبب التخفيض الذي اجرت به وزارة المالية في موازته من ١٠٠٠٠ دينار الى ٨٠٠٠ ،
وكن يود لو مدت الاحوال من التوسعة عليه ليوسع على المؤلفين والمترجمين والناشرين
ويزيد في مقادير الجوائز ، فما يتفق على العلم ليس بصنع ، وليس احد احق من اربابه
بابية وانصتين .

مجلة = وقرر المجمع انشاء مجلة تكون ميدانا حرا لاقلام أعضائه ومؤازريهم
من العلماء والادباء والباحثين ، فبدأ يعد العدة لاصدارها ، وألف لها لجنة يواهبها
والاستاذ السيد محمد بهجة الاثرى والدكتور شريف عيران والدكتور جواد جلي ،
عهد اليها باخراجها والاشراف عليها واستكتاب الاعضاء وغيرهم من العلماء ، واذن اقتدر
لها ان تصدر قبل هذا الوقت الذي تصدد فيه ، وتكن عراقل المعاملات الرسمية
تالحصول على موافقة وزارة المالية باصدارها ، واجراء مناصات الطبع على يد ادارة
مطبعة احدومه وتوسطها في شراء الورق وفي كل كبيرة وصغيرة من هذه الشؤون ،
وكذلك عراقل المطابع ويطوؤها وتسويقها مع كبر حجم المجلة وضخامتها واتقان طبعا :
كل ذلك نضى بتأخير صدورها وصدور نذر من نجاح المجمع الذي أعده للطبع ولم يسر
له وسائله السريعة الفعالة بالرغم من متابعته مساعيه في افناع المسؤولين في انابية ،
وجنبهم على تمكينه من أداء رسالته لهذا الوطن الحبيب بزيادة موازنته ورفع القيمة
الثقيلة التي تمنعه من التصرف وتشل حركته .

محاضراته = وقرر المجمع ، بعد أن فرغ من اعداد كثير من وسائله ومرافقه ،
أن يقوم أعضاؤه العاملون بانقاء محاضرات يفيد بها جمهوره المتعلمين الناشئين خاصة ، ثم
ينشرها في مجلته وفي كتاب مستقل تعميما لقوائدها ، فنشط فريق منهم لذلك ، وخذ
هي المحاضرات التي أنقوها ، وقد شاركهم فيها اثنان من المستشرقين البريطانيين أما العراق
وزاربا للمجمع وتعرفا على أعضائه :

(٢) الشرح العربي : ألقاها الاستاذ ألفريد كيوم مدير معهد الدراسات الشرقية
بجامعة لندن وعضو مجتمعا ، في قاعة الملك فيصل ، في ٢٢/١٢/١٩٤٨ م .

(٣) اليوتسكو : ألقاها الدكتور متى عترواي في قاعة المجمع في
١٧/١/١٩٤٩ م .

(٣) أسلوب القرآن الكريم ومفردات ألفاظه : ألقاها الأستاذ السيد منير القاضى

فى ١٩٤٩/٢/٦ م .

(٤) محاضرة عن مصر : ألقاها الأستاذ الشيخ محمد رضا الشيبى فى قاعة

الملك فيصل فى ١٩٤٩/٣/٦ م .

(٥) الهيئة الصحية العالمية : ألقاها الدكتور هاشم الورتى فى قاعة المجمع فى

١٩٤٩/١٢/٣ م .

(٦) الأدب العراقى فى العصر المغولى : ألقاها الدكتور مصطفى جواد فى

١٩٥٠/١/٧ م .

(٧) الفلسفة العربية فى أوربة اللاتينية : ألقاها الدكتور جواد على فى

١٩٥٠/٢/٤ م .

(٨) دراسة الشريعة الاسلامية فى إنجلترا والاتجاهات الفقهية الحديثة : ألقاها

ج . د . أ . أندرسن أستاذ الفقه الاسلامى بجامعة لندن ، فى ١٩٥٠/٢/٢٠ م .

١٩٥٠/٤/١ م .

(٩) العلوم الطبيعية الحديثة واللغة العربية : ألقاها الأستاذ شيت نعمان فى

١٩٥٠/٣/٤ م .

(١٠) رى العراق القديم : ألقاها الدكتور أحمد سوسة فى ١٩٥٠/٤/١ م .

(١١) الجغرافيا عند المسلمين : ألقاها الأستاذ محمد بهجة الأثرى فى حديقة

المجمع فى ١٩٥٠/٥/٢٧ م .

مطبوعاته = وكانت عناية المجمع بطلب الكتب النادرة من الخزائن فى الشرق والغرب لتحقيقها وطبعها بالغة جدا ، وقد تيسر له الظفر بمجموعة نفيسة منها ، فشرع فى درسها ، وعهد الى جماعة من أعضائه العاملين وغيرهم بتحقيقها ومقابلتها بالأصول والتعليق عليها ووضع فيهارس ومقدمات لها . وهذه هى الآثار التى قرر طبعها :

(١) « خريطة العالم : للدريسي ، وقد نقلها من اللاتينية الى العربية الأستاذ

محمد بهجة الأثرى والدكتور جواد على ، واستدركا على المستشرق الالماني كونراد

ملر أشياء كثيرة ميزاها ببعض الامارات وحققاها تحقيقا علميا بالرجوع الى أمهات كتب

الجغرافيا والتاريخ ، تطبع الآن بمطبعة مديرية المساحة العامة ببغداد .

(٢) كتاب النعم : ليحيى بن على بن يحيى النجم ، نقل عن النسخة الوحيدة

المحفوظة فى المتحف البريطانى بلندن ، ونشر فى مجلة المجمع بتحقيق الأستاذ محمد

بهجة الأثرى وتعليقاته ، وطبع مستقلا وكتب له الدكتور جواد على مقدمة •

(٣) نزعة الأرواح وروضة الأفراس : لشمس الدين محمد بن محمود الشهرزورى ، وهو تاريخ لفلاسفة اليونان والاسلام • حققه وعلق عليه ووضع له فهرس ومقدمة وقابله بشماني نسخ الأستاذ محمد بهجة الأثرى ، وهو معد للطبع •

(٤) خريدة القصر وجريدة العصر (القسم الخاص بالعراق) : لعماد الدين الأصهباني الكاتب ، وقد حققه وعلق عليه ووضع فهرسه الأستاذ محمد بهجة الأثرى والدكتور جميل سعيد ، يطبع الآن بمطبعة جمعية التفيض ببغداد •

(٥) تاريخ الموصل (الجزء الثاني) : تأليف الشيخ أبي زكريا الأزدى ، عهد بتحقيقه الى الأستاذ محمد بهجة الأثرى •

(٦) ابن الفوطى : للأستاذ الشيخ محمد رضا الشيبى ، معد للطبع •

(٧) كتاب بلاد العرب : تأليف لفدة الأصهباني ، بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد رضا الشيبى •

(٨) البصائر والذخائر : لأبي حنبل أنتوحي •

(٩) تلخيص مجيع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب : بتحقيق الدكتور مصطفى جواد ، معد للطبع •

(١٠) كتاب الدينار الاسلامى فى المتحف العراقى : وضع السيد ناصر النقشبندى ، معد لطبع •

الكتب التى ساعد على طبعها = وقدم الباحثون الى المجمع كتباً كثيرة مؤلفة ومترجمة يطلبون منحهم مساعدات مالية ليتسنى لهم طبعها ، فأحالها على لجانه ، فأوصت بمساعدة قسم منها ، ولديها كتب أخرى تدرسها لتوصى بما تراه ، وهذه أسماء الكتب التى منحها مساعداته قطعت :

(١) الزيدية : تأليف السيد صديق الدمولوجى ، طبع فى الموصل •

(٢) أنت والوراثة : تأليف أمرام شايفلد وترجمة بشير اللوس ، طبع فى بغداد •

(٣) المدخل الى الفلسفة الحديثة : تأليف اى • ام • جود وترجمة كريم متى ، طبع فى بغداد •

(٤) تاريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد على ، يطبع الآن بمطبعة التفيض فى بغداد •

وهناك كتابان قرر مساعدتهما ، ولما يطبع • وهما :

- (١) كتاب الكيمياء العضوية .
 (٢) كتاب الديارات للشابستي .
 هذا وقد درس المجمع شؤوننا جمعة ، وشرع في تحقيق أمور ثقافية مهمة ، سنصفها
 بعد انجازها ان شاء الله .
 م . ب . أ

بيان

- ١ - خصص المجمع العلمي العراقي بمباريات سنة ١٩٥٠-١٩٥١ المالية الجوائز الآتية :
 أ - ١٥٠ دينار لمن يؤلف أحسن كتاب في « وسائل اصلاح اللغة العربية العامية
 وتقريبها من اللغة الفصحى » .
 ب - ٢٠٠ دينار للفائز الأول في نقل أحسن كتاب من لغة غريبة الى اللغة
 العربية و ١٠٠ دينار للفائز الثاني في ذلك ، على أن تكون الترجمة قد أنجز
 طبعها في سنة المباراة .
 ج - ١٥٠ دينار لأحسن كتاب مؤلف مطبوع في سنة ١٩٥٠-١٩٥١ المالية .
 ٢ - الشروط :
 أ - أن تكون لغة الكتاب سليمة لفظا وأسلوبا .
 ب - أن لا تقل عدد كلمات الكتاب عن أربعين ألف كلمة .
 ج - تقدم نسختان من الكتاب الى المجمع قبل اليوم الأول من نيسان ١٩٥١ م .
 ٣ - لا ينظر المجمع في :
 أ - الأطروحات مؤلفة أو مترجمة .
 ب - كل كتاب نال مساعدة من دائرة حكومية .
 ج - الطبعات المجددة للكتب المؤلفة والمترجمة .
 د - كتاب سبق أن حاز موضوعه جائزة .
 ٤ - المباراة خاصة بالعراقيين والعراقيات .
 ٥ - لا يجوز للعصر العامل من أعضاء المجمع أن يشارك في هذه المباريات .
 ٦ - على الفائز أن يطبع كتابه بنفسه خلال سنة ١٩٥١ فإذا امتنع فللمجمع أن يشتري منه
 المبلغ الذي حصل عليه .
 ٧ - تعلن نتائج المباريات قبل ١ حزيران ١٩٥١ م .
 ٨ - اذا لم يجد المجمع الشروط في هذه المباريات تامة فانه يطل الجائزة .
 رئيس المجمع العلمي العراقي

فهرس الجزء الأول من السنة الأولى

١	المقدمة
٣	نظام المجمع العلمى العراقى
٨	نظام تعديل نظام المجمع العلمى العراقى
١٠	نظام المجمع العلمى العراقى باللغة الانكليزية
١٧	نظام تعديل نظام المجمع العلمى العراقى باللغة الانكليزية
٢٠	مجلس المجمع العلمى العراقى الأول
٢١	أعضاء المجمع لسنة ١٩٤٩-١٩٥٠

المقالات

٢٣	أسلوب القرآن الكريم ومفردات ألفاظه ..	للأستاذ منير القاضى
٣٩	أقدم مخطوط وصل البناء عن بلاد العرب ..	» محمد رضا الشيبى ..
٤٦	القصد والاستطراد فى أصول معنى بغداد	» توفيق وهبى
٩٥	مدرسة القياس فى اللغة	للدكتور أحمد أمين بك
١٠٤	رسائل فى الموسيقى	» جواد على
١١٣	كتاب النغم ليحيى بن على بن يحيى المنجم ..	تحقيق الأستاذ محمد بهجة الاثرى
١٢٥	معجزة العلم الكبرى	للدكتور شريف عسيران
١٢٣	موارد تأريخ الطبى	» جواد على
٢٣٢	مبحث فى سلامة العربية	» مصطفى جواد
٢٥٢	الكرملى وكتابه التقود العربية	للأستاذ يعقوب سركىس
٢٩٥	دراسة الشريعة الاسلامية فى انجلترا والاتجاهات الفقهية الحديثة	» ج. د. د. أندرسن
٣٠٦	مقدمة للرياضيات	نوايت هيد، وترجمة الأستاذ محيى الدين يوسف

باب الكتب

٣٣٠	تاريخ ابن الدينى	للدكتور مصطفى جواد
٣٣٧	جمهرة النسب لابن الكلبي	» جواد على

- ٣٤٩ المذكرات للأستاذ محمد بهجة الأثرى ..
 ٣٥٦ الزيدية للدكتور مصطفى جواد ..
 ٣٦٨ الاختيار والجبر في صدر الإسلام
 ٣٧٠ بريطانيا والدول العربية للدكتور جواد علي ..
 ٣٧٧ سناد الإسلام

الأنباء والآراء

- ٣٧٦ ألقاظ منولية في اللغة العربية للدكتور داوود الجلبى ..
 ٣٧٩ تعريف الغرب بالفكر العربى للأستاذ ألفريد كيوم ..
 ٣٨٣ خلاصة أعمال المجمع العلمى العراقى م . ب . أ ..
 ٣٩٢ بيان عن مباريات المجمع لسنة ١٩٥٠-١٥٩١م *

من مطبوعات المجمع العلمى العراقى
 (تحت الطبع)

خرقة القصر وعريدة العصر

تأليف

غادالدين الأصبهاني الكاظمي

تحقيق

جميل سعيد

محمد بهجة الأثرى